

مركز توثيق سيرة الملك عبد الله بن عبدالعزيز آل سعود
KING ABDULLAH BIN ABDULAZIZ ALSAUD
BIOGRAPHY DOCUMENTATION CENTER



الملك عبد الله بن عبدالعزيز آل سعود

فارس المرتفعات الصعبة

مقالات مختارة للأستاذ تركي بن عبدالله السديري في جريدة الرياض (زاوية لقاء)

تقديم

معالي الدكتور: عبد العزيز محيي الدين خوجه

جمع

مركز توثيق سيرة الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود

١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م

الملك عبدالعزيز آل سعود

فارس المرتفعات الصعبة

مقالات مختارة للأستاذ تركي بن عبدالله السديري

في جريدة الرياض (زاوية لقاء)

١٤٠٤/٠٢/١٨ - ١٤٣٦/٠٤/١٣ هـ

١٩٨٣/١١/٢٢ - ٢٠١٥/٠٢/٠٢ م

تقديم

معالي الدكتور: عبد العزيز محيي الدين خوجه

جمع

مركز توثيق سيرة الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود

١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ح) مركز توثيق سيرة الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود ، ١٤٤٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مركز توثيق سيرة الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود
الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود فارس المرتفعات الصعبة:
مقالات مختارة للأستاذ تركي بن عبدالله السديري/ مركز توثيق سيرة
الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود. - الرياض، ١٤٤٥هـ

٥٨٤ ص : ١٧ X ٢٤ سم

ردمك: ٦-٢-٩٢٠٤٦-٩٧٨-٦٠٣

١- عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود، ملك السعودية أ.العنوان
ديوي ٩٢٣, ١٥٣١٠٩١ ١٤٤٥/١٨٦٢

رقم الإيداع: ١٤٤٥/١٨٦٢

ردمك: ٦-٢-٩٢٠٤٦-٩٧٨-٦٠٣

المحتويات

| | |
|----|---|
| ٥ | المحتويات |
| ١٥ | المقدمة |
| ١٧ | التمهيد |
| ٢٥ | عبدالله.. الكلمات الهادئة عن المكاسب الكبيرة |
| ٢٧ | الأمير عبدالله الثقافة + الصداقات |
| ٢٩ | طائرة الأمير عبدالله |
| ٣١ | الأمير عبدالله لم يكن زائراً |
| ٣٣ | شيخ الحاضرة والقبيلة |
| ٣٥ | الأمير عبدالله وصهيل الحضور الثقافي |
| ٣٧ | الأمير عبدالله والقصيم |
| ٣٩ | الأمير عبدالله البساطة في العلاقات الأرقى |
| ٤١ | الأمير عبدالله كفاءة الحضور والحوار |
| ٤٣ | الأمير عبدالله في عيون بيروت |
| ٤٥ | الأمير عبدالله وميلاد مدينة |
| ٤٧ | الأمير عبدالله أمام الموحيات التاريخية والراهنة |
| ٤٩ | الأمير عبدالله في فرحة عسير |
| ٥١ | الأمير عبدالله وقرار في حجم أهمية البحر |
| ٥٣ | الأمير عبدالله واستجلاء المرحلة القادمة |
| ٥٥ | جولة أهداف الحوار الواضح في دول متعددة المصالح |
| ٥٧ | الأمير عبدالله ونجومية المباشرة |
| ٥٩ | الأمير عبدالله وجدول أعمال متواصل |
| ٦١ | ببساطة.. لقد تحدّث الأمير عبدالله للناس |
| ٦٣ | سمو الأمير عبدالله.. والخطوة الطويلة نحو طهران |
| ٦٥ | الأمير عبدالله وجدول أعمال |
| ٦٧ | الأمير عبدالله في توقيت المبادرة |
| ٦٩ | الأمير عبدالله.. حيثيات الواقع.. |
| ٧١ | فلكلور وفرح الفرسان في استقبال الأمير عبدالله |

- ٧٣ الأمير عبدالله في نموذجية سلوك
- ٧٥ الأمير عبدالله بن عبدالعزيز .. الفكرة والتصرف
- ٧٧ الذاكرة.. الأمير عبدالله عيش ملح وعمل
- ٨٠ الأمير عبدالله .. والأهم المهمل
- ٨٢ الأمير عبدالله .. مهمات نشر المعرفة
- ٨٤ الأمير عبدالله ومهمات التعضيد عربياً واستعادة الحقوق
- ٨٦ الأمير عبدالله وموضوعية التطلعات
- ٨٨ الأمير عبدالله يقود مرحلة تحول اقتصادي تاريخي
- ٩٠ خطوات الرجال خطوات المدن
- ٩٢ الأمير عبدالله وريادة الآفاق البعيدة
- ٩٤ من كان .. إلى جيزان
- ٩٦ رجل عاقل تحتاجه المرحلة.
- ١٠١ الأمير عبدالله وتوجيه مسار قمة متفاهمة
- ١٠٣ الأمير عبدالله تألق... هناك
- ١٠٥ يكرهون من..؟ ولماذا..؟ الأمير عبدالله.. مخاطبة العقل أولاً
- ١٠٧ الأمير عبدالله وزاوية المثلث
- ١٠٩ الأمير عبدالله.. من مسقط بعد القاهرة.. مخاطبة الحقائق القائمة
- ١١١ الأمير عبدالله ذهب إلى جازان.. ثم أتى بها إلى الاستثمار
- ١١٣ الأمير عبدالله .. حديث حقائق أصبحت حديث مؤتمر
- ١١٥ الأمير عبدالله .. إيجابية الأفكار ومصداقية الموقف.. (١-٢)
- ١١٧ الأمير عبدالله .. إيجابية الأفكار ومصداقية الموقف.. (٢-٢)
- ١١٩ التبنّي العربي لأفكار الأمير عبدالله
- ١٢١ الأمير عبدالله قاد العرب لكي يواجهوا أنفسهم أولاً
- ١٢٣ الأمير عبدالله وإطلاق عصر مواجهة جديد
- ١٢٥ الأمير عبدالله ومواجهة الرياح الساخنة
- ١٢٧ رجل المهمة الصعبة
- ١٢٩ الأمير عبدالله .. الحاضر ابن الماضي
- ١٣١ الأمير عبدالله .. الاعتراف بالمشكلة ومعالجتها
- ١٣٣ الأمير عبدالله.. الرجل الموقف للبحث عن حقوق الآخرين (١ - ٤)
- ١٣٥ الأمير عبدالله.. الرجل الموقف للبحث عن حقوق الآخرين (٢ - ٤)

| | |
|-----|--|
| ١٣٧ | الأمير عبدالله.. الرجل الموقف للبحث عن حقوق الآخرين (٣ - ٤) |
| ١٣٩ | الأمير عبدالله.. الرجل الموقف للبحث عن حقوق الآخرين (٤ - ٤) |
| ١٤٢ | محاذير الأمير عبدالله في مكانها .. وحزم أمريكا ضرورة سلام |
| ١٤٤ | الأمير عبدالله ومصافحة علاقات مع موسكو |
| ١٤٦ | القصة التي بدأ يتغير فيها كل شيء (١-٤) |
| ١٤٨ | القصة التي بدأ يتغير فيها كل شيء الأمير عبدالله يتجه بها نحو جوهر احتياجها (٢-٤) |
| ١٥١ | القصة التي بدأ يتغير فيها كل شيء الأمير عبدالله ونجومية الوضع والموضوعية (٣ - ٤) |
| ١٥٤ | بعد القصة التي يجب أن تغير كل شيء في الباكستان عبدالله زندياد (٤ - ٤) |
| ١٥٧ | الأمير عبدالله الحوار مشوار المجتمع نحو أهدافه (١-٢) |
| ١٥٩ | الأمير عبدالله الحوار مشوار المجتمع نحو أهدافه (٢-٢) |
| ١٦١ | الأمير عبدالله وكريزما وطن |
| ١٦٣ | الأمير عبدالله في قرارة يقين الناس |
| ١٦٥ | عبدالله.. غير الناس هنا .. غير |
| ١٦٧ | عبدالله بن عبدالعزيز.. الأهم ما بقي لك |
| ١٧٠ | الأمير عبدالله.. حضور الواقع السعودي الجديد في باريس |
| ١٧٢ | الأمير عبدالله في دالاس علاقات الشريك القادر |
| ١٧٤ | عبدالله.. الفارس العربي للشراكة مع نادي الأقوياء |
| ١٧٧ | محترم التصرف.. محترم الأداء.. لا بد أن يكون شريك الأقوياء |
| ١٧٩ | ما بين هيوستن ودالاس |
| ١٨١ | الفارس العربي.. ومسؤوليات بهمنا أنها ثقيلة |
| ١٨٤ | الفارس العربي واهتمام واشنطن |
| ١٨٦ | عبدالله.. ومحاولة صياغة أخلاقية للآخرين |
| ١٨٨ | الملك الرائد بين متطلبات الشارع والطموحات الواعية |
| ١٩٠ | عبدالله.. هو عبدالله |
| ١٩٢ | الملك عبدالله.. والخروج عن المألوف العربي |
| ١٩٤ | عبدالله.. الناس هم اهتمامك .. |
| ١٩٦ | عبدالله.. المحبة والاحترام معاً |
| ١٩٨ | طويل العمر |
| ٢٠٠ | عبدالله.. الفنان والمهندس والمواطن |
| ٢٠٢ | عبدالله.. الحضور في كل المشاعر والمساحات |

- ٢٠٤ .. الملك .. في مهمة التوافق بين الإمكانيات والوعي
- ٢٠٧ .. الملك عبدالله .. إستراتيجية العقل لا العاطفة
- ٢٠٩ .. الرجل الأمين في البلد الثمين
- ٢١١ .. أبو متعب في تعبير شعبي
- ٢١٣ .. الملك وولي العهد يقودان الوعي لا القطيع
- ٢١٥ .. المبهر والمفقود
- ٢١٧ .. يا خادم الحرمين .. جازانُ ترنو إليك وتحلمُ
- ٢١٩ .. وقمة عبدالله من الحاضر إلى المستقبل
- ٢٢١ .. الملك عبدالله والغاية العليا
- ٢٢٣ .. مكة .. وأبوة الملك عبدالله
- ٢٢٥ .. أي الشاشات ملأها الملك ..
- ٢٢٧ .. الملك عبدالله ومجتمع في موقع قمة
- ٢٢٩ .. نجومية الداخل ومرجعية الخارج
- ٢٣١ .. الملك عبدالله .. (لا) في مكانها .. و(نعم) في مكانها
- ٢٣٣ .. الملك عبدالله بين اليتيم والمهندس
- ٢٣٥ .. مدريد وباريس .. ترحبان بمؤسس
- ٢٣٧ .. الملك عبدالله .. ودخولنا العالم المتقدم
- ٢٣٩ .. وسام البسمة لرجل القدرة والبسمة
- ٢٤١ .. شكل ثاني .. حبه هو شكل ثاني
- ٢٤٣ .. في ذكرى البيعة يتواصل تفوق مجتمعه
- ٢٤٥ .. الملك عبدالله .. الاهتمام بالصحفي والمنتقف .. نموذج الاهتمام برعاية الجميع
- ٢٤٧ .. الملك عبدالله .. اليمين الفاضلة
- ٢٤٩ .. الملك عبدالله .. شهادات المواقف
- ٢٥١ .. الملك .. بين يدي واجبه ..
- ٢٥٣ .. يبو .. يبو .. متعب
- ٢٥٥ .. الملك المسموع الكلمة
- ٢٥٧ .. الملك عبدالله .. المؤسسة لمتغيرات التطور في مجتمعه
- ٢٥٩ .. الملك عبدالله .. رجل كل عام ..
- ٢٦١ .. رؤية بوش التي أوجد الملك عبدالله مبرراتها
- ٢٦٣ .. فيصل وعبدالله تاريخيان بمنجزات خاصة

| | |
|-----|--|
| ٢٦٥ | الملك عبدالله .. بعد بوش .. شتاء الفقراء .. |
| ٢٦٧ | الملك عبدالله .. شمولية الرعاية .. ورضا الناس الذي يدرك .. |
| ٢٦٩ | الملك عبدالله من خلال قراراته .. |
| ٢٧١ | الملك عبدالله .. بين كفاءته ومجهوداته .. |
| ٢٧٣ | الملك عبدالله .. فارس المرتفعات الصعبة .. |
| ٢٧٥ | فعلاً .. هو صانع تاريخ .. |
| ٢٧٦ | الملك عبدالله في شهادة الخصم والصديق .. |
| ٢٧٨ | الملك والطفل والجامعة .. |
| ٢٨٠ | الملك عبدالله .. في أكثر من اتجاه .. |
| ٢٨٢ | الملك عبدالله .. القفز نحو أوروبا .. |
| ٢٨٤ | الملك عبدالله .. رجل المنجزات الصعبة .. |
| ٢٨٦ | الملك القمّة .. في أهم قمة .. |
| ٢٨٨ | أفق الحوار الإنساني الديني يفتحه الملك عبدالله .. |
| ٢٩٠ | في قطار الملك عبدالله .. |
| ٢٩٢ | استرسلت تفوقات الملك .. فاسترسل تصفيق القاعة .. |
| ٢٩٤ | فرض عروبة الحضور بنجومية الملك عبدالله .. |
| ٢٩٦ | مَنْ احتضن الواقع العربي والفلسطيني وإليه شخصياً توجه خطاب أولمرت؟ .. |
| ٢٩٨ | الملك عبدالله كافع الفقر والتخلف .. |
| ٣٠٠ | طموحات القائد وأداء التنفيذ .. |
| ٣٠٢ | قفزة فارس .. ولمسة فنّان .. |
| ٣٠٤ | من الركود إلى التصحيح والممارسة .. |
| ٣٠٦ | رسالة سلوك وممارسة .. |
| ٣٠٨ | سلوكنا يعطينا التفاضل .. |
| ٣١٠ | الملك عبدالله ومهمة توحيد الأمة .. |
| ٣١٢ | ما هي مغريات إيران بالخصومات؟ .. |
| ٣١٤ | الملك عبدالله ومسؤولية الإيجابيات المستقرة .. |
| ٣١٦ | بانتظار فروسية الدوحة .. |
| ٣١٨ | الملك عبدالله في حضور الأهمية الدولية لا سلطنة عبارات الوهم العربية .. |
| ٣٢٠ | قيادي مبهّر أخذنا لمسارات تجديد مجتمعنا .. |
| ٣٢٢ | لدينا حصانة قدرة الاستمرار .. |

- ٣٢٤ المجتمع وليس المدن فقط ..
- ٣٢٦ الملك عبدالله في مصافحات غربنا والشروق
- ٣٢٨ عبدالله بن عبدالعزيز وفرسان الماء
- ٣٣٠ إلى مَنْ ذهب أوباما؟ ..
- ٣٣٢ طور المفاهيم وفتح الآفاق
- ٣٣٤ في يد الملك وسام وفي يد الوزير عربية
- ٣٣٦ المنطق والعقل في موقف الملك عبدالله
- ٣٣٨ المصافحة بين الملك عبدالعزيز والملك عبدالله في عيدنا الوطني وعيدنا العلمي (١-٢)
- ٣٤٠ المصافحة بين الملك عبدالعزيز والملك عبدالله في عيدنا الوطني وعيدنا العلمي (٢-٢)
- ٣٤٢ التقدير والمسؤولية مهمتهما المشتركة
- ٣٤٤ قمة متميزة بين الرياض ودمشق
- ٣٤٦ إنجازاتنا وآراء علماء الفقه
- ٣٤٨ وماذا بعد ؟..
- ٣٥٠ الملك في حوار علماء
- ٣٥٢ تطهير.. نعم تطهير
- ٣٥٤ الملك عبدالله في نجومية التفوق عربياً ودولياً
- ٣٥٦ عندك وعندني خير
- ٣٥٨ الملك عبدالله الرجل التاريخي في إنسانيته وقوته
- ٣٦٠ ذروة التقارب إنسانياً.. وكفاءة المواجهة إدارياً
- ٣٦٢ ماذا يعني أننا في مسار ماديات تطوير..؟
- ٣٦٤ هاي.. خولة ..
- ٣٦٦ الملك عبدالله صانع زمالة العلم والثروة والتحديث لمجتمعه
- ٣٦٨ مجتمع المعرفة
- ٣٧٠ حضور الملك عبدالله في نزاهته وكفاءته
- ٣٧٢ في واشنطن.. ندوة الحوار حول شخصية الملك عبدالله
- ٣٧٤ منجزاتنا وطموحات الملك عبدالله
- ٣٧٦ الغياب العربي
- ٣٧٨ البحرين أخاً قبل أن يكون جاراً
- ٣٨٠ عيد البحرين ..
- ٣٨١ لو تحدثت السيف الأجر

| | |
|-----|--|
| ٢٨٣ | الصحافة مرة ثالثة |
| ٢٨٥ | الفساد في عصر محاصرته |
| ٢٨٦ | المسألة عمومية ضجر |
| ٢٨٨ | لنندفع أكثر مع غاياته النبيلة |
| ٢٨٩ | شيء من رؤية العقل |
| ٢٩١ | حقائق التميز التاريخي للملك عبدالله |
| ٢٩٣ | مع الملك عبدالله أخذ المواطن دولية مكانته |
| ٢٩٥ | معلومات لا تعرفها .. أنت الحاضر المرموق |
| ٢٩٧ | في جزالة التقدير والاهتمام بالملك عبدالله .. هل رأيت نفسك؟ |
| ٢٩٩ | الملك .. بين أهله وذويه |
| ٤٠١ | الملك عبدالله ومسار الحضور العربي |
| ٤٠٣ | الملك عبدالله في لغة الثقافة والإعلام |
| ٤٠٥ | لمن سكب القهوة في الحي الشعبي وجيرانه |
| ٤٠٧ | القرار الملكي وصيانة جوهر الإسلام |
| ٤٠٩ | ليس هو كبير بيننا بأفكاره ومشروعاته فقط لكنه بارز في زمالات التقدير الدولي |
| ٤١١ | الثروة الهائلة ووسائل التنفيذ |
| ٤١٣ | دعاة لكن من نوع آخر |
| ٤١٥ | أفكار راقية تتجه للعراق |
| ٤١٧ | الملك عبدالله لنكن في مستواه وعياً وممارسة |
| ٤١٩ | قدراتنا تدفعنا إلى الأمام ومفاهيم تدفعنا إلى الخلف |
| ٤٢٢ | الملك عبدالله في مصداقيات أمطار العواطف |
| ٤٢٤ | بك .. كلنا فرح |
| ٤٢٥ | ولقدرتنا العلمية الاقتصادية مشاركة نجاح |
| ٤٢٧ | إنهم في عقولنا وقلوبنا |
| ٤٢٩ | الملك عبدالله في القلب والعقل |
| ٤٣٠ | عبدالله بن عبدالعزيز انفرادية كفاءة الاحترام |
| ٤٣١ | ماذا سيحدث في العام القادم؟ .. ليس في جده وحدها .. |
| ٤٣٣ | الملك عبدالله في عواطفنا وقدرات تطورنا |
| ٤٣٥ | عبدالله .. في العقل والعاطفة .. وفي كل مساحات التطور |
| ٤٣٧ | بقيادته لنا تميزاتنا الخاصة .. وتجاوز ركود الحلول السهلة |

- ٤٣٩ الطفل وبابا أبت الله
- ٤٤١ نحو شمولية اهتمام
- ٤٤٢ في رصيد مستقبلنا رصيد تطوير هائل.. فلماذا العيب؟
- ٤٤٤ ليكن وعينا وثقافتنا في مستوى رصيد إمكانياتنا
- ٤٤٦ مرجعية العقل.. وإدانات الشواهد
- ٤٤٨ نحن أساس الوجود العربي.. ونحن مثالية تطوير حاضره...
- ٤٥٠ مشاعر الملك وموضوعية شواهد الأمير نايف
- ٤٥٢ قائد نقل الحاضر إلى المستقبل
- ٤٥٤ كل قدرات الانفراد.. جزيلة.. فماذا عن الأداء الوظيفي؟
- ٤٥٦ مع الملك عبد الله.. إنجاز العام.. بثلاثين عاماً
- ٤٥٨ نعم نختلف.. ولكن بالأفضل
- ٤٦٠ ما أجمل أن نفهم أنفسنا ..
- ٤٦١ مهمات أكبر لمنطلقات التحديث
- ٤٦٣ جماعية الترحيب والولاء
- ٤٦٥ رجل الحاضر.. وكل المستقبل
- ٤٦٧ رجل العدالة والأمن والمستقبل
- ٤٦٩ كفاءة المكان.. أمام اختلال كفاءة السكان
- ٤٧١ متجهون إلى حقوق وتقدم لا إلى خمود وتخلف
- ٤٧٣ نتطلع دولياً لا أوسطياً
- ٤٧٤ أبوة الملك عبد الله
- ٤٧٦ دعم الدولة ودعم العقوبات!
- ٤٧٧ عمرنا الحضاري في امتداد يومنا الوطني
- ٤٧٩ الملك عبد الله.. في فرح الناس بما كان وفيما حدث
- ٤٨١ عدوان في مجتمع آمن
- ٤٨٣ سلطان.. امتيازات التفوق
- ٤٨٥ الملك عبد الله.. أعطى مجتمعه كل ذاته
- ٤٨٧ عيد بأية حال عدت يا عيد؟ عدت بكل ما هو تطويري متوقع..
- ٤٨٩ اليمن وموضوعية مواجهة واقعه
- ٤٩١ لماذا التشكيك وإخفاء الأفضليات؟
- ٤٩٤ ماديات وفوضى تعامل

| | |
|-----|---|
| ٤٩٦ | أمل العروبة المضطربة.. في اجتماع خليج موحد |
| ٤٩٨ | انفرادية جزالة الأرقام بجزالة واقع الحاضر والمستقبل |
| ٥٠٠ | تباعد مفاهيمنا عن قدراتنا |
| ٥٠٢ | فتح المسارات رجل تاريخ فمتى نكون مجتمع وعي وقدرة..؟ |
| ٥٠٤ | سوريا لن تستفيد.. لكن روسيا إلى أين..؟ |
| ٥٠٦ | مع أفكاره ولغته ومنجزاته |
| ٥٠٨ | مخاطر.. لكن مغلقة |
| ٥١٠ | ما هو صحيح وما هو خاطئ.. |
| ٥١٢ | لا بد من إنجاح كفاءات الأداء |
| ٥١٤ | الملك عبدالله ومجتمعه في حقائق الحضور العالمي |
| ٥١٦ | السبع سنوات.. ومنجزات عشرات السنين القادمة |
| ٥١٨ | عبدالله بن عبدالعزيز.. وشعبية العلاقات |
| ٥٢٠ | افهموا جزالة واقعكم وخطورة غيركم |
| ٥٢٢ | الملك عبدالله.. رجل المثاليات |
| ٥٢٤ | مكة والشروق الجديد |
| ٥٢٦ | حضور دولي.. بإسلامنا وعلاقاتنا |
| ٥٢٨ | عبدالله بن عبدالعزيز يحترمك كل عقل ويحبك كل قلب.. |
| ٥٣٠ | عبدالله بن عبدالعزيز.. رجل الجماعة حباً وتقديراً |
| ٥٣٢ | عبدالله بن عبدالعزيز تميز بذاته وخصوصيات أفكاره |
| ٥٣٤ | شمولية الحب لعبدالله بن عبدالعزيز تنافسها شمولية التقدير لمنجزاته |
| ٥٣٦ | الملك عبدالله.. في سعادتنا.. وفي مسؤولياتنا |
| ٥٣٨ | هو يقودنا نحو المستويات الأرقى |
| ٥٤٠ | الرجل التاريخي في حاضرنا ومستقبلنا |
| ٥٤٢ | الوعي والإدراك.. ضرورة وطنية |
| ٥٤٥ | الرجل التاريخي يتجه بنا نحو التاريخ الأرقى |
| ٥٤٧ | القائد التاريخي وجزالة تعدد التطوير |
| ٥٤٨ | منجزات البيعة في كل ما يخصنا |
| ٥٥٠ | البيعة.. التوجه لكل ما هو أرقى |
| ٥٥٢ | في البيعة.. معه عبر كل منطلق خالد |
| ٥٥٤ | عقلانية مواجهة الإرهاب |

- الملك عبدالله موضوعية رأي ووجهة مواقف ٥٥٦
- نعم.. لنا جزالة حضور وعلاقات ٥٥٨
- عرب في النسيان.. ووجودنا متميز ٥٦٠
- نحن خارج الضياع العربي ٥٦٢
- تاريخي فتح لنا توجهات المستقبل ٥٦٤
- الرجل التاريخي ومعجزات التحول ٥٦٦
- الملك عبدالله في الصدق والكفاءة ٥٦٨
- رجل يرى فيه كل مواطن مصدر منطلقات مجده ٥٧٠
- رجل مصداقية وكفاءات ٥٧١
- الملك عبدالله.. حضور الفكر والإرادة ٥٧٣
- نعم.. رجل إسلام وعقل ٥٧٥
- الملك عبدالله.. حضور المنطق والعقل ٥٧٦
- انفراد نزاهة وكفاءات ٥٧٧
- الكل مع الملك عبدالله نحو المستقبل الأرقى ٥٧٨
- الملك والوجود الجديد للمواطن ٥٧٩
- مع الملك عبدالله.. بعيدون عن كل سلبيات غيرنا ٥٨٠
- عبدالله.. وحقائق المتغيرات ٥٨١
- مبروك... أمام كل فرح ٥٨٣

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على نبيِّنا وحبیبنا سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثمَّ أمَّا بعد، فلقد سعدتُ كلَّ السَّعادة حين أُحْتَرْتُ لكتابة مقدمة لهذا الكتاب التَّوثيقي المهم، أمَّا مصدرُ سعادتِي فللثقة الكريمة التي منحتها لي صاحبة السُّمو الملكي الأميرة عادلة بنت عبد الله بن عبدالعزيز - حفظها الله - لأخطَّ هذه الكلمات المتواضعة في كتابٍ تضمُّ صفحاته مقالات قيِّمة عن خادم الحرمين الشَّريفين الملك عبد الله بن عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - هذا الملك العظيم الذي أحبَّ وطنه وشعبه كلَّ الحبِّ، وعَمَلٌ من أجل نهوضه وتميمته في كافَّة المجالات، واهتمَّ - وهذا منهجٌ أصيلٌ وثابتٌ لدى قادة هذه البلاد المباركة - بالاهتمام بقضايا الأمَّتين العربيَّة والإسلاميَّة، مما سيذكره التاريخ دائماً، من أجل التنمية والرخاء والأمن والسلام في العالم كلِّه وفي بلداننا العربيَّة بشكل خاص.

ليتني كنتُ مؤرخاً لأدوِّن تاريخاً لشخصية سعوديَّة وعربيَّة وعالميَّة هي شخصية الملك عبد الله بن عبدالعزيز، لكنَّ المؤرِّخين سيؤدُّون عني وعن أبناء وطننا الغالي هذه المكرمة بالكتابة عن قائدٍ عظيم، وشخصيَّةٍ فذة، وإنسانٍ امتلأ قلبه حباً للنَّاس، كل النَّاس، حتَّى تتعرَّف الأجيال الجديدة في بلادنا على قائدٍ كبيرٍ ورمزٍ عظيمٍ من رموز تاريخنا المعاصر.

وما الذي بإمكانني أن أقوله عن شخصية عظيمة كالملك عبد الله بن عبدالعزيز؟! وقد تشرَّفتُ بمعرفته عن قُرْب، ونعمتُ بعطفه ورعايته، وعملتُ بتوجيهاته السَّديدة التي كان لها أثرٌ في عملي سفيراً ووزيراً، وماذا أقول عمَّا تعلَّمته منه - رحمه الله - من معاني إنسانيَّة، وقيِّم نبيلة، تأثَّر بها كلُّ من تشرَّف بمعرفته؟! لقد عرفته عن كثب في ديوانه، وفي مجلس الوزراء، وفي جولاته من أجل الأمن والرخاء والسلام، وكنتُ وكافَّة زملائي نقرأ في قسَمات وجهه الأصالَة والنُّبل والإباء والشَّمَم والكرم، وكنا نطالع، أيضاً، ملامح إنسانيَّة شفَّافة هي جزءٌ رئيس في شخصيَّته - رحمه الله - بما عرفَ عنه من تواضع، ولين الجانب، وما اتَّسم به من عطفٍ على النَّاس في بلادنا وفي العالم كلِّه، وهذا ما عرفَّ به والتصق بسيرته العطرة.

وكان مما أسعدني أن يكون مؤلف هذا الكتاب رمزاً من رموز الصحافة الحديثة في المملكة العربية السعودية، هو الأستاذ الصحفي المبدع تركي بن عبد الله السديري -رحمه الله- أحد أشهر رؤساء التحرير في تاريخ الصحافة في بلادنا، وصاحب الأسلوب التحريري المميّز الذي اشتهر به في أثناء رئاسته لتحرير صحيفة الرياض العريقة، وما تمتّع به أسلوبه من تفرد كتابي، يبرز في الاقتصاد اللغوي، والمسحة الأدبية، والمتابعة الحثيثة والذكية لقضايا الوطن والمواطن، وقدرته على تناول قضايا السياسة والاقتصاد، ولا غرابة في ذلك وتركبي السديري مدرسة في الصحافة العربية.

وفي هذا الكتاب الذي أتشرف بتقديمه إلى القراء مقالات يجمعها موضوع واحد هو خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبدالعزيز -رحمه الله- وهي بهذا المعنى وثيقة صحفية مهمة تتعلق بتاريخ شخصية سياسية ووطنية عظيمة، وتتصل بفصل كبير من فصول تاريخ بلادنا الحبيبة المملكة العربية السعودية، بل إنني أعتبر هذه المقالات سجلاً ذهبياً عن مرحلة مهمة في تاريخ الوطن والعالم كله، بما امتازت به هذه المقالات من متابعة حثيثة مُزامنة للأحداث المحلية والقومية والعالمية، متأملةً ذلك المنهج الفريد، ومُحللاً، ومُدوّناً لأهم مفاصله، مهما تعددت واتسعت.

وإني على يقين -بإذن الله- أن هذا الكتاب سيكون مرجعاً مهماً لمسيرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبدالعزيز آل سعود -رحمه الله- ومصدراً من مصادر الكتابة التاريخية عن المملكة العربية السعودية؛ سيجد القراء فيه ما يزيدهم معرفةً بهذا القائد العظيم، وسيلقى المؤرخون والمحللون السياسيون ما سيجلو لهم كثيراً من القضايا والمسائل. ما أشدّ اعتزازي بالكتاب، وأدعو القراء أن ينعموا بهذه المقالات الجليلة، ففي طواياها الكثير من الروعة والنفع والفائدة.

والله ولي التوفيق

عبد العزيز محيي الدين خوجه

التمهيد

«ملك الصحافة» لقب أطلقه الملك عبدالله بن عبدالعزيز -رحمه الله- على الأستاذ تركي بن عبدالله السديري في إحدى لقاءاته مع الإعلاميين السعوديين، ولعل هذا دليل قاطع على تفرد تركي السديري وتميزه، وهذا اللقب الذي حظي به لم يأت من فراغ، إذ كان مشوار الراحل تركي السديري مليئاً بالصعاب والعقبات التي قلما يصمد أمامها البشر، ولم تكن رحلته الصحافية كما يعتقد البعض سهلة وميسرة وخاصة في عصره.

في محافظة الغاط شمال مدينة الرياض وفي عام ١٣٦٣هـ الموافق ١٩٤٤م ولد (ملك الصحافة)؛ حيث كانت هناك أولى البدايات، نشأ يتيماً يرباه قلب أم ينبض بالحُب والشعر. قلب نقي زرع فيه الحس الإنساني والأدبي، ومن بين النخيل وكثبان الرمال انطلق السديري يخط إبداع حبره على صفحات الوطن الخالدة في ذاكرة التاريخ الصحفي، بعدها انتقل إلى الرياض واستقر بها ودرس في جامعة الرياض، ولكنه لم يكمل تعليمه، عمل فيما بعد في سكرتارية نادي الهلال، ولم يستمر بها طويلاً حيث لم يكن العمل الرياضي مرضياً لشغفه وطموحه؛ لأن ولعه بالصحافة وحبه لدهاليزها كان جزءاً من حياته، فانتقل لعالم الصحافة؛ ليكون من جيل المؤسسين لصحافة الوطن، بدأ تركي السديري العمل الصحفي في صحيفة الجزيرة، ثم انتقل إلى صحيفة الرياض وتدرج فيها من محرر رياضي إلى سكرتير بعدة أقسام بدأت بالمحليات، ثم تولى منصب سكرتير التحرير وأخيراً رئيساً للتحرير.

وقد أسهم بشكل فعّال في تطوير جريدة «الرياض» وجعلها في مقدمة الصحف، ومثالاً فريداً تنافس غيرها من الصحف المحلية والعربية، كما شهدت قفزات نوعية وتطوراً في عهده فأصبحت خلال تلك السنوات تتربع على عرش الصحافة السعودية، فعندما تسلم رئاسة تحرير جريدة الرياض لم تكن تصدر بأكثر من ثماني صفحات وأحياناً اثنتي عشرة صفحة، فأصبحت في عهده تصدر معظم أيام الأسبوع فيما بين ٤٨ صفحة و٦٠ صفحة، وأحياناً يتم تجاوز هذا الرقم في بعض المناسبات الخاصة، ولم يكن عدد المتفرغين من السعوديين -حين تولى رئاسة تحريرها- يتجاوز عشرة محررين، فأصبح عدد المتفرغين

من السعوديين في عهده يتجاوز المائتي محرر. وكان عدد السيدات في صحيفة الرياض يتجاوز الثلاثين محررة، وهو أمر غير موجود في الصحف الأخرى وقتها، كما افتتح في عهده أول مكتب مستقل للقسم النسائي، وعينت فيه محررات صحفيات متفرغات للعمل الصحفي عام ١٩٩٩.

احتضنت جريدة الرياض -أثناء رئاسته للتحريـر- العديد من الأسماء الصحفية اللامعة التي تميزت بعلاقاتها الواسعة، وقادت الصحيفة إلى السبق والتفرد والتميز في العديد من الأخبار في شتى المجالات، كما أن الكتاب في الصحيفة يعدون من الصفوة الذين يُطلُّون بشكل يومي أو أسبوعي على قرائهم ليحللوا وينقلوا صدق الواقع في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والرياضية، والثقافية، والتقنية.

كما حرص تركي السديري بوصفه رئيساً للتحريـر على دمج القدرات الصحفية بالقدرات المالية والإدارية في عضوية الجمعية العمومية بدعم من رجال أعمال وثقافة ساندوا الفكرة، وهو ما جعل قرارات الجمعية العمومية في اجتماعاتها السنوية تتوفر بها كفاءة المشاركة الاقتصادية مع رؤية الخبرة الصحفية وهو واقع غير موجود في جيل الصحف السعودية أو العربية آنذاك.

وامتدت نشاطات تركي السديري في مجال الصحافة إلى مجال أوسع من رئاسة تحرير جريدة الرياض، حيث شارك في عضوية مجلس جائزة الصحافة العربية بالإمارات العربية المتحدة، واختير رئيساً للجنة التأسيسية لهيئة الصحفيين السعوديين، كما انتخب رئيساً لهيئة الصحفيين السعوديين لثلاث دورات. ورئيساً لاتحاد الصحافة الخليجية مرتين. وقد حصل على جائزة الصحافة العربية فئة أفضل عمود صحفي، وذلك في حفل كبير أقيم في دبي عام ٢٠١٠م بمشاركة كتاب خليجيين وعرب، كما اختيرت جريدة الرياض الأولى عربياً في عهده.

ولا يختلف اثنان على أن تركي السديري يعد أشهر من نار على علم، ورمزاً من رموز الصحافة السعودية والخليجية والعربية، وخير دليل على ذلك هو استمراره رئيساً لتحرير

جريدة الرياض لمدة ٤١ سنة. وكانت الصفات المهنية والثقافية عاملاً مهماً في تشكيل الشخصية الإبداعية لتركي السديري. ذلك أن حبه للقراءة وسعة اطلاعه قد أسهمت في إبرازه كصحفي مثقف وكاتب لامع في عصره، فقد تحلت مقالاته المتنوعة بالثوب الأدبي الجميل والأسلوب الفريد والكتابة المكثفة؛ فهو يعرض جملة الأفكار والمعارف والخبرات والرؤى والتجارب بما لا تتجاوز حيز المساحة المخصصة لها في الصحيفة اليومية، وكثيراً ما يبرز الحس الوطني والاعتزاز بالهوية في قراءته للأحداث والتعبير عنها؛ انطلاقاً من إيمانه العميق بمقدرات الوطن الخلاقة في الوحدة، والتنمية، والبناء، والتطور. حيث أسهم بمقالاته الجريئة والصريحة، ومواقفه الشجاعة، في الوقوف بصلاية أمام محاولات البعض لجرّ المجتمع السعودي تجاه الأزمات الفكرية والمعارك الجانبية، دون أن ينتقص من دور الكثيرين الذين أسهموا أيضاً بأدوار وفعاليات إيجابية مهمة، كما تجلت المهنية الخلاقة في حواراته الصحفية الخالدة التي التقى فيها مع شخصيات سياسية ومسؤولة رفيعة، استطاع فيها أن يدير دفة الحوار بأسلوب مشوق يخلو من التقليد والتكرار في الحوارات المشابهة.

تميز السديري في مهنته الصحفية بالمصداقية التي جعلته مطلباً للإعلاميين والمهتمين للظفر بأقواله وتصريحاته وآرائه التي تلقى قبولاً وحرصاً من قبل المتلقين على اختلاف مشاربهم، وقد كان ضيفاً في الكثير من المناسبات على القنوات الفضائية للحديث حول القضايا السياسية والاقتصادية والمحلية، وقد أجريت معه العديد من اللقاءات التلفزيونية والإذاعية والصحفية منذ توليه رئاسة تحرير جريدة الرياض ليس على المستوى المحلي فحسب، بل وعلى المستوى العربي والعالمي؛ ومن تلك اللقاءات والحوارات ما أجرته معه التايمز اللندنية والإكسبرس الفرنسية ووكالة بلوم بيرج الأمريكية وول ستريت جورنال الأمريكية والنيويورك تايمز وإذاعة لندن وقناة الجزيرة القطرية وقناة الإم بي سي وقناة أي آر تي راديو وتلفزيون العرب... وغيرها الكثير من اللقاءات.

الجدير بالذكر أن نجاح تركي السديري امتد على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي؛ فدُعي للمشاركة في العديد من الأمسيات والندوات والمؤتمرات الصحفية والأدبية، وكذلك

الملتقيات التي تناولت القضايا الإعلامية والسياسية داخل المملكة وخارجها، نذكر منها: ندوة (الصحافة الخليجية وقضية الهوية المشتركة): ضمن فعاليات مؤتمر ومعرض الإعلام والإعلان الذي أقيم في عام ٢٠٠٨م بقطر، و(ندوة النخيل) الثقافية للأستاذ الدكتور محمد ابن سعد آل حسين؛ وكانت تتحدث عن الصحافة السعودية لها وما عليها، كما شارك في مؤتمر مركز الخليج للدراسات في عامه الثامن، وناقش قضية العرب في بيئة دولية متغيرة بالشارقة، ومنتدى الإعلاميين الذي كان حول هامش الحرية في الإعلام السعودي وعلاقته بقائمة منظمة «مراسلون بلا حدود»، وندوة الرقابة الإعلامية ومتغيرات العصر التي أقيمت على هامش معرض الكتاب الدولي بالرياض، وكان ضيفاً في ندوة عن (غزو الكويت: الأسباب والنتائج واستشراف المستقبل) بالجامعة الأمريكية في بيروت.

وكان للتأليف نصيب من إبداعات تركي السديري منذ نشأته؛ فكتب أولى قصصه مبكراً في جريدة (الأضواء) التي تصدر في الدمام، وقصة (الجياع) في جريدة الجزيرة، وكلاهما قبل أن يلتحق رسمياً بالصحافة، وصدرت له في عام ٢٠٢١م مجموعة قصصية عملت عليها ابنته الدكتورة هند السديري، ونشرها النادي الأدبي في الرياض.

تركي السديري - بشهادة الكثيرين - أثرى الساحة الإعلامية السعودية وبذل فيها عطاءه الجزل وأسهم في تطور الصحافة السعودية؛ التي تقود ركب الصحافة العربية، وكانت له بصمة واضحة في نمو وتقدم وتطور الشباب السعودي في المجال الإعلامي إلى أن أصبحت الصحافة السعودية يشار إليها بالبنان في العديد من الدول العربية والإسلامية والعالمية.

وتعد «زاوية لقاء» التي داوم على كتابتها تركي السديري بشكل شبه يومي الزاوية الأطول عمراً في الصحافة السعودية؛ إذ استمرت ٤٣ عاماً. ففي عام ١٣٩٢هـ كانت ولادة الزاوية في جريدة الرياض في العدد ٢٣٠٠، ومنذ ذلك الحين أصبحت بمثابة النافذة التي يطل من خلالها العالم على التحولات والانكسارات والنجاحات والتطورات التي حدثت في المجتمع السعودي والعربي. وفي عام ١٩٩١م شرعت صحف من لندن، والأيام من البحرين، والراية من قطر بنشر «زاوية لقاء» يوم صدورها في جريدة الرياض.

وما كتبه تركي السديري في زاوية لقاء يعد -بحق- لبنة في ذاكرة الأمة وشاهدًا على العصر؛ إذ تتضمن كتاباته صورًا شتى من الأحداث والوقائع والتحليلات المتعددة بخاصة على المستوى السياسي، إلى جانب الأحداث الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، كما أنها تعد الأشهر بين الزوايا اللافتة والداعية إلى القراءة بفضل ما تحويه من معلومة متامية مع الأحداث المختلفة.

وللقيمة العلمية والتاريخية لتلك الزاوية (لقاء)؛ ولما تحويه من توثيق لكثير من الأحداث في عصره، فقد رؤي أن يتم انتقاء مجموعة من مقالاتها؛ التي تتناول أحداثاً ومواقف ترتبط بالملك عبدالله بن عبدالعزيز -رحمه الله- سواء في فترة ولاية العهد أو بعد ما أصبح عاهلاً للمملكة العربية السعودية، وضمها في كتاب واحد تحت عنوان: (الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود: فارس المرتفعات الصعبة) علماً أن هذه المقالات تغطي الفترة من (١٨-٢-١٤٠٤هـ/١٣-٤-١٤٣٦هـ) الموافق (٢٢-١١-١٩٨٣م/٢-٢-٢٠١٥م).



بطاقة استشفاء بعثها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود للأستاذ تركي السديري.



صورة تجمع خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود مع بعض الإعلاميين.



في الطائرة الملكية: صورة تجمع خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود مع بعض رؤساء الصحف في الثمانينات الميلادية.



أمام سور الصين العظيم: صورة تجمع خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود مع مرافقيه في زيارته للصين بتاريخ ١٨/١٠/١٩٩٨م عندما كان ولياً للعهد.



صورة تجمع خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود مع الأستاذ تركي السديري في نادي الفروسية، في حفل استقبال اللجان الفنية والإعلامية في ١٢/٢/١٩٩٥م.



صورة تجمع خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود مع مجموعة من الأدباء والمثقفين في قصره في مدينة الرياض في التسعينات الميلادية.

عبدالله.. الكلمات الهادئة عن المكاسب الكبيرة (*)

في منتصف الستينات كتب رئيس تحرير مجلة عربية مشهورة - رحمه الله - مقالاً بعنوان «لقد أتعبتنا يا فخامة الرئيس».. وكان قد رافق رئيسه في جولة عمل قوامها يوم واحد.. وأذكر أننا كنا نتلقف مقالاته بشغف بالغ يماثله ذلك الشغف الذي نتابع به ذلك التعب..

لكن تأمل الأحداث فيما بعد والتي لم تعد مجرد «صوت» فقط كشف لنا أن ذلك الكاتب لشيخوخته تعب من كثرة التنقل في أكثر من خمسة مواقع عبر يوم واحد وأن الجمهور بين استقبال ووداع ومقاطعات تصفيق عند الاستماع على مدى خمس مرات كان يتعب كثيراً من ذلك.. لكن كيف كانت النتائج؟

المؤسف أن أحداث عمرنا العربي لا تعطينا النتائج سريعة في زمن الحدث وإنما خسائر فادحة تؤجل بعده، لأننا لا نستعمل العقل في قراءة الحدث أثناء زمن وقوعه..

تذكرت هذا، عندما وجدت نفسي مع مجموعة من الزملاء نستمع إلى الأمير عبدالله بن عبدالعزيز وهو يتحدث عن نتائج زيارته للكويت الشقيق..

وكنت أتوقع أن الرجل سيتحدث عن مجاملات المقابلات وتعميم كلمات التعاون والتفاهم..

أما أن يقال له:

هل تعرضتم في محادثاتكم إلى وضع المنطقة المحايدة؟

فيرد فوراً.. بما معناه:

نعم.. وقریباً في غضون أيام سيتم تسوية كل شيء بما يرضي الجميع..

وهذا أمر يعني قطاعاً مهماً من السعوديين والكويتيين..

ثم يأتي السؤال التالي..

وماذا عن الاتفاق الأمني؟

(*) العدد ٥٦٣٠ (١٨/٢/١٤٠٤هـ، ٢٢/١١/١٩٨٣م).

ويرد أيضاً دون تردد بما معناه: لقد تجاوزنا العقبات، حيث وصلنا إلى تفاهم مشترك حول ذلك..

وهذا أمر يعني سكان الخليج كله بما بينهم من تعاون.. ثم تتتابع الأسئلة وكلها حيوية ذات علاقة بالجوار الخليجي وعلاقات سكانه، والعلاقات العربية واقتتال الفلسطينيين بداخلها..

حدث كل هذا دون ضجيج.. وهكذا تأتي المكاسب.. بعبارات هادئة من رجل تملأه الثقة بنفسه والقناعة برسالة أمته والإيمان العميق بحتمية انتصار ما لها من عقيدة..

لقد شعر الجميع أن سموه قد اختصر «تعب» جيل كامل للتفاهم نحو إيجاد خليج واحد بحنكة الحوار حول قضايا مصيرية هامة كان يمكن أن تكون ثانوية عارضة لو أن القيادات الخليجية قد اكتفت بحاضرها ولم تسبقه للتطلع الى مستقبل تريده أن يكون سعيداً وقوياً..

وعندما يبحث مواطن عادي الاهتمامات فيما انطوى عليه حديث سمو الأمير عبد الله من مضامين.. فإنه لن يجد هناك وصفاً لمجد شخصي مجرد، ولكنه سيجد الشخص في النتائج الكبيرة على مستوى الوطن والمواطن..

وليس الوطن والمواطن هما أرضنا ومواطنينا الأقربين، ولكنهما الكويت كله أيضاً بمن يعيش فيه وباقي الشقيقات الأربع في بيت مجلس التعاون، وهذه هي المكاسب الكبيرة.. والخطوات الواسعة نحو أمجاد التوحيد والقوة لمواطني جدة وكيفان.. الدوحة والمنامة.. صلالة وعجمان..

إن عبد الله بن عبدالعزيز كان التعبير الصادق عن تجسيد مرحلة «العقل» التي تعاشها بلادنا وقيادتها.. خليجنا بقياداته وسكانه للدخول في نادي الأقوياء، بعد أن أنهكت مرحلة «الصوت» عالمنا العربي الذي شبع تمزيقاً وإذلالاً، ولا زال يستعمل أذنه في التفكير.. أما هنا، فحين نحيي الرجل العائد من الكويت بتوثيق روابط التعاون بين قوتين من أبرز أعضاء مجلس التعاون؛ فلأننا نفكر عن طريق عقولنا، كما تدلنا تصرفات قيادة هذا البلد عندما تواجه بالحكمة ووعي المعالجة قضايانا المعاصرة تنموياً وخليجياً وعربياً..

الأمير عبدالله (*) الثقافة + الصداقات

في كل مناسبات عرق الجهد أو أفراح المناسبات، يتواجد الملك فهد، بدءاً بمجمعات الصناعة الكبيرة، وانتهاءً بملاعب المناسبات الرياضية، يحوطهما وهج التعليم والثقافة في كثير من مواقع بريقه، وكانت آخر مسافات الانتشار لهذا الوهج يوم أمس في المهرجان الوطني للتراث والثقافة الذي رعاه الفهد كعادته.. وهو عمل تثقيفي وإعلامي ضخم، أذكر قبل بضع سنوات كنت والزميل يوسف الكويليت نتجول خارج سيئول عاصمة كوريا الجنوبية في القرية الشعبية التي حوت كل تراث كوريا القديم، وتساءلنا معاً متى يمكن أن يكون لنا مثل هذا الاهتمام بالتراث؟..

وتخوفنا أن تكون مسافتنا نحو ذلك بعيدة.. لكن المسؤولين عن النشاط الثقافي في الحرس الوطني اختصروا تلك المسافة..

اختصروها هم الذين حين وجدوا أن جنديّة الحرس قد ضربت في أعماق البادية أردفوا لها ما للبادية من عراقة وتراث.. وجعلوا لهم مناسبات ثقافية، وصلات تجاوزتهم إلى شمول المملكة في توثيق علاقتها بعدد من المفكرين الكتاب العرب الذين استضافتهم كتاباً ومحاضرين وضيوف صداقة..

والذين أتحت لهم فرصة الاقتراب من اهتمامات سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد، يلمسون وببساطة ولغّه بتمتين علاقته هامتين في اتصاله بجميع ما يحيط به من قضايا وأوضاع..

الثقافة والصداقة..

في باريس، وبالذات في حفلي جاك شيراك وجامعة سربون.. ظهر الأمير وهو يتألق قطب حوار، ثقافياً وحضارياً، اكتسب الإعجاب والتقدير لفرط ما يوليه من اهتمام تجاوز حدود مظاهر المجاملة العابرة، الأمر الذي جعل سفيرين هناك يقولان لي إن فرنسا قد رحبت به بعقل ثقافتها مثلما فعلت ذلك بعاطفة صداقتها..

(*) العدد ٦١١٨ (٣/٧/١٤٠٥هـ، ٢٤/٣/١٩٨٥م).

وهو دائماً ذلك القريب من مسار اهتمامات الحرس الوطني الثقافية، حيث يتابعها بالتوجيه المتأنى، تشجيعاً بقدرة تقويم الخبير المتمكن، الأمر الذي جعل الحرس الوطني يمارس دوراً تثقيفياً في المجتمع لا ينكر مدى اتساع انتشاره.

واهتمامه بالصدافة له علاقة بتكوينه كدبلوماسي يذرع المسافات مصالِحاً أو مقارِباً لوجهات النظر وهو قادر على جمع أكثر من كف متخصصة في كف الصداقة التي يجمع بها مشاعر الجميع..

من طبيعة تركيب العلاقات العربية أن تكون الخصومات هي محاور الجذب بين أطرافها.. وأن تتناوب هذه الأطراف وعبر مواسم متلاحقة، مهمات السلب والإيجاب في تصعيد وتنشيط وجهات الخصومات.. لكن الذين قدر لهم مرافقة الأمير عبدالله في صلته مع هذه العلاقات يلمسون أن هواية الصداقة التي يجمع في دائرة ظلها الكثير من الرؤوس، تجعل طائرته وهو عائد الى المملكة، تحط في كل مراكز تلك الصداقة شرقاً أو غرباً، ليخفف من حدة نزاع الفرقاء، أو ليجمع تشتت وجهات النظر على وحدة رأي متقارب..

إن الثقافة والصداقة مهمتان إنسانيتان، يسعد أي فنان ملهم أن تكونا رمز رسالته في الحياة، أما حين تتوفران كصفة مكملة لتكامل شخصية دبلوماسي ومسؤول وطني هام الموقع والقرار، فإنهما في حياة الجميع حوله ابتسامه ود وعبارة ترحيب لتكامل كل درجات التقدير لهذا التميز في التكوين والتعامل..

طائرة الأمير عبدالله (*)

رغم أن السفر متعة إلا أنك لن تقضي وقتاً مريحاً في طائرة عندما تقلع من باريس بعد رحلة عمل متتابعة البرامج؛ فإن محطتها القادمة لن تكون الرياض أو جدة، وتذهب ساعات الطيران في إغفائة نوم مريحة.. إنها ستحط في بغداد أو دمشق أو عمان.. وتبقى ساعات الطيران.. حالة عمل مستمرة مع ما سبق من إرهاق وموصولة مع ما هو قادم من متابعة لأحداث جديدة في المحطة القادمة.. فالزمن والمكان لا علاقة لهما بالراحة والمزاج لكنهما موصولان بالمسؤولية..

موصولان بالجسور العديدة التي إن زادت العالم ثقة وتقديراً للمملكة وهي ترتبط بالعالم الأجنبي بهذه الجسور، فقد جعلتها الأكثر استيعاباً لكل التطورات الحضارية الجديدة والأكثر استفادة من كل ما أدت إليه نهايات هذه الجسور من تعاون مشترك مع عالم اليوم الصناعي حتى سجلت المملكة انتصارها على الفارق الزمني الهائل في عمر بناء الحضارات..

وموصولان بجسور عديدة أخرى بالعالم العربي.. لا يمين فيه ولا يسار.. لا خصومة ولا قطيعة.. ولكن نهايات تلك الجسور ليست إلا نوافذ تطل منها العواصم العربية على بعضها، وكل التفاؤل السعودي ينصب على أن تزيح المسؤولية العربية المشتركة أكثر من حائط فاصل، فتلتقي كل النوايا والجهود لخدمة مصير أمة تعيش أعنف تحديات تاريخها..

إن تلك الطائرة، وهي خطوات من سماء إلى سماء تسعى لأن تكون كل أمطار الأرض العربية جهوداً في الوفاق والتعاون والدفاع المشترك، حيث غرس الأمير عبدالله في اتصالاته حرص المملكة، وبالنص الحريفي الذي حدده جلالته الملك فهد، على أن تأتي القمة العربية وهي مشرفة للعالم العربي.. ونحن نعرف أن جلالته الملك فهد قد بذل شخصياً جهوداً كبيرة في قمة فاس السابقة كي يكون ما بعدها عمراً مشرقاً من معطيات الجهود العربية المشتركة..

(*) العدد ٦٣٢٩ (٢٠٠٧/٦/١٤هـ، ٢٠٠٧/١٠/١٩م)

كان تطلعه يتفق مع افتراض أن يكون الزمن الشاغل لما بين القمتين قد تجاوز بالعالم العربي الكثير من مشاكله ومعوقاته القائمة ..

وهنا يجب أن تكون أي قمة قادمة قائمة على استيعاب هذا التطلع الذي كان يجب أن يكون واقعاً وليس افتراضاً، وتسعى الجهود المشتركة الآن لأن يكتسب مقومات الواقع وصفاته ..

إن بغداد غير بعيدة عما يقوم بين دمشق وعمان من حوار، والمشرق العربي بصفة عامة يجب أن يكون بكامله قريباً من تحسس مخاطر أجياله القادمة، خصوصاً وقد شاهد جيله الحاضر ومنذ قمة فاس - في أقرب مثل - الكثير من التحديات التي ما كان لها أن تستهين برد الفعل العربي القادر لولا مآسي الخصومات.

الأمير عبدالله لم يكن زائراً (*)

وجود سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز في صنعاء كان يصعب أن يعرف بمجرد زيارة أو أن يكون أيضاً مجرد مشاركة في الأعياد هناك ..

فللزيارات طقوسها الرسمية التي لا تنقصها الحفاوة الرسمية في مظاهر الترحيب وحفلات التقدير ..

لكن الحفاوة التي وجدها ضيف صنعاء تجاوزت مظاهر الزيارة عند المسؤولين في الأوساط الشعبية إلى لقاء عناق بالمشاعر والمواطف ومظاهر الترحيب ..

وصنعاء التي قصدها كثيرون لمشاركتها أفراح أعيادها بدت وكأنها تحتفل بضيف واحد في قلبيهما معاً حب مشترك وفي وجدانهما أمانى مشتركة ..

لقد بدت صنعاء كفلاحة تحرث أرضها أوقفت شق الأرض لترفع كفها تحية للرجل الذي تساهم بلاده في إيداع تلك الأرض بذور الإخصاب مع أبنائها البارين بحبها ..

كان شيخاً يمانياً وقور الجلباب العمامة وعلوم السلف يترك دروسه ليفسح مجالاً كي يأخذ أخ قادم شديد الانتماء لسلف العروبة والإسلام مكانه بجانبه ليقول للجيل الجديد إن الإنسان في جنوب الجزيرة العربية وشمالها امتداد حضاري وثقافي واحد ..

وكانت شباب مدرسة وتعمير وبناء حينما ارتدى ملابس العيد الزاهية لفت انتباه الأبوة والأمومة أنه يفعل ذلك ترحيباً بقدرة نمو مشتركة نتصافح معاً كي تكون كل الأجيال القادمة في حالة استيعاب للمهمة التاريخية التي يجب أن يتحملها جوار وأخوة وعقيدة يؤكد لها امتزاج متداخل اليمانية والسعودية في مهمة خروج حضاري مشترك نحو عالم اليوم بدلاً مما تعيشه شعوب أخرى من حصار خانق بتخلفها يعزلها عن عالم اليوم ..

لقد كانت «صنعاء» الرسمية تتنافس بشهامة ملحوظة مع «صنعاء» الشعبية عبر تصفيق الناس وتحياتهم لتؤكد لضيفها أنه يتجول داخل دار الأهل والأشقاء ..

(*) العدد ٦٦٧٢ ١٤٠٧/١/٢٥ هـ، ٢٩/٩/١٩٨٦ م

وكانت المسافة الطويلة بين مسجد الملكة «أروى» والسد الجديد في وادي «سبأ» حيث مملكة «بلقيس» بقدر ما هي مسافة تؤكد تلاحم الامتداد عروفاً وأرضاً وعقيدة بين «صنعاء» و«الرياض» فإنها أيضاً مسافة مشاها الأمير عبدالله قارئاً كل اليمن.. متطلعاً في ثنايا ملامحها.. متابعاً الخط البياني ما بين مرحلة الأسوار القديمة حتى مرحلة السدود الحديثة ولم يكن يرى اليمن وحدها، ولكن كانت المملكة هناك بكل مظاهر تواجد الأخوة.. مثلما أن اليمن لم تر فيه ضيف مظاهر تكريم وإنما مثل أنبل أوردة الحياة.. التي تتداخل في الجسم المشترك.. منها ما يتصاعد شمالاً إلى هنا.. ومنها ما يتجه جنوباً إلى هناك كي تضج كل الشرايين الفاعلة لقدرة الحياة بالحركة والتطور نحو الأفضل..

لقد أوجز الأستاذ حسن اللوزي وزير الإعلام في اليمن مضامين التقدير الذي قوبل به سمو الأمير عبدالله وما يعنيه تقليده لأرفع وسام هناك من أنها مثلت تحية صادقة لكل الأدوار التي قامت بها المملكة حيال العالمين العربي والإسلامي وقضية العرب الأولى في فلسطين وعلى مستوى زمالة الأشقاء.. هي تحية أيضاً لدور البناء التتموي الذي تنتهجه المملكة بين أبناء البيت الواحد معنا في الوطن الواحد..

شيخ الحاضرة والقبيلة (*)

لأن التنمية في أساسها إنسان يفعلها ويحتفظ بأخلاقيات وسط عواصف مادياتها وينشر مكاسب معطياتها فانها لا تقف عند حدود سرد الموجود المادي مهما تعاظمت أهميته وليست مهمة التأهيل لاحترام مكاسبها وصيانة موجوداتها متوجهة فقط إلى وجدان المسؤولين الكبار بقدر ما يجب أن تتوجه تلك المهمة إلى تأهيل ذهنية المواطن العادي في قرية نائية أو أطراف مدينة أو سهول بادية أو واجب مهنة أو وظيفة عاديتين حتى يمكن توفير الاعتراز بها وصيانة ما وفرته من موجودات مذهلة الإعداد والتجهيز..

والسبب أيضاً أن العطاء لم يكن مادياً فقط.. ولكنه أخلاقي.. تتعلمك بداخله صورة إنسان البيئة بكل موروثه الخلاق من القيم العربية التي كان لزاماً أن تصبغ ذلك العطاء بطبيعة تكوينها الذاتي وإلا لكانت مجرد شبيه لأي تراكم مادي في أي موقع آخر تم فيه إغفال الإنسان كهيئة أولى وتوفرت مهمة الاستيعاب المادي لكل ما وفرته شهية الحوافز والتكاثر..

في ذهني أربع صور من ألبوم سمو ولي العهد الأمير عبد الله بن عبدالعزيز من مجموع صور كثيرة جميعها يتأكد فيها وجود ذلك الوجه العروبي الذي لا يتغير في ملامحه شيء سواء احتواه بيت شعر تستظله بادية أو سرادق احتفال قبيلة أو صالون حوار سياسي في عاصمة حضارية أو مناسبة تنافس ثقافية تتجاوز فيها التقليدية مع الحداثة.. كل هذه الصور تقدم لنا النموذج الحي الصادق عن ابن الصحراء والتعلم الحضاري في بساطة الحضاري في بساطة تعامله ونفاذ إرادته وقدرة طموحه وتداخله المستلهم مع نغم الكلمة ووقع الحرف.. فالرجل الذي أصبحت رؤيته طبيعية بيننا وهو ينحني كي يستمع إلى شيخ البادية وفتاها وقد عشت شخصياً مثل ذلك عندما وجدت مسافة المتر الواحد تجمععه في «بيشة» وقبل ذلك في «حائل» بكل الناس البسطاء الذين كان يعطيهم من الوقت والإصغاء ما يشعروهم بأنه معهم بكل ذهنية وحضور اهتمامه مصغياً لشكوى أو مستحسناً لقصيدة شعر نبطي.

(*) العدد ٦٨٢٢ (١٤٠٧/٧/٨هـ، ١٩٨٧/٣/٨م)

وتتكامل مع هذه الصورة لقطة أخرى من الجنادرية حيث رأت رمال خريص الجرداء من كل نبت أو صوت خطوات مدعويه وهم يأتونه من أعرق صالونات أدب الحداثة أو التقليدية في العالم العربي كي يشاهدوا الرمال وهي أكف رقيقة تحمل أمامهم موجودات البيئة التراثية ويصافح ثقافتهم وكأنهم قديمو اللقاء به..

الصورة الثالثة تختلف عن ذلك التمازج الاجتماعي الذي يتواجد فيه بحيوية فاعلة الأمير عبدالله بكل ما فيه من تكامل البيئات والثقافات حيث تقودنا تلك الصورة الثالثة إلى بغداد أو دمشق في رحلة لم تكن مبرمجة وهو عائد من أنقرة أو باريس ولكنه الصفاء العربي المطلوب أن تتبدد على وهج وضوحه ما بين العاصمتين العربيةتين من خلافات مريرة.. وهناك غيرهما من تأخذه لأكثر من مرة في محاولة وفاق.. وحدث أيضاً لأكثر من مرة أن فوجئ مرافقوه بوجود محطة استثنائية في خط السير فرضها بريق ذلك الصفاء العربي لتبديد غيوم الخلافات..

وإذا كنا قد لمسنا بساطة الانتقال من رواق خيمة الالتقاء بأبناء البادية والقرية في «بيشة» و«حائل» إلى سرادق الاحتفاء والحوار مع أبرز عناصر الثقافة العربية في الجنادرية فإن الصورة الثالثة تتكامل مع الصورة الرابعة لإبراز تلك العلاقة الوثيقة التي تفرضها الأخلاقيات الخاصة بين المسافات الإنسانية عندما نجد سيارة الرجل البالغ الأهمية في موقعه ومسؤوليته تقف عند أحد فنادق الدرجة الأولى في الرياض منذ أسبوع تقريباً كي تنتهي بالحوار والكلمة الطيبة خلافاً حاداً وطويلاً بين أفراد عشيرة تعودت على التحرك بحرية بين حدود المملكة والعراق وسوريا ووجدت الإلزام في أن تتحرك نحو الوثام والتعاون والمحبة في بلد تقوم أساسيات نموه على تعلق الأخلاقيات العربية والذي رعى الصلح المحدود المخاطر هو ذاته الرجل يبشر بالصلح والتضامن بين الفرقاء العرب بوضوح صفاء الأخلاقيات عند هذا الرجل شيخ الحاضرة والقبيلة.

(*) الأمير عبدالله وصهيل الحضور الثقافي

هذا الرجل أتى بالابتكار الثقافي على صهوة جواد.. لقد تعود الناس أن يستطلعوا حضور الابتكار الثقافي عبر المحاكاة والتقليد.. إن لم يكن للعمل الثقافي ذاته.. فالظاهرة الاجتماعية التي يتولد منها كثيرًا ما تكون خروج عن المؤلف بين الناس..

ونتيجة لهذه الرؤية الخاطئة فإن الظاهرة الثقافية الناجحة كثيرًا ما كانت تحمل «كفرًا» بمشروعيتها الأخلاقية المحلية وتستساع أكثر إذا ما حملت ولاء لأي ظاهرة اجتماعية أو فكرية غير محلية.. الأمر الذي يجعلها لا تكتسب ذلك النجاح مما تحمله بداخلها من أهمية ولكن بما يثار حولها من خلاف..

الفكر ليس له وطن.. هذا صحيح..

والثقافة مثل الهواء الذي يجب أن يتنفسه كل الناس..

الفكر شمس يجب أن تشرق على كل المساحات، والثقافة مصادر غذاء متعددة يجب أن تشبع جوع كل البشر..

كل هذا صحيح..

لكن دعونا نتخيل العتمة في حياة من لا شمس له.. وضمور من يمارس حياته على تكوينات الصخور فهو يأخذ النور من غيره ويستلطف القوت من سهول الآخرين..

الفكر للكل.. لكن يجب أن يكون لك تميز.. الجزء الذي له قدرة الإشعاع على حياة الآخرين وليس مجرد تلقي صوتهم..

الثقافة أصبحت غذاء العصر.. ونسائم الإمتاع في رياح الحياة.. لكن يجب أن يكون لك مناخك الخاص الذي تتكامل فيه شخصيتك الوطنية بتكاملاته فيك بما يعنيه من تقاليد وإنتاج غذاء.. ومواسم فصول وقيم وامتدادات وجود آتية من جذور أخلاقيات قديمة ورائدة في التوجه إلى الأمام.. خلق مدارات التأهيل للمستقبل.. ولذا.. ولكل ما سبق فهذا الرجل أتى بالابتكار الثقافي على صهوة حصان..

فعل ذلك الأمير عبدالله بن عبدالعزيز.. الذي استكمل تتابع الرموز اللاحقة برمز السيف والنخلة حيث الإرادة تحمي أمن الحياة وحيث أحببنا من تلك الرموز مدلولات ما تعنيه السنبلة والساقية.. رواق بيت البادية ورواق جسور المنحدرات الاسمنتية.. «مرقاب» جبل القرية وفنار إبحار سفن النفط.. رموز تتلاحق عمرها يقارب نصف القرن.. لقد استكملها الأمير عبدالله برمز الحصان والكتاب.. بدأ بالأول هواية عربية.. لم يجدد سباقاتها ولكن جدد الرعاية لها والاهتمام بها حتى أصبحت من هوايات الأحداث الصغار بعد أن أشاع أهميتها الآباء الكبار..

ولأن «الحصان» كان رمزاً لتجذير التراث وتجزير الامتداد العربي الذي هدى الشعوب الأخرى بالإسلام.. فإنه كرمز قد ملأ الوجود السعودي بالصهيل الثقافي عندما عرف الناس أول مناسبة ثقافية لها من البريق والتشويق والالتصاق بحياتهم واهتماماتهم ما تجعلهم يسافرون إليها من قراهم ومدنهم كي تكون «الجنادرية» هي قريتهم القديمة التي دبت في معالمها مظاهر الحياة.. والمدينة الجديدة التي أعادت لأسواق العرب القديمة منافساتها الأدبية المثيرة.. إذ أصبح يرتادها أبرز نجوم الفكر والأدب في العالم العربي.. أعجبت الناس وبهرتهم وأهم من كل ذلك أنها أعطتهم الاطمئنان على أن في بلادهم قدرات إدارية وثقافية وفنية خلقت الإمتاع الفني بنفس القوة التي تواجد بها إبداع الموجودات المادية..

ويوم أمس الأول لم يكن المراقب يشاهد الأمير عبدالله عند افتتاح مكتبة الملك عبدالعزيز التي أوجدها على نفقته وهو يخترق حضوراً رسمياً كي يقص شريط مناسبة رسمية ولكن كثافة الحضور الثقافي الذي ارتفع إلى أعداد المئات وقد اختلط فيه مديرو الجامعات وأساتذتها ورجال التعليم والفكر والكتاب والشعراء والصحفيون.. كثافة الحضور هذه أكدت أن هذه الصحاري الواسعة ليست شواهد حضورها العصري الحديث معجزات التواجد الحضاري المادي ولكن تلك الشواهد يشارك في صنع دلالاتها كل القادرين على بناء الفكرة والكلمة داخل مجتمع يشير بكامل تكوينه نحو المستقبل.. إذ لا وجود لنخبة تفكر بالنيابة عنه أو واجهة خاصة تتخاطب وحدها مع المستقبل.. لقد دلل الأمير عبدالله على ذلك ليس منذ يوم أمس الأول وهو يتحرك بين مثقفي وكتّاب البلاد ولا عبر رمز الحصان والكتاب ولكن منذ قاد المرحلة التالية لتوطين البادية والتي كانت تعليمها وتوظيفها في نمو الحياة..

(*) الأمير عبدالله والقصيم

كلما تصاعدت أهمية المسؤول في موقع السلطة، كلما كانت علاقته بالناس أكثر بساطة واتساعاً لاستيعاب الكثيرين منهم.. بل يخيل إليك أحياناً أن المسؤول الكبير في موقع قيادة الدولة هو الذي يخطو باتجاه الناس كي يقتربوا منه.. يتحدثوا إليه.. يتبسطوا معه..

تقوم علاقة ود.. مكاشفة.. صداقة.. عبر زمن الاتصال مهما قل من دقائق.. وتلك سمة لا يستطيع أحد أن يدعي توفرها في دول العالم الثالث، وهي في العالم المتقدم تحدث عبر مناسبات ومناسبات.. لكنها هنا تلقائية لا تحتاج إلى تعريف.. أستطيع أن أجزم بذلك عبر كثير من المشاهدات الحية والواقعية..

ونلمسها من عفوية رد الفعل عند المواطن العادي حين يتعذر على مسؤول متواضع الموقع إنجاز مطلب، أو موعد ما، بقوله إنه لو حاول ذلك مع.. ثم يذكر بعض أسماء كبار رجال الواجهة القيادية لتم ذلك بسهولة متناهية..

الناس العاديون يقولون ذلك عند معالجة شؤونهم الخاصة والتي قد تعوقها ظروف إدارية تؤجل إنجازها، وهم يفعلون ذلك بحكم تربية تاريخية تعود بها آباؤهم مخاطبة الملك عبدالعزيز بمباشرة لا توسط فيها لشخص أو صفة..

وهي تربية من حق الدولة هنا أن تفخر بها ومن حق كبار الأسرة في موقع المسؤولية أن يفخروا بتوفرها جسراً آمناً ومعروفاً يجمعهم بكل الناس..

سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز نموذج صادق التعبير عن هذه الحقيقة..

شاهدته قبل أعوام مع الطلبة السعوديين في الباكستان..

مع البادية قرب حائل..

مع شيوخ الجنوب في بيشة..

ومع رواد مجلسه في الرياض..

الرجل الذي يعطي في ملامحه صورة واضحة عن الجدية والصرامة هو ذاته الذي حين يتحدث ويناقش.. ويبدأ هو الناس الحديث والمداعبة، يعطي الصورة الواضحة عن بساطة التعامل ورحابة الصدر، وإذابة كل فوارق يتخوف الجديدون على الاتصال به أن تكون تفصلهم عنه ..

هو الآن ضيف القصيم.

الأرض، الناس، المشاريع.. هذا هو القصيم الذي سوف يصفحه ويلتقيه مثل كل أرض سعت إليها الدولة، وجعلت من جفافها اخضراراً، وقراها مدناً، وكتاتيب مساجدها ثانويات وجامعات..

القصيم هو أفضل مثل يمكن طرحه للدلالة على مدى ضخامة معطيات النمو على شكل الأرض وقدرة الإنسان، ذلك أنها مثل كل معظم المساحات في شبه الجزيرة العربية تمثل امتداداً صحراوياً صعب التعمير وصعب الاتصال بالغير وصعب الحصول على كفاءة الاستثمار، وقد ضخعت معونات الدعم الزراعي والاستثمار الصناعي في القصيم ما جعله منطقة إنتاج اقتصادية تملك كفاءة رأس المال المحلي القادر على الاستثمار، وما كان ليتحقق ذلك لولا بدايات التأسيس الشخصي أو الشركات عبر معونات الدولة.

والطرق التي تربط القصيم بغيره لو تركت لإمكاناته الذاتية وهو في ذلك مثل معظم مناطق المملكة لما أمكن أن تتسع لأكثر من أربعة أمتار، مثلما هو حال معظم مناطق دول العالم الثالث بما فيها البترولية خارج نطاق العواصم..

والقصيم يعرف للدولة دورها ويقدره، فهو موجود في كل مواقع الإنتاج وفي سواعد رجال المسؤولية وقيادة قطاعي العمل لأنه كفؤ لما هو عليه من تأهيل حضاري ويعرف في الأمير عبدالله كفاءة المحبة والتقييم لحقيقة ما يمثله من وجود اجتماعي فاعل هو الرجل الذي يسعى إلى الناس بصدقه وإيجابيات مواقفه..

الأمير عبدالله البساطة في العلاقات الأرقى (*)

في قطر كان الجو الرسمي لمؤتمر قمة دول مجلس التعاون الخليجي -مثل كل المؤتمرات- يتم في قاعاته واجتماعاته واستشاراته في أماكن محدودة وبين مجموعات محدودة أيضاً من المسؤولين، والوفود الإعلامية كانت كالعادة تتمتع بضيافة كريمة وأجواء جيدة للتعارف. ولم يكن يجد المتمرسون في الإعلام مشقة في التهرب من أسئلة المستجدين عما حدث أمس وما يتوقع أن يحدث غداً، معترفين أنه ما داموا «متمرسين» فلا بد أن يكونوا على صلة بكل صغيرة أو كبيرة، وهو الأمر المستحيل في أي مؤتمر بأي مكان في العالم، بل إن بعض المؤتمرات مثل مؤتمر واشنطن لمعالجة التباعد الفلسطيني الإسرائيلي روعي فيه أن يكون الإعلام هو الأبعد عن كل شيء..

ما كان يحفز على الابتسام ويطرد الملل رؤية بعض مندوبي الوكالات أو الصحف عندما يحاولون إكساب ذاتهم أهميات خاصة بتوزيع التصريحات التي يصرون على أنها سرية وخاصة..

عاد الانسان إلى أسرته.. إلى الشعور بدفء بيته حين ذهب السعوديون إلى بيت سفيرهم في الدوحة حيث يقيم الأستاذ الشبيلي حفل غداء تكريمياً لسمو ولي العهد الأمير عبدالله ابن عبدالعزيز.. هناك التقى الناس ببساطة وروح أسرية تعودناها أن تكون مرافقة دائماً لرحلات الأمير عبدالله.. طبعي أن بيت السفير لم يكن فندقاً كبيراً أو ميداناً واسعاً وإنما هو منزل في حجم احتياج أسرته، الأمر الذي ساعد لأن يكون الناس أكثر اقتراباً من بعضهم، وبالتالي أكثر اقتراباً من المحتفى به الذي تصاعدت أهمية الاحتفاء به بأن ينفرد هذا الحفل بحضور سمو أمير قطر ضيفاً ومضيفاً.

ذلك الابتهاج الذي كان عليه الأمير عبدالله بين أفراد أسرة كبيرة حوله ذكرني برعايته لمناورة للحرس الوطني قبل بضعة أعوام حيث دعي الناس إلى طعام الغداء الذي أعد لمئات

(*) العدد ١٠٤٠٧ (١١/٨/١٤١٧هـ، ٢١/١٢/١٩٩٦م)

من المرافقين والوافدين من أبناء المنطقة وباديتها تألق الأمير عبدالله بينهم في اقترابه عبر مسافة المكان وحرارة المشاعر من كل واحد فيهم سواء في التجاور أو تبادل الأحاديث أو تناقل المعلومات..

موقف آخر قبل ذلك في باكستان، وبالذات بين الطلبة الدارسين، ورابع ليس هو الأخير في باريس أثناء زيارة رسمية..

كل ذلك ومثله كثير في مدن محلية كحائل أو بريدة، ومدن أجنبية كواشنطن وجنيف، يتجلى فيه الأمير عبدالله بقدرته الفائقة على كسب محبة الناس واحترامهم في آن واحد..

البادرة التي حدثت في منزل السفير السعودي بقطر حبذا لو أصبحت نموذجاً يتكرر في معظم المناسبات الرسمية خارج المملكة متى سمحت ظروف تلك المناسبات في ذلك حيث يسرّ الكثيرين ممن هم ليسوا لصيقيين بالمسؤوليات الهامة أن يلتقوا ويتحدثوا عبر ذلك التجمع الصغير، وهم بدورهم سينقلون فيما بعد صوراً مشرفة عن بساطة التعامل والحوار مما يعمق دلالات أننا جميعاً نمارس عضوية فاعلة في التفاف أسري نبيل التوادد في علاقاته ومشاعره..



الأمير عبدالله كفاءة الحضور والحوار (*)

لم تكن كفاءة المملكة سياسياً واقتصادياً وحدها التي كانت تدعم مساعي صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز في جهوده العربية عند محاولات خلق مناخ من الصفاء تنمو فيه جهود التعاون العربي، ولكن كفاءة علاقاته الشخصية كانت أيضاً قوة تأثير فاعلة في محاولات إيجاد ذلك الصفاء.. إن كثيرين منا في العالم العربي لا يعرفون من الواقع العربي إلا مظاهر علاقاته العربية، ومع الأسف أن كل عقد يمر من عمر الزمن يأتي بمزيد من الشروخ في تلك العلاقات.. الذين قدر لهم أن يكونوا قريبين من الأمير عبدالله - وقد كنت محظوظاً أن أكون أحد هؤلاء مع بعض الزملاء من رؤساء التحرير في زيارته الرسمية - يستطيعون وبسهولة أن يلمسوا في الرجل الجاد الصارم تلك الكفاءة التي تطرحها موضوعيته عندما يحاول أن يبني جسوراً أقوى وأفضل بين دول الجوار.. بين دول الخلافات.. بين أطراف التعامل مع الصراعات المحيطة بالمنطقة.. لعلنا ما زلنا نذكر تلك الرحلات المتواليّة في العقد الماضي من زمننا القريب التي كان يحاول بها أن يخرج بصيغة تفاهم بين بغداد ودمشق تمتد بالجبهة الشرقية إلى آخر مواقع العربي شرقاً قبل أن تنفجر بغداد بما لم يكن محسوباً أو متوقعاً..

ولعلنا نذكر أن عدداً من الزيارات لبعض القيادات العربية الليبرالية وبالذات في لبنان للمملكة كانت تستند على جدار صداقتها للأمير المتعدد الصداقات.. وهو بذلك يفتح بعلاقته آفاقاً رحبة لامتداد الصلات السعودية التي لم يحدث أن أساءت إلى أحد وحدث لأكثر من مرة أن كانت أكبر عون لأكثر من أحد ومكنتها من أن تكون ملاذ تصالح للعديد من مواقع الخلافات العربية مثلما رفعتها إلى درجة نزاهة أن تكون موقع الاستيعاب والتحكيم في أكثر من مشكلة..

(*) العدد ١٠٥٨٩ (١٦/٢/١٤١٨هـ، ٢١/٦/١٩٩٧م).

قريباً سيذهب الأمير عبد الله إلى عاصمتين عربيتين بينهما أوثق تنسيق عربي وحولهما أكبر محيط من مخاطر التريص الإسرائيلي والدولي خصوصاً وأن متغيرات عقود الزمن لم تكن دائماً في صالح الواقع العربي، ولعل أحداث الشمال الشرقي للخارطة العربية أكبر دليل على ذلك في حين تحاول مساعي السلام العربي الإسرائيلي أن تتكئ على القامة السورية لتجعلها أقل ثقة وقدرة فتسمح بتسرب مطامع النفوذ وهو الأمر الذي لم تتحن له دمشق من قبل وكادت بيروت أن تحترق بكاملها دون أن تقبل بتمزيق هويتها العربية واستبدالها بهوية أوسطية مثلما كانت أماني غزو النفوذ من قبل..

دمشق وبيروت.. حيث مآذن بني أمية وبعض خطى صلاح الدين وقصائد ودبكات الجبل اللبناني العروبية جميعها تتجه بالتقدير عند استقبال ضيف في مثل كفاءة الأمير عبد الله بإيمانه في عرويته والرهان الناجح دائماً على جدوى صداقاته حيث الضيف القادم من قلب الصحراء المعمورة بالنمو الحضاري والإنساني لن يكون بالوجه الغريب على بيوتها وأفكارها وأمانيتها وهو اجس متاعبها ورسوخ ملامح صمودها لأنه دائماً.. مثلما هي بلاده.. القريب دائماً من كل ذلك..



الأمير عبدالله في عيون بيروت (*)

عشرون عاماً تقريباً لم أشاهد فيها بيروت..
تلك المزيج من العطر والزهر وفحولة الإرادة وأناقة الذوق..
كانت مهرجاناً دائماً يأتي إليه كل العرب كي يجدوا أنفسهم في كل مباحج مساحاته..
كانت العاصمة الوحيدة في العالم التي تحيي رجالها برشق الزهور وبريق الكرز على شفاه
النساء وترانيم أغنيات الصبايا، فقد استمعت إليها ذات يوم وهي ترحب بانتقال رئيسها
فرنجه من مقره الصيفي إلى مقره الشتوي بترديد..

أهلاً بها الطله أهلاً..

أهلاً بها العين الكحلا..

وعيون الرؤساء في العواصم الأخرى مخيفة متوعدة، إلا في بيروت حيث الشعر والغناء
وهمسات الموج واسترخاءات الرمال بعض مكونات الرؤية في عيون بيروت..

لقد جفلت أرانب الوداعة البرية من إحراج بيروت، وفزعت أسراب العصافير من إرسال
جوقات أهازيجها عند كل مساء، ولم يبق في شجيرات الجاردينيا والياسمين من الندى ما
يليل شفاه زهورها فذبلت.. حدث ذلك عندما أرادوا أثناء الحرب لعيون بيروت ألا ترى غير
البارود والرصاص وعبث الرياح بخصلات شعر الصبايا..

أمس الأول في زمن السلم الجميل الذي كنا أبرز المشاركين في نسج غيوم ربيعها شاهدتها..
بيروت.. كطفلة جميلة تخطر بين الأنقاض.. تبني.. تبتسم.. تغني.. كانت قرى الجبال
صفوفا حولها تتناغم بإيقاعات الدبكة وأمواج البحر تغسل قدميها بشغف المحبين وهي تلوح
بكل مفردات لغتها الأنيقة الخاصة بإيماءات الترحيب حيث الأمير عبدالله بن عبدالعزيز
فارس مهيب يزرع مساحاتها ببذور أكثر من الثقة والأمل واليقين..

إن الذين يملكون شفافية الفن وبراعة لغة الثقافة وأناقة حضور التمدن هم الأكثر فحولة

(*) العدد ١٠٥٩٩ (٢٦/٢/١٤١٨هـ، ١/٧/١٩٩٧م)

في ممارسة إعلان الثقة بالنفس من خلال تقدير مواقف الآخرين.. الاعتراف بفضائلهم..
وبيروت قالت لكل العالم وهي ترحب بالأمير النبيل إن السعوديين وقفوا بجانبها بكل صرامة
الرجولة ووفاء الأخوة وكرم المساندة..

لم تكن تلقي القول جزافاً.. أو تتحدث عن عموميات مائعة.. أو مفردات لغة مبطنه
الأهداف.. وإنما كانت ومن خلال معظم وسائل الإعلام تتخاطب مع المواطن العادي.. مع
الأمي والمتعلم عن حجم الأرقام التي بذلتها المملكة دعماً للإعمار.. وعن تواريخ مواقف
المساندة..

إن كل سعودي قد شعر وعن يقين أن الأموال التي قدمت دعماً للبنان قد ذهبت فعلاً
لخير كل اللبنانيين أمام إعلان حكومته عن الأرقام ومواقع المنجزات، ونحن في المملكة
كمواطنين لدينا عقدة معاناة أن كثيراً من العرب الذين نساعدهم لا يُطلعون على
حقيقة تلك المساعدات حيث لا تعلنها الحكومات، بل إن هناك من يأخذ ثم يفتعل
مناسبة الأخذ الأخرى..

بيروت التي كانت الأكثر وجعاً ودماراً وتشريداً وقسوة خوف، هي التي أعلنت شجاعتها
وصراحة اعترافها بالجميل حيث مزجت الترحيب بضيفها الكبير بما يمثله من مواقف
مشرفة لمواطني هذا البلد مع المضيف الأنيق المترف فنوناً وثقافة..

كانت لغة المذيعين.. وحروف لافتات الشوارع.. وحوار ضيوف الحفلات جميعها تتحدث عن
البلد الأول في مواقف الإخاء مع بيروت الرائعة الوفاء..

هذا «المذاق» اللذيذ الذي كان سائداً بين الماروني والشيوعي والسني للغة التخاطب ومظاهر
الترحيب هو الذي جسّد كم ملأ الأمير عبدالله عيون بيروت بمواسم الاخضرار وغيوم
الربيع المتواصل، وهامات التكوين الحضاري المتكاثرة..

وعندما توحد الناس هنا في ممارسة هذا المذاق فإنهم قد أعطونا اطمئناناً على أن لبنان
ما زال ذلك النموذج الفريد بين كل المساحات العربية في جماله ووفائه وشجاعة اعترافه
بنبل الآخرين..

(*) الأمير عبدالله وميلاد مدينة

ينطلق موكب صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز لرعاية بداية انطلاق حضاري صناعي تشهده مناطق صحراوية عاشت آلاف السنين وهي في غياب عن كل اتصال بالعالم الخارجي.

لا توجد في وسط الجزيرة العربية مدينة لم تكن قرية صغيرة منذ عشرات السنين بما في ذلك العاصمة الرياض، وحوطة بني تميم التي ستصبح مدينة هامة كانت مثل غيرها قرية تلوذ بعدد صغير من النخيل وشجيرات الأترنج وأخشاب الأثل، مرت بها مئات بل آلاف السنين ولم يكن ثمة شيء من ظواهر البيئية الطبيعية يوحي أنها ستكون ذات اتصال بعالم بعيد تدور فيه حركة المال ومستجدات الصناعة حتى عندما عرف العرب دولتهم الموحدة.. القوة والفتاحة في صدر الإسلام، ثم تلا ذلك عروبة الأمويين ولحق بهم الامتداد العباسي الواسع، ظلت مواقع السكن الشحيح في وسط الجزيرة العربية مهملة تماماً عند السلطة المركزية في كل من دمشق وبغداد، ومن الطريف عندما نقرأ شيئاً ما عن تاريخ الصعلكة في الأدب العربي نجد أن هذا الوسط الذي هو فراغ منسي عندما كان يتم استحداث المدن في الأطراف، أن الأمر لم يتوقف عند حدود الإهمال ولكن هذا الامتداد الصحراوي الغامض كان مجهولاً يبتلع كل المغامرين الخارجين على أنظمة السلطة المركزية في الأطراف.. وبعد أفول الدولة العباسية تكاد تكون مواقع الاستيطان الشحيحة الموارد وأعداد السكان قد عادت إلى حياة جاهليتها الأولى قبل أن تولد أول سلطة مركزية فرضت وجود الوحدة الاجتماعية عندما نشرت الدولة السعودية الأولى نفوذها على معظم امتدادات الجزيرة العربية الصحراوية، بعد ذلك كان همّ الدولة العثمانية وعن طريق أجهزتها الوسيطة أن تقمع أي محاولات لتطوير تلك البدايات وما ينجم عنها من محاولات لأن تسليخ القرى إهابها الصغير كي تكون مدن استيطان مرموقة.. ولذا كان تعاقب أدوار الدولة السعودية هو في الحقيقة تعاقب «جهاد» المجتمع المهمل في ماضيه والمشتت داخل صحاريه كي يجد ذاته داخل إطار من التعليم والتوحد والموارد الاقتصادية الكافية.

في ذلك الزمن البعيد لم يكن من السهل تصور أن تكون الخرج مثلاً مدينة استيعاب لما يزيد على المائتي ألف من السكان أو أن تكون الخطوط المزدوجة التي تصل المجمعة أو بريدة بالآخرين هي أفضل من طرق الاتصال الأخرى في دول كانت آنذاك تعرف وجود الجامعات وتسمية الوزارات، أما أن تكون هناك مراهنه على أن حوطة بني تميم ستصبح موقعاً صناعياً مرموقاً فأمر كان آنذاك يصعب الحديث عنه أو التفاوض به.

إن ما يحدث في حوطة بني تميم ليس في الواقع ميلاداً صناعياً محدوداً ولكنه وبكل المقاييس الدقيقة للتعبير يعني ميلاد مدينة ستكون ذات شأن هام وسط فراغها الصحراوي الواسع الذي كثيراً ما كان يجعل صوتها يضيع وسط صفير الرياح وانثيالات الرمال وتدحرج كتل الجير من الصخور الرسوبية العاجزة عن حفظ خلود الأشياء.

الذي سيحفظ خلود الأشياء هو الإنسان في هذه المواقع التي ستمتلئ بالفرح في كل مسافاتها عندما ستكبر بشكل سريع ولا تبقى مهمومة بترصد مواعيد المطر ومناسبات الحصاد وجهود اكتناز التمر لأنها سوف تتمرد على محدودية الموجودات الظاهرة على سطح البيئة حيث سيتمكن الإنسان من خلق واقعه الحضاري الجديد بالإيجابيات العلمية المتاحة.

إن المكان والزمان سوف يرحبان بسمو ولي العهد.. الأمير عبدالله الذي تحمل قسما وجهه، فروسية الصحراء التي تمكنت من ترويض نفورها وإحلال معطيات العلم والمدنية على معظم فراغ امتداداتها.

سيحتفي الأمير عبدالله دون شك بكل القادمين ليشهدوا حفل ميلاد مدينة جديدة مثلما تعود أن يكون صاحب الحضور الخلاق في مناسبات اخضرار الصحراء وتصنيعها.



الأمير عبدالله أمام الموحيات التاريخية والراهنة (*)

نحن الذين نتحرك في هامش كل مؤتمر لقمّة عربية أو خليجية أو إسلامية نفقد حماسنا في كثير من الحالات - حسب نوعية الظروف القائمة - في أن تكون الثلاث سنوات أو الأربع أو العشر التي فصلت بين مؤتمرات وآخر قادرة على أن تجعل التجمع الجديد يأتي بما يختلف عن السابق.. وطبعاً الأمر خارج يد بعض الدول، ذلك أن أي حزم للوصول بأن قرار توحيد سياسي أو اجتماعي تنموي أو تعاوني اقتصادي يجب أن تتوفر له رغبة أكثرية تتجه بكل قواها نحو إقراره وفرضه..

مؤتمر قمة طهران الإسلامي عالج قضايا جوهرية وكاد أن يغرق بحشد كثير من التطلعات التي لم يكن من السهل الوصول إلى اتفاق حولها لولا أن الحكمة المتأنية اتجهت نحو الأهم. أعود إلى المقدمة لأقرر أننا من هامش المتابعة الذي يتحرك فيه الصحفيون على اختلاف لغاتهم وجنسياتهم حين اطلعنا على صورة من خطاب صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز رئيس وفد المملكة الذي قدم فيه مرثياته نحو ذلك التجمع الضخم الذي ضاقت به فنادق طهران شعرنا - كسعوديين - أننا كنا نطل على ذلك التجمع بكثير من الثقة ووضوح المواقف وصدق النوايا.. في العادة تكون خطابات المؤتمرات الكبيرة أو ذات الحساسيات الدقيقة تغلب عليها صيغ المجاملات وخط العموميات ثم تمنى النجاح لكل المشاركين.. ومؤتمر طهران مليء للغاية بالحساسيات الإسلامية من جهة وبالحساسيات السياسية الدولية من جهة أخرى.. لكن الأمير عبدالله.. بعبارات رصينة ومضامين واضحة.. لم يكن يجامل الموقف التاريخي الراهن البالغ الدقة والخطورة حتى يجامل تناقضات عدد من المجتمعين، حيث اتجه بحزم الرجل الصادق معلناً مواقف بلاده الرصينة من طبيعة الموقف الإسلامي الراهن الذي تتنازع خلافات الدول مثلما تتنازع في الوقت ذاته خلافات الفرق والحزبيات وجمعيات ما تحت الأرض.. كأن الأمير عبدالله بن عبدالعزيز يتعامل مع أمانة

(*) العدد ١٠٧٦٤ (١٣/٨/١٤١٨هـ، ١٣/١٢/١٩٩٧م)

تاريخية واضحة حيال ذلك محاولاً أن يفتح للحاضرين باباً نحو بداية القرن الجديد يكون فيه المسلمون أفضل مما هم الآن..

تحدث الأمير عبدالله عن المضمون الإسلامي تشریفاً للإنسان بحياة أرقى ولم يكن يتعامل مع حساسيات الدول التي تراقب بعضها من داخل المؤتمر أو الأخرى الكبيرة والصغيرة من خارجه التي لا يسر بعضها أن يصل المجتمعون إلى اتفاق.. وفي العادة دائماً يحرص المتواجدون في عضوية التجمعات الكبيرة أن يجدوا فيها فرصة لعلاج موقف ما يخدم مصالح بلادهم، والأمير عبدالله في كل عبارة قالها لم يكن يبحث عن مصلحة خاصة للمملكة، وإنما كان يبرز دور المملكة الرائد في رعاية مصلحة المجموع الإسلامي..

في الهامش الذي كنا نتحرك فيه قال كثيرون من خارج لهجتنا ولغتنا إن القيادات الإسلامية لو أتت بمثل هذا الوضوح والصدق في التعامل مع الموحيات التاريخية والأخرى القائمة آنياً لما استعصى على العالم الإسلامي أن يصل سريعاً إلى حلول تضمن رفاهية واستقلالية الإنسان المسلم.



الأمير عبدالله في فرحة عسير (*)

لم يشغلنا سوار العداوات العربية الذي كان يلهب كل سماء حولنا بذلك الطوفان من الادعاء، حيث تركنا الناس يتابعون عنا أخباراً ليست كبيرة في ميزان تقييمهم تتحدث عن افتتاح مستشفى في قرية بعيدة، أو طريق أسفلت هو أكثر اتساعاً مما بين دولتين أوريبتين وتجتمع به هنا صلة مدينتين ثانويتين، وقد تكاثرت هذه الأخبار التي تلمع فيها أسماء مسؤولين تؤكد أن راعي كل نشاط ليس بغريب على رغييف القرية ويأنس في حوار أبنائها تحت مظلة خيمة البادية.. تكاثرت تلك الأخبار عندما خلت السماء العربية من ذلك الطوفان الصاحب لبيتين العالم أننا قطعنا في مشوار البناء الحضاري مسافاتنا البعيدة، كي يتبقى لدينا ما نُقيل به عثرات الآخرين من حولنا بعد أن وجدوا أنفسهم في مواجهة الإفلاس الاقتصادي.

فعلنا ذلك في كل الظروف.. حيث لم تتمكن أزمات الاقتصاد الدولي وأسعار النفط من إيقاف حركة البناء الحضاري التي رفضت الاستقرار في المدن الرئيسية، بل انتشت مزهوة كأجمل ما يكون ربيع الصحارى وفتون القرى..

ربما اعتبر البعض - وأنا واحد من هذا البعض - أن في الأمر مجازفة حين نصمت ونعمل ونترك مسافات اللغة لادعاء الآخرين.. لكن من راهنوا على الجدوى.. على المضمون.. كسبوا رهان النهاية بعد أن انتصرت قدرة العمل على قدرة اللغة بحيث أصبحنا نواجه مشكلة عويصة بعد أن أصبحت بلادنا هدفاً رئيسياً لعرب وغير عرب لمن يريد أمن العمل وأمن الحياة..

نحن أقدر الآن لأن نملك مناعة متناهية ضد سوار العداوات الدولية التي لا تستهدفنا منفردين، ولكنها تتريص بكل نمو عربي، ولا يسرها أن تكون لنا قامة أطول من الآخرين..

(*) العدد ١٠٩٠٨ (١٠/١/١٤١٩هـ، ٦/٥/١٩٩٨م)

نحن أكثر مناعة لأننا عبرنا تجارب بالغة الصعوبة في مشوار بنائنا الحضاري، ولأن مواطننا أصبح لا يقل دراية عن المسؤول بمستوى مخاطر المتغيرات الدولية بحيث يتحتم أن نكون أكثر مناعة من أن يبتلعنا طوفان العولمة بعد أن تجاوزنا بنجاح متاعب الأمس الشرق أوسطية وعربية.

إن الأمير عبد الله في عسير.. هو راية شموخ يستطيع أن يراها من هو الأبعد مثلما يفعل ذلك الأقرب، وكيف يتجمع الناس حول هذا الشموخ القيادي تواملاً مع الاهتمام بالذات وتوأملاً مع غاية إلحاق القرية بالمدينة، وأن كل مواطن هو عضو من حقه أن يتباهى بعضويته الاجتماعية وسط وطن يحصن الحب والتعاقد في مجتمع الأسرة الواحدة.



الأمير عبدالله وقرار في حجم أهمية البحر^(*)

شايف البحر شو كبير..

كبر البحر بحبك..

شايف السما شو بعيدة

بُعد السما بحبك..

كلام فيروزي أنيق وجميل مثل قطع الألماس على صدر أسويي جمع بين توقد الشموس
وسحر مذاقات بهارات الشرق..

الشعراء..

الفنانون..

العاشقون..

الجميع رأوا في البحر مكاناً أكبر مما هو مطلوب للصيد والسباحة.. ولكنه عندهم أفق
واسع بعيد.. بعيد في مداه الأفقي مثلما هو كذلك في مداه الرأسي، حيث لا أعماق قريبة
له.. هذا الأفق الواسع ابتدأوا في نسج التخيلات من معطيات رؤاه بذلك الاغتسال الحالم
الذي تفعله ذرات الرمل البيضاء حين تندس باستحياء كبدوية تنزل البحر للمرة الأولى ثم
تنداح عنها الأمواج، فارهة ضاحكة كواحدة من سرب راقصات.. أو سرب نوارس.. سيان..
لا يعبان بمن يسمع أو يرى.. وعندما تتوغل النظرة مع امتداد رحيل أشعة الشمس نهاراً
أو ضوء القمر ليلاً في تلك الانكسارات الفضية الرائعة على سطح المياه، وبين حين وآخر،
تتراقص أنثى دلفين وكأنها تجزم أن كل الضوء والهواء والماء لها..

وتتوالى قصص الخيال.. قصص المتع الذهنية والنفسية التي يصنعها الناس لأنفسهم..
شعراء وموسيقيين حاملين أو طلبة وموظفين منهكين يرتوون بالنظر من غداء الخيال وسحر
رؤى لا تُباع..

هذا هو البحر في حقيقته..

(*) العدد ١٠٩٢٥ ١٠٢٧/١/١٤١٩هـ، ٢٣/٥/١٩٩٨م

متعة عابرة لعابر..

كنز مرئي لا حدود له، لكن لا يجوز أن تكون هناك ملكية خاصة تحدّد من تجوز له رؤيته..

الشمس والهواء.. يساعدان على تكوين وتطور الحياة..

البحر يفعل ذلك، باستخداماته العديدة.. لكنه أيضاً يمنح الإنسان سعادة النظر.. وسعادة الجسد ومتعة الخيال..

إن سمو الأمير عبد الله بن عبدالعزيز ولي العهد يحب الناس دون شك بحجم وجود البحر.. والناس دون شك أيضاً يبادلونه هذا الحب، خصوصاً بعد أن قدم لهم أجمل هدايا العصر.. البحر على طبق في امتداد رؤية العين..

إنها هدية حضارية من الصعب أن نحصر أهميتها بإنقاذ السواحل من مبالغات العقار واحتكار عدد محدود من الملاك، ولكنها تتجاوز ذلك إلى المضمون الأرحب لما عناه سمو الأمير عبدالله بمشروعية ملكية البحر حين جعلها مشاعة لخيال الناس واستلhamاتهم ورؤاهم..

إن صاحب فروسية الملامح يرحب ويسعى إلى تكاثر ملامح الشاعرية الحقيقية بين مواطنيه..

إنه هدية للعائلة التي تضيق بنفسها، فلا تدري أين تذهب في مجتمع ليس من السهل فيه وجود تعدد مواقع الترفيه..

هدية لأصحاب المواهب والكفاءات..

لمن يريد أن يستأجر ولا يملك ممن لهم رغبة في استثمار الترفيه.

إن القرار تحويل لأرض ذهبية من احتمالات تحويلها إلى ملكيات خاصة بالكامل إلى ملكية عامة يستمتع بها من لا يملك قدرة شراء متر واحد في قلب الصحراء.. قرار حضاري لا يوجد إلا داخل المجتمعات الحضارية حيث سعادة الأكثرية الساحقة هي الهدف والغاية.. وهو ما فعله هذا الفارس الذي كبر جداً حجم الحب بينه وبين الناس.

الأمير عبدالله واستجلاء المرحلة القادمة (*)

لازلت أذكر جيداً ذلك الاجتماع الهام الذي عقده كل من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وفخامة الرئيس المصري حسني مبارك وفخامة الرئيس السوري حافظ الأسد في الإسكندرية منذ أربعة أعوام.. كان اجتماعاً طارئاً لم يعلن عنه من قبل.. وكانت الأحوال العربية في أسوأ أوضاعها والأحوال الدولية تتكاثف كغيوم سوداء تغلق أي ضوء آت في الأفق العربي.

لقد التفت العالم كله إلى الإسكندرية.. وكتبت وقتها أن أساس أي تحرك عربي وقاعدة أي قمة عربية ليس إلا هذه الدول الثلاث، ثم تتلاحق الأهمية فيما بعد. مصر وسوريا دولتا مواجهة عسكرية. السعودية وزن دولي سياسي هام واقتصادي دولي هام يجب أن يدخل في كل حسابات أعمال المواجهة العربية.

مصر وسوريا والسعودية يتحركون على ضوء ثوابت قومية وطنية تعنى بجوهريات المواجهة وآفاق المقاومة السياسية وضوابط أي حد أدنى أو أعلى للسلام أو التوتر المنذر باندلاع حرب لا يرحب بها أي أحد.

اليوم يبدأ صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز جولة سريعة تشمل كلا من دمشق وعمان بعد أن قام سموه منذ بضعة أشهر بلقاءات على مستوى كبير من الأهمية في القاهرة وبيروت ودمشق، وما بين تعدد مواعيد لقاءاته العربية كان قد لعب دوراً ناجحاً ومرموقاً في تسريع خطوات التفاهم العربي الإيراني..

إن الأمير عبدالله وجه عروبي قادر بكفاءة وضوح صارمة أن يعبر عن ثقل الدور السعودي

(*) العدد ١٠٩٣٣ (١٩٩٨/٥/٣١هـ. ١٤١٩/٢/٦م)

وأهمياته المختلفة في لقاءاته الإسلامية أو العربية، لأن هذا الدور ينطلق من الأساس بثوابت من التوجهات والأفكار التي أسس لها الملك عبدالعزيز - رحمه الله - والتي لم تستطع كل المستجدات العصبية المفتعلة أن تستفزها فتجعلها قابلة للارتباك أو الابتزاز..

لقد اختلفت المملكة بين حين وآخر مع قيادة عربية أو أخرى إسلامية.. تباينت وجهات النظر بينها وبين أساليب أي عمل تحرري فلسطيني أو إسلامي. لكنها لم تختلف إطلاقاً مع ثوابت مبادئها ومواقفها، بل ظلت تواصل نهجها الواضح وضوح ملامح شخصيتها العربية، والصادق صدق أدائها للتطبيق الإسلامي النزيه.

إن آمال الكثير من العرب ترافق خطوات الأمير عبدالله بن عبدالعزيز في مساعي لقاءاته العربية القادمة وسط هذه الأجواء السياسية المكفهرة، حيث تتراجع كل احتمالات الوصول إلى سلام عادل يرضي جميع الأطراف، وتتصاعد الرغبة في إحياء موقف عربي موحد قادر على إعادة صياغة مواجهة جديدة تبعاً لمعطيات الظروف الراهنة..

والأمير عبدالله بكفاءته الشخصية والمملكة بأهمياتها الخاصة قادران على إكساب تلك الآمال الكثير من مبررات التفاؤل..



جولة أهداف الحوار الواضح في دول متعددة المصالح (*)

عندما تضع في اعتبارك أنك ستبدأ رحلة تمر بها على إحدى عشرة مدينة داخل ثماني دول مرموقة وهامة وتتخطى ذلك الفاصل الوهمي المعروف بخط الزمن؛ فإن احتمال التعب لن يكون وحده الهاجس الوحيد الذي سيمر بذهنك، حيث سيغطي هذا الاحتمال ويلغيه حقائق أنك ستكون مبهوراً عند الاتصال بعوالم بشرية وحضارية ومناخية مختلفة تماماً.. عوالم يستحيل أن تحصل على فرصة استعراضها في رحلة واحدة.. إنك تنتقل بين دول وقارات وليس بين مدن متقاربة الأبعاد في وطن واحد. وهنا يحضرنى مقال سبق أن كتبه الصحفي المصري الشهير فكري أباطة قبل ثلاثين عاماً بعد أن تابع الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر في جولته داخل بعض المدن حيث جعل عنوان مقاله في مجلة المصور «لقد أتعبتنا يا فخامة الرئيس» لكن لا يستطيع أحد ممن ضمتهم رحلة عبور خط الزمن من الرياض إلى الرياض بدءاً من اتجاه الغرب وعودة من اتجاه الشرق أن يدعي بأنه أكبر سناً من فكري أباطة. وفي نفس الوقت فقد كان صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز هو الأكبر سناً من مجموعة الصحفيين المرافقين.. الأمر الذي سيجعل أي واحد منا يخجل لو ادعى ذلك في مهمة كان فيها الرجل النشط البارغ الاتصالات والعلاقات ينتقل من نجاح إلى آخر بحيوية تستحق الإكبار والتقدير..

لم يكن الأمير عبدالله ينتقل بين مدن محلية «يمون» عليها ويعرف ماذا تريد وتتجانس في هوية وطنية واقتصادية واحدة، لكنه في حقيقة الأمر كان ينتقل بين «فرقاء» لكل واحد منهم همومه الخاصة وطموحاته ومشاكله ومصالحه التي يتحرك بذكاء لكي يخدمها.. لم يكن يزور محوراً دولياً أو اقتصادياً متماثلاً يكفي أن يقنع الكبير فيه كي يحصل على ضمان ذوي القامات الأقل طولاً، ولكنه والعالم يصحو على حالة خلط اقتصادية مثيرة هبطت فيها المستويات المالية لكثير من دول الواجهة كان يقابل كل عاصمة بخصوصياتها المختلفة عن

(*) العدد ١١٠٨٧ (١٢/٧/١٤١٩هـ، ١/١١/١٩٩٨م)

الأخرى هو الذي يعرف أن بلاده غير مهددة بالوصول إلى القاع الذي يتخبط فيه الآخرون لكنه والعالم في حالة ترتيب أوراقه من جديد.. مواقعه من جديد.. أسواقه من جديد.. ثم بالتالي نوعية علاقاته القادمة، كان يتحرك بضمناً اقتصادي مهما تأثر بأوضاع الآخرين لكن لن يمس حياة الأسرة المحلية بأي تهديد، ويريد والعالم في حالة تقييم وتنظيم وبناء أن يسابق زمن هذه الحالة الدولية فيختار الموقع الأفضل لبلاده من العلاقات والتعاون والمشاركات «أمريكا.. فرنسا.. اليابان.. بريطانيا» وأن يسبق إلى ريادة أسواق تفتتح من جديد وتتجه إليها الآن رأسماليات العالم الأول «الصين» ودول حليفة مصالح «الباكستان.. كوريا».. لقد طرحت في لغة الإعلام الدولي بالنسبة للمملكة مفردات لغة جديدة، ففي أمريكا وأوروبا كانت تتردد كلمة «تفهم» لقضايا اقتصادية مثل أسعار النفط واستثماراته وعضوية منظمة التجارة العالمية وفي آسيا عبارة «شراكة إستراتيجية» لقرن جديد كما هو الحال مع اليابان..

لقد تعود أصحاب المصالح أن يأتوا إلى المملكة، وها هو الأمير عبدالله يمارس مهمة زهاب المملكة إليه لأن لها مصالح اقتصادية واستثمارية وسياسية أيضاً..

.. أذكر منذ يومين حين اتصلت بي وكالة رويتر العالمية مستطلعة مضمون الجولة الناجحة أنني عدت لهم في حوار تفصيلي استفادت منه الوكالة في تقريرها ما يزيد على العشرين زيارة حدثت في المملكة قبل عام ونصف في مدى شهر واحد وقام بها مسؤولون كبار مما يوضح الأهمية الطبيعية للمملكة وبالتالي فإن الأمير عبدالله ينشط صلات المملكة من ناحية وهو أيضاً يواجه متغيرات دولية عامة لكي يفتح أفقاً جديدة لمواقع المملكة الاقتصادية والاستثمارية والسياسية وبالتالي يصعد من قيمة تلك الأهمية الطبيعية وقد حدث لي شيء من ذلك الحوار حول زيارة سموه مع فضائية الجزيرة ظهر أمس السبت.



الأمير عبدالله ونجومية المباشرة (*)

تعوّد الناس في عالمنا العربي بالذات أن يجدوا وضوح المعالجة ومباشرة تناول الهدف من قبل الكاتب وأن يتوهوا في عموميات الرأي القابلة لأكثر من تفسير والتي هي أكثر تحفظاً وتأجيلاً من قبل صاحب القرار في الرأي، ثم يأتي اندفاع الكاتب فيما بعد بالتعليق على رأي صاحب القرار وكأنه يتعقل في النهاية مبرراً مستويات التأجيل..

هذا وضع عام بين الرأي المكتوب والرأي المتعلق بالقرار..

في عدد يوم أمس أردت أن أقول بأن هناك مسلكية متأنية عند معالجة قضايا الأهداف التي يجتمع من أجلها قادة الخليج في اجتماعاتهم الدورية، وأردت أيضاً في إيماء غير مباشر القول بأن هناك أهدافاً لا تحتمل التأجيل، وقد فاجأ سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز مساء يوم أمس الأول متداولي الرأي الإعلامي بطرح آرائه المباشرة والواضحة الصريحة التي تبنت إعلان أنه قد حان أوان انتهاج مسلكية مباشرة أوضاع الواقع بصراحة يجب أن تعالج ما هو عليه هذا الواقع من حقائق لا يجوز تبطينها بالعموميات وتسويق التأجيل حتى ولو توهمنا أن لياقة الأخذ والرد تستدعي وجود هامش يسمح بمواراة تلك المباشرة.. الأمير عبدالله بن عبدالعزيز قال صراحة إن الظرف القائم يلغي كل وجود لذلك الهامش ويفرض تقليص مساحة الرأي والجهد بحيث لا يتسعان إلا للأهم والضروري..

تحدث عن ضرورة استحداث لغة تعامل مع القرار الاقتصادي المشترك والجهد السياسي المشترك والتعاون الجغرافي المشترك بما تعرضه ظروف العصر المحلية والدولية من سرعة تحرك حيوية تملك عنصر المبادرة ولا تترك فراغاً لاحتمالات التأجيل..

في الحقيقة كان خطاب سمو الأمير عبدالله هو المؤتمر بكامله.. هكذا فهمت من استضافة محطات تلفزيونية وإذاعية وصحفية لي تجاه ذلك..

لقد كانت المضامين الواضحة والمباشرة التي تناولها في خطابه هي محور النقاش بين كل الفئات المتداولة للأمال حول إنجاح المؤتمر والمستطلعة للجديد فيه.. وقد أتى سموه

(*) العدد ١١١٢٥ (٢٠/٨/١٤١٩هـ، ٩/١٢/١٩٩٨م)

بإيجابية المباشرة، وهي القفزة الكبيرة لكل ما يمكن أن يأتي به أي جديد على أسلوب تعامل مؤتمرات القمة الخليجية مع ظروف المنطقة المتداخلة بطبيعة الحال مع الظروف العالمية المتسارعة التحول والمتغيرات..

أستطيع القول بأن الأمير عبدالله برصانة التناول ووضوح الغايات قد حقق نجومية هو جدير بها.. إنه حديث المؤتمر بكامله.. وقد جر الحديث عن أفكار إلى الحديث عن نجومية أخرى للمملكة كان إنكار الذات القيادي في المملكة بصفة عامة لا يهمه أن يباهي بها بقدر ما يهمه أن يحقق أهدافها..

فالآخرون في معرض التعليق والحوار تحدثوا عن أدوار المملكة المضنية لتوفير سوق بترولي مستقر الأسعار يسبقه تصعيد معقول ومقبول لدى كل الأطراف في الأسعار وبذل أقصى الجهود المتواصلة الآن لئلا تمتص ضرائب النفط لدى مستهلكيه أكثر من عائداته لدى مصدريه وهذا ظلم فاحش، إلا أن مركز المملكة صدقات وإمكانيات يعطيها فرص توفير إنجاح مثل هذا المسعى الهام..

أيضاً توحيد التعرفة الجمركية وأهمية ذلك في توفير سوق خليجي متحد ومتضامن أمام اندفاع اقتصاديات العولمة الجديدة..

هدف ثالث تحدث عنه الأمير عبدالله بشكل مباشرة وهو مسلك سعودي جيد يتعلق بضرورة المصارحة حيث لا مكان لطفرة قادمة وإنما لتقنين واع ومحكم، وأن رأس المال المحلي ووعي المواطن يجب أن يتحركا بحيوية فاعلية داخل حركة الاتجاه الجديد نحو كل ما هو في الأمام من أهداف.. حيث باشرت المملكة فعلاً طرح كيانات اقتصادية هامة لتكون قوى أدوات إنتاج أهلية كما حدث عند إنشاء شركة الاتصالات ثم أخيراً ما يخص إنتاج الطاقة الكهربائية، وهذان المرفقان وهما من أكثر أدوات الإنتاج سرعة في التداول خير مثال على ذلك..

(*) الأمير عبدالله وجدول أعمال متواصل

لست أفقد أعصابي كلما رفضت أملاح التربة والمياه نمو شتلة شجر صغيرة في الأرض التي أصر على تحويلها إلى مزرعة، وتصر هي من قبلها على رفض ذلك، حيث أعرف جيداً ما أمارسه من تطويع قسري للخروج بها عن طبيعتها الخاصة.. وأستعيد في ذهني بكثير من السخرية ذلك البرنامج الإذاعي الزراعي المعروف باسم «الأرض الطيبة» وكان يجب أن يخاطب «الأعماق الطيبة» لأن الأرض هنا غنية في أعماقها بالثروات المعدنية ومؤهلة لازدهار اقتصاد صناعي متعدد الأغراض أكثر مما هي مؤهلة لأي «وفرة» إنتاج زراعية متعددة.. الإنسان هنا هو الآخر غني في أعماقه بالشيء الكثير من الجلد والجد والأخلاقية مما يصنع متانة قوام مواطنة قادرة على الإنتاج ومؤهلة لريادات البناء.

كنت أعتقد في فترة ازدهار مرحلة بناء أساسيات النمو أننا كنا نبالغ في تفخيم أدوار النمو عندما كنا نصفها بأنها الأفضل في الشرق الأوسط، حتى إنني تساءلت في مقال قديم ولماذا لا نكتب أيضاً أننا أفضل الناس في الشرق الأوسط حتى تكون المبالغة أشمل تعميماً، لكن في الواقع نحن لم نكذب على أنفسنا بشيء.. لقد كان الشرق الأوسط ينام عميقاً آنذاك في بعض أجزائه ويمارس هواية التهديم والتهديد في أجزاء أخرى وكنا وقتها فعلاً نبني أكبر الجامعات وأكبر المدن وأكبر المجمعات الصناعية وأكبر المستشفيات، ومقارنة بكل ما هو مثل لها في الشرق الأوسط كانت هي الأكبر..

عصر أمس، وأنا أستقصي برنامج زيارة سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد المعظم للمنطقة الشرقية لفت انتباهي أننا الآن أصبحنا نمارس تكوينات اقتصادية جديدة ستكون مقارنات حجم إنتاجها فيما بعد وتكلفتها أثناء البناء قائمة على مقارنة مع مثيلات لها في العالم كمحطة غزلان الكهربائية وحقل شبيبة البترولي الذي افتتح قبل أسبوعين وتضاعف إنتاج تفرعات سابق..

لقد استيقظت أجزاء هامة في الشرق الأوسط فبنت وسارعت في تعديل أنظمتها الاقتصادية والإدارية كي تأخذ مكانها المرموق في خارطة المنطقة، لكن لم يعن ذلك أبداً أننا كنا نتوقف عند حدود المقارنة مع الكيانات الاقتصادية والصناعية والخدماتية القائمة في المنطقة، ولكننا تجاوزنا هذه المرحلة مدركين وصول العالم إلى مرحلة تشكيل القرى المتجاورة لترتفع منافساتنا مع تكوينات مختارة ومتفوقة على خارطة العالم وليس على خارطة المنطقة، ولم نشعر في أي يوم ونحن نقطع هذا المشوار نحو الأمام أن ثمة أزمات اقتصادية تجتاح العالم وأن ثمة تراجعات كثيرة في إيرادات مواقع مرموقة من دول العالم.. إننا أكثر ثقة بجدارة الذات وكفاءة مخزون الأرض ونظافة أعماق الرجال..

التجارب تقول ذلك.. وسجل سنوات حياة جيلنا تشهد به.. إن جدول الأعمال في متابعات افتتاح مشاريع اطراد النمو الحضاري هو طويل ومتواصل.. إن الأمير عبد الله لن يقضي أوقاتاً مستقطعة من زمن واحد أو مناسبة واحدة كي يفتعل ما يبهج الناس ولكنه يجد نفسه في مشغوليات متواصلة أمام تعدد كبير من مناسبات التنوع الاقتصادي والبناء التتموي الذي يتوالى ابتهاج الناس به في بلد لا يريد أن يتوقف عند محطة تفاعل واحدة لأنه يعدد باستراتيجيات الحضور الاقتصادي روافد الإنتاج كمّاً وتنوعاً وإيراداً..

إنه زمن كفاح وجيز لكنه صعب احتاج الى أمانة الجهد والأداء حتى امتعت نبتة الأملاح بالاخضرار بعد أن أخصبها الإنسان من بتروكيماويات الأعماق.

ببساطة.. لقد تحدّث الأمير عبدالله للناس (*)

عدد من الدول العربية تُحتمُّ بعض مناسبات أن أزورها مرات متلاحقة في العام، وكان يلفت انتباهي ذلك الحجم الهائل من أهميات وعود حل مشاكلها القائمة حينما تنشره صحفها من عناوين إلى الحد الذي كنت أتخوف معها أن نكون دولة ثانوية، إدارياً واقتصادياً بالنسبة لها، لكن مع توالي الملاحظة وجدت أن العناوين المثيرة تتوالى بينما لا يتغير من الواقع الاقتصادي والإداري إلا ما تسمح به إجراءات محدودة قد يكون أصحاب القرار معذورين في محدوديتها لأنه ليس في أيديهم أن يفعلوا أكثر من ذلك.. لكن لماذا تضخيم الحلم في أذهان الناس؟.. لماذا إرباك الأمل والعقل بما لن يكون في مقدور الواقع أن يتزین به داخل ثقة الناس.. لقد توصلت إلى حقيقة طريفة وهي أن أولئك كانوا يتحدثون إلى وسائل الإعلام أكثر مما كانوا يتحدثون إلى الناس، ووسائل الإعلام قادرة على إنعاش الأحلام بينما أصحاب المعاناة أو المرثيات أو الأفكار أو المتاعب من الناس يبحثون عن لغة تتناول وبشكل مباشر كل ما يعينهم.. هذا التباين بين الأحلام المسموعة والمكتوبة وبين الواقع هو الذي أوجد العبارة الشهيرة «كلام جرايد» تعليقاً على كل خبر غير صادق أو وعد مشكوك في توفيره..

ولذا عندما أقول إن الأمير عبدالله بن عبدالعزيز قد تحدث للناس في حفل المنطقة الشرقية.. فإن بداهة استقبال العبارة تعني ممارسة عادية وتقليدية.. هذا صحيح عندما لا يكون الحديث يعني مضامين ومصالح وقضايا وشؤوناً وخدمات تتعلق بواقع الناس القائم ومستقبلهم.. إن ما أعنيه هو أنه تحدث للناس فيما يمثلونه من أفكار ومرثيات ومصالح ومعاناة وعلاقات.. إنه لم يتخاطب مع أحلام وردية زاهية أو وصفات تطويرية للمستقبل مستحيلة، وإنما كان كمن يعقد مؤتمراً مع الناس يوضح لهم فيه إن استراتيجيات عمل المستقبل تنصب على معالجة ما يفكرون به من طموحات أو هموم..

هذا رائع تفتقر له لغة التفاهم بين أصحاب القرار في عالمنا العربي وبين الناس، والأمير

(*) العدد ١١٢٥٠ (١٢/٢٧/١٤١٩هـ، ١٣/٤/١٩٩٩م).

عبدالله ببرزه كسلوكية حكم لم تكن أبداً بعيدة عن واقع الطموحات والهموم التي يتحرك بها الناس سواء في حياتهم اليومية أو في خطط رعاية مستقبلهم القادم..

في حفل رعاية الموهوبين منذ بضعة أشهر في الرياض، ويوم أمس الأول في المنطقة الشرقية تناول الأمير عبدالله بواقعية نحن الأوج إليها في الوقت الراهن، وغيرنا يتعطش إلى شيء منها في هذا الحاضر القلق، تناول عدة محاور أصبحت حديث المجالس فيما قاله عنها..

- مركز المرأة في عضوية المجتمع..
- صرامة الأداء الحكومي لإنجاز خطط تعديل الوضع الاقتصادي الذي إن كان أفضل من الآخرين، فإن طموحات الخطط ترشحه أن يمثل أفضلية أقوى وأبعد..
- تكرار مبدأ أن غاية كل عمل حكومي إداري - اقتصادي ليس إلا من أجل خدمة المواطن اقتصادياً واجتماعياً..
- الأساس في أداء المسؤولية هو تغليب المصلحة العامة على المصلحة الذاتية الخاصة، ولا مكان لأي أداء يهدف إلى خدمة ما هو ذاتي خاص..
- التعليم ليس برمجة لمحو الأمية والتأهيل الوظيفي، ولكنه أصبح مسالك وجسوراً لاختصار أزمنة قادمة للوصول إلى واقع حضاري وعلمي لا يخاف تصاعد الأهميات الحضارية الدولية ولكنه يزاملها ويتبادل الاستفادة معها..
- إن الحديث للناس هو أمر في منتهى البساطة، لكن يجب أن تتوفر الكفاءة العقلية البعيدة النظر القادرة على جعل الحديث مضامين تنموية واجتماعية وإدارية تهم الناس ويفكرون بها، ويتم طرحها معهم بواقعية واعية أبدع فيها الأمير عبدالله لأنها في الأساس تشكل مضامين أفكاره..

سمو الأمير عبدالله.. والخطوة الطويلة نحو طهران (*)

من يطل وهو في علو شاهق على منطقة الخليج وما حولها سوف يرى أن الخليج ليس أكثر من «غدير» ماء مالح يتوسط امتدادين كبيرين مساحة وسكاناً، لأن عمق اليابسة الذي تمثله إيران شرقاً والمملكة العربية السعودية غرباً هو تقريباً كل التمثيل الجغرافي والسكاني الذي يطل على هذا الوجود المائي الضحل.. الكلام هنا هو عن مساحة وسكان؛ أما حين يتعلق الأمر بالإسلام فإن الدولتين هما في موقع الأهمية الريادية قيادة للمجاميع الإسلامية في كل العالم ومن مصلحة المجموع الإسلامي الذي يمر الآن بظروف سياسية واجتماعية واقتصادية صعبة للغاية.

أما حين يتعلق الأمر بالثروات المالية فإن الدولتين تتزعمان حيازة أكبر إنتاج لثروة النفط، والتقاؤهما على صعيد تفاهم أخوي مصلحي من شأنه حماية القيمة الاقتصادية لهذه الثروة، وهو أمرٌ لن يعود بالفائدة على الحكومتين لكنه سوف يملأ جسور خدمات النمو بقدرات الإنفاق التي سترفع من مستويات المعيشة، وتقلل نسب البطالة، وتدفع بالمؤسسات المالية والصناعية المحلية نحو مواقع أفضل من الازدهار..

رغم أن مساحة المياه الضحلة بين الدولتين صغيرة للغاية بالنسبة لأهميات الدولتين مساحة وسكاناً واقتصاداً، فقد كانت الأبعاد بين حدودهما تبدو كما لو كانت تحسب بالآلاف الأميال نتيجة عوائق الاختلافات، واضطرابات شؤون المنطقة بشكل صارخ كان يسمح بأن يعرض أمن الخليج ذاته قبل أمن الدولتين لكثير من المخاطر والتدخلات الدولية التي تملك مبرر الخوف من تهديد ثروة عالمية تهتم اقتصاديات المجتمع الصناعي..

هذه المسافة التي كانت تبدو وهي شاققة الأبعاد ومليئة بالمتاعب، استطاعت الموضوعية المتعلقة في كلتا العاصمتين طهران والرياض أن تختصرها الى حجمها الطبيعي، وأن يكون من السهل تبادل الحوار بصوت مسموع عند حواف السواحل..

(*) العدد ١١٢٨٣ (١٤٢٠/٢/١، ١٦/٥/١٩٩٩م)

سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز وهو رجل ديناميكي الحركة والأفكار، كان هو صاحب الخطوة الطويلة التي اختصرت تلك المسافة ما بين العاصمتين بما هو عليه من إيجابية عملية في التحرك، وإدراك واع ومبادر لمدى حجم إيجابيات تلاقي الرياض وطهران على منهجية تعاون تحفظ للشعبين قواهما، ولا تسمح بإهدار تلك القوى في تنافس غير مبرر، وكلاهما يحتاج إلى جهده الخاص كي يوظفه لصالح نمو أمته ..

لقد كنتُ أحد الكُتّاب الصحفيين الذين حضروا انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي في طهران، وشاهدت رحابة الترحيب بسمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز من جميع وجوه السلطة هناك، بل كانت هناك مظاهر من الترحيب بدفع العلاقة الإيرانية السعودية من قبل الشارع الإيراني، وكان تعامل التقدير الرائع الذي وجده سمو الأمير عبدالله موجهاً أيضاً إلى كل الناس هنا ..

إن تنسيق التعاون بين الدولتين سوف يكون أمراً ممكناً للغاية، خصوصاً وأن الرئيس خاتمي يقود منذ زمن ليس بالقصير مهمة تحقيق النجاح لعلاقات إيران في الداخل والخارج، وهو رجل فوق كفاءته القيادية يعتبر من أبرز المثقفين الإيرانيين .. إن تنسيق التعاون من شأنه أن يخدم أوضاع العلاقات الإيرانية الخليجية، وأن يُغلق هذا الممر المائي الضحل في وجه أي تدخلات أجنبية، لأن العالم الصناعي القوي يهمله أيضاً أن يطمئن على استقرار هذا الموقع الاقتصادي الهام في خارطة العالم.

*) الأمير عبدالله وجدول أعمال

هذا العصر لم يعد يتفق ومبدأ أن تجلس ثم تأتي الأمور إليك.. أيًا كان نوع هذه الأمور..
زيادة في القدرات..

حلولاً للمشاكل..

تلافياً للمخاطر..

إضافات جديدة للمكاسب..

إن ساعة الزمن لم تعد تدور في معصمك وحدك ولكن بات عليك أن تستطلع دوران عقارب
ساعات الآخرين..

والحدود للدول ماثما أنه بات في مقدور رجل الأعمال أن يقطن سكناً في نيويورك أو الرياض أو
شنغهاي أو لندن يدرك أن حدود بيته أصبحت تمتد إلى كل المصارف والمؤسسات والشركات
التي يملك بعضاً منها.. الحدود للدول لم تعد سياسية فقط ولكنها أصبحت اقتصادية
نشرت مصالح ومكاسب ونفوذ كل من أمريكا واليابان إلى كل قارات الكرة الأرضية..
تضاعف القدرة الاقتصادية وانتشارها أصبح يضاعف من اتساع الحدود السياسية وينشر
نفوذها..

أجزم أن هذه التصورات وأكثر منها موجودة في ذهنية سمو ولي العهد الأمير عبدالله
الذي كسر قاعدة «الانتظار» في الدول النامية واستبدلها بقاعدة المبادرة.. إنه يقيس الزمن
السياسي والاقتصادي بما سارع إليه زمن الآخرين من وثبات إلى الأمام وهو بذلك يدرك
جيداً أن مهمة البقاء مع واجهة الأمام واستمرارية وجود فرص المبادرة أمر مرهون بسرعة
التحرك وإيجابيات العلاقات..

ليس الأمر سراً ذلك أن مراقبة الأخبار من مصادرها المتنوعة تكشف لنا وبوهلة أولى أن
الأمير عبدالله يعيش مواصلة «جدول أعمال» دائم بين علاقات دولية وأخرى إنمائية محلية
بل أحياناً تتداخل المهمتان..

إن جدية المحادثات مع الرئيس الإيراني بعد لقاءه مع خادم الحرمين قد أعقبتها لمسات مرح وإنسانية عندما شاهدنا الأمير عبد الله في دار «العون» مفاجئاً الجميع بتأدية جانب مشاركة باسم مع الأطفال ومحولاً بمهارة جولته داخل المبنى عبر النقل التلفزيوني إلى مناقشة حيوية لتطوير مثل هذا النشاط وتلبية احتياجاته.. قبل ذلك لم يكن افتتاح المشاريع في المنطقة الشرقية والتجول في مدنها هو كل شيء رغم أهميته، ولكن نكهة جميلة لها سريان عطر الليمون ونفاذ رائحة الجاردينيا أطلت على الناس في بيوتهم، حين اخترق رسميات موكبه في مجمع الراشد التجاري واختار مقهى شعبياً تناول فيه بعض المرطبات وجامل عامل مطعم بتدوَّق البيتزا الساخنة.. قبل ذلك ببضعة أشهر اخترق سموه تلك المسافة الفاصلة بين مواقع المستضافين حوله والقبائل التي تؤدي رقصاتها كي يلغي كل إجراءات الأمن الضرورية ويختلط بالناس مردداً معهم قصائد حبهم لوطنهم..

وهكذا فإن جدول الأعمال الصارم الذي يتوالى فيه بحث قضايا الاقتصاد والسياسة والعلوم لا تأتي أخباره جافة مثلما هي كل أمور الاقتصاد، ولكن لمسات اجتماعية وإنسانية تشكل فواصل توقيت بين فقرات ذلك الجدول الطويل..

لقد قام سموه في الصيف الماضي برحلة عمل جادة في اتجاه أفقي حول عدد من الدول أتت نتائجها فيما قرأناه من استقبالات بعد ذلك لعدد من الاقتصاديين الدوليين. وهو الآن يوشك على اختراق القارة الإفريقية من جنوبها بشكل رأسي ثم يمتد أفقياً كي يتوالى جدول الأعمال الدائم ويتوالى أيضاً رصيد التعاون الدولي والاستثمارات فيما من شأنه أن يدفع بعجلة الزمن الحضاري والاقتصادي هنا خطوات واسعة إلى الأمام.

الأمير عبدالله في توقيت المبادرة (*)

أن يأتي إليك الناس فذلك يعني مواصلتهم مساعي خدمة أهدافهم.. مناقشة متطلبات
علاقتهم..

لكن أن تذهب إلى الناس فذلك يعني مباشرة استكمال أهدافك واستثمار إيجابيات علاقتك
معهم.. وملاحقة الطارئ في متغيرات احتياجاتك من جهة ومتغيرات العلاقات من جهة
أخرى..

الأمير عبدالله بن عبدالعزيز يملك ذهنية قيادية لها حيوية المبادرة ونشاطاً متواصلًا نتعب
كي نجاريه فيه.. تلك مهمة ليست بالسهلة..
وتلك حيوية قل أن يلتزم بها العالم النامي..

هي أيضًا في الوقت ذاته متابعة تعني مبادرة الوعي السياسي والاقتصادي في ملاحقة
المتغيرات كي يكون الاتجاه قد أخذ دائمًا مسار الانطلاق نحو الأمام بدلاً من مراوحة
الانطواء مهما حدث ذلك تحت أضواء مخدرة ومريحة إلا أنه يعني في حقائق الأرقام
والأحداث انكفاءً نحو الخلف..

لقد مثل الأمير عبدالله القيادة السعودية بحيوية فاعلة لا بد أن توحى بالاطمئنان في
الوصول إلى مستقبل أفضل..

باسم خادم الحرمين الشريفين قدم وسام التقدير للرئيس مانديلا ووثق روابط التعاون مع
«نمر» إفريقي مرموق المكانة صناعياً واقتصادياً..

تحدث إلى السفراء العرب وممثلي الجالية الإسلامية عن نمط سياسيات خادم الحرمين
الشريفين التي لم تحاول في أي يوم أن تستثمر معوناتها ومساندتها لأي حضور إسلامي دولي
لتكونا ثمنًا لمواقف انحياز، ولكنه مثلما فعل في جولته العالمية السابقة وبرؤية رجل متجرد يعي
حقائق التردي في فاعليات الحضور الإسلامي مما فتح المجال أمام العنف كي يعلن سطوته

(*) العدد ١١٢٩٣ (١١/٢/١٤٢٠هـ، ٢٦/٥/١٩٩٩م)

كأسلوب سلوك إسلامي فشجب ذلك وطالب كل قوى العمل السياسي العربي والتجمعات الإسلامية أن تتعامل مع الأهداف العامة لخدمة قضايا الأمة بنزاهة المقاصد والسلوكيات التي من شأنها أن تفرض الاحترام وتغلق منافذ اصطلياد فرص إعاقاة نمو الأمة..
على المستوى المحلي..

إن من يطلع على جدول لقاءات وزراء المالية والبتروال والصناعة والكهرباء.. الكثيفة والتي تمت مع شخصيات مثيلة في مسؤولياتها وعبر ساعات متكررة تدل على كثافة جدول أعمال قائم أكثر مما تعني صلات مجاملة عابرة.. من يطلع على ذلك سواء في جنوب إفريقيا أو إيطاليا لا بد أن يتلمس رعاية سمو الأمير عبد الله لأكثر من مسار تطوير في علاقات النمو الاقتصادي والصناعي وأهم ملامح هذه السلوكيات القيادية التي أصبحت تذهب إلى مواقع الاختيار والتخصيص هو منهج تكثيف علاقات المصالح مع أطراف عديدة ستتيح دون شك مبدأ المنافسة الذي سيخدمنا قبل غيرنا..

هذا المبدأ.. اللماح في كل ممارساته.. والإيجابي في كثافة معطياته سيضع المملكة ليس فقط بوصفها غنية تمتلك ثروة مهمة وإنما بوصفها شريكاً دولياً مع أكثر من طرف وفي أكثر من مجال تعاون اقتصادي وصناعي..

العالم يريد ذلك..

والإيجابية فيما يحدث أننا لا نعطل هذه الفرصة الواسعة ولكننا نحاور العالم فيما نريده نحن.. والعالم يبدو كما لو كان يعيد ترتيب علاقاته من جديد..

والذكاء أن ندرك ذلك أن نبادر فنعطي أنفسنا فرصة اختيار الموقع الأفضل في ترتيب هذه العلاقات ومعها مردود النتائج..

من إدراك حقائق ما يحدث دولياً ومثل ذلك ما نحتاجه محلياً نعي جيداً ونتلمس بواقعية أهمية حوار المصالح والعلاقات الذي يبادر به الأمير عبد الله في توقيت لا بد أن يوصف بالزمن المناسب..

(*) **الأمير عبدالله.. حيثيات الواقع..**

تعودنا في المشرق العربي أن يعني لنا مدلول تعبير «المغرب العربي» جميع ذلك الامتداد الشمالي الإفريقي الذي يجمع جغرافياً بين تونس والجزائر والمملكة المغربية، إلا أنه في التحديد السياسي لا الجغرافي يعني المملكة المغربية التي أحياناً تتخفف من إضافات الصفة السياسية لتقتصر على كلمة «المغرب» وهو أمر في الحقيقة يشير إلى الجذور التاريخية في التكوين القومي والإسلامي هناك الذي يمثل فيه وجود المملكة المغربية الأساس الأول..

إنه نفس المضمون عندما نستطلع طبيعة التكوين السكاني لمنطقة الخليج العربي حين نجد أن النزوح المتوالي تاريخياً من شبه الجزيرة العربية هو الذي شكل التكوين السكاني الأساسي لعرب الخليج وحتى في الماضي قبل وضوح عنصر الجذب الاقتصادي كان استقرار الجاليات الآسيوية في المنطقة يتم بفعل العامل الإسلامي كدافع أول للهجرة..

إننا مثلما نتساءل لماذا لا يتجه المجموع الخليجي إلى ارتباط أوثق في العلاقات الاقتصادية والسياسية والتنسيق العسكري وتمائل الأنظمة أمام حيثيات التماثل المشترك نجد نفس الأسباب مطروحة بالنسبة للمجموع المغربي في شمال القارة الإفريقية واختلاف التنظيم السياسي لا يمثل عائقاً أمام فداحة المخاطر القائمة دولياً وإلحاح الاحتياج إلى الارتباط الأوثق بين المجموع المغربي حيث يبدو ذلك أكثر جدوى من التسابق في الحصول على الارتياح الأوروبي وأكثر فاعلية في معالجة تفاقم المخاطر القائمة بشكل قطري وبالذات في الجزائر..

إنها عاهة العرب المستديمة.. تماثلات قطرية صارخة يقابلها شتات في حقائق سلوكيات التعامل..

لقد طرحت القيادة المغربية طوال تاريخها سواء بالنسبة لمشاكل الشمال الإفريقي أو بالنسبة لعموم أوضاع العالم العربي رصانة متناهية في التعامل مع تلك المشاكل الأمر الذي أكسبها استقراراً داخلياً فريداً يعتبر نموذجاً ناجحاً تحتاجه معظم الدول العربية لهدوء الداخل

مثلما أكسبها زمالات دولية بعيدة في علاقاتها عن توترات ردود الفعل السائدة في معظم تعاملات العالم العربي..

إن الأمير عبدالله بن عبدالعزيز وهو آت من موقع عربي يعتبر مثالي التجربة في عراقة رسوخ مظاهر الاستقرار الداخلي كونها تقوم على ثوابت مقنعة جماهيرياً مثلما يعتبر صاحب ريادة مطلوبة التطبيق عربياً في ممارسة استقلال حقيقي في المواقف من القضايا الشرق أوسطية والعالمية يحمل في أفكاره وجهوده نضج التجربة الذاتية المحلية والوعي المتمكن بحقائق الظروف العامة عربياً ودولياً..

إن الرياض والرباط بما لهما من خبرة متمرسية في الأوضاع العربية والدولية بمقدورها من خلال تنسيق الآراء وجهود إطفاء الحرائق أن يمارسا دوراً فاعلاً في الوصول إلى مستوى تفاهم عربي فاعل من شأنه أن يعيد للقمم العربية جدواها بعد أن كادت تنقرض وأن يستطلع دورها المشترك مجالات أرقى في الممارسة السياسية والاقتصادية عربياً للخروج من دوائر الاقتتال المحلي الخائقة أو دوائر الضيق الاقتصادي التي أفرزت في بعض ظواهر التطرف والانعزالية وانتكاس الأوضاع..

كلتا العاصمتين تتطلعان إلى واقع عربي جديد يتخلص من سلبيات الماضي ويعي أن المحيط العربي وكذا الآخر الإسلامي سيبقى مجرد فراغ هامشي لا جدوى من وفرة تكاثر أعداده ما لم يملأ بالكم الكافي من إدراك خطورة سلبيات المرحلة الزمنية القائمة عالمياً وتمائل التفاهم لتجاوز تلك الخطورة..

فلكلور وفرج الفرسان في استقبال الأمير عبدالله (*)

بعض المزعجات تُكتشف فيما بعد أنها مفيدة حيث قضيت مساء يوم الاثنين متعباً من وعكة صحية، وفي صباح الثلاثاء تزايد الأمر رغم إزعاجي المستمر تلفونياً للدكتور محمد القويز في باريس.. وفي الطائرة من الدار البيضاء إلى سرت بليبيا شعرت أنني بحاجة إلى عودة سريعة للرياض ولكن أحد الأطباء بالطائرة أشار على أن أذهب فور الوصول إلى سرت بليبيا للمستشفى لاستطلاع أسباب الوعكة الصحية ومن المطار إلى المستشفى مباشرة حيث وجدت حفاوة ليبية رائعة بدأت بمدير المستشفى، وقد أجريت فحصاً هناك مع مواصلة استعمال الدواء وكانت النتائج مطمئنة بل جيدة فعدت إلى الفندق فيما كان كل الزملاء موجودين في موقع الاحتفال الذي أعدته ليبيا رئيساً وحكومة وشعباً احتفاءً بصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله.

هذا الإزعاج الصحي الطارئ جعلني أشاهد بشكل لم يتوفر لكل الزملاء الذين لا يستطيعون أن يروا إلا ما هو في امتداد رؤيتهم بينما مكثني التلفزيون أن أتابع هذا المهرجان الضخم الذي لا أبالغ إذا قلت إنني لم أشاهد مثله من قبل.

إنني لا أكتب هذه الزاوية حيث لا إعداد مسبقاً لها ولكنني أمليتها كما يفعل أي معلق يصف ما يحدث أمامه في شخص الأمير عبدالله أكدت ليبيا أنها تحبكم، تحب كل إنسان هنا.. وكان واضحاً أن أخلاق عربيتها هي أخلاق عربيتنا وأن عنفوان بداوتها هو عنفوان بداوتنا. لقد ملأ الأمير عبدالله كل أرجاء المكان الذي حُيِّل لي أنه امتلاً بجميع الليبيين رجالاً ونساءً بين من يمتطي الجواد ومن يعلو الجمل ومن يتمايل على قدميه على مجموع راقص.

أبرزت ليبيا جمهورها وقياديوها إدراكها لخصائل عروبة خالصة في شخص الأمير عبدالله ونيل مواقف يمثل بها شعبه وأمته، وصفاء نوايا وعواطف يمد بها يده إلى كل الآخرين، وبُعد نظر جعل منه رجل صدقات لا خصومات.

(*) العدد ١١٣٠٠ (١٨/٢/١٤٢٠هـ، ٢/٦/١٩٩٩م).

أمامي تمرّ أنماط من الألوان والملابس ومختلف الأغاني الشعبية والأناشيد. لقد تحول المكان الصحراوي الفسيح إلى مدينة تضج بالصوت والحركة والفرح، تشرق الألوان ألوان البشر في وجوه عربية وأخرى إفريقية.. مدنية وبدوية، ملثمون يستعيدون صوراً من التاريخ.. منشدات يرقصن زغاريد فرح أتى عريسه. تجمع أضوائه من مكان بعيد المسافات، لكن من الواضح أنه قريب كل الليبيين.

ما أجمل أن تشاهد عفوية التعبير، أن ترى الكاميرا تفاجئ من يعتقدون أنهم وحدهم مشغولون بفرحهم لتتوالى بعدهم مجموعات أخرى جميعها مضاءة الوجه بادية الفرح ترقص معها أعناق الجياد وتتهادى قامات الإبل.

كم عدد سكان ليبيا؟ كم عدد أنماطها التقليدية الشعبية؟ كم إيقاعات الألحان لفنونها الشعبية؟ كثير كثير جداً، أوشك أن أرى الصحاري العربية جميعها هنا وأن أرى إفريقيا بكاملها هنا.

الأمير عبد الله يوالي رفع يديه رداً على تحية مواكب تتوالى تعلن الترحيب به.

التعبير الشعبي من نحر الجمال إلى أهازيج الرجال وأغاني الصبايا ومواكب الشباب قدم صوراً هي في الواقع مهرجان تكاثرت فيه كل صور التقدير والتكريم.

لقد كان إزعاج الوعكة الصحية الطارئة والتي زالت سبباً في إمتاعي بهذه المشاهد وتفضيلي أن أكون كاتباً قلمه الهاتف.

(*) الأمير عبدالله في نموذجية سلوك

عندما أصبح الملك عبدالله الثاني الرجل الأول في الأردن استطاع أن يلفت اهتمام المواطنين هناك عبر ممارسات رقابية رمزية مثل تفقده للجمارك متخفياً وكذلك استعماله سيارة أجرة لمعاينة إجراءات الأمن وتعامل رجاله مع المواطنين ناقلاً إثارة التحركات الدبلوماسية السريعة إلى نفس الاهتمام بالتحركات الشعبية المبسطة، ووقتها علق على ذلك كاتب عربي سياسي ممجداً تلك البساطة في التصرف وحيوية الاتصال بفئات الناس مستطرداً إن الاستمرارية هي الأهم في نسج منوال من المتابعة تقتدي به كل الكوادر التابعة..

في هذا الصدد يتحدث إعلامنا دائماً في المملكة عن سياسة «الباب المفتوح» كشعار لعلاقة المسؤول الكبير بفئات الناس الذين يستطيعون جميعهم الدخول من ذلك الباب لعرض مرئياتهم أو متابعهم أمامه، وأتصور أن الأمر أكبر من ذلك لو اخترنا تعبير «المسافة القصيرة» التي يقترب بها الناس من المسؤول الكبير في عصر أصبح فيه القادة يبتعدون مسافات أمنية ضرورية عن مواطنيهم دون أن يلاموا في ذلك، وقد تمكن الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد من تأكيد هذا الأمر عبر شواهد كثيرة جميعها كان لي بها اتصال شخصي قريب، فمثلاً أثناء مناورات الحرس الوطني السنوية منذ خمسة عشر عاماً تقريباً أذكر أنه كان يحرص على توفير لقاء مع الوفد الإعلامي بمختلف فئاته لا تحدد قوالبه أي رسميات، وحين يجلس في صحراء المناورة بعد المغرب لم يكن الذين يلتفون حوله ممن أتوا معه من الرياض ولكن كل من يتوافدون من البادية على المكان لهم موقع قريب منه، وكثيراً ما شاهدت شاباً أو شيخاً يستوقفه متحدثاً إليه.. ومنذ عام تقريباً مازال الناس يذكرون زيارته لجنوب المملكة حيث قام عارضاً مع المواطنين ملغياً تلك المسافة التي تفصل بين مجلسه ورقص العارضين ليكون الحرس المرافق في وضع أشبه ما يكون فيه قد وضع خلف عامة الناس..

ومن أقصى الجنوب إلى أقصى الشرق تحدث الناس كثيراً عن تلك اللقطات التلفزيونية وهم يشاهدونه يترك مسار كبار المرافقين كي يأخذ مقعداً في مقهى عام ثم ينتقل كي يتذوق

في الطريق طبق بيتزا قدمه نادل مقهى آخر، أما في هاواي فحين نتساءل ما إذا كان موكب الوفد قد تحرك فعلاً نقول.. هل مشى أتوبيس الأمير.. لأنه يفضل الاختلاط بالعدد الأكبر من الناس وهي مسلكية مارسها الأمير سلمان أيضاً في تنقلات خارجية ويتم خلالها جو من الحوار الموضوعي الساخن..

ما فعله الأميران هو نموذج مسلكية قيادية أهم ما فيها أنها لم ترتبط بزمن معين ولم تكن انفعالاً مع ظرف محدد، ولكنها تكاثرت في أزمنة مختلفة وكذا ظروف متباينة مما يعني أن الناس يتابعون حالة نهج في أسلوب التعامل معهم..

صحيح أن الزمن قد تغير فلم يعد بالإمكان أن تتكرر تلك المسافة الأقصر التي كان فيها صاحب الحاجة ينادي.. يا عبد العزيز.. فيلنفت إليه المنادى العظيم ليرد على سؤال، ولكن ما هو صحيح أيضاً أن متغيرات الزمن الجديدة والمتلاحقة على أكثر من نصف قرن لم تغير من الجوهر بل طورت وسائل اتصال محلية كي تبقى المسافة الأقرب موجودة في تناول صاحب أي سؤال وهو أمر لم يقتصر على تصرفات شخصية ليست بذات علاقة مباشرة بجوهريات البناء التنموي، لأن اجتماع سمو الأمير عبدالله قبل بضعة أشهر بمسؤولي شركة الاتصال ثم تأسيس المجلس الأعلى للاقتصاد برئاسته هما نموذج علاقة وثيقة بجوهريات البناء التنموي ما زالت تختار المسافة الأقرب لمعرفة طبيعة الواقع وتقصي أسرع الحلول.

الأمير عبدالله بن عبدالعزيز .. الفكرة والتصرف (*)

يتعرف الناس على رجل الموقع المرموق من خلال تداول أفكاره، أو على الأصح من خلال ما يضعه في أذهانهم من ملامح عن ذاته، عبر نوعية المراثيات والتصرفات والأفكار التي تتوفر لهم عنه، ولعل المناسبات المختلفة هي أفضل واجهات مراجعة تلك الملامح عبر الكلمات التي تقال فيه، وقد أتاحت لي أكثر من فرصة أن أستمع إلى سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد متحدثاً في أكثر من موضوع تبعاً لتباين نوعية المناسبات وكانت ملاحظتي الأولى إنه في ارتجاله لكلماته أكثر إيضاحاً لأفكاره مما تستطيع أن تفعله الخطابة المكتوبة. وهذا يعني أن ذاته الحقيقية بتكوينها الثقافي والأخلاقي والسياسي هي التي تحدد انتقاء العبارات، ولن أنسى في هذا الصدد مناسبات تحدث فيها مع طلبتنا في باكستان قبل اثني عشر عاماً تقريباً، وكان يتناول معهم بموضوعية دقيقة ووضوح صادق الكثير من شؤونهم وشؤون بلادهم حيث مثل ذلك الصمت المتابع بدقة لكلماته مدى رغبة الاستيعاب عند الجميع، ثم توالى مناسبات أخرى عبر زيارته للصين واليابان وكوريا ومع رجال الأعمال في أمريكا، وفي كل أحاديثه الارتجالية عبر كل ذلك كان يتدفق بأفكار رصينة وجذابة تتلاءم جداً بل وتتوافق بموضوعية متناهية مع إجراءات رعاية المهويين، وإدارة الاقتصاد بمتابعة تواصل إدارية محددة والتروي المتعقل في محاولات تنوع التصنيع، وتنوع الاستثمار، وتوالي الاتصال بالفعاليات التعليمية والتجارية والاجتماعية، ومؤسسات الخدمات، والتحريك المترفق بعناية لوسائل التحديث الحضارية دون مساس بثوابت القيم الخاصة بالمجتمع..

هذا التوافق بين نفاذ قدرة التعبير في نفس المتلقي وترحيب هذا المتلقي كمواطن بوجهة التصرف إنما يعني وجود «توافق» بناء وشمولي في تكوين داخل الذات حيث تتولى الكلمات أو نوعية القرار التعبير عما في هذا الداخل من تكامل يجمع بين الطموح والتعقل..

أكثر من سبع أمسيات كنت فيها والزملاء رؤساء التحرير على مقربة منه على مدى ما لا يقل عن ثلاث ساعات يومياً قبل أن تجمعنا مائدة العشاء ثم نودعه بعد ذلك.. خلال

(*) العدد ١١٤٣٩ (١٠/٧/١٤٢٠هـ، ١٩/١٠/١٩٩٩م)

أحاديث تلك الأمسيات وأمام قدرته البارعة في إدارة أكثر من حوار لا يفضل فيه أن يكون صاحب المصادقية الوحيد، أو المستأثر بطرح الآراء والأفكار. كانت ثمة مواضيع شتى تتجاذب مسارات الحوار بين الجميع.. عن تيمور وأندونيسيا، عن الماء وتجارب زراعة سواحل البحر.. البترول كمشتقات.. العمل كبدائل إنتاج مرادفة للوظيفة.. المجتمع النامي كمفاهيم.. مستجدات وضرورات التوافق.. خصوصيات السلب والإيجاب في العلاقات العربية.. أشياء كثيرة كانت تمتد منها جسور مثيرة ومغرية التواصل بينه وبين كل الحاضرين الذين لم يكن عددهم كثيراً..

لقد استرجعت وقتها في الذاكرة بعض ملامح تصرفات وإجراءات لم أجد لها بعيدة عن الأفكار المتداولة وقتها، وجميعها تدل على وعي مبكر، وشمولية تناول، لقيادة علاقات بناء مع قوى الخارج وطموحات الداخل..

تذكرت أن كمال جنبلاط زعيم الحزب التقدمي الاشتراكي اللبناني وهو رجل ليبرالي محسوب على اليسار العربي كانت أول زيارة له للمملكة عام ١٩٧٥م تقريباً بدعوة من الأمير عبدالله بن عبدالعزيز وأن عدداً من الكتّاب الذين كانوا يغالون في امتداح أفكار خيالية ليبرالية كان أول تعريف لهم على واقع الرصانة المحلية البناء بضوابطه الإسلامية، والتزاماته الوطنية، ثمّ بواسطته هو ذاته، حين أتوا إلى الجنادرية ضمن مدعويها، وأولى فقرات الزيارة الاتصال به شخصياً في اجتماع ثقافي عام مثل: لطفي الخولي ويوسف ادريس وانيس منصور وعلى حرب ومحمد عابد الجابري وبلال الحسن وغيرهم كثيرون.. لا يتفق مع كل أفكارهم لكنه يريد لهم التعرف على المملكة التي يرى أنها في حاجة إلى تعددية نوافذ الصداقات ليس لكي تتخلى عن شيء من خصائص تكوينها، ولكن كي يتخلى أولئك عن فراغ جهلهم بحقائق نموها، وأخلاقية جسور علاقاتها، وتمييز كفاءة الخدمات ومستويات المعيشة بين أبناء مجتمعا..

من كل ذلك كان من الواضح أن الأمير عبدالله لا يقتصر تمثيله لمكانة وطنية هامة لأنه يشغل موقع قرار هاماً فقط، ولكن لأنه أيضاً يملك كفاءة تفكير وتصرف تعطيه بجدارة مكانة التقدير التي هو أهل لها..

الذاكرة.. الأمير عبدالله عيش ملح وعمل (*)

نحن شعب يتميز بذاكرته الحيوية المحتويات ولن يكون اعتراضاً مقبولاً التساؤل ما إذا كان هناك شعب بدون ذاكرة لأن ما أعنيه هو نوعية المخزون فيه.. حيويته.. سرعة التوالي فيه.. حجم خطوة التحول من حالة إلى أخرى.. مدى اقتراب الناس واختلاطهم في ذلك المحتوى.. تمييز وجود أفكارهم.. جهودهم.. معاناتهم.. الضيق والفرح في تناوب مسار الخطوات..

هناك شعوب ألفت حياة رتيبة متواصلة.. ملامح الفقر باقية بمن يمثلون تلك الملامح لعشرات السنين إن لم تكن مئاتها.. تصاعد الأزمات الاجتماعية بذات المواصفات كالسكن والزواج والنقل والتغذية أيضاً على مدى ليس بالقصير من الزمن.. هؤلاء أنماطهم كثيرة بين العرب وفي إفريقيا وآسيا.. قد تلمع مظاهر إكسسوارات الزينة على ملامح محددة ومعينة من أحياء المدينة والأقلية من سكانها إلا أن ذلك لا يكون مؤشراً لتغيير عام.

هناك شعوب الذاكرة المترفة - التي أصبح مسار أحداثها سلساً ومضيئاً وذا إيجابيات تراكمية - شعوب المجتمعات الصناعية المتقدمة التي تتلقى ذاكرتها بين حين وآخر توالي الإضافات العلمية.. إن عنقها الشامخ الامتداد والاعتداد مثل أفعوانية تسلق عارضة الأزياء لحلقات الضوء.. تتلقى الشعوب الإضافات مزهوة مثلما تتلقى تلك إضافات لآلئ العقد التي تتكاثر حول استدارة عنقها..

نحن لسنا من فئتي هاتين الذاكرتين.. لا ذلك الركود البارد الذي يعلو سطحه بعض التوقد العارض.. الخادع.. ولا ذلك النضوج النهائي المتفوق الذي لا يسعى للحصول على احتياجات بقدر ما هو فخور بالحصول على إضافات.. كل أبعاد ذاكرتنا متحركة.. ساخنة الحيوية.. متصلة الحلقات مع بعضها.. منذ انطلقنا من بيت الطين ومجتمع الرعاية حتى أقمنا المدن العلمية وزاملنا الكفاءات العالمية المتفوقة..

(*) العدد ١١٤٥٠ (٢٣/٧/١٤٢٠هـ، ٣/١٠/١٩٩٩م)

وإنما لدينا ما نعمله.. ولدينا ما نحذره.. ولدينا ما نطمح إلى تحقيقه.. وتلك ذروة الحيوية في ممارسة الحياة.. في ديناميكية حركة وجود الشعوب..

الملك فيصل -رحمه الله- قبل أن يكتب اسمه في شواهد مادية تاريخية، هو موجود حتى الآن في ذاكرة الناس كرجل قيادي قوي تصدى لمخاطر سياسية واقتصادية واجتماعية عرف كيف يحفظ وحدة البيت الواحد.. ويجعل في بيت كل أسرة حضوراً للبيت الحاكم.. حتى تأصل في نفوس الناس أن معارك الملك فيصل كانت لخدمة أهداف المجتمع.. ولرعاية مصالح أجيال قادمة..

الملك فهد الذي بكر في ممارسة مسؤولياته كمبشر قوي للنمو الحضاري حين قاد عمليات بناء أساسيات التنمية لم يتوقف عند حدود ما كانت توحيه كفاءة الثروة من مناعة تحسب لمخاطر تقلبات المستقبل فأوجد أول حضور علمي لتنويع التصنيع وزخ تلاحق الأنواع المدربة إدارة وعلومًا في مرافق العمل وكان مواجهًا صلبًا قدم من صحته الشيء الكثير حين تصدى لأحداث الخليج والشرق الأوسط المفاجئة بما يحفظ لهذا المجتمع استقلالية القرار عبر إجراءات مواجهة ليس ثمة لها من بديل.

لا نريد لذاكرتنا أن تتسى ملامح المتاعب من حولنا ولا ملامح المخاطر قريباً منا.. أو حقيقة أننا في رهان مع زمن محدود وإمكانيات متغيرة.. ما لم نودع في ذاكرة جيلنا الحاضر ما هو جدير أن يرويه للجيل القادم من جدية الملاحقة وذكاء المتابعة فإننا لن ننجح في وضع جيلنا القادم في زمنه اللائق به حضارياً مثلما نجح الجيل السابق في القفز بنا أزمنة كثيرة حتى وصل بنا إلى زمن مجتمعات النخبة البشرية..

الأمير عبد الله بن عبدالعزيز.. ولي العهد يطبق تلك المفاهيم.. عبر شواهد كثيرة ويمارس فعلاً مزج بيت الأسرة الاجتماعية مع بيت الأسرة الحاكم في متلازمة تاريخية عرفناها منذ أكثر من مائتي عام حيث كلا البيتين قد تصديا للمخاطر الآتية من الخارج وأرسيا معاً أكثر الوحدات العربية تواجداً تاريخياً متكرراً عبر قصص بطولات وفيرة في ذاكرتنا الشيء الكثير عنها..

الأمير عبدالله من موقع المدينة الإسلامي وينبع الصناعي والظهران العلمي والتعديني .. في بساطة أخوة العيش والملح .. طبق فول .. يرتسم في الذاكرة جزءاً من وجبة عامل صناعي .. بعضاً من قوت عالم مختبر .. أو قيادي إداري .. سبقه من قبل طبق «بيتزا» له سخونة عواطف المشاركين .. وتمتد رابطة «العيش والملح» شيخ بادية لا يقوى على القيام فيجده في ساعد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ما يعينه ناهضاً على قدميه بنفس القوة التي ترعى نهوض كل فرد في قرية أو مدينة ليكون الوطن بكامله وفيه الثقة والاعتدال في وقوفه على قدميه عبر جهود الأمير عبدالله لتتويع قاعدة الاقتصاد وتنشيط تعدد الدخول الوطنية من الاستثمار والمتابعة الشخصية للتسريع والتكامل في آن واحد بين كفاءة مؤسسات الداخل وعلاقات الزمالة الدولية في الخارج .. فتتنعش ذهنية الكل بذاكرة تروي للأجيال المتلاحقة دفء الحكايات في توالي جهود أسرة المجتمع الكبيرة .. تؤدي أضخم الممارسات .



(*) الأمير عبدالله .. والأهم المهمل

المعدة الاجتماعية الأوروبية لها قدرة خارقة وغريبة في هضم الحجارة الكردية والعربية والهندية والإيرانية والإفريقية باختلاف جلاميدها، كل ذلك تهضمه بارتياح بل وتحوله في تمثيل غذائي دقيق القدرة في الاستخلاص إلى روافد متعددة في الجسد الاقتصادي الأوروبي..

أما العرب فعاجزون عن هضم بعضهم..

الذين حلموا بتوحيد أوروبا منذ النصف الأول من القرن العشرين لم يبحثوا في ملف الطموحات الفرنسية ما يبرر استعادة ما سبق أن احتلته الإمبراطوريات القديمة من أراض شاسعة وبالذات في النمسا والنرويج وهولندا أو بعضاً من أوروبا الشرقية أو يفتحوا ملفات العنفوان البريطاني الذي جعل من الجزيرة الصغيرة قارة كبيرة، في طموحها ونفوذها.. ولم يحتاجوا من يؤكد لهم أن ألمانيا كانت سبباً مباشراً في إشعال حربيين عالميتين بدأت بابتلاع أراض أوروبية..

في كل تلك الملفات ما يبرر توحيد أوروبا عن طريق القوة العسكرية لكنهم يدركون أن العصر.. والثقافات.. وشيوع الإعلام.. وتصاعد الحريات لم تعد تسمح بذلك..

إن أوروبا تتحدث بلغات عديدة وتؤدي العبادات داخل كنائس مختلفة المذاهب، وبين مساحات هذه الكنائس توجد مواقع عبادة إسلامية ويهودية وبوذية ومع ذلك وأمام فشل لغة القوة فيما سبق فإن الاقتصاد قد استطاع أن يكون هو لغتها الفاعلة التي جمعتها في إطار الوحدة الأوروبية.. لم يسمح الأوروبيون لشعار «السيادة» الموضوعي.. في المكان الجغرافي المحدود أن يكون سبب التطويح بفاعلية سيادة المجموع الأشمل.. الذي هو سيادة الشمول الجغرافي لكل أوروبا حتى بريطانيا عندما رفضت اليورو فإن ذلك لم يكن مبرراً كي ترفض الوحدة الأوروبية..

الاقتصاد هو الذي صنع إبهار هذه الوحدة..

الأمير عبدالله بن عبدالعزيز برؤية بعيدة النظر ليست مدركة فقط لسلبيات العالم العربي وأسباب فشل مساعي توحيدته القديمة ولكنها مدركة لواقع مغذيات كل انطلاقات عالم اليوم.. حرك بقبضة واعية ومعاصرة واقعية بوابة كانت هي الأهم لكنها ظلت مهملة في حساب الأهميات العربية حين تحدث لمجلة الشراع اللبنانية عن مشروع سعودي يجمع قوى العالم العربي في وحدة اقتصادية لا تختص بها الحكومات ولكنها من شأن مشاركات الشعوب..

لقد أهدر العالم العربي من عمره الحضاري، ما لا يقل عن ثلثي قرن وهو يتلهى بتداول مختلف الشعارات السياسية ومع ذلك لم يستطع أن يبلغ سن الرشد الحضاري عن طريق مزايدات السياسة التي زادتته تشطييراً وشتاتاً..

أهدر العالم العربي أيضاً الكثير من ثرواته فاندثرت أهميات محاصيل كثيرة كالرز والقطن والذرة والحمضيات والزيتون والتمور وتعطلت مصانعه وهاجرت رؤوس أمواله وهبطت فئاته العمالية إلى ما دون خط الفقر وكان وذلك كله بفعل مغامرات الانقلابات العسكرية التي لم توفر حدًا أدنى من عدالة لقمة العيش مثلما هي لم توفر حدًا أدنى من عدالة حرية الكلمة..

لقد بقي الاقتصاد وهو بوابة مصالح متبادلة كبيرة مغلقة في وجه المستقبل العربي بينما تكاثرت حالات الاختناق في أنفاق السياسة ومغامرات العسكر..

لقد طرق الأمير عبدالله بن عبدالعزيز.. ولأول مرة من قيادي عربي.. هذه البوابة التي لن تحتاج إلى معجزات حيث الثروات موجودة ورجال الأعمال مهتمون وما على كل ذلك إلا أن يرد لها الاعتبار وتأخذ دورها في حركة استثمارات مشتركة تفرض توحيد هويات المصالح مثلما تفرض هويات وحدة المصير..

وكان بودي أن يتم نقل هذا الحديث عبر وسيلة إعلامية أوسع انتشارًا من مجلة الشراع حيث تحتاج الأفكار المطروحة إلى شمول التداول لجديتها وجدّيتها على مستوى الرأي العام العربي.

الأمير عبدالله .. مهمات نشر المعرفة (*)

علاقة سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز بـ«المعرفة» وهي شمول لكل مستويات الثقافة لا نبحت عنها أو نتوقعها من خلال اتصاله كمسؤول كبير بمناسبات ثقافية عامة فتأتي إلى الأذهان من باب ما «يقال» ولكنها ملموسة التواجد عبر أهرامات «فعل» متعدد التواجد ليس في أخبار المناسبات ولكن عبر منجزات اهتمام الفعل الشخصي الذي ارتبط به بشكل مباشر.

لقد قلنا الكثير عن «الجنادرية» كمهرجان ثقافي وتراثي و«فرح» شعبي في بلد يفتقد محرضات الابتسام، وما قلناه عن الجنادرية إنما كان فيض مشاعر الناس واهتمامهم بتكرار هذه المناسبة المحببة عندهم.. ليس المثقفون وحدهم من ينتظرون مواعيد الندوات أو فرص استضافة نجوم النخبة ثقافياً وفنياً عبر وسائل النقل الإعلام. ولكن العامة وهم الأكثرية الساحقة توفر لهم الجنادرية موسم إخصاب لابتسامات الفرح في ربيع أخضر مثلما يشتاقيه جفاف الأرض فإنه يسلك الناس أيضاً في وديان بهيجة من متع السماع والمشاهدة..

لقد نال الحرس الوطني تقديراً دولياً في تعليم الكبار، ومن تابع أخبار هذا التقدير منذ بضعة أشهر فلا بد أن يكون قد تبادر إلى ذهنه كيف كان أولئك الكبار ومعهم أبناءهم أميين يتعرفون على شؤون الحياة بالحدس والسماع، لكنهم مثل الصحراء معزولون عن كل «ترطيب» مبهج من المعلومات عما حولهم من علوم في هذا الكون الكبير..

لقد تاملت في الحرس الوطني مدرستان للتعليم.. الكبار خرجوا من تلك الأمية التي كانت تضعهم في مواقع دنيا في سلم الأهميات، والصغار لم يتوقفوا عند حدود معرفة ما هو ضروري لكنهم أصبح يتواجد بينهم الطبيب والمهندس والضابط والمدرس، فكانوا جيل البادية المشرف الذي تتمثل فيه روابط العلاقة بين أمس جاف وحاضر يصعد إلى المستقبل بوجاهات العلوم..

(*) العدد ١١٥٤٥ (١٠/٢٦/١٤٢٠هـ، ٢/٢/٢٠٠٠م)

هذا إنجاز وطني كبير، لكننا نتحدث عن المعرفة التي أنجز منها الأمير عبدالله مناحي التعليم بين قطاع ضخّم من مجموع السكان، وكذا التثقيف الذي باتت له مناسباته التي يتشوق لها الجميع.. هذه المعرفة لم تتوقف عند حدود هذه البلاد بعد أن غمرت أكثرية البادية بمدنية التعليم ثم التثقيف، ولكنها كعمل امتزجت فيه خدمة المعرفة كهدف مجرد أينما وجدت مبررات نشرها مع طرح النموذج الأرقى عن نوعية تعاملنا مع المشاركات الحضارية في حياة الآخرين حين صرف الأمير عبدالله وبشكل شخصي تام على إنشاء مكتبة الملك عبدالعزيز في الدار البيضاء، ومن يسمع بمكتبة يتبادر إلى ذهنه رفوف متواضعة من الكتب التي ربما يكون بعضها قد تجاوزه الزمن، ولكن الحقيقة التي شاهدتها عبر تجوال دقيق هي أن ذلك الهرم الشامخ يمثل ثقافياً وأكاديمياً مقصداً هاماً وحيوياً لعدد كبير من الباحثين والطلبة الجامعيين، شاهدتهم بالعشرات في زمن الساعة الذي قضيته هناك وهم يحصلون وعبر أكثر من لغة على مراجع نادرة لا توفرها المكتبات التجارية، ولا تسهل فرص الاتصال بها مكتبات الجامعات.. الشباب الذين يراجعون تلك الكتب يعلمون أنها فعل سعودي راق، وباسم رمز سعودي يجب أن يعرفه الآخرون جيداً.. وقد فعل كل ذلك رجل لم يتحدث عن نفسه وعن ضخامة ما فعل.

الأمير عبدالله ومهمات التعزيد عربيًا واستعادة الحقوق (*)

ما التقت الرياض والقاهرة ودمشق في مهمة تشاور مشتركة إلا وشعر العربي البعيد في المغرب أو نواكشوط أو الخرطوم بأن القلب العربي ما زال قوي النبض، وأن شرايينه ما زالت تدفع بدماء الحياة لمواجهة كل أخطار وافدة حيث إن هذا القلب العربي في متوسط المساحة العربية هو المجاور الحيوي لمواقع الصراعات وتنامي الثروات وتزايد الأهمية السياسية والعسكرية.

والأمير عبدالله منذ تلك المساعي القديمة التي كان يتنقل فيها ما بين بغداد ودمشق أملاً في أن تتسع طموحات التعاون باستيعاب العراق حين تستجيب قيادته لضرورات المصلحة العامة انعتاقاً من أنانية دوافع الذات.. وحتى عندما ابتدع العراق منعطفاً في الصراع يقسم قوة الأمة إلى شطرين بحيث أصبحت إسرائيل لا تواجه كل الحضور العربي، بل لقد زاد هذا التشطير انقساماً بفعل إصرار العراق على مواقفه حيث ظهرت الصورة العربية الأخرى، وهي في حالات اختلاف على التطبيع أو التبادل التجاري أو التمثيل المتبادل في علاقات الحد الأدنى.. منذ كل ذلك القديم والحديث يتألق الأمير عبدالله في مساعي وضوح سياسية وقومية لم تقبل بفتح نافذة واحدة على إسرائيل أو تدخل في حوار حول أدنى مستويات التمثيل ما دام السلام متعثراً بوجود أراض عربية محتلة وباستمرارية شد القبضة السورية على بندقية المواجهة حيث يوضح الموقف السعودي وبشكل صارم استحالة عزل سوريا خلف أي محاصرة بل إن الكل معها في خندق واحد..

المشوار التاريخي لعلاقات الأمير عبدالله ومساعيه بدءاً من الرباط ومروراً ببغداد حتى أطراف الخليج الشرقية يؤكد جميعه أن السلام في حد ذاته ليس هدفاً وإنما استعادة الحقوق العربية هي الهدف.. ولا بأس أن يكون السلام ثمن استرجاعها متى رأى أصحابها ذلك حيث لا تقبل المملكة أن يكون قرار الفرض أو التجزئة الإسرائيلي هو نهاية مرجعية التداول.

(*) العدد ١١٥٧٢ (١١/٢٣/١٤٢٠هـ، ٢٩/٢/٢٠٠٠م)

الرئيس المصري في زيارته السريعة للبنان أكد بأن أي معاهدة أو تفاهم أو علاقات دولية أو أوسطية لن تسمح بمحاصرة أي طرف عربي فهناك زمالة نضال مستمرة مع سوريا وهنا موقف مساندة ودعم للبنان.. لبنان الذي يتذكر ساسته ومثقفوه أن لهب الحرب الطويلة الأمد لم ينطفئ إلا في الطائف المدينة السعودية التي جمعت كل الفرقاء وكانت فيما بعد موقع تداول لمؤسسات الحكم في الكويت أثناء احتلاله مما يوضح انتهاج مناصرة كل حق عربي.. لبنان هذا شاهده شخصياً وهو يحتفي بالأمير عبدالله بن عبدالعزيز عندما زاره منذ بضعة أشهر هو الذي ارتبط مع صداقات كثيرة فيه لا يمايز بينها أن يكون هذا يميناً وذاك يساراً.. لقد احتفى لبنان المولع بتقدير الصداقات بالأمير العربي المهيب حيث تبارت كل الفئات اللبنانية في مهمة الترحيب به.. وهو يذهب هناك ليؤكد تآخي بيروت مع الرياض وأن كل امتداد قدرات وإمكانات المملكة ليست إلا عمقاً للبنان مثلما أن تلاقي روابط التضامن بين المملكة ومصر وسوريا لن يمد فقط يد حنو على الجبين اللبناني الذي أجهده الغارات ولكنه سيشد الساعد اللبناني كي يكون أكثر قوة في مواجهة شراسة الغارات والأحقاد..



(*) الأمير عبدالله وموضوعية التطلمات

نخطئ لو تصورنا أننا وحدنا، من يعطي اهتماماً مضاعفاً بعلاقات الاستثمار الاقتصادي تنوعاً، وإنعاشاً لقدرة الاقتصاد المحلي، حيث معظم دول العالم مصابة بما يشبه الهلع من مستقبل اقتصادي قد تفقد فيه قدرة التفوق إن كانت من الدول الكبرى أو قدرة الإنماء لو كانت ذات حضور اقتصادي دولي محدود، وهناك دول أتت متأخرة للغاية فهي تحاول الآن أن تبني من الأساسيات ما قد انتهينا منه قبل ربع قرن، وانتهت منه دول أخرى في شرق آسيا منذ أكثر من ثلث قرن وهؤلاء سيتعبون كثيراً بحكم التسارع المثير الذي تقطعه قوى العالم العلمية والاقتصادية والتي لم تعد تقبل بخطى وثيدة كما في السابق، ولكنها تنتقل من موقع إلى آخر عبر قفزات سريعة من ليس يملك التأهيل لها فلن يكون بمقدوره اللحاق ببعض ما عند الآخرين.. ولعل هذه الدول - العربية بالذات - التي أتت متأخرة لن يكون بمقدورها إلا الاعتماد على اقتصاد الخدمات والسياحة وهو أمر متى انفرد وحده بفرص التعويض الاقتصادي فسيكون محفوفاً بالكثير من المحاذير الاجتماعية..

العالم أيضاً كثلثان.. هناك من يملك ثروات رئيسية سواء في الإنتاج الأولي أو في التصنيع وهناك من لا يملك ثروات رئيسية لكن بحكم بداياته المبكرة فقد استطاع بناء أساس اقتصادي مطمئن في الوقت الراهن لكنه غير قادر على الصمود في المستقبل..

المملكة تملك أساساً إنتاجياً أولياً ومثله آخر محول بالتصنيع إلى منتجات اشتقاق، وليس البترول رغم تعدد أهمياته ما ينفرد بالأساس الاقتصادي ولكن هناك روافد أخرى لم تأخذ بعد أهميتها الاقتصادية الكاملة مثل التمور أو الزيارات الدينية أو السياحة الأثرية..

العالم كله مشغول بظاهرة ترغيب شهية الاستثمار وقد سبق أن ذكرت في لقاء سابق أن المملكة تشترك مع أستراليا بكونهما غير مدفوعتين للارتقاء تحت مغريات قد لا تكون متوفرة الضمانات مستقبلاً، أو قد تأتي على حساب حركة رأس المال المحلي.. وهنا يأتي ما قصدته في بداية هذا الموضوع من أن المسألة بالنسبة لنا ليست مجرد هاجس استثمار

يأتي كيفما اتفق وإنما هي تخطيط مدروس للحصول على كفاءة استثمار من شأنه أن يطور من قوى رصيد الأساسيات من ناحية وتعضيد رأس المال المحلي من ناحية أخرى، وهنا نحن أمام حالة انتقاء وخيارات وهو ما يعني أننا نقف على ضفة السلامة ولسنا مع أولئك الغارقين بإفلاس الإمكانيات..

سمو ولي العهد الأمير عبد الله بن عبدالعزيز يولي هذا الأمر اهتماماً بالغاً وقد تشرفت بالاستماع إليه منذ بضعة أشهر وهو يتحدث بموضوعية عن أسعار بترول واقعية يقبلها الطرفان.. وعن الماء كأساس استيطاني هام في أي مكان من العالم.. وعن الإعداد العلمي الذكي والنشط للجيل الجديد عبر مناهج دراسية لها جزالة الانتماء الإسلامي وفي نفس الوقت تحضير الطالب منذ بداياته الدراسية لاستيعاب علوم العصر وقد أطلق عبارته الشهيرة مؤخرًا التي ترى أن تجاهل علوم العصر بدءًا بالحاسب الآلي ومرورًا بكل منجزات التقنية إنما هو احتماء كسول بالأمية الراكدة.. الأمير عبد الله في عبارات ذلك الحوار بمنزله قرب الدار البيضاء قبل بضعة أشهر لم يكن يطرح أمانتي حاملة أو يعتد بطفرة سانحة وإنما كان يتحدث عن منهجية واعية يريده لها أن تقود هذا الجيل نحو مواقع أفضل وأرقى في مسار التنافسات الدولية..



الأمير عبدالله يقود مرحلة تحول اقتصادي تاريخي (*)

تطوير علاقتنا بالبتروول لا أتصوره يأتي وهو استجابة لطارئ اقتصادي عارض، وفي نفس الوقت فإننا نفرز رد الفعل على ظروف دولية اقتصادية منها ما هو مفتعل ومنها ما هو طارئ واضعين في الاعتبار أن ريادة النهج الأسلم أو الأفضل هي خير وسيلة للبقاء ضمن قائمة فرسان المقدمة..

لقد ذكرت في لقاء سابق منذ بضعة أشهر أن الضائقة الاقتصادية العالمية ليست كاملة السلبية بالنسبة لنا حيث إنها حركت كثيراً من محاذير التراجع فيما لو بقينا مجرد سوق تتنازع رغبات المنتجين والمستهلكين.. وقلت في لقاء آخر بعد ذلك إن حوافز تنوع الاستثمار المحلية لا تأتي وهي هروب من واقع اقتصادي متراجع ولكنها تمثل بداية هيكلية اقتصادية تتخطى مرحلة التعامل النفطي القديم لكي يستوعب الامتداد الصحراوي الهائل توظيفاً هائلاً آخر لرؤوس أموال دولية ومحلية تلامس سقف الخمسمائة مليار دولار في مجال الغاز ويأخذ التصنيع البتروولي سقفاً آخر أنجزنا الكثير من أساساته، وذلك يعني أن سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز عبر نشاط اللجان الوزارية والفنية المختصة يقود المملكة نحو الوصول إلى يقين النجاح من دخول مرحلة اقتصادية جديدة.. كان هناك إنتاج النفط وبيعه والتصنيع المحدود منه، أما هذه المرحلة فتعني الدفع بالغاز عبر قوة صرف تصل إلى سقف الخمسمائة مليار دولار متزاملة ومتزامنة مع تحول التعدين البتروولي إلى مشتقات صناعية.. أعرف أن كثيراً من الشركات كان يهملها أن تحصل على عقود إنتاج لكن وعي قادة هذا التحول لم يرغبوا بذلك حيث إن قرار الإنتاج زيادة أو نقصاً تتوفر له كفاءة القدرة المحلية.. ما كان مطلوباً هو تنوع البنية الاقتصادية والصناعية في بلاد كلما تكاثرت فيها المشاريع ازدادت استيعاباً لوجود سكاني أفضل في تقنيته ومستويات معيشته، ولهذا عندما أتى الحديث عن التحول الاقتصادي الصناعي الجديد على مدى العشرين سنة القادمة

(*) العدد ١١٦٤٠ (٢٠٠٠/٥/٧ هـ، ١٤٢١/٢/٣ م)

رافق ذلك تقدير رائع للفرص الوظيفية التي ستتكاثر مع تصاعد مليارات الصرف.. كل مليار سيوطن ألفي وظيفة مباشرة وستة عشر ألف وظيفة ثانوية وعلينا أن نضرب الرقم خمسمائة بفرص المليار الواحد كي نحصل على حجم التوظيف الكبير الذي سيتحقق في المستقبل القريب.. لكن عبر تأهيل علمي تقني لشباب هذا الجيل.

أحد الصحفيين العرب سأل سمو وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل ما إذا كانت الحكومة تعمل على تأهيل البلاد كدولة عظمى وأنها سوف تساند الدول الأخرى بالمعونات فكان رده رافعاً حين قال لم نفكر بمسألة الدولة العظمى هذه لكننا نفكر وبالإحاح في ضرورة توفير مستويات معيشية راقية لمواطن قوي التكوين والإمكانات..



خطوات الرجال خطوات المدن (*)

لم يذهب أي مسؤول كبير إلى أي مدينة في البلاد متزهاً متطلعاً إلى مظاهر الترحيب على ملامح مستقبلية، ولكن راعياً ومبشراً بمزيد من دفع عجلة البناء نحو الأمام.. دائماً تضاف خطوات بناء حضارية.. في أبها.. حائل.. نجران.. جدة.. الدمام.. تبوك.. بريدة..

جميع هذه المدن كانت مع أخبار حفلات الترحيب تقرأ أخبار إجراءات التنفيذ لمد طرق جديدة أو كلية تعليم جديدة أو إدارة مجمع تصنيع جديدة..

كانت مرحلة تألق الشعارات العربية في عصر العسكرتاريا الثورية تبشر المدن العربية بتلك الرحلات المتواليّة ذات الخطب الطويلة المثيرة للإيقاع والمضمون، لكنها فاقدة تماماً لكل نوايا ومساعي التطبيق، الأمر الذي جعل الأجيال اللاحقة تكفر بكل رموز وتباشير تلك الأحلام، فالجهل والفقر والمرض ما زالت واجهات مقرزة لكل مخلفات تلك الإثارة الفسفورية الفارغة من جهود التطبيق ومساعي العمل السياسي بعد الفشل العسكري باتت مبحوحة الصوت ومدنية اليقين حين تحاول الحصول على بعض مساحات التقريط التي كسبها العدو لتكون هامشاً أمنياً لما سبق أن استولى عليه..

سمو الأمير عبد الله بن عبدالعزيز يأتي إلى الطائف لتكون مثل غيرها من المدن السعودية التي لم تسمع من أي قادم مسؤول إليها خطب الوعود ولكن عاشت حقائق التنفيذ.. يأتي إلى الطائف.. عاصمة الاصطياف القديمة عندما كان لـ«الحوية» صيتها الشائع واحتضان مواقع إنشاء قرارات البناء الأول..

الطائف تتذكر الوجوه جيداً.. تتذكر أنها تكاد أن تكون المدينة السعودية التي تتفرد أن كثيراً من السواعد الآتية من كل الاتجاهات تأتي إليها صيفاً لكي تتعش وجودها الاقتصادي وتتعش ما يتعرع بين وديانها من فنون..

(*) العدد ١١٧١٦ (٢/٤/١٤٢١هـ، ٢٢/٧/٢٠٠٠م)

تجد في ملامح عبدالله بن عبدالعزيز ذات تلك الملامح الجادة التي أرادت للطائف أن تكون عروس المصائف العربية وهي محظوظة بالإضافة إلى مناخها البارد والمعتدل أنها تتوسط مدينتين هامتين للغاية.. مكة وجدة بحيث يصبحان عمقاً واسعاً يجسد أهميتها السياحية، فمن يتناول فطوره بعد اعتماره في مكة يتغدى مع رجال أعمال يبحث معهم مشروعاً مشتركاً في جدة وفي مقدوره أن يقضي ليل سمر بارداً في الطائف.. لا تتوفر لأي مدينة سعودية هذه الصفة وستكون مسألة يسر العمرة عاملاً محفزاً على تكرار الاصطياف بها.. وأستغرب جداً.. جداً.. لمن يراكمون أموال الاستثمار العقاري في دول عربية أخرى ولا يبنون بها مرافق سياحية مربحة في أبها والطائف ونصف القمر الشرقي..

حتماً سترحب الطائف بسمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز لأنها تحب ذاتها.. والأمير العملاق في قراراته وحبه لمواطنيه بالتأكيد سيكون سعيداً أن يعيش معها أفراح مواطنيه عبر أيام اصطياف جميلة..



(*) الأمير عبدالله وريادة الآفاق البعيدة

ليست المملكة من صنف الواقفين في مواقعهم مكثفية بحقائق ثروة معدنية ومكانة دينية وأصالة عربية..

الذين يقفون في مواقعهم مهما كانت وجاهات حاضرهم تمر بهم قوافل الآخرين حتى ولو كانوا الأقل في حساب الوجاهات إلا أنهم بعد ذلك وعبر حسابات الزمن لا يلبثون أن يصبحوا «الأكثر» أهمية من جمود أولئك المتوقفين..

كنا بحاجة دائمة إلى من يهز ذلك اليقين المشكوك في مصداقيته من أننا الأغنى والأقوى والأحدث على الأقل في الشرق الأوسط، وكان الأمير عبدالله بن عبدالعزيز صادقاً وأميناً حين لم يواجه الناس بكلام ضبابي يساعد على إغفاء أطول، ولكنه قال بيقين العارف وبشغف رغبة المتطلع إلى واقع أفضل من أنه لا فرصة مرة أخرى لطفرة جيدة..

وهذا صحيح..

ليس لأن أسعار البترول غير قابلة للارتفاع فهي الآن في تصاعد واضح، لكن أوضاع الاقتصاد العالمي وضرورة تجانس تفاهم المنتجين مع المستهلكين تقضي بأن يكون هناك سقف لا تستطيع الأسعار تجاوزه.. وليس هذا كل شيء.. ولكن طفرة أمس أتت وهي غير موجهة لسداد مديونيات أو رفع أساسيات مستجدات اقتصادية للتنوع في مصادر الإنتاج والتكاثر في تحصيل الوارد وهو ما تتجه إليه دخول النفط في وضعها الراهن.. كانت تلك الطفرة - حلاً - ذهبياً لم يتطائر بمغامرات الأحلام مثلما حدث في دول أخرى في مقدمتها العراق والجزائر وبعض دول أخرى، ولكن حنكة التصرف حولت الحلم إلى عقلانية اقتصادية أشادت وبشموخ ما زال مرتفعاً ومدوي الصيت أساسيات التنمية الكبرى.. بعد ذلك ليس هناك طفرة.. ولكن هناك متابعة يرودها الأمير عبدالله بن عبدالعزيز عبر كل المسافات القصيرة والطويلة لكي تتعدد روافد النفط وتكاثر مصادر الاستثمار ويرتفع رصيد الزمالة الدولية عبر اتفاقات التعاون، أو على وجه أدق عبر استجابات متطلبات

المصالح.. مصالحنا التي لا يراد لها أن تقف عند حدود الارتخاء العربي، ولا أن تكون متهيبة من الزمالات الدولية أو متوقفة بانتظار إيماءات مصالح الآخرين.. خطوات العمل المتواصلة الآن هي أنه لا توقف بانتظار أحد قادم يبحث شؤون مصالحة.. ولا توقف عند حدود قناعة الاكتفاء بوجاهة ما، حتى ولو كانت مكانة دينية رفيعة أو أصالة عربية فاعلة، ولكن لا بد وباللحاح من يستشرف المستقبل ليختار من خارطته الأفضل كواقع قادم لأمته لا بد من الالتقاء مع الآخرين عند منتصف طريق كل غاية إيجابية ومصلحة بناءة لتؤكد النتائج ليس الأقوال مثلما هو مألوف عربياً أننا فعلاً نتعامل مع المستقبل ومتطلباته..



من كان.. إلى جيزان (*)

رجل المسؤولية الكفو هو ذلك الذي يجعل من المكان والزمان محطات انطلاق لأداء مهمات صعبة تنتهي ببسر النجاح، وسهولة الوصول إلى جلال الغاية.. يجب أن نعترف بأننا نعشق مثل هذا الأداء، يحدث للمرة الأولى فيشد انتباهنا.. يحدث للمرة الثانية فيأخذنا إليه مبهورين.. يحدث لمرات متعاقبة فيصبح أداءً متكرراً رغم صعوبته، متوالياً غير آبه بظروف تعيقه، أو تسأله بعض الراحة.. فتتابع هذا التلاحق.. التوالي.. وقد أصبحنا معجبين متابعين لفروسية أداء المسؤولية ذلك الأداء الذي يتوالى ما بين نيويورك، بيونس آيرس، كراكاس، ثم أخيراً جيزان.. وفي كل من تلك المحطات تتباعد مسافات هائلة.. وفي كل من تلك المسافات يتم أداء مسؤولية مبهرة..

ذلك كان سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز وهو يتحدث في الأمم المتحدة باحثاً عن أداء منظمة دولية لا تخلط الأوراق بدعوى العولة، ولكنها تميز وبوضوح ماذا يعانیه عالم جائع، وآخر مريض، وثالث يحبو في بدايات التنمية..

والذي يتحدث هو رجل قفزت بلاده، فطوت أبعاد المسافات لتكون قريبة من مكاسب العالم الأول. لكن رؤية أخرى في كراكاس تلتصق بهموم العالم البترولي الثالث، ولا تحبذ لغة العواطف، ولكنها تتجه إلى القوى المتدمرة من أسعار النفط كي تقيم معها حواراً تبنيه الثقة، وحسن النوايا كي تكون الأوبيك مصدر اطمئنان مشتركاً للمستهلك والمنتج.

إن كل تلك الأضواء العالمية المثيرة في كل من نيويورك وكراكاس وما تتجاذبه الأنبياء عبر العالم كله من إثارة وتشويق حيث الحدث يأتي على مستوى «اهتمامات عالمية».. كل ذلك لا يغري بالتوقف عند ذلك البريق، فجيزان وحدها هي ذات البريق الوطني الإنساني الذي لا يريد له الأمير عبدالله أن يكون مجرد تداول إخباري، ولكنه يريد أن يجد نفسه بين أبناء جيزان يعايشهم، يطمئن عن قرب على نجاح جهود الإنقاذ. وهنا في جيزان مواطن يأخذ مكانه بين مواطنيه حيث تتألق جيزان في ذهنه، وهي أكثر قرباً إليه من كل مدن العالم.

وتلك السواعد السُّمر فيها .. تلك الجباه التي لوَّحتها الشمس هي في مقدمة طلائع جنديّة
المواطنة علوماً وفنوناً وزراعة وانضباطاً في ألق الولاء.

عبدالله بن عبدالعزيز في جيزان يقف بين الطبيب والممرض ويطمئن على سلامة ونجاح
مهمات الأداء.

إن كل قرى جيزان تتراكم باهتمامات وبريق شوقها نحو الرجل الآتي لها بابتسامات
العافية.. وثمة إيقاع طروب يراهن على أن تلك القرى هي الأجل حيث تردد:
«مثل صبيبا في الغواني ما تشوف..»



رجل عاقل تحتاجه المرحلة.*

أعطى للعقل حصانة موفقة وللعاطفة ارتواء حماسها.. تخاطب مع إستراتيجية المستقبل بما تحتمه من خطوات وصول إلى ذلك المستقبل لأنه لا مستقبل يصل إلينا دون أن نسعى إليه إلا ويكون مستقبل غيرنا وتخاطب مع آنية الحاضر بما هي في أمس الحاجة إليه من حماية للوصول ولا تستطيع أي آنية زمن أن تكون أهم أدوات تحركنا تمد ذلك المستقبل وهي أسيرة برامج اقتصاد عدونا .

ذلك الرجل العاقل في كل ما قال كان الأمير عبد الله بن عبدالعزيز الذي لا أبلغ إطلاقاً إذا قلت أنه الوحيد الذي تحدث بما يرضي المستقبل ويعالج واقع الحاضر بما في ذلك حقيقة احتمال الحرب.. لكن أي حرب..؟..

إن العالم العربي ليس تجمعاً شبابياً يمكن أن يفاد في تظاهر خاطف ولكنه حضور اقتصادي واجتماعي وعقائدي واسع يضع حسابات دقيقة لكل تحركاته كي لا يدان بمبادرة خروج عن المشروعية وهو الذي يبحث عن الإدانة من عالم يتجاهل مع إسرائيل ما تفعله من تجاوزات ونهب حقوق وسفك دماء .

لقد قال: «إن الخيار أمامنا صعب ودقيق ولكنه ليس خياراً بين استسلام مذل ومهين وبين معركة تفرض علينا فرضاً دون أن يكون لنا أي إرادة في اختيار زمانها ومكانها وحتى أسلحتها.. بل هو خيار الوقوف بإيمان وثبات وصمود متمسكين بمبادئنا وحقوقنا المشروعة وقبل ذلك بحول الله وقوته.. إنه خيار الذي يرفض الرضوخ لأي قيود سياسية كانت أو عسكرية.. إنه خيار الاستقلالية في القول والاستقلالية في العمل».

هل من يريد أن يحارب يقول سوف أحارب.. أليس في ذلك تكرار لما حدث في عام ١٩٦٧ وتتحقق فرص لإسرائيل كي يُعيد العالم العربي إلى عام ١٩٦٧..

إن إسرائيل هي أكثر طرف يتشوق لو أن اجتماع القمة العربية قد أعلن قرار حرب حيث أشد ما تخشاه إسرائيل هو أن يكسب العرب تعاطف دول العالم وأشد ما تخشاه أيضاً أن

(* العدد ١١٨٠٩ ١١٨٠٩/٧/٢٦هـ، ٢٣/١٠/٢٠٠٠م)

يعلن العرب قرار الحرب في الوقت الذي يرونه مناسباً وهي تراه الآن مناسباً يخدم ظروفها ويقلل من عزلتها الأوروبية ويخفف بعض الخجل عن الموقف الأمريكي الذي ليس في مقدوره أن يكون منحازاً معها أكثر مما فعل..

ثم هل قامت حرب ما وعبر التاريخ إثر إعلان مسبق..؟.. لقد دعى الأمير عبد الله إلى وجود أمة قادرة على اتخاذ قرار الحرب بعد أن تتخلص من سلبيات علاقاتها مع بعضها وعلاقاتها مع إسرائيل.. وفي ذات الوقت أسس.. وحده قال ذلك.. لاحتضان انتفاضة الأقصى لثلاث تخبو أو تضيع مستقبلاً داخل الاحتواء الإسرائيلي أو أن تكون تحت رحمة ظروف اقتصاده عندما بادر مقترحاً تخصيص صندوقين اثنين واحد باسم صندوق انتفاضة القدس برأسمال مائتي مليون دولار وآخر باسم صندوق الأقصى برأسمال ثمانمائة مليون دولار وأعلن باسم خادم الحرمين الشريفين تبرع المملكة بتسديد ٢٥٪ من مجموع الصندوقين أي أن المملكة وحدها سوف تمثل مالياً ما لا يقل عن ست دول عربية ويجب ألا يقاس هذا العبء باعتبار أن المملكة دولة بتروولية فهي أيضاً مدينة.. وبين الدول العربية غير البتروولية من هي أفضل منها في ظروفها المالية وإنما يحكم ذلك حجم استشعار المسؤولية تجاه ما يحدث للفلسطينيين وللقدس العربية ولدفع الآخرين بالتالي نحو التأييد وهو ما حث فعلاً وسوف يجتمع وزراء المالية في الدول العربية بعد شهر لمباشرة التنفيذ.. ثم أردف أن شعب المملكة يتقدمهم خادم الحرمين الشريفين سوف يتكفل بدعم ألف أسرة فلسطينية عوائل شهداء وجرحى انتفاضة الأقصى..

هذا الموقف ليس إعلان «هبات» أو «صدقات» ولكنه أول موقف عربي وقد وقف خلفه الأمير عبد الله كي يتدبر العالم العربي مسؤولية صيانة الحياة الاجتماعية عبر أسس اقتصادية تصون وترمم وتجد في مواقع المقدسات وفي نفس الوقت تتيح فرص عمل وتسويق للمواطن الفلسطيني الذي كان قبل ذلك مرهوناً في معاشه وقدرته بسوق العمل الإسرائيلية وبهذا التدبير سوف يسقط من اليد الإسرائيلية ما كانت تملكه من تهديد وبخاصة أصحاب الظروف الصعبة، يضاف إلى ذلك إقرار إعفاء البضائع الفلسطينية من الجمارك عربياً، وكانت المملكة قد قدمت ذلك قبل القمة بأعوام..

هذا الموقف الذي وفر الدعم والاحتواء اقتصادياً لحركة المناضل الفلسطيني كي يزداد اشتعلاً داخل أراضيه في سبيل الحصول على حقوقه لم يستبعد الحرب في حقيقة الأمر فقد ألح إليها كبعض من خيارات الإرادة المشتعلة متى كان ظرفها مواتياً وكل حرب مرت بالبشرية كان من يبحث عنها يوفر لها ظرفها المواتي وإسرائيل حالياً تترصدها هذا الظرف الذي تعتقد أنه مواتياً لها..

والمملكة التي ترتبط بعلاقات تاريخية قديمة مع الولايات المتحدة الأمريكية عرفت جيداً كيف تفرق بين مصالحها وأمتها وبين مصالح أمريكا ونعرف جميعاً حالات الفتور المتعاقبة على مستوى العلاقات كلما طرأ تسخين على علاقات منظمة التحرير الفلسطينية وحكومة إسرائيل حيث ترفض المملكة ممارسة أي ضغوط على قيادة عرفات مما يغضب واشنطن وهو أمر معروف ومتكرر في حين يبادر آخرون داخل الخليج وخارجه إلى تلمس ما يرضي واشنطن كي يقتربوا منها.. لقد شدد الأمير عبدالله في خطابه على أهمية أو قطع علاقات وماذا يعنيه مثل هذا التودد بالنسبة لموريتانيا وهل كانت المغرب بحاجة إلى ذلك ولماذا لم يتصرف هؤلاء مثلاً ففعلت سلطنة عمان وتونس..5..

فعلاقات مصر والأردن ولبنان محكومة بمواثيق دولية، أما العلاقات الودية الأخرى ذات التبرير التجاري فليست إلا مجرد مجاملة طوعية لرغبة الولايات المتحدة الأمريكية..

بعد أن يستعرض الأمير عبدالله تعنت إسرائيل ومسلكتها العدوانية وعدم احترامها لكل إرادة دولية يقول: «في مقابل هذا المسلك الإسرائيلي والعجز الدولي عن احتوائه ولجمه فمن الطبيعي أن يتم التوقف عن إقامة أية علاقات مع إسرائيل وإلغاء أي نوع من العلاقات أو الصلات التي نشأت في ظل عملية السلام التي استهانت إسرائيل بكل متطلباتها وإننا نرى ضرورة ربط أي استئناف لهذه العلاقات بإحراز إنجاز حقيقي ليس فقط على المسار الفلسطيني بل وكافة مسارات هذه العملية»..

نعم.. إن الأمير عبدالله يتخاطب مع الواقع العربي ومستقبل المنطقة بوضوح فالسلام ليس مقصوراً على طرف معين ومن حق الفلسطينيين أن يتذمروا ويزدادوا شعوراً بالغبن وبالتالي انفجاراً يدفعون ثمنه بدمائهم عندما يجدون أن إسرائيل تقيس مسافة الأرض

التي هي بديلاً للسلام بالنسبة لمصر بما هو يعيد لها كامل أرضها وتقيس أيضاً مساحة الأرض بالنسبة للأردن بما يعيد لها أيضاً معظم أرضها ولا تعتبر المسافات اللبنانية خاضعة لقياس لأن انسحابها من معظمها تم بالرغم منها ثم يجد الفلسطينيون أن إسرائيل تقيس ما تريد أن تعطيه لهم إياه من أرض مقابل السلام بما تفضله وتختاره استراتيجيتها السكانية والجغرافية فهي بالتالي كانتونات مفرقة تفرض داخلها إسرائيل ما تريده من سلام..

لماذا لا يحق للفلسطينيين العودة إلى أرضهم ما قبل حرب ٦٧ وباقي العرب وافقت له إسرائيل بمعظم ذلك..

إن الأرض التي «تهندس» وهي مجرد مخاتلة موزعة بين المستوطنات هي مجرد أحياء صغيرة تحاصرها إسرائيل بصفة دائمة في ظل سلام تفرضه شرطة المستوطنات.. الأمير عبد الله أمام العجز الدولي وحتى استكمال قدرة المواجهة وتوقيتها المناسب شدد على العبارات السابقة التي ترفض مجدداً تلك العلاقات التي تمت في ظل عملية السلام ولا يجوز استئنافها إلا بإحراز إنجاز حقيقي على كل مسارات هذه العملية.. إنه لم يستخدم تعبير «تقدم» لأن ذلك قد يحدث أقوالاً ووعوداً أو ضمانات دولية قد لا تتحقق ولكن يشترط توفير «الإنجاز الحقيقي» حتى يجوز استئنافها ووجود صيغة الجمع في شمول المسارات إنما هو يضع الظرف السوري القادم في مقدمة الاهتمامات العربية والذي يجب أن توفر له واشنطن ثم إسرائيل عدالة الرؤية المنصفة لكي يتم تبادل الأرض السورية مقابل السلام مع جميع الدول العربية.. وليست حالة انفراد لاحقة بدمشق مثلما تحاول إسرائيل كسر العظم الفلسطيني باعتقادها أنها تمارس واقع انفراد بذلك العظم..

لقد تحدث الأمير عبد الله بعقل ورؤية من يتخاطب مع المستقبل ليس بتهدئة الأوضاع فهو قد طرح حلولاً عملية واقعية من شأنها أن تؤدي إلى قرار الحرب لو تأكد أنه الخيار الوحيد فالعرب ليسوا أساساً بين مأزقين: الحرب أو ذل القبول بالواقع الراهن.. لكنهم وبالعضوية الفاعلة داخل الجامعة العربية يملكون الكثير من الخيارات التي ستخدم بعضها حرباً كانت أو سلماً..

إن التخاطب حول ظروف المنطقة لم تكن فقط مع العالم العربي ولكنه كان يوجه إلى العالم

القادر على فرض السلام والذي عليه إذا أراد استقراراً ملزماً في الشرق الأوسط أن يجعل من إسرائيل دولة أوسطية في توجه مصالحها وطبيعة علاقاتها ومؤثرات أمنها بدلاً من تجاوزها لكل ذلك مسفهة بكل إيجابياته حيث تعتمد على علاقات معونات وحماية تأتيها خارج منطقة الشرق الأوسط حيث في ظل هذا الاختلال ستبقى إسرائيل وجوداً مرفوضاً ومهدداً لأمن غيره..

لقد كان الأمير عبدالله مهيباً في احترامه لجلال ما تتطلبه المرحلة التاريخية من صدق ومصارحة وعقل وإلا فما كان أسهل عليه من الحصول على دفء حماس العواطف وعواصف التصفيق لو استبدل الحديث عن حرج الواقع الفلسطيني بالكلام عن حصار «شعب العراق الشقيق» مثلما فعل البعض، مع أن شعب العراق ليس إلا رهينة نظامه وليس أسير عدو يقتله كل يوم مثلما هو حال الفلسطينيين أو وقف وأعلن أمام الحضور أن المملكة لديها خطة مواجهة عسكرية مع إسرائيل مع علمه سلفاً أنه لا يملك حدود مواجهة معها فالأمر مرهون بآخرين هم أدري بطروفهم أو أن المملكة سوف تتولى تمويل حرب تحرير يعلن في مؤتمر القمة.. علماً أن سوادة العراق في ذلك هي الهزيمة أمام إيران ولم ينقذ موانئه الجنوبية إلا الإمداد السعودي وكذا الهزيمة في أم المعارك بعد احتلاله الكويت.. هذا ما كان يمكن أن يحدث لأن الأمير عبدالله لم يذهب إلى القاهرة كي يقود مظاهرة خطابية ولكن لكي يقدم رؤية المصارحة والإيجابية عند رسم كل أنواع المواجهة ضد عدو متمرس في نهب الحقوق وتأليب الآخرين.

الأمير عبدالله وتوجيه مسار قمة متفاهمة (*)

قبل أن ينعقد مؤتمر القمة العربي كان صوت التناقضات العربية يكاد يطغى على أي صوت آخر في هياج يتبرع منادياً باللامعقول أو على الأقل اللامقن في خارطة العمل السياسي العربي..

كفاءة القدرة العسكرية العربية.. تباين مواقف الدول العربية في علاقاتها مع إسرائيل.. كانت هناك فوارق كبيرة بين مختلف الأفكار التي كانت تقال.. مثلاً من غير المعقول أن يتبرع بممارسة الحرب «العراق» من ليس له حدود مع إسرائيل فيأتي الأمر وكأنه مزايمة مع أن موقف العراق اللاحق في قمة الدوحة يعتبر جيداً بتفضيله تأجيل الملف العراقي وإعطاء الأولوية للملف الفلسطيني.. أو أن يتحدث أحد عن قطع علاقات مع إسرائيل بشكل عام حيث هناك فارق مثلاً بين مصر المرتبطة باتفاق تعاقدي لا يعني التعاون أو التطبيع وفق ميثاق دولي وبين قطر مثلاً التي لا يوجد ما يلزمها بفتح مكتب خاص لإسرائيل في عاصمتها.. وغير ذلك من التناقضات التي سبقت مؤتمر القمة العربي..

الأمير عبدالله بن عبدالعزيز في القاهرة نحى ذلك جانباً دون أن يدخل في حوار مع أحد عن جدواه.. لم يعط النقاش اللا مجدي في ذلك فرصته لأن يصبح وحده النتائج.. لكنه تقدم للقمة بأفكار عملية واعية وتطرح للمرة الأولى كمنهج دعم ومساندة لوجود الانتفاضة الفلسطينية وبوجود مال للانتفاضة يمكن أن تأتي في أشياء كثيرة بينها قوة الذات الخاصة..

لقد كان موقف الأمير عبدالله تأسيساً إيجابياً للحضور العربي خلف المقاومة بما تلاه من قرارات لعل أهمها انعقاد القمة سنوياً ثم إيقاف هرولة العلاقات مع إسرائيل خصوصاً ما ليس ملزماً ويأتي ملهماً فقط بحضور وهمي مع من هم خلف إسرائيل..

قمة العالم الإسلامي.. كان يمكن أن تكون مجرد مداولات كاملة وسط عدد كبير لن يجد

(*) العدد ١١٨٢٨ (١٥/٨/١٤٢١هـ، ١١/١١/٢٠٠٠م)

معظمهم فرصته للكلام وسيكون هناك شتات في الرأي لتمييز أهم الضرورات في النقاش وفي النتائج وستكون علاقة إسرائيل المعلقة مشجباً يمكن أن يعلق عليه كثير من اهتمامات المؤتمر..

الأمير عبدالله وبموقف واضح طالب صراحة بضرورة وجود «متطلبات» تتلاءم مع حقيقة ما يحدث على الأرض الفلسطينية من تشريد وقتل وما هو عليه المسجد الأقصى من محاصرة وإلا فإن المؤتمر لن يخرج بالأهداف المأمولة منه في مثل هذه الظروف.. أي يجب أن يكون دعم المقاوم الفلسطيني وإنقاذ المسجد الأقصى الغاية الأولى والأخيرة من مداولات القمة الإسلامية وكان ذلك يعني أيضاً ضرورة إغلاق المكتب الوحيد الباقي لإسرائيل في قطر حيث يتعذر أن تطالب القمة الإسلامية دول شرق آسيا الإسلامية أو إفريقيا بإيقاف التسلسل الإسرائيلي إلى بعضها ما دام موجوداً في مكان معين وبدون مبرر داخل العالم العربي فكان أن أتت الاستجابة بإغلاق المكتب الذي تأخر التفكير حوله كثيراً وبذلك فقد طويت صفحته فلن يطرح كيند إلهاء وتشيتت للاهتمامات.. بل ستتصب حوارات القمة كما أرادت لها المملكة حول وضع المقاوم الفلسطيني والمسجد الأقصى..

هذان موقفان إيجابيان ويتحمل رجولي للمسؤولية أعتقد أنهما يتوفران للمرة الأولى دعمًا واعياً وإيجابياً خلف انتفاضة المدن الفلسطينية والقدس أم المدائن.

(*) الأمير عبدالله تألق... هناك

الرائع أنه حدث هناك..

حيث نقلت الخبر صحيفة نيويورك تايمز عن كبار المسؤولين في إدارة الرئيس بوش إثر اجتماع قادة الرئيس لإدارة الأمن القومي الأمريكي..

وكان الخبر هو الأبرز يوم أمس في صحف النهار والمستقبل والسفير اللبنانية.. ونشرته أيضاً صحيفة الأخبار القاهرية.. بينما هنا محلياً نقلته «الرياض» والشرق الأوسط وتسنّى لنا ذلك بفضل متابعة الزميل أحمد اليامي مدير مكتبنا في نيويورك، لأنه لم يكن الهدف من الاعتذار الترويج الإعلامي وإنما إعلان الموقف السياسي. نحن جميعاً نعرف خصائص السياسة العربية وطبيعتها سلوكياتها وكيف أنها موهوبة النجاح في رصف أسطر مانشتات الصفحات الأولى إما بجملة عناوين تعدّ بآلاف فرص العمل وآلاف فرص مشاريع الإعمار الحضاري والرخاء الاقتصادي ومن ليست لديه معرفة مسبقة بتلك الموهبة يضع يده على قلبه تخوفاً أن تضع دول عربية عديدة المملكة في ذيل قائمة التسابق الحضاري، لأن المسؤول هنا يفقد هذه الموهبة ويفضل التعامل الواقعي والموضوعي مع الناس فيما بمقدور بلادهم أن تقدمه لهم ولا يلبث الناس أن يجدوا أنفسهم في الموقع الأفضل بين الآخرين العرب..

على مستوى الخبر السياسي فإن هناك رصفاً آخر من المانشتات السياسية التي تجعل المواطن العربي يشكك ما إذا كانت دوله المتورطة بالمعونات والمحاصرة بكثير من مشاكل الحدود وأزمات الاقتصاد والافتقار إلى تقنيات التكنولوجيا هي الدول الأولى، بينما تتدرج في عضوية العالم الثالث حكومات أخرى بينها لندن وواشنطن وباريس بسبب عنتريات الإعلام المحلي العربي.. في حين نجد أن الخبر السياسي في المملكة والذي يتخاطب مع القوى العالمية الكبرى يأتي دون تهويل إعلامي ويتجه مباشرة إلى هدفه السياسي مع الدول المعنية بالأمر.. أي هو خبر حقيقي يعالج واقعاً يحدث على الأرض ولا يقبل المسؤول هنا أن يهبط به إلى مستوى مزيدة إعلامية أو شعبية..

القوى الكبرى التي تدرك أهمية هذه الجدية وموضوعيتها وكونها تصدر عن تصميم قومي يلتزم بثوابته التي لا يأخذ قوة نفاذها وارتباطه بها من أحد فتحترم هذه القوى الكبرى الموقف السياسي الذي تمليه هذه الجدية وتربطه فوراً مع تداعيات علاقات مصالحها..

سمو الأمير عبدالله.. ولي العهد.. الذي وصفته النيويورك تايمز بأنه الرجل القوي الذي يدير الأمور بجدية متناهية ويمثل أقوى الحلفاء.. يجد رأي الإدارة الأمريكية أن كل روابط المصالح المشتركة بين الدولتين لا تمثل مانعاً عارضاً لنفاذ الرأي القومي المطالب بحيادية الراعي الأمريكي في شؤون الشرق الأوسط وبالذات مأساة الموقف في فلسطين.

لم يكن هذا هو الموقف الأول للأمير عبدالله الذي قبل أن يرفض دعوة زيارة واشنطن في رحلته القادمة ما لم يطرأ تعديل على الموقف الأمريكي سبق قبل عامين تقريباً أن رفض صدور بيان مشترك مع الرئيس كلينتون ما لم تكن هناك إشارة واضحة إلى وضع مدينة القدس يتسق مع أهميتها العربية، وبين الموقعين أعلن الأمير عبدالله استمرارية السياسة السعودية الواضحة المعالم حيال التعامل مع المناضل الفلسطيني فكان إلى جانب فتح معظم مستشفيات المملكة للمصابين وفتح مهرجانات التبرع الأهلية للمناضلين قاد سموه مبادرات فاعلة وإيجابية في مؤتمر القمة العربي الذي عقد بالقاهرة حين أعلن التبرع لصندوق القدس والتبرع للمناضلين في وضوح وطني جعل الأمير عبدالله المملكة تتفرد بذلك الاحتضان الراعي لكل هموم النضال الفلسطيني وهو احتضان لمست تقديره في دبي من صحفيين فلسطينيين شاركوا هناك..

يكرهون من..؟ ولماذا..؟ الأمير عبدالله.. مخاطبة العقل أولاً^(*)

خطا الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد خطوة غير مسبوقه حين توسط نخبة من مديري وأساتذة الجامعات على اختلاف اهتماماتها ونخبة أخرى من المثقفين المتعاملين مع الرأي العام وكذا رؤساء تحرير الصحف المحلية لكي يدير معهم حواراً بناءً لا يعطي فيه تعليمات مغلقة ولكنه يطرح آراء ويستقبل مثلها.. يوضح حقائق في لقاء نخبة جماهيري لم تكن غاية الطرح إعلامية أساساً ولكنها لوضع المجتمع عبر نخبة الأكاديمية والثقافية والإعلامية في عمق الحقائق السياسية.. إنني واحد ممن التهب شبابهم حماساً عروبياً في ذلك العصر الذي كانت فيه العواصم العربية تدار جماهيرياً من خلال مواقع العاطفة في قلوبها، ولم يحدث أن وقف زعيم بعثي أو قومي أو شيوعي وهم فئة الأغلبية القيادية آنذاك بين ما يقارب الأربعين والثلاثين عاماً ليقول للناس الذين بمقدور عقولهم ومواقع عملهم وقدراتهم الاقتصادية اتخاذ مواقف إيجابية في مفترقات طرق المصير العربي ما يضعهم داخل صورة العقل السياسي والاقتصادي العالمي القائم.. ولذا توالت عدة هزائم محلية في الاقتصاد والإدارة والعلوم ومثلها حدودية في مجال الصراع العسكري ومثلما تهاوت اقتصادياً مواقع مرموقة فقد سُلبت أراض لم تكن مهددة فكانت القيادات آنذاك تعتقل من هم في موقع التأثير إيجابياً على الرأي العام وتتجه إلى الشارع كي تستثير جماهيره بكل مغريات العواطف على الجموح والتبديد والتهور.

الأمير عبدالله.. وكعادته.. اتجه إلى العقل في الوجود السعودي وتخطب معه عبر حقائق يعرفها شخصياً وإذا ما أعلنت في زمن لاحق فسيعرف العرب كل العرب أنه لم يبذل رجل قيادي فكره ووقته وعلاقاته من أجل قضايا أمته مثلما فعل رجل الساحة الأبرز فعلاً وقولاً.. عبدالله بن عبدالعزيز..

وعدا ما لا يمكن قوله مما هو رائع ومثير فيما تبادلتها «أسرة» الاجتماع فإن سموه الكريم

(*) العدد ١٢١٧٨ (١١/٨/١٤٢٢هـ، ٢٧/١٠/٢٠٠١م)

قد شدد على التمسك بحقيقة هامة تعتبر محور وأساس الوجود السعودي محلياً ومحور وأساس الرسالة الإسلامية الإنسانية التي تؤديها المملكة إسلامياً وعربياً.. حيث لا تفريط كما كرر بالانتماء الإسلامي وكما أراد الله له أن يكون ولا بالانتماء إلى وطن دفع منذ وقت مبكر قبل أن تنتشر عداوات حضارة العصر الكثير من الضحايا خلف أول رائد وحدوي عربي.. عبدالعزيز.. كي تقام هذه الدولة التي تتوفر لها كل أسباب تواصلها مع مجدها وخصوصيات وجودها.. نحاور ونتبادل الآراء.. ونخدم المصالح المشتركة.. كل ذلك يتم في رؤية عبد الله بن عبدالعزيز لكن دون أي مساس بالانتماء الإسلامي ثم الوطني.. وأكد الأمير عبد الله ان الحملات الشرسة إنما تنفذ بعداء متمكن وشرس ضد استقلالية القرار السعودي وضد الانفراد بالخصوصية الإسلامية النبيلة في علاقاتها ووسطيتها.



(*) الأمير عبدالله وزاوية المثلث

في كل لقاءاته شدد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز مع رجال ونساء الواجبات القيادية في مختلف المرافق على التعامل بسياسة الممكن مع الظروف الراهنة، وأنه في حين تختلط كثير من الأمور وتتغير الصداقات وأولويات العلاقات فإن النجاح الباهر لمن يقود دولة ما زالت تبني نفسها، لن يتمثل في ترصيع الكلمات الرنانة ولا الوعود بأوهام كسب حروب غير مبررة أو رصف الناس على امتداد طريق الأمل بحثاً عن طفرة عابرة، وإنما سوف يتمثل النجاح بتقويم جبهة الداخل من خلال تلاصق صفوفها وتماثل أفكارها وأهدافها ثم التعامل بحذر مع حالة الخلط الدولية القائمة للعلاقات..

الزاوية المشتركة في كل أحاديثه ولقاءاته على المستوى الآنف الذكر تشدد على أن ممارسة سياسة الممكن إنما يتم بها استكشاف مسارب النفاذ نحو الوضع الأفضل والعلاقات الأفضل داخل هوس ذلك الخلط الذي أصبح يتحدث عن الحروب الجزئية المتقلة مثلما يكون الحديث عن مواقع مضاربات واستثمارات مالية مختارة..

لقد ضاقت المسافة كثيراً بين الخطر والحذر.. بين الخطأ والصواب إلا أن الأمير عبدالله يؤكد على أن هذا الممكن لن يتساهل في حماية الحقوق ولن تكون هناك أي منافذ خطر تهدد الدين أو الوطن أو هما معاً..

الدين والوطن تكررنا عشرات المرات في كل تلك اللقاءات وكأنه فيما يتناوله مباشرة بالمعنى المقصود من العبارة هو أيضاً يرسم إطاراً رجوليّ التصميم وعقائدي اليقين يرى فيه ما يؤكد وحدة الناس وتلاقي أفكارهم وأهدافهم.. إطاراً لا يساق إليه الناس دون قناعة ولكنهم يأتونه طوعاً حيث لا عقيدة ولا وطنية عند من لن يكون ساعد قوة دين ووطن..

يجدر بنا هنا ملاحظة أن الأمير عبدالله قد أسقط إحدى زوايا المثلث فقد تعودنا في العالم العربي على سماع النداءات الإعلامية وهي تحاول أن ترسخ في الناس الولاء للدين والوطن

لكن يأتي قبلهما كهدف أهم «الزعيم» ولا أتصورنا قد نسينا ذلك الهدير الصاخب الذي كان ينطلق من عواصم عربية كثيرة مشيداً بالولاء للزعيم والدين والوطن بل في بعض الأحيان يتم إسقاط كلمة الدين معتبرين ومعتدين بعبارتهم الشهيرة التي ترى أن الدين لله والوطن للجميع..

الأمير عبد الله يسقط كلمة «الزعيم» لأنها ليست أساساً في منظوره وممارساته هدفاً يسعى إليه ولكن التحذير من التفريط بأي شيء يخص الدين والوطن، والتأكيد بأن ذلك لن يحدث يجسد فعلاً توجهات الناس وهي تلتقي عفويًا بقيادة الزعيم..

ليس هذا هو فقط مصدر الاختلاف بيننا وبين الآخرين لكن مناسبات التبرعات الخيرية والإنسانية والتي لا نسمع بمثلا عند غيرنا تبرز فينا أصالة التواصل الإنساني في نفوس إسلامية المعتقد والولاء.. في مجتمع لم يكن في أي يوم غير ما هو عليه من حرص على عفاف الشارع والبيت والتعامل.. أليس هذا الإيجاز عن الصورة الرائعة هنا يبرر لنا أن نتمسك أكثر وأكثر بكل ما يوحدنا من روابط دين ووطن وبالإكبار لكل من هو حريص على توثيق هذا التوحد؟..

الأمير عبدالله.. من مسقط بعد القاهرة.. مخاطبة الحقائق القائمة (*)

دائمًا في مؤتمرات القمة العربية أو القمة الخليجية يكون هناك مؤتمر رديف.. غير متناسق وغير مدعو مسبقًا إلى ائتلاف رؤية أو تنسيق جهود، ولكنه يحدث بين فرقاء تجمعهم مهماتهم الإعلامية للبحث عن الجديد في المؤتمر الأصل، ولهذا تتسابق المصادر الإعلامية المختلفة على كسب الآراء والتوقعات في وقت يعتبر إنجازًا إذا حدث قبل البيان الختامي بساعات..

حجب القمة العربية عن أن تكون سنوية أبقى لها بعضًا من بريق، بل جعل أسباب انعقادها حدثًا يستطلع قبل أن تعقد، لكنها بأي حال لم تعد مثل قمم الماضي.. ليس لأن ما هو ممكن أصبح يقلل عما كان في أمس، ولكن لأن الناس لم تعد تفاجئهم مراوحة الصياغات والمرئيات التي لم تسفر أبدًا عن موقف محلي عربي عام أو سياسي يلتزم به الجميع..

لم تستطع قمة أن تحل مشكلة عمالة جاهلة أو حرب قبائل أو نزاعات حدود أو تعاضد مصادر إنتاج اقتصادي. وبالتالي فهي تفشل في توفير موقف سياسي مؤثر وفاعل لا يستطيع تحقيقه فرقاء ربما يحذرون بعضهم أكثر مما يحذرون غيرهم، وإذا كان هذا هو شأن القمة العربية فإن الأخرى الخليجية قد أدى بها استمرارها السنوي وبطء تحركها محليًا ودوليًا رغم التجانس والتماثل المذهل لأن تتحول إلى عمل روتيني جعل المؤتمر الرديف أي التواجد الإعلامي يكف عن ذلك البحث اللاهث عن جديد. فكل ما هناك هو متابعة لتطورات شأن يخص التعرفة الجمركية أو غرف الجوازات في المطارات..

الأمير عبدالله بن عبدالعزيز.. من مواقف مثلنا بها أعاد للمؤتمر الرديف حيوية متابعته وللمؤتمر الأساسي خليجيًا أو عربيًا حقيقة ضرورة مواجهة مسؤولياته، فمساء اليوم الأول بعد جلسة الافتتاح أخذ الكل يتداول المضامين الساخنة الواضحة الصريحة في كلمته التي لم تكن أقل وضوحًا في الالتزام نحو تحمل المسؤوليات مما فعله في القمة العربية التي

(*) العدد ١٢٢٤٨ (١٠/٢١/١٤٢٢هـ، ٥/١/٢٠٠٢م)

حاولت أن تعالج الوضع الفلسطيني حين بادر إيجابياً بطرح مباشرة المسؤولية من خلال صندوق الانتفاضة والأقصى ضمن أطر من المفاهيم أرادت أن تجعل الهمّ الفلسطيني همّاً مشتركاً. وكان يدعم ذلك منه إيجابياً وميدانياً مواقف معلنة مع عواصم القرار الدولية..

الأمير عبدالله.. في مؤتمر مسقط استشعر خطورة المرحلة، ليس لأن مواجهة الإرهاب تستدعي تعاوناً إقليمياً فهذا ممكن ولا لأن حملات إعلامية غربية تحاول خلط الأوراق ما بين واشنطن والرياض فهذا أمر يمكن تجاوزه بثبات إيجابيات التعاون والصداقة، ولكن لأن العرب ما عادوا يواجهون مشكلة فلسطينية محدودة المكان، وإنما هم يواجهون مشكلة وضع عربي عام عاجز عن فعل أي شيء إيجابي للمشكلة الفلسطينية التي كانت أولى فإذا بها تتراجع إلى ترتيب أدنى كما هو عليه ترهل الوضع العربي العام.. يجتمعون وفي الجنوب الإفريقي العربي صومالياً أو سودانياً قتال وفي الركن الشمالي الغربي لإفريقيا تحفز لاحتمال مهمة قتال وتتحرك دول صغيرة في منطقة الخليج بتأثير حساسية المسؤوليات وضغوط الشعور بتداول حوار الحكومات بتحفظات ما لها من سيادة أكثر مما تتجاوز وفق أطر مصالح شعب واحد..

الديون العربية بصفة عامة مرتفعة.. المقدرات الاقتصادية الزراعية والتعدين نائمة مؤجلة.. في مصر يبحث الجنيه عن مساندة أمام هجمة سعر الدولار، وفي سوريا خرائط من مغريات السياحة في صلنفة واللاذقية وبلودان، لكن هناك تحفظاً على الخروج من قيود الاقتصاد وفي نفس الوقت مهمة مقدسة لمراقبة زناد البندقية.. ولبنان غارق في تعريف ما هو عمل وطني وآخر يجرح الاستقلال..

إن الرؤية المتقدمة جداً التي يستشف بها الأمير عبدالله حقائق نمو المشكلة العربية العامة التي تجاوزت حجم المشكلة الفلسطينية تطرح أمام جزء من الوجود العربي العام في الخليج مسؤولية التحرك الجاد نحو تحقيق واقع عربي جديد لا تشغله عقد حساسيات السيادة أو ترف الإدارات فيما تبحث الشوارع عن عمل وغذاء..

الأمير عبدالله ذهب إلى جازان.. ثم أتى بها إلى الاستثمار (*)

لم يكن يخطر ببال أولئك المنتشرين حول أجمل السواحل في «كان» الفرنسية أنهم فجأة سوف يدعون إلى رحلة لم تكن ضمن برنامج التنقلات وذلك حين عزم صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز على الانتقال إلى جازان مباشرة دون المرور بأي مدينة أخرى فور سماعه أخبار مرض الوادي المتصدع الذي هدد بعض السكان هناك وذلك في نهاية جولة سموه على بعض الدول في زيارات رسمية.. ولا شك أن أصحاب الصيدليات في «كان» لم يعرفوا سر ذلك التدافع من غرباء هم نحن لشراء مراهم خاصة تقي من خطورة لسع البعوض.. لقد دخلنا الطائرة وجميعنا مثل النحاس اللامع حين يتعرض لوهج الشمس لفرط ما أفرغ الناس على بشرتهم من تلك المراهم، وحده الرجل الكبير في اهتماماته ومساعيه.. الأمير عبدالله خرج من الطائرة دون أن يمسه شيئاً من تلك المراهم واتجه فوراً إلى المستشفى بعد الوصول وأذهلنا نحن الذين جعلنا تهويل أخبار ما يحدث في جازان نتوهم البعوض في مثل خطورة صواريخ سكود التي أمطرنا بها من قبل صدام حسين.. لفت انتباهنا أن الأمير عبدالله لم يكن يقف قرب أبواب غرف المرضى مستفسراً ومطمئناً ولكنه كان يتوغل في غرفة المريض حتى يقف بجانبه ويصافحه ويسأله عن مدى العناية به.

ذلك الإنسان.. المواطن الشجاع.. الذي أذكر أن المرحوم محمد الأحمد السديري قال لي: إن الجيزاني الشجاع في قتالنا دفاعاً عن حدودنا يتصرف كالنمر.. وكتبت أكثر من مرة عن رحابة استيعاب جازان لمختلف الفنون وإبداعات الثقافة حتى ليصبح أن يقال بأنها أرض تذوق رفيع في لهجتها وأشعارها الشعبية وأغانيتها، هي المتفردة بجمال بداوة البحر وهذه العبارة أطربت الأستاذ محمد عبدالقادر علاقي الذي اتصل بي آنذاك متذوقاً لذلك الوصف.. بداوة البحر.. الناعمة.. المترفة الكلمات.. رغم قسوة الطبيعة وقسوة الفقر.. ذلك الإنسان الذي ذهب إليه الأمير عبدالله بن عبدالعزيز كي يطمئن على سلامة صحته ها هو

سموه يأتي به إليه عبر رعاية منتدى الاستثمار الزراعي لمنطقة جازان وسهول تهامة لدراسة أضخم مشروع استثماري زراعي إذا نجح إن شاء الله سوف يغير من لغتنا الغذائية، ولن نتساءل عن هوية المانجو أو البابايا ما إذا كانتا من الهند أو ماليزيا.. وإنما هما جيزانيتان من أرضنا.. جازان الأرض والبشر هما أكثر مناطق المملكة قبولاً في الانخراط بجدية في أداء المهن الراححة التي تبدأ من الصفر وتنتهي بالملايين. وهذا الاهتمام الاقتصادي والبشري من قبل سمو الأمير عبدالله ليس بالجديد أو الطارئ فهو جزء من مسلكية قيادية واقعية أعلنت بوضوح أنه لا مجال لطفرة أخرى قادمة وأن المجال واسع وفسيح لاستيعاب الجهود الاقتصادية الجادة المتجهة نحو تنويع مصادر الدخل وتنويع فرص العمل أمام المواطن.

مسلكية تدرك أن الفرص ما زالت في يدينا واسعة كي نخرج من قائمة المدين إلى قائمة الدائن متى تعاملنا بوعي وإيجابية مع الفرص المتاحة. سواء تعلق الأمر بتنوع فرص استثمار ما يتعلق بإنتاج النفط من بتروكيماويات أو مصادر تعدين أخرى ثم يتوج ذلك بتأهيل مناطق زراعية جديدة مثل جازان كي تأخذ دورها في مجال دعم التنمية الوطنية.



الأمير عبدالله.. حديث حقائق أصبحت حديث مؤتمر (*)

مساء يوم الثلاثاء شهدت طهران حضوراً إعلامياً مكثفاً تكاثرت فيه وجوه بارزة من إفريقيا وآسيا والعالم العربي وأعطت إيران أهمية قصوى عندما استمع المؤتمر إلى كلمة راقية المفاهيم من الرئيس خاتمي ثم في الظهيرة خطاب من المسؤول الأول عن القضاء وفي اليوم التالي تحدث الرئيس رفسنجاني.. وكان هناك متحدثون بارزون من أوغندا وماليزيا والسنگال والأردن وفلسطين وتونس ودول أخرى لا يحضرني ترتيب تعاقبها على منصة الرئاسة، وكان محور حديث الجميع هو موضوع المؤتمر «مسؤولية دعم الانتفاضة الفلسطينية» عبر مرئيات مؤتمر دولي إسلامي عقد لهذا الغرض.. كانت هناك استراحات بين الجلسات تصل في اليوم الواحد إلى أربع مرات وحينها نختلط جميعاً في حوارات صالة التجمع الفسيحة الأبعاد.. كثيرون تحدثوا معي.. فلسطينيون.. حزيون عرب.. إسلاميون ليبراليون متعاطفون مع الحق الفلسطيني عبر شاشات محطات تلفزيونية محلية ولبنانية، وأطربني.. نعم.. أكرر.. أطربني أن يكون رجل من بلادي هو الذي استقطب حوار الجميع.. هو الذي دفعهم إلى كي يسألوا عنه.. كان الأمير عبدالله بن عبدالعزيز يملأ كل المكان الاحتفالي الإيراني بعبارات وأفكار التأييد للانتفاضة الفلسطينية.. يملؤها بمواقفه الشجاعة والصريحة وسط صمت عربي مطبق من ناحية، وانكسار يدعو إلى «التوسل» من ناحية أخرى..

كان عندهم يمثل نموذجاً جديداً بين قيادات عاصرت القضية الفلسطينية عشريات الأعوام.. عودتهم على بريق الأمانى.. وقادتهم في الحروب الخاسرة... وقامرت بقضايهم في الخصومات التي لم تكن مبررة.. ويرون.. البعض الذي تحدث إلي.. أن الأمير عبدالله لم يرفع صوته الصريح وهو مباع لطرف دولي آخر، كما كان يحدث عند الآخرين زمن الحرب الباردة.. ولم يكن أيضاً يستجدي الشارع هتاف تصفيق عارض.. ولكنه يتجه إلى أقرب الحلفاء والأصدقاء.. أمريكا ليقول لها ما هو خطأ وما هو صحيح..

(*) العدد ١٢٢٧٦ (١٩/١١/١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢/٢/٢م)

تبسيط عبر النيويورك تايمز والواشنطن بوست في أفكار لم تكن موجهة إلى الشارع العربي مثلما هي عادة القادة العرب ولكنها موجهة إلى المواطن الأمريكي ثم رجال الحكم الأمريكيين في قفزة بالأفكار والمرئيات الإعلامية إلى حيث يجب أن نكون مسموعين.. وفي المساء حدثتني فضائية «ام بي سي» عن حوار الأمير عبدالله مع الصحيفتين الأمريكيتين وما هو الانطباع عنه.. وفي مثل ذلك الجو العربي الإسلامي المشحون بسخونة التقدير للرجل قلت ما معناه: إن الأمير عبدالله لم يكن يستفز فهو يتعامل مع أصدقاء وذوي مصالح مشتركة، لكن في نفس الوقت هو أيضاً «يتوسل» لأنه ليس في موقف ضعف أو تلون ولكنه من موقع مصارحة قوي يؤكد للأمريكيين أن صديقاً واضحاً يتحدث عن الحقائق كما هي هو أفضل كثيراً من صديق يجاري رياح الأحداث حتى ولو كانت خاطئة التوجهات.. لقد كان يجزم بوجود ضمير أمريكي يمكن الاعتماد على صواب توجهاته لو أدرك الحقائق وهو من موقع معاينة قريبة من واقع الحدث، يضع أمام هذا الضمير بأسلوب ممتع الصياغة ونافذ التعبير وقائع ما يحدث بين أنقاض الفلسطينيين.. أم تضع مولودها على أبواب المخافر وأب يبحث عن أفراد الأسرة من تحت الأنقاض، وطفلة يتوعدها اليتيم في شهورها الأولى..

المصادفة الغربية أن حديث الأمير عبدالله نشر قبل مؤتمر طهران بيوم واحد ليكون حديث الناس في وبالذات من هم أقرب إلى المسألة من فلسطينيين ولبنانيين.

الأمير عبدالله..

إيجابية الأفكار ومصادقية الموقف.. (٢٠١) (*)

دائمًا يستطيع الأمير عبدالله بن عبدالعزيز أن يشغل الناس في الداخل أو الخارج بما هو جاد.. لم يكن أبدًا في أي يوم رجلاً ثانوي التأثير، فهو صاحب مبادرات ينقل بها الاهتمام العام.. داخليًا وخارجيًا نحو ما هو أهم.. وكلنا نعرف الكثير عن ذلك وما عرف باسم مبادرته للسلام يعطيه موقع الأولوية في موقع إيجابيات التداول..

في تصريحاته عن خطابه الذي قال إنه كان يزعم إلقاءه في مؤتمر القمة العربي القادم لولا مسلكية شارون العدوانية على الفلسطينيين ونقل ذلك عنه الصحفي الأمريكي توماس فريد مان، هو في الواقع لم «يتواصل» مع مقترحات سلام سابقة مثلما أشارت بعض المقالات، ولم يمارس أيضًا نشر تقرير عن أهم ما يمكن أن يحمله بيان قادم لمؤتمر عربي قادم.. لأن أفكار السلام لم تكن جديدة في المنطقة ولم تكن المملكة بعيدة عنها، وتشرط دائمًا التلازم مع السلام الفلسطيني ولم تصبح أيضًا أفكار السلام العربي جماعية الموقف بعد أن اخترقها بعض علاقات مع إسرائيل لم تصل إلى مرحلة التطبيع الشامل وحتى هذا الشامل فإن الأمير عبدالله يستبقه بعد استطلاع التصرفات ثم الإجراءات الإسرائيلية وليس الأفكار فقط.. من ناحية أخرى لن يستطيع أي مؤتمر قمة عربي قادم أن يعرض التوجه نحو خطوة متقدمة في الحوار مع إسرائيل ما لم تكن هناك أجواء دولية تحفز على ذلك ونحن نعرف أن المناخ السياسي الأوروبي فيه بعض مظاهر التحفيز، أما الأميركيون فإنهم يفضلون استمرار تجربة شارون قائلين للطرفين: اتفقا وأبلغانا بما اتفقتما عليه.. وبالتالي فهنا سيكون الموقف الأقرب للإيجابية من القمة العربية أن يشعر الجانب الفلسطيني بالمؤازرة والجانب الغربي بالعتاب لو كان ينفع عتاب في هذا العصر.. إذًا فالأمير عبدالله قد أخرج مراوحات السلام القديمة من عقدة اختلافات التفسير لمراحل الإجراءات، وأيضًا احتمال تحقيق فرصة السلام الشامل الذي لا يتوقف عند حدود دول المواجهة وعلى لسان

رجل دولة ثقل عربي وإسلامي لها حساباتها وأهميتها بشكل يختلف عن أي دولة عربية أخرى متى تجاوز الأمر مسألة المواجهة والتي أصبحت مقيدة بمعاهدات سلام وانفرد الفلسطينيون بتحمل مسؤولية أقسى مهمات المواجهة.. وهي مسؤولية متميزة التضحيات عبر كل التاريخ البشري.. وفي نفس الوقت أخرج المتفجر الأمريكي من موقف الانتظار للاتفاق أو نهاية المذبحة نحو حقيقة أطروحة سلام جديدة تقودها قوة عربية إسلامية تعودوا منها مصداقية مواقفها وسيكون أيضاً بذلك لدى الأوروبيين ما يخرجون به الموقف الأمريكي لو أراد مواصلة الابتعاد.. وأيضاً وهذا مهم للغاية في حالة الفشل على اتفاق سلام يقدم له الجانب العربي مصداقيات التنفيذ، لن يكون لدى القمة العربية بعد ذلك أدنى حرج لو رأت أن السلام لن يتحقق إلا بدعم المواجهة الفلسطينية فقط ما دام أنه لم تعد هناك مغريات سلام منطقية يمكن أن يحصل منها الفلسطينيون على ما سبق أن أقرته لهم الأمم المتحدة في تصويت دولي لم يكن العرب فيه وحدهم أصحاب القرار..

في واقع الأمر.. الأمير عبدالله لم يطلق مبادرة تضاف إلى غيرها، ولكنه وضع أمام الطرف الآخر أمريكياً أو إسرائيلياً موقف اختيار جاد متكامل الإيجابيات إذا كانوا فعلاً يريدون السلام.

الأمير عبدالله..

إيجابية الأفكار ومصادقية الموقف.. (٢-٢) (*)

بوقاحة لم يقترفها من قبل أي فاجر استباح دم الإنسان - أي إنسان - كي يخلق معجزة وطن من فراغ، يجد شارون نفسه في سباق مع الزمن في عمره، وفي عمر رئاسته.. كم من القتلى الفلسطينيين بينه وبين لحظة الاستسلام التي يوقع فيها عرفات على وثيقة استلام وطن من القبور تتخلله أذرع الاستيطان الإسرائيلي.. مأساة ما يحدث داخل الأرض الفلسطينية لم تعد تتحمل مزيداً من حوار يناقش عند أي نقطة تتوقف أو تتمدد الحدود، ومن هم إرهابيو الأرض المحتلة.. وكيف سيعالج العرب ما بقي لهم من حدود داخل الاحتلال الإسرائيلي، وبالذات الجولان، وبقايا الجنوب اللبناني، وما حقيقة استقلال الشريط الأردني المتاخم لإسرائيل.. كيف سيعالج ذلك بعد أن يفني شارون كل السواعد الفلسطينية القادرة على حمل السلاح..؟

مع هذه الصورة المكفهرة المليئة بالتشاؤم ومبررات الخوف والدمار من التحول إلى التعامل مع أرض محروقة، لا يعرف ما هي أبعاد حدودها ولا يكفي باقي العمر في حياة شارون كي يعطي إسرائيل امتداداً عدوانياً يتجاوز ما هي فيه الآن، ويلبي شراسة ما هو قادم من مقاومة شعبية..

مع هذه الصورة التي وضح من قبل أن الأوروبيين أدركوا مخاطر التحول إليها فيما اهتزت الأكتاف الأمريكية في تعبير راقص عن عدم اللامبالاة، ما لم يأت الفرقاء مع بعضهم إلى واشنطن بحثاً عن توثيق الغبن.. مع هذه الصورة المفزعة عن مستقبل أكثر تردياً، أطلقت مبادرة الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، وهي تلغي فيما تلوح به من نتائج، كل وسائل المراوغات والمراوحت تعطيلاً للمسار نحو تلك النتائج.. الأمير عبدالله بن عبدالعزيز لم يقدم أفكاراً لمشروع عربي. ولا حواراً مع فرقاء دوليين، ولكنه اتجه مباشرة إلى نهاية العمق الذي يمكن أن تصل إليه أي مباحثات إيجابية للسلام بين العرب وإسرائيل، وهو لم يستعمل

(*) العدد ١٢٣٠٥ (١٩/١٢/١٤٢٢هـ، ٣/٣/٢٠٠٢م)

أي أسلوب معالجة سابق للسلام بمثل ما فعل من هم قبله بما في ذلك السادات الذي أنجز البعض وورط الآخرين بمضاعفة مخاطر البعض الآخر، ولكن الأمير عبدالله أعطى تصوراً لقمّة عربية يعرض عليها مآلاً نهائياً لصراع طويل يمكن الاتفاق على نتيجته النهائية أولاً.. العودة إلى حدود ٦٧م كما ينص القرار ٢٤٢ مقابل تطبيع يعني توفر كامل العضوية لإسرائيل بين دول الشرق الأوسط، وهو ما لم تستطع أي مساعي سلام سابقة أن توفره لتل أبيب، مثلما أن أي مطالبة بالحقوق العربية سابقاً لم تستطع استيفاء نص القرار ٢٤٢ بالعودة إلى حدود ٦٧م بالنسبة لكل خطوط التماس القائمة مع إسرائيل، وبطبيعة الحال فإن العودة إلى حدود ٦٧م إنما تعني بالنسبة للجانب الفلسطيني الحصول على مساحة دولة تعثرت في تقييم أبعادها كل مباحثات السلام السابقة..

الأمير عبدالله اتجه إلى الهدف وفي موافقة الآخرين معه على ذلك، إنما يعني الأمر اتفاق الجميع نحو الوصول إلى هدف واحد مشترك، ثم يترك للمباحثات اللاحقة ما ستعنيه التفاصيل من اعتبارات ثانوية لن يكون فيها تعطيل للوصول إلى الهدف المشترك المتفق عليه سلفاً..

التبني العربي لأفكار الأمير عبدالله (*)

لا نستطيع أن نبرر ولع القنوات الفضائية باستضافة أسماء إعلامية لم تكن معروفة إطلاقاً قبل تلميعها التلفزيوني وليست تشغل مواقع مرموقة في صحف مرموقة إلا بأنها مولعة بإثارة اهتمام المشاهد بما هو خارج المؤلف..

مساء أمس الأول - الثلاثاء - دخلت المركز الإعلامي الذي يبدو وكأنه قطاع أضييق من انتشارات الخيام في منى أثناء موسم الحج وكنت أقطع الطريق بين تجمعات تتحلق حول اسم أقل من مغمور في لندن يراهن على أن الغياب العربي عن قمة بيروت يحدث بسبب المبادرة السعودية.. آخر يأتيني صوته من خيمة تسجيل وهو يقول إن المبادرة تعني تطويق الانتفاضة بالحل السلمي.. وتمثل مسعى أمريكياً في الأصل لكبح جماح اندفاع الانتفاضة.. ثالث يتماذى في الإسفاف فيقول ليفصل القاسم إنه يتحدث من المغرب ويوجه كلامه إلى العرب من المحيط إلى الخليج ثم يستدرك.. أو عفواً.. الجحيم.. ولا يحرك القاسم ساكناً أمام مثل هذا التطاول الذي قد يكون آتياً من مهوى على أحسن الاحتمالات إن لم يكن آتياً من شقة مفروشة، لكن الأستاذ سعيد كمال ضيف الحلقة يقف مهدداً بمغادرة التسجيل مطالباً المذيع باحترام الذوق العام واحترام القيادات والشعوب العربية..

إنها نماذج من المناخات الإعلامية النفسية المتعصبة والمزعجة قبيل انعقاد القمة الأمر الذي جعلني أفكر ماذا لو أوقفنا مبادرات صرف المعونات ومعها مبادرات الصيغ الدبلوماسية المرافقة لنضال المقاومة، ومارسنا هذا الأسلوب من صور النضال الصوتي. حتى إذا أتى صباح اليوم الأول من أيام قمة بيروت وتوالت كلمات الافتتاح.. أشرق الأمير عبدالله.. نعم أشرق الرجل الموقف.. والرجل المسؤولية من خلال كلمات الآخرين عنه.. وعلى لسان من..؟ بشار الأسد.. فاروق قدومي.. ثم ياسر عرفات وقبلهم وزير الشؤون البرلمانية في السلطة الفلسطينية.. والملك عبدالله من الأردن وقبلهما كان الرئيس حسني مبارك قد قال لجريدة النهار ثم مساءً للإذاعية التلفزيونية جيزيل نصر أنه يؤيد المبادرة السعودية ويطلب من

الآخرين الالتزام بها .. بين هؤلاء وبالذات رموز السلطة الفلسطينية هل يمكن أن يستحي أولئك المرتزقون من وراء قضايا أمتهم .. أولئك الذين يشترون الورق ويسددون الأجور في لندن من معونات الغذاء للشعب العراقي ..

طبعاً جميعنا تابعنا البث التلفزيوني وتابعنا وضوح عبارات الأمير عبدالله التي فصلت المطالب الفلسطينية وفي مقدمتها ثلاثة أسس: الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس، العودة إلى حدود ٦٧م عودة اللاجئين. ثم أصبحت هذه المطالب مبادرة الرجل الشجاع رأياً وموقفاً، صياغة سياسية جماعية للعالم العربي من خلال الجامعة العربية، وقبل هذه الصياغة قال الفلسطينيون: لقد تعودنا من السعوديين التكبير بصدق المواقف وصدق الدعم.

تحية للرجل .. عبدالله الذي كانت شجاعته في أفكاره في مثل سخاء أمطار جبال لبنان طوال يوم أمس.

الأمير عبدالله قاد العرب لكي يواجهوا أنفسهم أولاً^(*)

في اجتماع قمة خاف الناس أن تكون روتينية تقليدية القرارات تتكفئ بعدها كل دولة على نفسها .. خاف الناس أن يكون غياب بعض الأسماء الكبيرة معناه حركة احتجاج صامتة على انفراد سعودي تعود العرب في التسابق على واجهات الكلام ليكون الانفراد قولاً لا عملاً .. لكن الحقائق .. وليس الحقيقة قفزت بالعالم العربي إلى مستوى كبير من معاشة موضوعية الأحداث القائمة .. قليلون أولئك الذين تشبثوا بذاتهم ومارسوا حضوراً استعراضياً، لكن الأكثرية والقادة الكبار من أمثال الرئيس المصري والرئيس السوري والملك الأردني .. ولبنان الموجود في سخونة كل الأحداث حوله .. هؤلاء الأكثرية .. التظاهرة الكبرى داخل القاعات بتجانس الآراء والأفكار وتطابق الرغبات في دعم عملي للانتفاضة فلسطين الباسلة .. هؤلاء أبرزوا بجماعية الموافقة حضوراً قيادياً لريادة سعودية وليس لانفراد خطابي مثلما هي لغة زعامات الأمس من خلال ضجيج الشارع .. فإذا بالمبادرة التي حاول إعلاميون يسوقون أنفسهم بالتداول والقدح تصبح موقفاً جماعياً للعالم العربي .. وتعني عند الضمير الفلسطيني الذي عبّر عنه عرفات وعريقات وشعث وغيرهم كثيرون المرافق الأمين الصادق لوهج الانتفاضة المقاتل ..

المبادرة هي الخيار السياسي إذا أراد الإسرائيليون السلام، أما الدعم للانتفاضة فهو مضاعف ومستمر طالما أن العالم مستمر في صمته عن ممارسة أشنع صور التتكيل بحياة شعب أعزل ..

كان عبدالله بن عبدالعزيز هو شمس بيروت التي لم تعط الفرصة لظلام أي ليل في حوارات قاعات القمة .. تدارك كل سانحة كان من شأنها أن تباعد بين موقفين أو رأيين .. لم يذهب الاعتراض الفلسطيني إلى حد المقاطعة .. لكنه واصل الحضور وبصيغة مثالية التجاوب حيث تعامل مع لغة أروقة الضيافة ولم يتعامل مع تصرف عارض وكان لعبدالله بن

(*) العدد ١٢٣٢٢ (١٦/١/١٤٢٣هـ، ٣٠/٣/٢٠٠٢م)

عبدالعزیز أبوة احتواء حاضرة التواجد لصياغة اتفاق عربي مدروس يأتي الفلسطينيين في مقدمته.. وتأتي الدول المطالبة بأراضيها في صدر اهتماماته.. ولم تهتز قاعة الاجتماع بالتصفيق فقط، لكن العقل العربي احتسب وقفة الإكبار للرجل الذي وجد فيه نائب الرئيس العراقي عزت إبراهيم الدوري صلابة اليقين بضرورة ميلاد حاضر عقلائي عربي جديد يرتفع على الخصومات ويتصدر الواجهات رفضاً لاستهداف أي أرض عربية أو نفس عربية حيث لم يبق في الزمن هاشم ولو بسيط لكي ينشغل به العرب تدميراً لأنفسهم وأن الزمن المناسب لكي تتواجد الآراء والعواطف ضد أي جنوح من غيرهم لتدميرهم هو واقع جديد سوف يزعم إسرائيل كثيراً وقد رتب هذا الواقع الرجل الذي قاد العرب لكي يواجهوا أنفسهم قبل أن يرتبوا مواقفهم لمواجهة غيرهم.. عبدالله بن عبدالعزيز نجم قمة بيروت دون منازع.



(*) **الأمير عبدالله وإطلاق عصر مواجهة جديد**

في الماضي كان الجنرالات العرب يقفزون إلى مواقع السلطة فيحتكرونها بطشاً وتسلاً ولم يكن يسمح للناس بالكلام لأن الجنرالات في مختلف العواصم مشغولون بالقضية المقدسة قضية فلسطين ولأنه ليس كل ما يعلم يقال في شؤون الإدارة أو الاقتصاد إذا تعلق الأمر بوجود سرية قرار أو التكتّم على معلومات ذات علاقة بمن يهّمه الأمر، فما يعلم ويعلم ويعلم من خلل وتفريط وفساد وانهايارات اقتصادية ومطاردة كفاءات إدارية وعليه لا يجوز كل ذلك أن يقال أو حتى يسمح بتداوله همساً بين المختصين حيث يتعلق الأمر بقضية العرب الكبرى «فلسطين» وهذا شأن سياسي عسكري لا يجوز أن يكون من أحاديث الشوارع وإن جاز أن يكون الأبرز في شعارات مظاهراتها لكن تأييداً للجنرالات.. كل في موقعه.. وكل داخل أمنه الخاص الذي يعتبرونه جزءاً من أمن مستقبل القضية الفلسطينية وفي الحقيقة فإنه لا الجنرالات ولا الدكاكين السياسية التي انتشرت في كثير من الأماكن وأنتجت صحافة خاصة روجت لأفكار تلك الدكاكين.. الجميع لم يقدموا للفلسطينيين أي جهد له قيمة.. صحيح أنهم.. أي العرب.. خسروا في ثلاث حروب الشيء الكثير من أرضهم واقتصاديات بلادهم وأمن مجتمعاتهم لكن ذلك لم يحدث لأنهم سلموا جيوشهم لقيادات فلسطينية لم تؤد واجبها القيادي بكفاءة وأمانة.. هم حاربوا باسم فلسطين وهم خسروا بسبب تدافعهم لكسب ما يمكن من أرض فلسطين.. هذا أولاً.. ثم بعد ذلك لقد دخلوا الحروب دون استراتيجيات أو أجهزة معلومات دقيقة.. كان الجندي العربي.. مثل المواطن الفلسطيني الآن.. يموت قهراً وعطشاً بفعل فشل قياداته العسكرية التي كانت بعيدة عن حقائق شؤونه القتالية وهو ما يحدث الآن للفلسطيني الذي لم يلمس تعاضداً إيجابياً من القيادات العربية.. لم تفتح الحدود.. لمهجرين فلسطينيين يريدون الالتحاق بحرب الداخل الدفاعية.. ويراعي في هذا السرد المقارن أن الفلسطيني يقاتل دون سلاح وأن قياداته موجودة معه داخل جحيم التصفيات.. عكس القيادات العربية في حروبها.. وعرفات رجل يتجاوز السبعين إلى خلود أبعد وأبعد وأبعد.. بعد أن أصبح الرمز الذي تتساقط عند قدميه رصاصات المحتل ولا تقوى على ملامسة صدره..

هذا الذي نعيشه.. إنه انتظار عربي مخجل حيث لن يأتي الزمن القادم بمؤازرة أوروبية أمريكية ينتظرها العرب.. وإنما سيحدث فعلاً ما يأتي به مثل هذا الانتظار المخجل وهو فناء وتهجير من لم يمت من الفلسطينيين العزل المحاصرين في غرف نومهم، وقد أحرق المتظاهرون العرب من قماشات الأعلام الإسرائيلية والأمريكية ما يكفي لتدفئة أطفال فلسطين، والعصر يستلزم إحراق كل المفاهيم العربية الملتوية المثيرة من مواجهة الحقائق على الأرض.. من هو القائد العربي الذي انتقل من موقع الصديق الأقرب للولايات المتحدة الأمريكية إلى موقع المجادل الأول والخصم الأول في تبني الدفاع عن الواقع الفلسطيني.. أليس الأمير عبدالله بن عبدالعزيز.. من الذي اقترح ودفع فعلاً مشروع الدعم للإدارة الفلسطينية ولأسر الشهداء منهم أليس الأمير عبدالله بن عبدالعزيز في قمة عمان.. القادة الفلسطينيون يعرفون ذلك ويقدرونه وكرره البطل الرمز عرفات يوم أمس الأول أكثر من مرة.. لكن كم يشعر الانسان بغصة الهوان حين يتحدث ياسر عبد ربه أو مروان البرغوثي أو نبيل شعث فيتجاوزون تهديباً منهم التعريض بموقف القصور العربي الراهن وهم يأملون بمعجزة توقف السفاح العنصري شارون عن المزيد من الخوض في بحيرات الدماء التي ملأ بها مدن الاجتياحات الفلسطينية..

إن عبدالله بن عبدالعزيز لا يقود دولة مواجهة ولم تبني المملكة العربية السعودية قوة نموها وصلابة أرضها بالانكاء على سواعد أمريكية لكنها تتعامل مع البيت الأبيض بروابط علاقات ومصالح لأكثر من سبعين عاماً وقد تخطى رجل العروبة الكبير كل تلك الاعتبارات ليحاول جاهداً وجاداً خلق موقف مواجهة عربي جديد.. تصبح فيه كل أرض بعيدة هي أرض مواجهة قريبة.

مساء أمس الأول كنت أستضيف عدداً من الإعلاميين والمسؤولين العرب نتحدث معديين إيجابيات مؤتمر القمة في بيروت وقلت لأحد السفراء الخليجيين: لقد تعودنا في صحافتنا ألا نتحدث عن أنفسنا ولنا في بيروت الكثير من المواقف المشرفة غير المعلنة، فأجاب باسمًا: هناك ما هو أهم من ذلك مما لن تنشره صحافتكم بإسهاب.. إنه ميلاد زعامة عربية جديدة.. عبدالله بن عبدالعزيز.

الأمير عبدالله ومواجهة الرياح الساخنة (*)

سألني منذ يومين تليفونياً أثناء وجودي في هيوستن إعلامي إيراني من تلفزيون طهران أو إذاعتها.. لم أعد أذكر.. ما إذا كان الأمير عبدالله سوف يبقى مصرّاً على ثوابت الإجماع العربي والإسلامي بالنسبة لوضع الشعب الفلسطيني أم سيفعل مثل.. وذكر بعض أسماء قالوا في نيويورك وواشنطن عكس ما كانوا يقولونه في بلادهم.. وأجبتُه بأن الأمير عبدالله بن عبدالعزيز لم يباشر تسويق ذاته بين القيادات والشعوب من خلال تجهيز الآراء المناسبة سلفاً، بل لقد تحمّل كثيراً من المسؤوليات التي حمّلتها كثيراً من المتابع لأنه أصرّ في الداخل والخارج على ممارسة مهمة واحدة هي الدفاع عن الثوابت التي هي عنده حقوق الشعب الفلسطيني والتمسك بالقرارات الدولية التي صدرت لصالحه ثم العلاقات العربية مع أمريكا.. البعد الضخم.. الذي لا يجوز أن يتركه لإسرائيل وحدها تمارس تشكيل توجهات الرأي العام فيه..

أتى الأمير عبدالله إلى هيوستن.. وقد سبقته عواصف من رياح السموم السياسية الساخنة التي كانت تحضيراً إعلامياً يهودياً للحد من توغل رجل قوي وواضح وصادق مع الآخرين داخل الواجهة السياسية الأمريكية حتى أن بعض القنوات كانت تطالب بمعاملة المملكة كمصدر إرهاب ومركز تمويل له.. بعضها كان يرفض أن تعتبر الرياض صديقاً لواشنطن أو أن تأخذ مكانة على حساب الحلفاء الآخرين.. كل ذلك ما كان له أبداً أن يقلل مظاهر الترحيب الرسمي التي قابلت بها أمريكا الأمير عبدالله وجعلت الرجل الصعب في التحييز لإسرائيل يستقبله بخصوصية واضحة في هيوستن فيمتد اللقاء إلى زيادة ساعتين عما كان مقرراً من قبل وأن تمتد حوارات «شخصية» فتحت كثيراً من منافذ الدخول إلى واقع المصالح المشتركة وأضاءت كثيراً مما أراد الإعلام الإسرائيلي أن تنساه واشنطن من وقائع مكاسب العلاقات المشتركة تاريخياً.. سبق ذلك اجتماع مع تشيني وأتى بعده احتفاء من بوش الأب..

(*) العدد ١٢٣٦٠ (١٤/٢/١٤٢٣هـ، ٢٧/٤/٢٠٠٢م)

إننا لا نستطيع أن نقول ولا الأمير عبد الله يرغب ذلك بأنه ذهب لكي (يفتح) أمريكا ويدخلها من كل أبوابها المغلقة، لكنه وهذه حقيقة معاينة من خلال التعليقات التلفزيونية الأمريكية استطاع أن ينفذ بجملة حقائق عن العلاقات الثنائية والواقع الفلسطيني وظروف المنطقة إلى الذهنية الأمريكية التي لم تتعامل معه ببرود التأجيل وسلبية الإصغاء مثل ما هو شأنها مع زعامات أخرى، ولكنها استمعت جيداً إلى رجل قوي تحدث بوضوح عن حقائق دولية وأخرى إنسانية لا يجوز لبلد كبير ومهم وبالغ التأثير في حياة الأسرة البشرية أن يهملها أو يتعامل باستخفاف مع ثوابتها خصوصاً وأن القضية الفلسطينية.. حصار الشعب المقتول في أرضه.. وإذلال الزعامة الحبيسة في أقصر المسافات تستحق أن تكون في مقدمة كل الأولويات في الحوار مع أمريكا.. لقد استمعت وسائل الإعلام الأمريكية بشكل جاد وصريح أنه لا فرصة لأي مؤتمر سلام بدون الزعامة الفلسطينية وسوريا ولبنان الذين هم أصحاب الشأن في قضية السلام وأن شارون نفسه يعرف قبل غيره بأنه لا يباشر مهمة سلام لصالح أي طرف وبالتالي فإن واشنطن هي المسؤولة الأولى عن رفع الظلم الجائر عن حياة الأسرة الفلسطينية وإيقاف مهمات القتل التي يباشرها شارون.

رجل المهمة الصعبة (*)

لم يكن الإعلام الغوغائي الموسوم معظمه بسوء النية ولكن أيضًا البسطاء من الناس كانوا يتصورون في مخيلتهم تحركات بطل يجيد تبادل العداوات ويجيد التعامل بالتخويف والترهيب، لذا فقد رغبوا أن يذهب الأمير عبدالله بن عبدالعزيز وهو يتحدث صراحة عن النية في إيقاف ضخ البترول ويتحدث علانية عن تشكيل فريق مقاومة لمقاتلة الوجود الأمريكي العسكري في بعض دول الخليج التي تريض بعض هذه القوات على أرضها الصغيرة ومع ذلك ترتفع فيها أصوات فضائية تتحدث عن الرغبة في حرب مع الأمريكيين..

الحمافة سهلة.. والتهور أسهل..

بل إن قوانا ومعها تاريخنا الحديث لم يُنحرا علانية إلا باسم بطولات وهمية وعداوات غير متكافئة وغير منطقية وحين ذهب من مارسوا الحماقات ومن جرفهم التهور.. ذهبوا هم وبقي قليل منهم وكأنه وجود رمزي لمرحلة آثمة في حق التاريخ العربي.. ذهبوا وبقيت الأمة من محيطها إلى خليجها وهي تعاني الانهيارات في كل مجال وتتباعد المسافات ما بينها وبين ثرواتها الطبيعية لتعرف على أرقام البطالة وأقصى صور الفقر ثم تجد نفسها في النهاية عاجزة عن اختراق جدار التحالف الأمريكي الإسرائيلي.

الأمير عبدالله يدرك بدهاء أن للبترول أهمية عربية خاصة وسعودية أكثر تخصيصًا قبل أن يكون لها اتصال بالاحتياج الأمريكي ويدرك هو صاحب الممارسة والمتابعة الطويلة أن احتراف العداوات لم يكن أبدًا في أي يوم سمة من سمات الرجال القادرين على دخول التاريخ وأن العقل قبل الجيوش هو الأجدر في فتح نوافذ للحوار مع مفاهيم منغلقة على رأي وموقف واحد.

إنه لم يمارس التوسل مثلما دعا إليه أبطال التلفزيون في تصريح رسمي حيث يختلط هدير الآلة العسكرية الأمريكية مع أصوات الغوغاء الإعلامية.. ولم يمارس الاحتجاج تنصلًا من مسؤولية مؤازرة للأخ الفلسطيني المقتول والمحاصر ولكنه ذهب بالمعقول العربي كي يبحث

(*) العدد ١٢٣٨١ (١٢/٣/٢٠٠٢هـ. ١٨/٥/٢٠٠٢م)

عن معقول أمريكي يفهمه فكان منطق التفاهم المطلوب أول طريقة نافذة ومسموعة على باب واشنطن المغلق في وجوه الآخرين.. وكان أيضاً استقباله سريعاً وبكثير من مظاهر حفاوة الضيافة رغم تكاثر احتجاجات وادعاءات الإعلام اليهودي في الوقت الذي - وعبر مناسبات سابقة ولاحقة - يعاني القادة الآخرون من ضجر الانتظار وأيضاً العودة بلا شيء.. وهذه هي ذروة النجاح للمهمة الصعبة.



(*) الأمير عبدالله.. الحاضر ابن الماضي

«نعم التقصير هناك قصور ولا أنكر.. ولكن كل شيء يجيء في وقته» هذه العبارة المليئة بالبساطة والعمق في آن واحد كانت عنواناً دائماً لعلاقة هذه البلاد.. قيادة.. مع الظروف المختلفة منذ كان الاتصال بين الأحساء والرياض شهراً وأسابيع على ظهر جمل وحتى أصبح أول رائد فضاء عربي سعودياً.. منذ أنين الرياضة بالطلب العاجل «يا كليب شب النار يا كليب شبّه».. حيث الحطب نادر في متاهات الصخور والرمال وحتى ترسخت على أرض المملكة أكبر قاعدة صناعية في العالم الثالث بكامله ونداً في ضخامة الإعداد والإنتاج مع موجودات العالم المتقدم.. سابق.. ومنذ مبدأ البداية.. رزقنا على الحاج ورزق الحاج على الله.. وحتى سيطر الأمن على أطوال الحدود العربية ساحلية وبرية..

أمس قال الأمير عبدالله بن عبدالعزيز جملة المليئة بالمضمون والبسيطة التداول «نعم التقصير هناك قصور.. ولا أنكر ولكن كل شيء يجيء في وقته».. لقد كان يصل الماضي بالحاضر في هذا الموقف الذي بدأه الملك عبدالعزيز مؤسساً من بدايات الصفر ومن كل مساحات «التقصير» في إمكانات الدولة الوليدة والمجتمع الحديث التكوين والفرد والأرض البالغى الشحوب من جفاف الفقر.. صارع الرجل القوي في زمن الحرب العالمية الثانية، ظروفاً شبيهة بظروف الحاضر واستطاع أن يراوغ بإمكاناته البسيطة أطماع الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين في شمال الجزيرة وشرقها وجنوبها وفي نفس الوقت يعالج التقصير والقصور بكل ما توفر من الإمكانيات الشحيحة حتى أشرع أبكر تكوين لدولة عربية مستقلة.

وفي عصر عبدالعزيز أراد مهندسون تحت رداء العلماء إيقاف حركة التطور وعزل البلاد في غربة براريها ومحاربة كل جديد من العلم والمعرفة عليها إلا أن عبدالعزيز بالعلماء المتمكنين استطاع أن يوجد للعربي المسلم في أرضه وبياتقان علوم الآخرين أفضل دولة في نهاية القرن العشرين تواجدت في مرافقها أحدث الكفاءات الإدارية والعلمية والطبية بين كل الدول العربية.. الأمير عبدالله يطلق عبارته وهو يعرف قبل غيره أن العلماء المتمكنين الذين يقودون توجهات الدين نحو البناء والإصلاح يرفضون إحراق بلادهم في نيران العداوات

(*) العدد ١٢٤٩٦ (٣/٧/٢٣هـ، ١٠/٩/٢٠٠٢م).

المتكالبة وإهدار مصالحتها في أكثر المصادر نفعًا واستمرارًا .. إنه يتواصل مع دور المؤسس أو على الأصح يوالي تصحيح بعض الجنوح في أفكار محدودة قليلة لا تدرك طبيعة المخاطر ولا تعي بدقة حجم قوة الآخرين..

نحن لا نتنازل عن شيء من ثوابتنا لكن أيضًا لا نعطي الفرصة لغيرنا ضد إمكاناتنا عند الاستجابة لمحضرات العداء التي لا مبرر لها .. العالم لم يولد اليوم.. ولا دياناته.. ولا أفكاره.. ولا اقتصاداته.. وعلاقاتنا معه.. مع دوله النابهة المؤثرة وثيقة خدمت الكثير من مصالحننا ومراكز علومنا.. الذي تغير هو تقييم العلاقات ولن نسمح أن نكون مجرد فصل عارض بين متغيرات العلاقات، فنحن أساس دولي إسلامي وعربي وبترولي وسنبقى نختلف ونعاتب ونحاور لكننا لا نبارح موقع النباهة في ثوابت العلاقات.

هذا هو الفارق الكبير بيننا وبين كل الدول العربية والإسلامية الأخرى..

يتحدث الأمير عبدالله وأعداء أن تأتي أوقات متلاحقة بما يعوّض ما يحدث من تقصير وهو موضوعية متعلقة في عصر يرى فيه كل زعيم بدول عالمنا الثالث أنه يقود الكمال في كل شيء داخل شعبه..

الأمير عبدالله.. الاعتراف بالمشكلة ومعالجتها (*)

المهمة صعبة، لكن الأمير عبدالله بن عبدالعزيز الرجل الكبير في طموحاته وأهدافه قد نذر نفسه لمواجهة أي مهمات أصعب..

لا أحد يستطيع أن يلغي الفقر من حياة المجتمعات ولا أن يفرض وجود المدينة الفاضلة التي لا شر ولا فقر فيها.. أمريكا التي تتفق البلايين على أعمال عسكرية فيها من يأكل من صناديق القمامة.. لندن المترفة في شوارعها ليلاً هناك من ينام على الأرض عند واجهات الحوانيت.. وفي باريس أحياء لا تصدق أنها تنتمي إلى أوروبا..

وأذكر مقولة زميلة هناك اضطرها فقرها لأن تراجع مستشفى حكومياً وتنام فيه بأن ما هو أفسى من الفقر في فرنسا مراجعة مستشفى حكومي خاص لمن لا نقود في أيديهم حيث يوجع الألم النفسي قلب مريض الفقر لمهانة المعاملة..

بينما نجمة الإغراء السابقة بريجيت باردو مشغولة بتحقيق ترف الحيوان..

وطبعاً لسنا بحاجة لاستعراض دول الفقر الشامل في آسيا وإفريقيا وأمريكا الجنوبية.. لكننا مشدودين لأن نتابع خطوات الرجل القادر بكفاءة على مواجهة الصعوبات حين نجده من مواقع شعبية في أسواق تجارية أو مشاريع تنموية يحرص بشكل لافت للانتباه على أن يؤكد أنه واحد من الناس المصطفين يميناً ويساراً في طريق موكبه أكثر مما هو ينتمي إلى ما بداخل الموكب.. الناس هم أسرته.. هم مجتمعه.. أولئك همّه الكبير.. وتفهم الكيفية التي يعيشونها.. الهموم التي يعانونها.. المخاطر القادمة التي قد تهدد تميزهم الاقتصادي والجغرافي.. جميع ذلك هو المدار الذي لا تبرحه أفكاره وصادق معاناته..

الأمير عبدالله رجل واقعي للغاية.. يعرف أنه لا يوجد مجتمع بلا فقر.. لكن أي أنواع الفقر التي يعانها مجتمعه؟.. ما هي مستوياته؟.. في هذا المجتمع لم تنظم أجهزة الدولة ومواقع الخدمات من صحية وأمنية وبلدية واقتصادية وتعليمية لكي ترعى حياة طبقة معينة ويمتلئ

(*) العدد ١٢٥٧٠ (١٨/٩/١٤٢٣هـ، ٢٣/١١/٢٠٠٢م).

الهامش بالعدد الأكبر.. الأمير عبدالله ذهب إلى الأحياء الشعبية لكي يؤكد تقريب الفجوة بين فئات المجتمع وجعل الكل يستفيد من كل التميزات الخاصة التي ينعت بها اقتصاد هذا البلد.

إن هزيمة الفقر سهلة على يد رجل لا يبدو في تصرفاته وأحاديثه أنه ينعزل في ترف عن حياة الناس لكنه دائماً يعاني معهم.. نحن مجتمع الزكاة والتبرعات الخيرية وتوفير الخدمات لكل الأحياء دونما تمييز والتكاثر السكاني المعاصر يستدعي أن تلبى رغبات الرائد الإنساني الأمير عبدالله في التعرف على طبيعة الفقر الموجودة.. مستوياته.. ويضاف إلى هذا الهدف طرح تساؤل مكمل للمهمة الأولى يتعلق بأساليب الصرف الإسلامي والإنساني على فئات المستحقين ومدى استيعاب مشاريع الدولة عبر مؤسساتها لتوفير الاحتياجات ليس للوصول إلى ثراء الجميع فتلك مهمة مستحيلة في أي مجتمع ولكن للوصول إلى حد الاكتفاء وتوفير المستوى المقبول لمعيشة أي فرد ودفع الجهات المعنية لأن تذهب إلى مواقع الفقر الذي لو تحرك ووصل إليها لكان ذلك يعني مرحلة استفحال الفقر وهو ما لن يحدث إن شاء الله.. إنني إذا أوردت في المقدمة أسماء دول قوية وغنية فيها نماذج مخجلة من الفقر فإن هناك دولاً أخرى لا تحتسب بين الأقوياء الأغنياء ولكنها دول في ضماناتها الاجتماعية ومستويات حياتها المعيشية أفضل من تلك حيث عرفت كيف تسيطر على نسبها السكانية وقدراتها الاقتصادية كي يقف الفقر عند حدودها مثل سويسرا وبعض الدول الأسكندنافية ونحن بمقدورنا أن نفعل الكثير في هذا الصدد.

أليس من السهولة أن نتذوق جمال هذه العبارة ونفاذ مضمونها إلى عمق المجتمع حين يقول: حضوري اليوم لأجل تسليط الضوء على مشكلة الحاجة والاعتراف بالمشكلة..

في عالمنا العربي لو تابعت عناوين الصحف سيكون بعد أعوام قليلة بدون بطالة وبدون فقر وربما نافس على قيادة العالم في حين تتضاعف أعداد البطالة ويهبط الناس بالملايين إلى ما دون خط الفقر.. لأنه لا توجد مواجهة عملية لمشكلات المجتمع.. وفي بلادنا إن رصيد الكثير من اللجان والمشاريع القائمة حالياً إنما يستهدف وعملياً حل جميع المشكلات القائمة اجتماعياً واقتصادياً قبل استفحالها بشكل قد تقصر الصحف المحلية في متابعتها..

الأمير عبدالله.. الرجل الموقف للبحث عن حقوق الآخرين (١ - ٤) (*)

الصحف السعودية الصادرة من المملكة يومي الأربعاء والخميس، لم تحمل طابعًا إخباريًا دقيقًا عن مسار الأحداث المثيرة صباح يوم الثلاثاء، وما سبقه من تمهيد في اليوم السابق - الاثنين - رغم توفر الأخبار وسخونة مضمونها.. صحفياً.. أو كإثارة إعلامية.. وجرت العادة أن يكون الركض لاهتًا للحصول على تلك الإثارة خصوصًا عندما تتعلق بنوعية تصرف القيادة الوطنية.. وإن لم تتوفر.. فإنه يتم اختلاقها.. وقد عشت مناسبات كثيرة كانت فيها صحافة البلد الذي يتم فيه الحدث تلغي كل وجود للآخرين وتبرز جانبًا واحدًا يخصها..

في شرم الشيخ الأمير عبدالله الذي كان عملاقًا بحق، رفض أن تكون إثارة الأخبار الشخصية ذات أهمية تفوق الأهداف السياسية المنتظرة من نتائج تلك الأخبار.. كان الأمير سعود الفيصل والأمير بندر بن سلطان وهما قطبا الاتصال والحوار بين القمتين السعودية والأمريكية يؤكدان بعد الوصول السعودي والأمريكي إلى مضمون متقارب، بأن الأهداف هي المتوخاة في النتائج وليست الأخبار رغم ما بها من إثارة.. والأمير عبدالله مثلما هي عاداته.. لم يتحدث عن نفسه، ولكنه ترك النتائج تفعل ذلك.. بل ترك العرب والأمريكيين يتحدثون عن المسائل التي كانت تسابق الدقائق والثواني قبل أن ينفرط عقد قمة شرم الشيخ دون الوصول إلى رؤية مشتركة..

لم يتكلم هو.. تلك هي عاداته..

لكن أخبار صحف بيروت.. جميعها صباح الأربعاء والخميس ومثلها صحف دول أخرى ووكالات أنباء بينها مجلة المصور المصرية التي دشنت تزامن صدورها بإشارة إلى طبيعة المساعي المتداولة.. وهنا نحن نأخذ عن الآخرين.. أو نعبر بمبادرة الآخرين تعفيننا من القول بأن زاوية سعودية محضة وحدها كانت تستأثر باهتمامنا.. لأن الأمر لم يكن يخص زاوية، ولكن دربًا فسيحًا تبودلت فيه الآراء والأفكار في غضون زمن قصير من مساء الاثنين وصباح

(*) العدد ١٢٧٦٦ (٤/٧/١٤٢٤هـ، ٦/٧/٢٠٠٣م).

الثلاثاء حيث إن الأمير عبدالله الذي بحث عن مبرر الحضور إلى شرم الشيخ بين مجموعة تتحاور عبر نوافذ - مهما كانت ضيقة - تطل على اتفاقات العلاقات بينها، فهو بالتالي يجد مبرر الحضور ينصب على أن يكون هناك التزام بجوهر المبادرة العربية.. مبادرته قبل ذلك لكي تتضمن مراحل الاتفاق مسائل الدولة الفلسطينية وعودة اللاجئين وحدود عام ٦٧ ثم مدينة القدس..

ماذا يتم الاتفاق على تنفيذه، هذا أمر لن يكون مشكلة، وإنما يجب أن تدرج هذه الأساسيات بجدول التنفيذ.. وكان هذا الاتصال قبل عشرة أيام أو أسبوع من موعد انعقاد مؤتمر شرم الشيخ، لكن يبدو أن الوسطاء الأمريكيين لم يوصلوا هذا الاشتراط إلى الرئيس الأمريكي، الأمر الذي سبب ارتباكاً لمن كانوا يسمعون من الأمريكيين ولم ينقلوها أو يبلغوا بها.. حتى إذا عرف الرئيس الأمريكي بوش بذلك.. كان رجل مسؤولية قويا وصارما وصادقا عبر قنوات تعامله وعلاقاته عندما رأى ذلك جزءاً من مسار مشترك يجب أن يؤدي إلى طمأننة الفلسطينيين وأنه فعلاً.. مثلما يرى الأمير عبدالله.. لا يجوز الحديث عن تطبيع قبل أن تكون هناك علاقات، ولا يجوز أن تكون هناك علاقات قبل أن يتم تنفيذ اتفاق الأرض مقابل السلام بشكل عام، أو بما يقبله الفلسطينيون وفق إطار مؤتمر بيروت بشكل خاص.

الأمير عبدالله.. الرجل الموقف للبحث عن حقوق الآخرين (٢ - ٤) (*) شرم الشيخ قبل الوصول إلى العقبة

لم أكن أريد أن نتساوى مع صحف عربية بادرت منذ الساعات الأولى لعقد مؤتمر شرم الشيخ ثم مؤتمر العقبة على التحفيز للاتجاه نحو اعتناق فكرة ظاهرة تمجد الذات وتلغي الآخرين.. أو هي تقوم بما يخصها وتترك للآخرين مسؤولياتهم تجاه أنفسهم.. مع الأسف هذا هو الظاهر الإعلامي في كثير من الدول العربية.. حتى في الخصومات.. تأتي هجمات جماعية.. وإذا ما طافت في الأفق أي ذرة مكسب يتيمة فكل إعلام يعنيه الأمر يحاول التأكيد بأنها انطلقت حيث هو يوجد..

من الجيد جدًا أننا تركنا الآخرين الصحفيين ومعلقي القنوات الفضائية البعيدة مواقع إصداراتهم عن الحدث كي يقدموا مرثياتهم.. كي يقولوا إن الأمير عبدالله بن عبدالعزيز الذي عندما وافق على طلب الأمريكيين بحضور قمة شرم الشيخ كان قد اشترط أن تكون في بيان شرم الشيخ تلتزم بمضمون المبادرة العربية، وبضمان خارطة الطريق أن تكون التنازلات المؤلفة من نصيب الجميع الفلسطيني والإسرائيلي - إذا كان حضوره - وهذا تكريم في حد ذاته - الغاية منه وجود دعم عربي لمسارات لقاءات السلام..

عندما وجد نفسه قريبًا بمسافة أمتار من طاولة الاجتماع ذكر الأمريكيين بأن الدعم العربي مشروط بالتزام محدد نحو الجانب العربي.. وأن مسألة التطبيع قد يتم بحثها مع من يتعامل بوشيجة من اتفاق سلام وهذا ممكن ومعقول كجزء إذا أخذته إسرائيل سوف تدفع مقابله حقوقًا عربية لم يبت فيها بعد خصوصًا وأن درب السلام شائك للغاية.

الأمير عبدالله يدرك ذلك جيدًا لأن سورية ولبنان مازالتا على الطريق الذي لم تطرح خارطته بعد.. جميع العرب يعرفون ذلك لكن الموقف السعودي الذي هو أساسًا لا يرتبط

(*) العدد ١٢٧٦٧ (١٤٢٤/٤/٨ هـ، ٢٠٠٣/٦/٨ م).

باتفاق سلام حتى يمكنه أن يبحث التطبيع وما يبادل به من حقوق أخرى.. إنه موقف الوضوح والرؤية ذات الالتزام بمبادئ تجاه حقوق عربية غير مجزأة وبالتالي فإن ما يجوز النظر إليه في بيان شرم الشيخ هو جوهر المبادرة العربية المتعلقة بحقوق الفلسطينيين والأرض المغتصبة واللاجئين والقدس حتى يستطيع كل من اجتمعوا لتأهيل الموقف في اليوم التالي ليكون داعماً حقيقياً لمناقشات مؤتمر العقبة.. بمعنى أن الإصرار على وضوح المطالب وما تتطلبه من وضوح في المواقف هو وحده حتى ولو ارتفعت حدة اختلافات وجهات النظر الذي سيؤدي إلى أي خطوة نجاح في مؤتمر العقبة.. الحقوق العربية إطار واسع.. أما الحقوق الفلسطينية الأصعب والأعقد فهي أقل اتساعاً وأكثر خطورة وأكثر قابلية لتفجير مزيد من الإرهاب المتبادل..

إذاً لا بد من وضوح المطالب التي قيلت للأمريكيين قبل عشرة أيام من انعقاد مؤتمر شرم الشيخ ومثلها وضوح المواقف المشتركة حتى يمكن الاتجاه - من يعنيه الأمر - نحو العقبة وبين أيديهم ما يحدد لغة الحوار ويحاصر تسريباته حول مضامينها..

الذين راقبوا موقف الأمير عبدالله الصلب في شرم الشيخ من الصحفيين العرب الذين كتبوا عنه في أكثر من عاصمة عربية أعفونا من أن نتهم بمجاملة قيادة سعودية حيث تركنا البداية لهم.. شهادة يتكاثر بها الإجماع إكباراً لمواقفه..

الأمير عبدالله.. الرجل الموقف للبحث عن حقوق الآخرين (٣ - ٤) (*) أرنب إسرائيل وذئاب أمريكا

كلنا يعرف تاريخ الشد والجذب بين العرب وإسرائيل وهو تاريخ أكسبته تصرفات إسرائيل الكثير من مزايا فن المراوغة.. ورغم أن كثيرين يستطيعون رصف عبارات لا تنتهي ذمًا في الرئيس المصري أنور السادات لأنه فتح باب السلام مع إسرائيل ولم يتوقف عند ذلك ولكنه دخل منه تاريخًا سورية في الانتظار ومعها الفلسطينيين، فإن السادات لم يكن هو الذي فتح ذلك الباب الذي بقي مشروعًا منذ مبادرة روجرز والمباحثات السرية التي قيل إنها كانت تتم في دولة عربية أفريقية، لكن السادات لم يقع ضحية المراوغة الإسرائيلية.. ربما لأنه تعامل مع سياسيين في أجندتهم هناك وجود للسلام متى ما أتاحت فرصته الموضوعية فحصل لمصر كل ما كانت تريده من السلام، ثم أتت نوعية من الإسرائيليين المراوغين، ونوعية من الظروف العربية السيئة المغربية بالمراوغة، وعدم وضوح الرؤية عند القيادة الفلسطينية للسلام المطلوب عدا وصفه بأنه «سلام الشجعان» حتى أخذت الأمور تؤدي بتوالي المراوغات الإسرائيلية إلى توالي الخسائر العربية السياسية ولم تكن أمريكا في كل علاقتها بأزمات المنطقة تتوقف عند حدود تهمة مناصرة إسرائيل كيفما اتفق، ولكن أيضًا كانت المراوغة الإسرائيلية تجرّها إلى مساجلات جدل في الهامش لا في الجوهر خلف فرعية من أصل ما.. كان الأمريكيون مثل ذئاب تجول حول منزل ما هناك من يوالي محاولات سرقة الوسيلة في ذلك في إطلاق أرنب تعدو خلفه الذئاب ليحقق المتربصون رغبتهم وتحترار الذئاب فيما بعد.. أين اختفى الأرنب..؟

كل هذه الصورة كانت واضحة في ذهنية الأمير عبدالله بن عبدالعزيز حيث يجد نفسه يتعامل مع تاريخ للمشكلة وليس مع مرحلة منها، فلم تقطع رغبة سلام مشتركة بين إسرائيل والفلسطينيين أي مرحلة سابقة تحقق منها مسافة من تاريخ مثلما حدث للدول

(*) العدد ١٢٧٦٨ (٩/٤/١٤٢٤هـ، ٩/٦/٢٠٠٣م).

التي حصلت على مطالبها بواسطة محادثات السلام، ولكن أصبح كل لقاء فلسطيني إسرائيلي ولو عن طريق وسطاء يمثل مرحلة بداية لم تصل إلى حل.. لم تقطع أي مسافة.. وكلما أراد الإسرائيليون الهروب من مأزق محاصرة أمريكي أو إدانة دولية أطلقوا «أرنب» التتويه بافتعال مشكلة التطبيع مثلاً.. أو من هم الذين يحق لهم العودة من الفلسطينيين.. وما هي المستوطنات المشروعة والأخرى العشوائية أو لا سلام مع الإرهاب.. الكثير من ذلك كان «يدوّخ» الأمريكيين ويعيدهم إلى ممارسة الحضانة الإسرائيلية بحثاً عن ميلاد آخر وجديد للسلام.. الأمير عبد الله بن عبد العزيز رسم للمملكة موقفاً صافياً واضحاً معلناً للرئاسة الأمريكية قبل المؤتمر بعشرة أيام يخص الإصرار على أن يكون جوهر مبادرة السلام العربية المتكامل مع خارطة الطريق هو المسار الذي يجب أن ينقل المجموعة المتحاوره في شرم الشيخ إلى الأخرى اللاحقة في العقبة..

لقد كان يتحوط من الوقوع.. وقوع أطراف الحوار وبالذات الأمريكيين.. في أي مطب مطاردة لأرنب إسرائيلي جديد خصوصاً وأنه أي الأمير عبد الله يدرك بموضوعية جيدة بل في منتهى الواقعية وبعد النظر بأن ما بعد مؤتمر العقبة لن يكون شهر عسل للسلام بقدر ما يكون موسم قنص ربما اتسم بالدموية ضد المتحاورين من الفلسطينيين والإسرائيليين وسمعنا وشاهدنا في الأيام الأولى كيف وجّهت صفات انتقاص لأولئك، ووعيد باستخدام لغة القوة..

هذا المأل سيكون شرساً بل ومؤذيًا للقضية الفلسطينية ما لم يكن جوهر المطالب والحقوق واضحاً ومعترفاً به من قبل الجميع الذين جمعتهم مصافحات شرم الشيخ.

الأمير عبدالله.. الرجل الموقف (*) للبحث عن حقوق الآخرين (٤ - ٤) واشنطن والرياض

للتقليل من أهمية شائعات تتركز كالحقائق أصبح من الأفضل أن يقال عنها «كلام مقاهي» بدلاً من العبارة الشهيرة «كلام جرايد»، ففي شرم الشيخ كان يخيل لي لفرط تناثر الشائعات أن المملكة أتت إلى هناك لكي تحاكم من ناحية، ومن ناحية أخرى لكي تدرأ تلاحق أخطار قد لمست بوادرها، وأن الحضور العربي بصفة عامة لن يؤخر في مسار أحداث السلام أو انتهاكاته في المنطقة..

على ضوء تجاربي الشخصية لم يكن من السهل أن أصدق هذا التجديف غير الموثق والذي يقارن قطر بالمملكة وليس بالمجمعة أو القنفذة ويرسم الرؤية الأمريكية للعالم الإسلامي وهو مجرد قطعان تساق نحو الذبح.. وأن شاحنات نفط تباشر سرقة بترول العراق.. وأن الزمن والجغرافيا في الشرق الأوسط وبالذات في المملكة أشبه بفصل دراسي ينتظر فيه المراقب الأمريكي ماذا - عبر الإجابات - بدل الطلبة في أنفسهم ودينهم وعاداتهم؛ وإلا فسوف يساقون إلى معهد تقويم حضاري أمريكي اسمه الديمقراطية..

هذا النوع من التهويم والإشاعات والظنون والقراءات الخاطئة للعلاقات ومسافات البعد في النظرة السياسية لدى كل دولة وفي مقدمتها أمريكا لا يمكن أن تقبل..

أسمع هذا الكلام في فندق شيراتون شرم الشيخ وفي ذهني صور غير متكررة للأخريين لما حظي به الأمير عبدالله بن عبدالعزيز من حفاوة في هيوستن عندما استقبله الرئيس بوش في مزرعته، وهو تكريم خاص لم ينفرد به إلا الأمير عبدالله. وتأتي واشنطن بوست فيما بعد لتقول أن هذا القائد العربي المميز صدقاً ووضوحاً لم يذهب إلى هناك وفي جيبه قائمة مطالب سعودية، مثلما دأب عليه الكثير من القادة العرب من تقديم لمطالب دولهم بعد انتظار في واشنطن قد يمتد إلى أسبوع قبل أن تتاح الفرصة لرؤية الرئيس..

(*) العدد ١٢٧٦٩ (١٠/٤/١٤٢٤هـ، ١٠/٦/٢٠٠٣م).

الأمير عبدالله قابل الرئيس فوراً، وقدم له صوراً وفيلم فيديو جميعها تتحدث عن حالات القهر الفلسطيني، وأنه لولا الرعاية الأمريكية لتل أيبب لما أمكنها أن تتمداد بهذا البطش.. تحدث بلغة حضارية.. تتساءل عن الرأي الثقافى الحضاري بهذه الصور، وما إذا كان هناك دور إنساني يمكن أن يوقف هذا العبث المرعب..

وتمضى الصحيفة الأمريكية التي نشرنا ما كتبه معلقها للشؤون الخارجية «جلن كسلر» في عدد يوم الخميس الماضي بكامل نصه فتقول: إن الأمير عبدالله هو الزعيم العربي الوحيد الذي ناقش الرئيس بصلابة وصراحة طرحت أمامه الحقائق كما هي على الأرض ولن أستعرض كل ما سبق أن نشرناه يوم الخميس الماضي، لكن ألمح إلى ما قاله بعض مساعدي الرئيس عن حالة الوضوح في التفاهم بين الرجلين وما يقولونه فيما بعد أن الرئيس بوش يتساءل ما إذا كان الأمير عبدالله يعتقد أنه مستمر في الوفاء بالالتزامات التي قطعها على نفسه..

بعد هذا.. أذكر أثناء زيارة هيوستن وفي الطريق إلى مزرعة الرئيس وتكساس عموماً مقاطعة بترولية أرضاً وبشراً أن سكان ضاحية قريبة من عبارات الترحيب والتقدير، وهؤلاء معظمهم سبق أن عملوا هم أو آباؤهم في الأرامكو. وقد توقف وصافح من يستطيع منهم في جو ودي لا ينثر عطر رومانسيته إلا قيادي موهوب القدرة في التعامل الإنساني مثل الأمير عبدالله تماماً، مثلما كان يصافح الناس ويحدثهم في المراكز التجارية أو بيوت الفقراء..

هذه العلاقة الوثيقة هي التي اختارته في الحقيقة لا ليمثل المملكة فقط، ولكن لكي يمثل عرب قمة بيروت في مؤتمر قمة شرم الشيخ التي كان فيها مجال واسع لأن أطل من نوافذ عديدة على حقيقة العلاقة الوثيقة بين الدولتين، لعل أولها احتياج واشنطن إلى مرجعية إسلامية مقبولة عند الأكثرية قادرة على تقييم المواقف وتصحيح ما يعتم عليه منها، وتتضاعف هذه الأهمية عندما تكون هذه الدولة المهمة بترولياً وإسلامياً وسكانياً وجغرافياً، تعيش ذات المطاردة التي تعيشها واشنطن خلف حلقات الإرهاب السرية.. ثم إذا كانت أمريكا قادرة على تحويل دولة في حجم قرية سعودية إلى نموذج حضاري غربي مثلما يروج لها - وهذا غير مرفوض - فيقال إنها ستتعدد فيها الجامعات والجنسيات والعرقيات،

فإنه من الصعب أن يفرض هذا التكييف لكيان صغير على حجم دولة كبيرة لها أكثريتها الساحقة التي لها رأيها المسموع في سلوكها الاجتماعي والانتقاء الحضاري الملائم لإرثها وتراثها ومتطلبات مستقبلها وهنا يصح التماثل مع الهند أو الصين وليس مع ما سبق..

أعرف أن داخل أمريكا من الآراء في ساستها أو إعلامها من يريد إبعاد المملكة عن دائرة الضوء خصوصاً فيما يتعلق بالمشكلة الفلسطينية، لكن من يدركون حقائق مصالح أمريكا العليا يعرفون أن المملكة هي الأقرب للتعامل والتعاون مع هذه المصالح.



محاذير الأمير عبدالله في مكانها.. (*) وحزم أمريكا ضرورة سلام

كان عند الأمير عبدالله بن عبدالعزيز كامل الحق عندما حسب خطواته في شرم الشيخ بدقة وكاد أن ينسحب من الاجتماع ليس اختلافاً مع بوش في علاقة بلاده مع المملكة ولا اختلافاً مع أبو مازن لأنه يريد أن يجامل عرفات ولكنه كان يضع في كامل اعتباره ظروف القضية الفلسطينية ومدى التزام الأطراف الدولية وبالذات أمريكا بالتزاماتها لتحقيق سلام عادل إن لم يقبل «كل» الجميع بتفاصيله فإن «معظم» الجميع يلتقون لتحقيق أهدافه حتى يتوفر له موافقة «الكل» عليه.. أي جوهر السلام..

جوهرة المبادرة العربية في بيروت..

قبل أن يجلس إلى طاولة الاجتماعات أراد أن يطمئن على سلامة ذلك «الجوهر».. وبعد العقبة مباشرة حدث أن انشطرت الشظايا وباتت الرؤية إلى سلام كالرؤية إلى سراب..

وفي عالمنا العربي المحموم والمتناقض والغارق في المزايدات من المؤلف أن يختلف الفلسطينيون ثم يختلف حول خلفهم رأي الدول المحيطة والبعيدة والمملكة لم تكن تريد أن تكون طرفاً مع هذا أو ذلك ولكن أرادت بذلك الموقف في شرم الشيخ أن تؤكد أنها مع السلام متى سار الجميع خلف جوهرة.. مضمونه.. وهو ما لم يحدث لأن مطاردة الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي بطائرة تنخفض قريباً من السيارة التي تقله لتكون على يقين من قدرتها على مقتلته أمر ماذا يسمى؟..

وحيث يرد الفلسطينيون يعتبر ذلك إرهاباً ثم حين يأتي الرد الإسرائيلي على الانفعال الفلسطيني تأتي النصيحة بضبط النفس..

الرنتيسي مولد كل أجداده هناك ربما منذ أكثر من ألف عام في حين أن شارون قد أتى

(*) العدد ١٢٧٧٣ (١٤/٤/١٤٢٤هـ، ١٤/٦/٢٠٠٣م)

إلى فلسطين وإلى اللغة العبرية مثلما يعترف هو في مذكراته من أب وأم غربيين عن الشرق الأوسط بكامله وتستبعد أي موهبة دبلوماسية أوصلته إلى الرئاسة ولكن مواصفات الإرهاب بكل فظاظتها هي التي جعلته الرجل الأول في دولة قامت أساسًا على نشاط منظمات الإرهاب التي لا يشير أحد الآن إلى أسباب وماهية نشوئها.. كيف كانت بقيادة شارون نفسه ومن قبله مناحيم بيغن تدمر القرى بكامل سكانها ويقوم إرهابها على مبدأ أوجع بالدمير والقتل قرية مستهدفة لتكون باقي القرى خالية أمامك بفعل ما زرعه من رعب.. تلك المرحلة لم تدان ولم تحاكم والآن حين يأتي الحديث عن السلام فإنه يراد له أن يصاغ وفق رؤية شارونية بحتة..

من الصعب أن يستجيب المسلحون الفلسطينيون لأي نداء سلام ومن الصعب أن يستجيب الإسرائيليون لأي ضراعة توصل أمريكية وأوروبية ما لم تتخذ أمريكا خطوة إيجابية تفرض وجود قوات عزل دولية وتفرض عقوبات فاعلة على إسرائيل التي هي قبل عصر الرئيس كلنتون كانت تخاف العين الحمراء من أمريكا أما الآن فهي تستعذب رؤية عيون زرقاء حاملة..



الأمير عبدالله ومصافحة علاقات مع موسكو^(*)

لن تكون النظرة في التقويم لزيارة سمو ولي العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز منطلقة أو متأثرة كما هو مألوف في الرؤية الأولى للظروف القائمة، وتأثيرها على الأحداث وتحركات الأشخاص من أصحاب المسؤوليات الكبرى بمشاكل المنطقة، وما يقوم على أرضها من تحديات وإن كان هذا وارداً في الاعتبار وليست منفذاً للخروج من مأزق ضيق إلى رحابة تعامل دولي أوسع..

إن كل ذلك وبعضاً من مسبباته سيكون سبباً جوهرياً لو كان الأمر يتعلق بأي زعامة أو سببية من غير المملكة، ولعل مشكلة الذات الخاصة في المملكة هو أنها عاملت نفسها أوسطياً ودولياً كما لو كانت بعضاً من مجموع متجانس.. هي فعلاً عضو بالغ الأهمية في معالجة مشاكل وتحديات أوسطية متجانسة، ولكنها تنفرد بضخامة ذاتية تتعلق بثروتها الاقتصادية وزعامتها الإسلامية وموقعها الجغرافي والسكاني.. من هنا أستطيع أن أتطلع لهذه الزيارة وهي تعني الانتقال بالمملكة إلى رحاب التعاملات الدولية سياسياً واقتصادياً من معطيات واقع بترولي، لا تستطيع أن تعوضه دولة أخرى.. زمالة بترولية لا تستطيع أن تستغني عنها دولة أخرى، وفي نفس الوقت فإن طبيعة التعامل السعودي مع الأحداث الأوسطية والإصرار على تمسكها بثوابتها الخاصة مما أعطاها مصداقية تأثير وقبول لدى كل البؤر الساخنة، بل الملتهبة في المنطقة على أنها بلاد ثقة قادرة على تأكيد كل المصداقية عبر علاقات وتصرفات مسؤولة.. اتضح ذلك في شرم الشيخ وإصرار الأمير عبدالله أن يكون هناك وضوح للحق الفلسطيني على ضوء مبادرته فيما يمكن أن يقال ويثار في مؤتمر العقبة اللاحق.. اتضح ذلك في عدم الانزلاق وراء مصائد أزمة العراق قبل الحرب وبعدها بالامتناع أن تكون المملكة طرفاً يساند إرهاباً عراقياً من قبل أو يتستر على احتلال فنش في السيطرة على أمن الشارع ثم أمن الدولة.. واتضح في كفاءة السيطرة كلياً على أحلك الظروف قتامة

(*) العدد ١٢٨٥٣ (١٤٢٤/٧/٥هـ، ٢٠٠٣/٩/٢م)

عندما تمكنت الدولة بنجاح ملفت ومبهر من كشف بؤر الإرهاب المخبوءة في أكثر الأماكن بعداً عن الأنظار ومحاصرتها بنجاح لم تحققه أمريكا ذاتها..

إن الأمير عبدالله - وقد تعودناه رجل مهمات صعبة - سوف يمد إلى موسكو هذا اليوم الثلاثاء يد دولة ليست في حاجة إلى التدثر بالغطاء السياسي أو الاقتصادي أو العسكري لأي دولة أخرى لكنها في الوقت الذي ترفض فيه أي محاولات تشكيك بفعاليت تعاونها وصدافتها مع أمريكا، فهي توسع من دوائر تعاملها الدولي حيث وحدها في الشرق الأوسط التي تملك كثافة كفاءة قدرات إمكانياتها الخاصة التي تمد هذا التعامل بما يستحق من قبول واحترام لدى الآخرين.

سمو الأمير عبدالله بخبرته المتمرسه وتوسع علاقات صداقاته ومعطيات تجاربه اللصيقة دائماً بتجارب المملكة يدرك جيداً أن العالم لم يعد يقسم على أساس عقائدي، ولم تعد تلتقي محاوره وفق توزيع تتنافس فيه المدراس الاقتصادية ولكن هذا العالم بات يشهد عصر تحالفات المصالح الاقتصادية، بالدرجة الأولى ولم يعد هناك شرق أو غرب يحد مسار التوجهات القيادية، وإنما بات القادة يؤكدون نجاحهم بمدى قدرتهم على تنوع تبادلات المصالح شرقاً وغرباً وكيف لا تكون الصداقة مجرد التزام أخلاقي لم يعد من السهل أن يطالب الجميع بتطبيقه، وإنما باتت عائدات التعامل وبالتالي تحالفات المصالح هي شاهد البراعة القيادية وهو ما يفعله سمو الأمير عبدالله في أهم زيارة عربية لموسكو في هذه المرحلة الدقيقة من عمر زمننا الراكض في مضمار مسارات التغيير والتكيف.

القمة التي بدأ يتغير فيها كل شيء (٤-١) (*)

لازمت حضور مؤتمرات القمة الإسلامية منذ اجتماع المؤتمر الإسلامي في قمته الثانية التي عقدت في لاهور بالباكستان منذ ما يقارب الثلاثين عاماً، وأستطيع القول إنه خلال هذا التاريخ الطويل لم يتغير شيء في طابع الاجتماعات ومضمونها ونتائجها فيما كانت أوضاع العالم الإسلامي تتجه نحو الأسوأ.. لعل أبرز ما ظهر في قمة لاهور هو ذلك الموقف الدراماتيكي في المطار عندما كان ذو الفقار علي بوتو رئيس الباكستان يستقبل رؤساء الدول شد انتباه كل المتابعين لما يحدث في المطار عندما وجد نفسه يعانق بحرارة بروتوكولية مفتعلة رئيس بنغلاديش مجيب الرحمن الذي كان لبضعة شهور مكبلاً في أحد سجون الباكستان لكن بعد الانفصال ولرغبة عقلانية أفرج عنه كبنغلاديشي سجين ليكون رئيس الدولة الوليدة.. ثم أقامت الحكومة الباكستانية حفل شاي في حديقة شهيرة بلاهور وكان يربط بين موقع رؤساء الدول والمدخل جسر مرتفع يبرز كامل جسم من يمر به..

لم يكن هناك نقاش قضايا ولم يكن هناك إنصات لصوت قادة محنكين مثل الملك فيصل رحمه الله أو أصحاب مواقف جادة رغم فشل التجربة مثل هواري بومدين أو استفادة إيجابية من نماذج مأساوية قائمة مثلما حدث بين شطري الباكستان عندما انفصلا إلى دولتين بعد حرب دموية مريعة أنجزها التدخل الهندي حيث امتلاء السجون هو الذي مهد لذلك الانفصال بعد حجب الفوز بالانتخابات عن مستحقها قانوناً مجيب الرحمن، وهو نفس ما حدث بعد ذلك في الجزائر التي دخلت حرباً داخلية مريعة إثر حجب الفوز بالانتخابات عن مستحقها في الجبهة الإسلامية للإنقاذ وانشطر السودان وتفاقم خلاف المغرب مع الجزائر وغير ذلك كثير.. جميعه يؤكد أن وهن الوعي ووهن الاقتصاد وتدني الرؤية السياسية عند القادة كانت تتصاعد سلبياته ومخاطره حتى وصل العالم الإسلامي إلى حروب الداخل ووجدت هذه الحروب لها «مفتين» بإراقة الدماء وتجزئة الأرض مختلطة مع أهداف الطموحات الشخصية مادياً وإقليمياً ودينياً وعلماً لكي تسقط كل مقومات البقاء للشخصية الإسلامية القوية في الوطن الواحد حتى إذا أتت الهجمات الاستباقية عسكرياً

(*) العدد ١٢٩٠٢ (١٤٢٤/٨/٢٥هـ، ٢٠٢٣/١٠/٢١م).

وإعلامياً من قبل الولايات المتحدة الأمريكية ووقف معزولون أوروبيون عند حواف المائة واعددين بعدم رفض ما يحدث إذا كان لهم نصيب فيه .. حتى إذا أتى ذلك يكون قد تواءم مع تدني أوضاع الوهن الإسلامية القائمة وانتشار حرائق الخلافات المحلية واستخدام الدين الإسلامي في أبشع استغلال وحدث ذلك في بعض مراحل من تاريخه بفتاوى الانقضاى على الحياة العلمية والاقتصادية والحضارية لتقويضها ليكون الأجنبي الطامع في واقع الحال أخف ضرراً في نتائج الخسائر من محترف الإرهاب المدمر في الداخل ..

مهاتير محمد تحدث بصراحة أجدها مطلوبة في هذه المرحلة لأنه سمي الأمور بأسمائها وقال بأن اليهود يحكمون العالم بالوكالة وهذا صحيح حيث الولايات المتحدة الأمريكية تنفذ في نشاطاتها الاقتصادية والسياسية طموحات إسرائيلية وكانت زلة اللسان أنه لم يميز بين الصهيونية واليهودية التي يوجد فيها من لا يقرون ممارسات شارون والدعم الأمريكي له ... عمرو موسى لخص ببراعة الوضع الخطير والمأساوي في منطقة الشرق الأوسط بأنه نتيجة حتمية لدور الوسيط غير النزيه «أمريكا» وإضفاء الحماية على دولة خارجة على القانون .. أما سمو الأمير عبد الله فقد ذهب إلى أبعد من ملامسة أبرز المشاكل القائمة عندما اتجه في تشخيصه الواعي نحو مسببات المشاكل والمآسي في تشخيص اتجه إلى العمق حيث توجد الإمكانية الوحيدة للعلاج الأصلى والأبقى، ووضع منهجاً للوصول إلى عالم إسلامي أقوى .. وهذا هو موضوع الغد .

القمة التي بدأ يتغير فيها كل شيء

الأمير عبدالله يتجه بها نحو جوهر احتياجها (٤-٢) (*)

كل المؤتمرات التي جمعت تحالفات شتى.. كبيرة في حجم منظمة المؤتمر الإسلامي أو قريبة منها مثل مؤتمر عدم الانحياز أو إقليمية مثل الجامعة العربية أو دون ذلك مثلما الاتحاد المغربي أو مجلس التعاون لدول الخليج العربي وقبله كان هناك مجلس دول الاتحاد العربي.. كل هذه التكوينات لم يكن بمقدورها أن تمنع استفحال أي مشكلة أو صراع أو حرب حدودية ما بين الأعضاء ولم تطور أي خطط التقاء تعاوني يؤدي في النهاية إلى ائتلاف اندماجي بسبب أنها كانت تهتم بمواسمها الخطابية ومعالجة الشأن الدولي المتعلق بها عن طريق التنديد ليس أكثر.. ولهذا تدرجت المجتمعات وحكومات الدول المنضوية داخل تجمعاتها نحو الضعف..

هذا أمر لا يحتاج إلى مناقشة ولا إلى مزيد من إيضاح وهو على النقيض من التوجه الأوروبي الذي أراد الوصول إلى كيان دولي مرموق حيث انتهج خطوات إيجابية متدرجة حتى وصل إلى ما يشبه الاندماج التام رغم التعقيدات الكثيرة في المجتمعات الأوروبية.. مذهبية واقتصادية وعرقية.. إلا أن ذلك لم يعرقل انطلاق سطوة اليورو لانفتاح الحدود بين مجتمعات متباينة القوة اقتصادياً..

في آسيا وحدها يوجد ما يزيد على ثلثي سكان العالم مثلما يوجد تماماً ما يزيد على ثلثي احتياجات العالم من موارد الاقتصاد المتنوعة ومع ذلك فإن آسيا العظمى مساحة وسكاناً فشلت في أن تكون كذلك اقتصاداً وقوة.. لم يكن هناك في كل مؤتمرات تلك المسميات ما يعالج المشاكل من جذورها بسبب الانفصام التام بين القيادات السياسية وبين حقائق مشاكل المجتمعات حتى تكونت في الأخير داخل تلك المجتمعات تجمعات جمعها اجتهاد خاطئ وخطر.. لقد أرادت أن تعوض نقص القدرة عند القيادات السياسية في تشوير الاقتصاد

(*) العدد ١٢٩٠٣ (١٢٦/٨/١٤٢٤هـ، ٢٢/١٠/٢٠٠٣م).

والعلوم وجعلها قادرة على مواجهة التحديات الدولية بفتاوى دينية واجتماعية استعاضت بثوير الاقتصاد والعلوم بأن تكون وبواسطة العنف الخصم الإرهابي العنيف ضد تلاقي الحكومات والاقتصاد والعلوم متصيدين في حروب صغيرة لا مبرر ولا نهاية إيجابية لها.. كل مظهر وجود حضاري محلي أو غربي على اعتبار أن الرفض يشمل الجميع.

هذه البؤر كانت كالجدرى القاتل الذي انتشر في الجسد الإسلامي من جاكرتا وحتى الدار البيضاء.. إنها مأساة الانفصام بين المجتمعات الكبيرة.. الأرض القابلة لكل بذور وبين القيادات التي فوجئت بتسميم التربة..

الأمير عبد الله بن عبدالعزيز استشرف كل هذه الحقائق بل تحرك تفكيراً وتصرفاً وهو القريب في رؤيته من لهب جمرها.. اتجه في رؤيته إلى الأساس.. لم يختر أن تكون فلسطين أو كشمير أو وحدة الأمة الإسلامية.. أو غير ذلك من مواضيع مكررة واضحة مشاكلها مثلما هي واضحة حلولها ولكنه وضع يده على الجرح الذي تفضل معظم القيادات تجاهله أو معالجته بتبادل الكلمات فقط.. الخلل الاجتماعي الخطير واضح ولا يمكن أن يتم تقويمه بتعويم أفكار سياسية مألوقة.. ولكن بالوصول في مواقعه عن طريق قوى التأثير الحقيقية عليه.. الكل يتحدث عن الإسلام والبعض يبطش ويقتل ويحتمي التخلف ويعادي المدنية باسم الإسلام.. أين هي الهيئات العلمية ثم الثقافية المسؤولة عن رؤية الإسلام لكل الأحداث والأفكار داخله وحوله؟.. كيف أقام هؤلاء لهم في قرى متخلفة رجال إفتاء يعانون قصور الرؤية والممارسة والمعرفة بعالم اليوم؟..

ومن هنا يأتي مطلب الأمير عبد الله في مؤتمر كوالالمبور بأن توسع مهام مجمع الفقه الإسلامي للتصدي لفكر الغلو والإرهاب خطوة تاريخية ومنطقية عقلانية في عالم إسلامي اتجه إلى الاقتتال مع بعضه.. أين هو الفقه الرادع أو الموجه ليثبت جدارة الإسلام في المشاركة بحل مشاكل العصر؟.. كل خطيب وسياسي يتحدث دائماً عن «الشريعة السمحاء» وهذا أمر موجود في النصوص.. أما في الممارسات فلا وجود لأي تسامح بل مباشرة للعداوة وتحفيز عليها..

إن مجمع الفقه الإسلامي.. وافترض أنه يتواجد فيه علماء مثقفون إسلاميون.. قادر على ممارسة طرح الحلول وقادر على إعادة نسج الصلة الإيجابية الفاعلة بين القيادات والمجتمعات التي من المفروض أن تنصدرها قدرة فقهية قادرة على ممارسة الاجتهاد وحريصة ألا يقوض وجود الإسلام عبر تقويض دوله باففعال العداوة والتطاول على حقوق الغير..

ثم يتقدم الأمير عبدالله بن عبدالعزيز بخطوة مكملة للأولى وهي تكوين لجنة سلام مصغرة من القادة لبحث القضايا المعلقة بين المسلمين وفي ذلك إدراك حيوي إلى أن الظرف الراهن في مخاطره لم يعد يسمح بوجود العداوات الخاصة وأن الانطلاق خلف وعي فقهى قادر على الإرشاد الحضاري الذي مارسه الإسلاميون الأوائل يلزمه وجود أمن اجتماعي سياسي يسمح بالدخول في مرحلة لاحقة إلى رحابة مختلف صيغ التعاون الإيجابية..



القمة التي بدأ يتغير فيها كل شيء الأمير عبدالله ونجومية الوضع والموضوعية (٣ - ٤) (*)

النجومية القيادية وكريزما القابلية الشعبية أحياناً يختلط فيهما الأمر بين ما هو جاد نافع وبين ما هو مثير غوغائى..

نحن في العالم العربي عشنا عشرات السنين مثل كرات البلياردو السريعة التدحرج من مكان لآخر أينما وجهتها عصا اللاعب الذي هو في تلك السنين عسكري قفز من الدبابه إلى كرسي الحكم، فيما قفز زميل له آخر إلى ميكرفون الإذاعة لكي يعلن مباشرة تنفيذ برامج العدالة والحرية والاشتراكية وتحرير كل المدن المحتلة في العالم العربي.. وبلغ الإسراف في طرح مناهج الحرية والاشتراكية والعدالة أن مثل عمال أميون في مجالس المؤسسات والشركات الاقتصادية وفي البرلمانات ليكون التصفيق حاداً في اجتماعات تلك الهيئات ليبدأ الانحدار لاقتصاديات ومستويات معيشة دول كنا نتعلم ونعالج وننهر حضارياً فيها.. مثلما أعلن صراحة أن الطريق لتحرير القدس يمر بعواصم عربية محافظة مثل الرياض وعمّان.. إنها النجومية الكاذبة التي أضاعت أكثر من مساحة فلسطين وأهدرت بلايين الدولارات وفرضت على الدول المحافظة معونات هي أشبه بالأتاوات وكانت الدول المحافظة في الخليج والمملكة والمغرب العربي تعيش بصمت وتقنتع بنجومية خاصة الخاصة مع التهيب من منحنيات وافتتاح الشوارع العربية.. بل كان هناك في هذه المجتمعات المحافظة بذور للركود وتجمعات قيد التأسيس لمجابهة الزمالات الحضارية وتأهيل المرأة والرجل كي يشاركا فعلاً في تلك الزمالات وفق الضوابط الإسلامية التي هي معروفة تقليدياً وليست في حاجة لمن يضع لها أطراً خاصة وفق رؤيته الخاصة أو في الواقع وفق مقتضيات تصوره الخاصة تعليمياً وثقافة حتى ولو حمل مؤهلاً أكاديمياً بما فيها حقائق العصر وظروفه.. مكاسبه.. ومحاذيره.. سرعة الزمن المذهلة في التغيير ليس للأخلاق والعقائد، وإنما الأدوات النمو العلمية والاقتصادية والتي سبق أن تحدث عنها قبل ثلاثين عاماً (إلفين توفلر) حيث ذكر

(*) العدد ١٢٩٠٤ (٢٧/٨/١٤٢٤هـ، ٢٣/١٠/٢٠٠٣م).

أن حضارة الإنسان الحقيقية قد بدأت مع القرن العشرين عندما عرف القفزات الهائلة في المواصلات والاتصالات والطب والدواء والتخصيب الزراعي وتكنولوجيا الفضاء.. قبل ذلك كان الإنسان يعيش على مكسبين فقط البخار ثم الكهرباء.. فتلك التجمعات التي كانت تؤسس لتهديم المجتمع عبر ادعاء المحافظة على الموروث الديني ادعاء هي عدو التغيير العلمي والحضاري وليس الديني المؤدي إلى اللحاق بسرعة هذا الزمن المبهر، وتغطي ذلك بتعميم نهج متخلف في الحياة لا علاقة له بجوهر الدين لكن الدين هو الملاذ الأفضل لسيطرة العزلة والانطواء، ولأنه لم يكن من السهل أن ينتصر هذا المفهوم ولأنها توجد مجموعات الأكثرية التي لم تكن تقبل بالتراجع وإغفال كفاءة الإمكانيات والمؤهلات عند الأرض والإنسان.. فإن التوشح بمبررات الدين قد انكشف عن تخطيط مهاجمات تستهدف تقويض الحياة الحضارية التي ما زالت تبحث عن مساراتها الكفيلة بإنجاح الأهداف قبل الوصول إلى تلك المسارات.. فكانت وقائع الإرهاب المذهلة.. قسوته ضد كل ما أمامه.. فالمقتولون محلياً مسلمون.. ووضوح تخطيطه المرسوم والمبرمج منذ زمن ليس بالقصير تحت مظلة حسن الظن واستبعاد أن تكون بوابة الدين مدخلاً مأموناً محترقاً في إجرام..

كل ذلك مقدمة لا بد منها للوصول إلى حقيقة النجومية المختلفة عن الافعال الثوري العربي التي حظي بها الأمير عبدالله بن عبدالعزيز في ماليزيا وجعلت خطابه اللغة الوحيدة التي اتجهت إلى رسم خطط الوصول إلى مستقبل أفضل بدلاً من التوقف عند مشاكل الحاضر المعروفة سلفاً.. هذه النجومية التي نشرتها مختلف وسائل الإعلام الأجنبية تزامنت مع الكريزما الشخصية التي قادت مظاهرة الحب حوله وهو يتحدث بصراحة متناهية وعمق إدراك عن مستقبل أوضاع المسلمين وركزت عليه الأضواء وهو يقود مظاهرة الغضب الصريحة والجريئة للغة في إسلام أباد ضد الإرهاب والانحراف والتخلف بلغة لم يكن أسلوبنا التقليدي المحافظ يتعامل بها مع الأحداث.. فالزمن غير الزمن.. والمشاكل في خطورتها تلك مثل البدايات التي أفرزتها.. لقد ألهم الأمير عبدالله أكف الباكستانيين في الشوارع ومواقع الاحتفاء به لأنه أعلن بصراحة متناهية ووضوح حان زمن إعلانه والإصرار عليه بأن «الوطن الإسلامي لكل أبنائه لا فرق بين طائفة وطائفة، ومذهب ومذهب»..

ثم أضاف في لغة أتت حروفها من طموحات موضوعية حضارية بأن «مكان المسلم الطبيعي ليس في الكهوف المظلمة ولا في الخلايا الإرهابية السرية بل في صنع الحضارة في وضح النهار».. عبارة «وضح النهار» هذه وحدها تحمل نوايا وبدايات برامج حوار ومراجعات لمجتمع الأسرة الكبير.. مجتمع الدولة الأسرة.. التي ألفناها في السابق ولم تتحقق لنا وحدة متواصلة في الداخل ولا حماية قادرة لأمن كل شخص إلا بفضل وجودها وستكون المنطلق الأسلم والأكثر أماناً عندما يتاح لكل القوى القادرة على التفكير والقادرة على الإنتاج بأن تشارك في صياغة المستقبل الأفضل الذي نحاول الوصول إليه وبين أيدينا أفضل الإمكانيات العربية وفي غدنا القريب تعد الأرض بمخزوناتنا، والحركة الاقتصادية بتتبع استثماراتها بأكثر مما تستطيع أن تحلم به أي دولة عربية أخرى.. المهم هو ألا نتحزب خلف أهداف شخصية أو عرقية أو مذهبية.. بل نلتقي متكاتفين بوضوح في برامج بناء إداري واقتصادي وتربوي وإعلامي تريد لنا الأفكار التي طرحها الأمير عبدالله في إسلام أباد أن نصل إليها بسلام.. ونحن لسنا مسلمين بالأكثرية ولكننا مسلمون بكامل تعدادنا .



بعد القمة التي يجب أن تغير كل شيء في باكستان عبدالله زנדباد (٤ - ٤) (*)

مرة أخرى أقول إن علاقتي بالباكستان مبكرة للغاية، فقد عرفتها للمرة الأولى عند انعقاد المؤتمر الثاني للقمة الإسلامية منذ ما يقارب الثلاثين عاماً.. كنت وقتها سكرتيراً لتحرير الرياض، والغربة جعلتني والزميل راشد فهد الراشد متقاربين في التقلبات والعلاقات، فقد كان يمثل الجزيرة سكرتيراً لتحريرها رغم الجفوة التي بدأت بها المهمة، إلا أن عدم وجود من نتحدث إليه بلغتنا أرغمتنا على اللجوء إلى بعضنا.. كان التنافس وقتها مضحكاً تتأزم فيه العلاقات الشخصية ولا يطرأ شيء على التنافس المهني.. أذهلتني تلك الرؤية المبالغ في تقديرها حيال كل ما هو سعودي حتى إن صحفياً عراقياً طلب مازحاً أمام سهولة دخولنا المواقع والمناسبات وما يجده هو من صعوبة أن يستعير من أحدنا ثياباً سعودية.. وعندما يزدحم بنا مكان حفل أو اجتماع تفاجأ وأنت الشاب وقتها بيد مرتعشة تضع شيئاً داخل كفك وحين تتأمله تجده زجاجة عطر صغيرة من ماء الورد وتلفتت إلى من وضعها في يدك فتجده شيخاً طاعناً في السن يتأمل باسمًا أن تنال رضاك.. هو لا يعرفك.. لكنه يعرف من أين أتيت.. أين هذه الصورة من حالنا الآن أمام أي مكتب جوازات في مطارات العالم؟!.. والسبب من أين أتينا.. السبب الحقيقي انفجار نبوءة الإرهاب الكاذبة من داخل أرضنا.. وعندما ألمس فضاظة وقاحة إنكار الجميل لدى البعض أشعر بعمق أن الباكستانيين ما زالوا يحبوننا بصدق..

غير باكستان هناك بلد تخرج من همومك في مؤتمر باريس لتقدم له سبع مئة مليون ويصرف صندوق التنمية على بعض مشاريعه ومع هذا فديموقراطيته لا تسمح بإيقاف تخصص محطة فضائية بمهاجمة المملكة كيفما اتفق، بينما تعلق ذات الديموقراطية محطة أخرى لها علاقة بتنافس غير موضوعي، بلد آخر بينك وبينه جسور ودُّ ومصالح ومواقف إستراتيجية ومع ذلك يخرج فيه من يقول إن رائحة النفط قد لوثت أنفه بعد فصل الطفلتين

(*) العدد ١٢٩٠٧ (١ / ٩ / ١٤٢٤ هـ، ٢٦ / ١٠ / ٢٠٠٣ م) .

السياميتين في المملكة لأن المملكة بلد غير جدير بذلك، فلا يجد من يرد عليه في بلد كلنا نحبه ونقدره ونفرض بأي مكسب يحدث على أرضه.. ولا ننسى العراق.. الجوار والعروبة.. الذي قادنا إلى أشنع مديونية بسبب حماقات نرجسي ما زال تائهاً بين الأنفاق..

في باكستان هناك تبادل تقدير مشترك وهنا البلد الأمثل والأقدم في توثيق علاقة إستراتيجية ليست مصلحية مؤقتة، وهنا وهذا مهم للغاية تشابه ظروف.. البنية الاجتماعية التقليدية محلياً يسيطر عليها ركود يأخذ موقفاً حذراً وربما مهاجماً لكل مدينة غربية وهو ينتمي من التراث إلى كل ما يعزله تماماً مثلما هو هاجس بعض أصحاب الغلو في مجتمعنا، وظروف باكستان المجاورة لأفغانستان تفرض عليها تحركاً سريعاً يفرغها على الأقل لحل مشاكلها مع الهند بدلاً من تشتيت جهودها فيما تلفظه أفغانستان من نيران تتوجه هنا وهناك.. ثم علاقتها بأمريكا تملك شبيهاً مماثلاً فهي قد كانت الحليف الآسيوي الأول الذي أرادت أمريكا أن تواجه به تحالفات عدم الانحياز القديم والتيارات الشيوعية، لكن انفراد واشنطن بموقع القطب الواحد جعلها تخطط الأوراق وتبحث عن التنازلات قبل براهين أقدمية العلاقات..

باكستان هذه استقبلت الأمير عبد الله بن عبدالعزيز تماماً وكأنه زعيم باكستاني تاريخي يعيد لشارعها ثقة الانتماء للحاضر ويعيد لثقافتها ثقة الانتماء لإسلام متطور وقادر على المواجهة.. كان الأمير عبد الله رمزاً لموقف إسلامي عروبي يتطلع الجميع لأن يخرج بالواقع الإسلامي العربي من متاهاته.. أن تكون في خطواته نحو المستقبل رؤية تفصل بين ضرورات إصلاح الداخل، فلا يكون ذلك عائقاً عن ضرورة أخرى هي إصلاح علاقات الخارج.. إن باكستان المتشربة بالإسلام حتى العظم والتي منذ وجدت رأت في طقوسه وتعاليمه حقائق إثبات وجودها الإنساني والجغرافي قد استقبلت واحتفت بشخص الأمير عبد الله تلك الآمال الكبيرة في ميلاد واقع جديد يصحح الرؤية الخاطئة للإسلام.. كان الشارع يمتلئ بترحيب عفوي.. كانت ميادين وصالات اللقاءات تزدهم بتطلعات صارخة لاجتياز مأزق صنعها فكر التخلف واستغل مناخات إسقاطاتها ولع استعماري فاضح بإعادة ترتيب العالم وربما أيضاً تسميه القارات..

«عبدالله زندباد» أي عاش عبدالله.. هتاف خيل لي أنه كان يملأ سماء ذلك البلد الإسلامي الكبير الذي قاداته ظروف كثيرة نحو العديد من المحن وهو يسعى صادقاً للنجاة بانتمائه الإسلامي في عصر سياسة توزيع العداوات ورعاية الفتن إلى ما يراد لمجتمعه من شتات مثلما يراد لأي مجتمع إسلامي آخر..

الباكستان رحبت وشعرت أن لغة واحدة يتحدث بها الأمير عبدالله وهي لسان حال الجميع تتفهم بوعي ظروف الحاضر القاسية والمريرة لكنها تصمم على أن تبرز القيمة الإنسانية والحضارية للمضمون الإسلامي التاريخي والمعاصر مثلما كان في واجهة أدائه والتعبير عنه من يعون وبدقة جوهر الحقائق مثلما التفت حول ذلك أفكار الأمير عبدالله والرئيس برويز مشرف.

الأمير عبدالله

الحوار مشوار المجتمع نحو أهدافه (٢٠١) (*)

لم يفتح الأمير عبدالله سجنًا يحاصر به رأيًا شاطئًا ولكنه افتتح منتدى للحوار ورغب فيه، وهي تجربة من النادر أن تحدث في العالم الثالث الذي أوجد الانتخابات ومعها الفوز بنسبة ٩٩٪ وتغييب العناصر غير المرغوبة في المعتقل عند الاقتراع..

الأمير عبدالله وهو يرى مجتمعه قادمًا على تجربة فريدة وجديدة في آن واحد افتتح منتدى الحوار عبر ضوابط حددها بقوله: «إن الغلو مذموم سواء جاء من هذا الفريق أو ذلك، والتطرف مكروه سواء كان مع هذا الموقف أو ذلك».

سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز لم يرفض الحوار.. لكنه أسسه وباركه.. ولهذا التأسيس منشأ يقود إلى الرغبة في تفهم طبيعة المجتمع وخياراته، حيث أذكر أن التقيت بوزير الخارجية الأمير سعود الفيصل في حفل خاص وكانت مدينة الرياض وقتها مذهولة بأحداث الإرهاب العامة التي لم تصل إليها بعد، لكن اكتشاف الناس أن ثمة تحولات هائلة وكبيرة وأن تدافع مطامع دولية مرهوبة وخطيرة باتت تحوم حول خارطة الشرق الأوسط جعلهم يتساءلون عن متانة المناعة التي عليها مجتمعهم.. مدى تفهمهم للغة الأحداث المتسارعة حولهم..

كان العمر الزمني لتبدلات المفاهيم يتم بين الليلة والأخرى.. كثيرون شعروا أن متغيرات كثيرة يجب أن تحدث.. لا أحد يختلف مع رغبات الإصلاح والتقييم وتحديث الإدارة وصيانة الحقوق العامة وبعض هذا «الأحد» بات يتساءل: لماذا المرأة في مواقع تثقيف وإدارة بينما نصر على إخفاء ذلك، فيما «أحد» آخر يصير على الحجب أكثر وأكثر وليس الحجاب فقط.. وقال مفكرون إن مناهج التعليم في حاجة إلى التطوير ليس استجابة لاعتراض أجنبي ولكن تلبية لحاجة محلية خالصة في تطوير نوعية المعلومات للحاق بالعلوم وإنهاء مشاكل البطالة، فيما مفكرون من جانب آخر يتساءلون: ولماذا التعليم بالذات وفي هذا الوقت؟.. اتجه أكثر

(*) العدد ١٢٩٩٠ (١١/٢٥/١٤٢٤هـ، ١٧/١/٢٠٠٤م).

من سؤال لوزير الخارجية وقتها الذي قال ما معناه: لا تستطيع أن تفرض على مجتمع مختلف المفاهيم والتوجهات والمؤثرات نهجاً معيناً ترى أنت أنه الأصوب.. فلماذا لا نتحاور في المجتمع مع فئاته أولاً ليطمئن بأنه يناقش شؤونه مع نفسه خارج أي تأثير أجنبي، ولكي يتم تطبيق كل تطوير وتغيير.. وهي قناعات اجتماعية خاصة دون أخذ الاعتبار لمن سيشذ منفرداً بخلو أو صلافة عزله..

أعتقد أن الوزير وقتها كان يعبر عن رؤية كانت الدولة تعدها وعلى وشك إطلاقها وفعلاً بادر بها سمو الأمير عبدالله لأنه الرجل الذي ابتكرها فأطلقها لتبدد مظاهر ذلك القلق والشك المتبادل وحيرة الريبة كي يدخل المجتمع في حلقات حوار قالت كل الأطراف إنها إيجابية ومفيدة ووفرت أجواءً من الحرية هي بطبعها وفرت أيضاً شعور الاطمئنان عند كل طرف بأنه غير معزول أو مستبعد..

ليس هناك حجب لأي رأي يريد تقويم شأن شؤون الدولة وفق ضوابط مصالح المجتمع قبل الدولة، ولا يجوز أن تهمش طائفة دينية على انفرادية غيرها وكل مسار في الاقتصاد والتعليم والإعلام والثقافة هو درب تسلكه مصالح المجتمع نحو غايات نجاحها المأمول..

إذاً لابد من توفر إطرارات نزاهة القصد والتعامل مع مصالح المجموع لا الأفراد ولا الجماعات لأن الانزلاق في غلو متطرف من أي طرف لن يكون إلا حالة خطر تهدد سلامة البنية الأساسية للمجتمع حيث يجب أن تكون الوسطية الموضوعية هي المنار الذي يضيء حوار الجميع..

الأمير عبدالله

الحوار مشوار المجتمع نحو أهدافه (٢-٢) (*)

ليست أنماط التطبيق للمصلحة الوطنية سيرة أشخاص نعجب بهم ولا هي مرئيات وأفكار نستخلصها من الكتب أو أفكار مجردة يتوارثها الناس.. من كل ذلك تأتي صيغ التعديل والتدبير والمواءمة لكن لمن؟.. إنه ليس لتمثال نموذجي عن المصلحة العامة ولا لهتاف مظاهر أو فصول كتاب، وإنما لقابلية مجتمع يستوعب ما يراد أن يتحول إليه.. ما يراد أن يكون فيه.. ما يرغب أن يتطور أو يتحسن أو يتعدل إليه..

الحوار الوطني لم يكن مطالبة دولية.. ولا هو حالة اعتراض محلية.. يوم أمس قلت إنني سمعت بفكرة الحوار قبل أن تطرح المحطات الفضائية بالمحاورين السعوديين.. إذاً هو رغبة الدولة التي أحست قبل الآخرين بضرورات التطوير فكان لا بد أن تبدأ من داخل المجتمع وليس من موقع القمة فيه فقد انتهت عصر القرارات الثورية.. كلنا عايشنا عند غيرنا تلك الحالات العنيفة والمتسارعة التي أمتت الأفكار والأموال والأشخاص وجعلت الساحة الوطنية حكراً لفئة واحدة ما برحت بعد زمن قصير أن باءت بالإفلاس..

طرحت الدولة فكرة الحوار الذي هو لغة المجتمع مع بعضه والدولة تختار ما هي عليه الأكثرية بعد ذلك من رأي طبعاً وفق ضوابط لا تتعرض لثوابت العقيدة ولا أحد من كل الأطراف يريد أن يمس هذا الجانب.. لكن من الغريب أن تسمع رأياً يقول بعد الجلسة الثانية.. لقد انتهى الاجتماع ولم نجد أي قرارات..؟ لا تؤخذ الأمور بمثل هذه السرعة ولا السهولة وليس مطلوباً إطلاقاً من الدولة أن تصدر أي قرار نتيجة انفعال وإنما نتيجة قناعة أكثرية اجتماعية.. معظمنا في الماضي كنا نضيق بانفراد التشدد الديني بالتأثير على توجهات المجتمع بما في ذلك مسارات ذوقه وأوقات فراغه فكيف يجوز أن نقلب الطاولة لكي نفرض حالة انفراد معاكسة.. ثم نحن أمام وضع مجتمع مختلف تماماً عن كل المجتمعات من حوله.. لم يمر بتجارب أصغر مجتمع قريب منه هو المجتمع الكويتي، ولا بتجارب أكبر

(*) العدد ١٢٩٩١ (١١/٢٦/١٤٢٤هـ، ١/١٨/٢٠٠٤م).

مجتمع قريب منه هو المجتمع المصري.. من الذي يستطيع أن يقول بإمكانه ترويض القبيلة وجعلها مسارب موضوعية في اختيار القرار الأفضل.. أليست هذه مهمة صعبة تحتاج إلى وعي وتربية وطنية كافية للاقتناع والاستيعاب..؟ من ذا يقول إن مجتمعنا في معظمه هو شرائح ليبرالية يجب أن تنصدر بأكثريتها الجميع..؟ هذا غير صحيح، هي يجب أن تحوز الصدارة بأفضليتها وليس بأكثريتها شرط أن تكون موضوعية التناول والتعامل مع فئات المجتمع ومصصلحة الدولة التي هي رمز وحدة المجموع، حيث بدون وحدة المجموع وموضوعية التعامل مع الأكثرية يتحول الحوار إلى مزایدات لا تعود بأي مكاسب مأمولة.. وهناك في مجال الممارسة الدينية وتأثيرها على حياة المجتمع عندما نقول بأن هناك غلوًا مرفوضًا لابد أن نعترف بوجود مساحات ليست بالقليلة في انتشارات المجتمع بين من هو متشدد وبين من هو تقليدي المفاهيم ويطمئن إلى المألوف، فلا بد وعن طريق إشاعة الوعي وموضوعية الحوار من التواجد في تلك الانتشارات عبر تأهيل زمن معقول.. الدولة.. الأمير عبد الله بن عبدالعزيز بالذات أراد بالحوار أن يتعرف المجتمع على طبيعة مشاكله واحتياجاته والحلول في كل ذلك وليس استعجال النتائج قبل أوانها المناسب..



*) الأمير عبدالله وكريزما وطن

هناك من يحاول تصوير المملكة على أنها مجهول يجري اكتشافه ويصفها بصعوبات الانتقال إلى الصف الحضاري بدول عربية عاجزة عن التحرك نحو الأمام رغمًا عنها بفعل مقومات اقتصادية متقدمة..

ومعروف بدهاة أنه بدون الرافد العلمي والاقتصادي لا يستطيع أي مجتمع أن يتحرك خطوات لافتة للانتباه نحو الأمام.. ولحسن الحظ أنه يصعب تمامًا أن تدعى المملكة وكأنها جزء من تخلف عربي عام لأن الأمير عبدالله بن عبدالعزيز وعبر ملاحظتي خلال أعوام ليست بالقليلة أعطى في رحلاته وعلاقاته الكثير من الكريزما الشخصية التي جعلته مقبول الحوار والعلاقات الشخصية وتجميل المواقف المبدئية للمجتمع العربي يمثلته في علاقاته الدولية عبر تلك اللقاءات.. في الصين، في روسيا، وفي كوريا، في دول أوروبا..

ولا يستطيع مراقب أن ينسى تلك الصورة له ممازحًا وملاطفًا مستقبليه في تلك القرية التي مر بها قبل أن يصل إلى مزرعة الرئيس الأمريكي بوش الابن في هيوستن حيث كان معظم سكانها من سبق لهم العمل في أرامكو السعودية - والمنطقة جميعها بترولية الثروات والاهتمامات.. حيث حملوا الأعلام والهدايا.. تمامًا مثل تلك الصورة الحميمية للغاية له.. أي الأمير عبدالله.. عندما زار مفتتحًا بعض الأسواق التجارية الكبرى في المملكة وكيف كان يخرج عن المسار الذي رتبته إدارة المراسم لكي يجامل صاحب مطعم أو يرد على استفسار سيدة.. تمامًا مثلما كان ضوءًا يصعب إنكاره وسط بيوت فقراء الرياض..

إن لقاءاته وبالكريزما الشخصية له.. ليست فقط لقاءات مسؤول كبير يلتقي بأخر في دولة صديقة.. ولكنها لقاءات رجل قرار ومعه رجل الأعمال والاستثمار والخبرة السياسية لكي يفتح آفاقًا جديدة في التعاون مع دولة يجدد فيها روابط العلاقة مع المملكة وليس الصداقة التاريخية مثلما يقال في ختام الزيارات التقليدية.. ولعلنا نلاحظ أن معظم الرؤساء العرب يذهبون إلى العواصم الكبرى لكي يقولوا إنهم مثلما تريد تلك العواصم، بينما الأمير عبدالله

يذهب إلى تلك العواصم لكي يقول إن الحقائق في المنطقة هي كذا وكذا.. مما أكسبه احترام وضوح أفكاره ومواقفه. فإذا كان أن بعضاً من الإعلام الأمريكي قد حاول أن يوجد فجوة مجتمعات بين واشنطن والرياض فإن رحلة القطار في هيوستن تكريماً للأمير عبدالله إنما كانت تعني إبراز الاحترام له وللدولة التي يمثلها.

ولعل الخطوات الرائعة التي فتحت فيها المملكة أبواب مطاراتها لزيارات الوفود الإعلامية.. حتى من أعنف الخصوم.. هي دليل ثقة من يعرف جيداً مناعة ذاته فلا يخاف مراقبة غيره.. وأذكر قبل بضع سنوات في حفل بلندن وكان بجانب الأمير فيصل بن سلمان أن صحفياً بريطانياً تحدث متأففاً من أنه لم يسمح له بزيارة المملكة إلا لمدة يومين..

نحن كواقع اقتصادي وعلاقات سياسية وتداخل مع المجتمعات الدولية نملك كل فرص التقدم إلى الأمام وهو ما يحدث في كل شؤون صلاتنا بالآخرين رغم ضراوة التحفيز الكاره والمتحامل من قبل الإعلام الصهيوني أينما وجد..

لكن مشكلتنا في مجتمعنا.. في الناس وليس في الأرض.. نحن في أمس الحاجة لأن نفهم واقع الصراعات الدولية الراهنة وأن التسابق المثير بين أوروبا وأمريكا لاحتضان التعاون مع دول المنطقة عبر مشاريع مشاركة وإصلاحات إنما هو رغبات استحواذ على مقدرات المنطقة.. غيرنا قد لا يملك مقدرات كافية.. نحن ببينا أشياء كثيرة لكن يجب أن يرانا الآخرون، ونحن حقيقة نمثل مجتمعاً واحداً لا يخاف من التحرك إلى الأمام بل لا يخاف بعضه في الداخل وهذا هو جوهر الموضوع.

(*) الأمير عبدالله في قرارة يقين الناس

في الأعوام الثلاثة الأخيرة راجت في التداول الإعلامي ثم انسابت إلى لغة الحوار الاجتماعي عبارات مثل «المخيال الوطني» «أطياف الفئات الاجتماعية» «النسق الإصلاحي الأمثل» «الخروج من قاع الفوضى والفقير».. وقبل ذلك كانت المناادة بـ «الصحة» تفوق أي نداء آخر لفئات أخرى وتآلق بين محاكاة التنافس أولاً ثم المناادة بتعبير «تطرف».. هذه الحافة المخيفة التي لم تصل إلى ذروة خطورتها في أي مجتمع مثلما أصبحت عليه من خطورة بالنسبة لمجتمعنا وبحيث تساوى في هذه الخطورة من يبلغون ذروة المبالغة في رفع شعار فتوى دينية تبيح قتل المسلم وغيره بدعوى الوصول إلى إصلاح المجتمع أو من يرفع شعار إصلاح إداري اقتصادي مؤسساتي لكنه يجنح في المبالغة إلى طلب أن تملك الدولة مشيئة «كن فيكون».. وهو أمر قد تتوفر فيه «يكون» هذه لكن على حساب وحدة المجتمع وكفاءة إمكانياته وهو سقوط ينتظره هؤلاء في تطرف مطالباتهم حتى يمكن تفصيل المجتمع وفق «مشيئات» غير مرغوبة أو مؤهلة اجتماعياً بالنسبة لقابليات الأكثرية.

وفي خضم هذا التجاذب تضاف إليه مؤثرات الوضع العربي أمنياً واجتماعياً.. وأيضاً مؤثرات الوضع العالمي اقتصادياً وسياسياً نشأت سحب من القلق اصطاد في أفيائها كل طموح يراد أن يقال عنه بأنه قال كلمة شجاعة أو أطلق فكرة شجاعة وهي ممارسة يسيطر عليها حسن النية.. أما سوء النية فقد كان صارخاً عند أقلية محدودة بقيت تترصّد كل سوانح من مجمل الظروف السابقة لكي تشكك في جدوى المستقبل القريب وفي ثقل وطأة الدين العام وفي الإيحاء بعدم وجود سياسات توازر تنوع اقتصاد وتنمية صعود حياة حضارية تقنية تتوسع بها فرص العمل وتتفوق بها قدرات الاقتصاد.

الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد.. الرجل القريب من كل فرد تخطى كل عبارات التداول الشائكة.. تماماً مثلما تخطت الدولة كل أطروحات الحلول الأمنية المجزأة بين الوساطات والإغراءات لتكون المطاردة الحازمة المباشرة هي السياج الأقوى الذي نجح في توفير أمن المواطن.

الأمير عبدالله طرح الأرقام.. عملياً.. أمام وعي المواطن.. لم يقبل أن تكون الموازنة القادمة ميدان تداول إبهام أو مزايده ولا أن تكون أرقام إيرادات النفط الراهنة لغزاً مفتعلاً لا يعرف إلى أين ينتهي.. بالأرقام قال الأمير عبدالله إن ما يفوق الأربعين ملياراً سوف ترصد لمشاريع حكومية تنموية جديدة، وأن تسعة مليارات سوف تعيد للصندوق العقاري حيويته وتقلل من مدد الانتظار فيه لتشهد المدن والقرى السعودية ازدهاراً متجدداً مثلما حدث في زمن طفرة السنوات القديمة وتكرره الآن طفرة الأشهر المحدودة، وأن بنك التسليف لإنعاش مشاريع الأفراد المحدودة سوف يتلقى دعماً بمبلغ ثلاثة مليارات.. ثم سوف يذهب جزء ليس بالقليل من الفائض للتقليل من ضغوط الدين العام على اتساع الميزانيات القادمة لمزيد من مشاريع النمو بل توفير إيجابية المشاركة حالياً في تخفيف عبء الأجيال القادمة.

الأمير عبدالله لوكالة الأنباء السعودية لم يستعمل متطرفات لفظية مثل «المخيال» و«الأطياف» و«الصحة» و«نسق الإصلاح» لكنه تعامل مع تعبير كثيراً ما تم تداوله على أنه مطلب جوهرى وهو ما عرف ب«الشفافية».. ها هو الرجل الكبير.. الرائد في طموحاته وإصلاحاته.. يتخطى من الزمن ما لا يقل عن أربعة أشهر ليتحدث ب«الشفافية» الواقعية والبارزة إيضائها وضوحاً بالأرقام ليقول كل شيء عما سيصبح كائنًا متجدداً وكبيراً لمواطن فقير وطالب يدرس في مبنى مؤجر وصاحب مشروع يبحث عن دعم وطابور انتظار في قوائم بنك التنمية العقاري.. ويروض طموحات أفكار نحو تحديث التقنية، وتركز خطى استثمار عمره لم يكن مشلولاً.. وخطى مجتمع عمره لم يكن فاقداً للأهلية الاقتصادية أو معاقاً في كفاءة سيولته المالية..

هذه هي «الشفافية» التي تماهت حلمًا لفظياً ليس إلا عند من يريد تحريك الدولة نحو المجازفة فإذا بها تأتي أرقاماً وحقائق تتصل بصلب حياة الناس وطموحاتهم و«شفافية» ما يتطلعون إليه من مصارحة.. الرجل الذي لم يكن في أي يوم إلا عملاقاً وبارعاً في الوصول إلى قرارة قناعات الناس هو الآن يضيء فيهم وهج الاستبشار بالمستقبل الأفضل والأرقى.

عبدالله.. غير الناس هنا.. غير (*)

فرق كبير.. هائل.. بين أشباه معتوهين بجنون العظمة يخلفون مقابر جماعية ويملأون مدن العالم بالنازحين الهاربين ويتصور بعضهم أن بمقدوره تحرير إيرلندا وإعادة سيطرة الهنود الحمر على أمريكا وانتزاع جزر الفوكلاند من بريطانيا ونثر حطام الطائرات وأشلاء الأجساد على مدن إفريقيا وأوروبا.. بعضهم يقتل برصاص انقلاب.. بعضهم يتم العثور عليه في حفرة.. صنف ثالث يتم ترويضه واستئناسه بنزع أنيابه وجعله طاووسًا يتخايل بين وحدة عربية أو أفريقية..

فرق بين هؤلاء وبين رجل لم يدفع ريالاً واحداً لمأجور قاتل كي يتخلص من معارض أو خصم مثلما هي سلوكيات أكثر من سبع دول عربية ثورية اعتمدت ذلك الأسلوب.. ولم يحتم بقوته فلا يرى المجتمع إلا من خلال أوضاع من هم حوله.. لكنه ذهب إلى بيت الفقير فشرب فنجان القهوة فيه ولم يقبل بأي صراع اجتماعي أو انتهاج سياسة اجتثاث لفئة اجتماعية ضد أخرى مثلما فعلت ذلك أيضاً أكثر من سبع دول عربية ولكنه ابتكر مبدأ الحوار فدعا الناس للنقاش وطرح وجهات النظر حول مختلف القضايا التي تهم المجتمع وترسم نتائجها دروب مستقبله حتى أخذت الاختناقات تتفرج وارتفع صوت المصلحة العامة يدعو الجميع نحو ضرورة مواجهة الظروف الشرق أوسطية والعالمية وبالذات الهجمة الخاصة على المملكة بالموقف الواحد الذي لا يقبل بالفتنة ولا يرضى بعراك الأشقاء..

الأمير عبدالله بن عبدالعزيز.. غير.. غير كل مألوف في عواصم العالم الثالث.. وغير كل الراكضين خلف الأضواء وجندية الانضواء في طاعة القوى الدولية.. موقف مستقل فيما يتعلق بالإصلاح داخل بلاده.. موقف مستقل في رؤية الحل الأمثل للقضية الفلسطينية وموقف - وهذا مهم للغاية - مشتعل في حوار الفرقاء داخل بلاده ليس خصماً لطرف وليس مسانداً لطرف على حساب الآخر.. إنه يقف حيث قرارات خدمة المصلحة العامة في

استحداث الأنظمة الاقتصادية وسوق المال وضع البلايين دفعتين في عام واحد للإسراع في قفزات النمو وفي توسيع لغة الحوار بين مواطنين ليسوا فرقاء ولاء ولكن كل طرف يجب أن يشعر بالاطمئنان نحو الآخر..

الناس هنا أيضاً.. غير.. ليسوا قطعاناً تساق بالشعارات ولكنهم يعرفون جيداً كيف كانت بدايات بلادهم الإقليمية والقبلية.. يعرفون كيف واجه الملك فيصل -رحمه الله- محاصرة الطيش الثوري الذي هدم اقتصاديات وثقافة أكثر من خمس دول عربية وأن فيصل أعاد قوة بلاده بقدرات البلاد ذاتها.. ولم تمثل إذاعة صوت العرب عائقاً أمام أهدافه..

والآن أمام تبعات حروب المنطقة التي لا يد للمملكة فيها فهي إرث حماقات صدام تواجه البلاد مسؤوليات مواصلة البناء دون استرشاد إصلاح من أحد أو معونة دعم مشروطة بتنازلات ولكن بذات مقدرات البلد.. ولن تعيقه قناة الجزيرة التي تحاول الهدم بذكاء وتمكن مهني أو قناة الإصلاح بإسفاف وبذاعة متدنية..

إنه من التعفف ألا يرد اسم سعد الفقيه على لسان أحد.. هذا الأهل الذي يتبول من فمه حين تسمعه وتقرأه في بيانه يطلب إلى الشرطة منع أفراد الأسرة المالكة من الهرب بعد ما يعتبره طوفان مظهرته.. وأن تحتفظ وزارة المالية ومؤسسة النقد بوثائقهما المالية التي سيحاسب بموجبها من كانوا في الحكم قبل مظهرته..

هذا الذي مني بتجاهل شعبي مطلق بل تحقير ما بعده إهانة حيث لم يخرج رجل واحد استجابة لتحريض جنونه فاته أن الأسرة المالكة ليست أفراداً ولكنها رمز والناس حتى ولو وجد من يختلف مع الدولة فإنه يرفض المساس بالرمز.. الدولة هي الأمة.. هي البلد.. هي البلايين التي ضخت من أجل نمو لا تشهده دولة عربية أو نامية أخرى.. هي الأنظمة المتجددة التي تستحث التحديث وتطارد البطالة وتتشرب مباحج الاستثمار.. نعم الناس هنا.. غير.. ليسوا غوغاء يقودهم صوت ولكنهم مؤمنون متعلقون يقودهم وعي..

عبدالله بن عبدالعزيز.. الأهم ما بقي لك.. (*)

كنت أتصور أننا في العالم العربي منذ وجود القوات الأمريكية ومعها قوى التحالف للعراق وبروز إسرائيل لا كدولة تحارب فقط وإنما تتدخل في موازين التعامل بين دول المنطقة والقوى الكبرى ثم ما نشر إعلامياً وسياسياً عن ضرورة وجود إصلاح شرق أوسطي شامل.. كنت أتصور أن الناس في هذا العالم العربي المضطرب الذي فقد هوية البدايات فصعب عليه أن يعرف المسار نحو الغايات قد جد في معرفة ذلك المسار حتى سمعت برلمانياً، وليس فلاحاً أو عاملاً، في دولة عربية يخترق صمت القاعة التي كانت تصغي إلى خطاب الرئيس بهتافه «بالروح بالدم نفديك يا ..» بشعة هذه العبارات حيث لا يوجد شخص عاقل يبحث عن روح ودم تقديه، لكن توجد مجتمعات تريد أن تسلك مسارات تطورها وتصحيح أوضاعها.. ماذا لم يقدم لصدام من دماء وأرواح عراقية.. ماذا لم يهرب الأخ العقيد من دماء وأرواح لدى الآخرين.. كم يختفي تحت تراب السودان والجزائر واليمن من أرواح أشقياء فضلوا وحدة الفئة على وحدة المجتمع..

إن طموح الزعيم.. أي زعيم.. في أي مجتمع عربي لم يعد يتوقف عند احتكار اسم الجامعة أو الميدان أو الجسور الضخمة أو مؤسسات العلوم والمعرفة أو جوائزها ولكن لو صدر قرار بتكنيس شارع صغير لاستدعى الأمر أن يكون الشارع النظيف باسم الرئيس..

لكن ماذا هو في بلده.. عبدالله بن عبدالعزيز؟.. على يمينه ويساره وفي كل الاتجاهات تمتلئ المدن بشواهد معمارية ولافتات مؤسسات اقتصادية كبرى، لكن حين قيل له إن هناك فقراء في حي بعيد عنه ذهب إليه وباشر معالجة مشكلته ولم يكن هناك هتاف فوضوي وإنما ابتساماً (أبو الأسرة) يلتف حوله الجميع..

الجامعات والمؤسسات التي حملت اسم الملك عبدالعزيز والملك خالد والملك سعود ومن قبل كان هناك اسم الملك فيصل والملك فهد.. لم يزاحم هذه الأسماء الكبيرة ويضع له رصيماً بينها..

(*) العدد ١٣٤٣٩ (١/٣/١٤٣٦هـ، ١٠/٤/٢٠٠٥م).

حين رُوِّضَ بالنظام وبالرؤية الشرعية، عبر خطاب هو منتهي الوعي بتدرج سلطة الولاية، مشكلة حل النزاعات التي تنشأ في مؤسسات إعلامية مع آخرين.. أعاد وبجزم الشأن لأصحابه حيث يقضي بذلك مرسوم ملكي سابق يحدد نظام المطبوعات.. ولو حدث هذا في غير بلادنا لوجد من ينتهزه فرصة تشهير بغير أو إشهار لذات لكننا أكبرنا فيه صرامة الحزم يعود في كل أمر إلى أصوله دون أن يكون هناك مستفيد وخاسر فالكل إخوة وطن والكل يجب أن يكونوا حوله في زمن ذهبي نتابع ما لا نستطيع قراءة كل أبعاده من تحول اقتصادي واستثماري جذري سيخرج بالمملكة من خمول الشرق الأوسط حتى ولو أصبح كبيراً فبلدنا سيكون أكبر بشواهد الأرقام من حجمه برؤية محلية وإمكانيات محلية..

فتح الأمير عبدالله نوافذ الحوار وأغلق كل نزعات الخلاف.. لم تعد المملكة دولة تسابير غيرها.. سواء كان ذلك الغير حياً شعبياً أو رؤية اجتماعية محدودة أو رغبة دولية معينة أو تياراً عالمياً يتوغل، ولكنها حددت مكانتها بالصورة التي رفض بها الملك عبدالعزيز أن تكون تحت وصاية أحد محلياً أو خارجياً وبالصورة التي جردها الملك فيصل عندما فتح النوافذ على الثقافات بعد أن كسب معاركه السياسية والعسكرية ضد المناوشين حول معظم الحدود..

إننا ونحن نقترّب من «الاس» مرة أخرى بعد أيام نذكر كيف تم استقبال الأمير عبدالله بخصوصية وتقدير رغم شراسة تحريض الإعلام الأجنبي وقتها، والأروع أولئك العاملون السابقون في أرامكو الذين قالوا بوسائل ترحيبهم إنهم هنا مثلما كانوا هناك.. وجدد نفسه في موقف لم يتغير في محادثات شرم الشيخ التي لم تنس ترسيخ الموقف في بيروت ولم تستطع قمة الجزائر أن تغير ذلك الثبات المعروف بالمبادرة العربية.

الكل الذين يرونه كبيراً في مثل حجم بلده حيث لا يربط اسمه بكل جديد أو يغتصب ما هو قديم.. ليس فيهم واحد سيردد هتافاً بالياً.. بالدم والروح نفديك.. لأنه نوعية سلوك وتفكير وممارسة وعلاقات يختلف عن مؤثرات ذلك الإرث المندثر.. فالكل يراه في عيون تقول إن المستقبل سيحمل اسمه بما ستؤدي إليه نتائج الجامعات العلمية والتنظيمات الاقتصادية والإحداثيات الإدارية وتدافع البترول من عمق الأرض وكأنه يقول لنا إنه هو الآخر معه..

سيحمل اسمه ما هو الأثمن والأبقى.. ذاكرة الناس التي لن تنسى أنه خاض بالفعل والتروي
أشرس المعارك سياسياً واجتماعياً وعلمياً واقتصادياً في الأبوّة لمستقبل جيل قادم هو له
اسمه.. ملامحه.. يقين خطواته..



الأمير عبدالله.. حضور الواقع السعودي الجديد في باريس (*)

زرت باريس مرات كثيرة مع وفود رسمية وعبر أعوام عديدة.. طيلتها لم تكن العلاقات السعودية - الفرنسية سيئة.. كانت جيدة على الدوام، لكن في هذه الزيارة ظهرت ملامح العلاقات وهي أكثر من جيدة.. كل طرف كان يحاول أن يلتقي بالآخر عبر تعاون ثنائي أو ثوق.. لم تعد كلمة «الصدافة» التقليدية تعني شيئاً مميزاً في العلاقات فهي تعبير مثل سقف جميل تمر من تحته كل أصناف العلاقات العادية.. أما في هذه الزيارة فإن باريس كانت تخرج بترحيب غير مألوف حتى مع رؤساء الدول الكبرى لتعطي تحية للأمير النبيل الآتي من بلاد أخذت تفتح أبواب التنوع الاقتصادي والصناعي..

وباريس تريد أن تكون شريكاً فاعلاً معطياً وأخذاً مثلما هو شأن التحالفات الإيجابية.. ولم يأت الأمير عبدالله بشخصه فقط فهو رجل يحظى باحترام الكثير من رؤساء دول العالم.. في المقدمة الرئيس الأمريكي بوش الذي أثنى أكثر من مرة على جهود الأمير عبدالله الإصلاحية ووصفه بالرجل النزيه.. والرئيس الذي يستحوذ على احترام الفرنسيين جاك شيراك كسر أكثر من مرة العرف التقليدي في طرق الاستقبال والترحيب فأعطى للرجل الآتي من منطقة مضطربة، لكنه يقود ما هو آمن واضح الرؤية فيها، ما يستحقه من احترام.. ليس لشخصه فقط ولكن للتطلعات الطموحة اقتصادياً وصناعياً التي تنفرد بها المملكة بين كل أوضاع المنطقة المضطربة مما لفت انتباه الجميع..

من عادة الدول الأوروبية أن ينعكس تقديرها التقليدي لضيوفها عبر الترحيب الشخصي لرؤسائها.. أما في باريس فإن الصحافة الفرنسية على اختلاف اهتماماتها قد أعطت لزيارة الأمير عبدالله مواقع المملكة القادمة الكثير من الاهتمام والكثير من التحليل ولم يكن الترحيب والحوار مثاراً على طاولة دبلوماسية، ولكنه كان لأكثر المهتمين بالشأن الاقتصادي والصناعي حضورهم في هذه الزيارة ومباحثاتها..

(*) العدد ١٣٤٤٦ (١٣/٨/١٤٢٦هـ، ١٧/٤/٢٠٠٥م).

يشعر الإنسان .. من بلادنا .. أن مشاعر الاطمئنان تغمره حيث تمكنا من السيطرة على أوضاعنا وسمعنا صوت الدولة قويا .. صارمًا وهو يفرض الأمن من ناحية ويطلق مسارات النمو الإيجابي الضخمة نحو أهدافها من ناحية أخرى ..

لم تعد المملكة تحاور عبر صداقات تقليدية أو تحالفات تقليدية، ولكن عبر مصالح مشتركة وهي لغة اليوم .. عبر طريق مشرق يؤكد وتباشيره بين أيدينا .. مشاريع عملاقة تسوق في أوروبا وأمريكا بالبلالين فتداول سيولة تفوق كل ما في أسواق العالم العربي من تداولات ..

الأمير عبدالله يضع أمام أنظار العالم حقيقة الواقع المثير في مجمل تصاعده وتضاعف نجاحاته، فالمملكة أمام القوى الفاعلة في العالم، لم تعد برميل بترول يباع فنشتري احتياجاتنا بثمنه .. العالم الذي كان قبل عامين ببرامج الاتهامات ضدنا ويقلل من أهمية مواهب الأرض والبشر أصبح الآن الأكثر يقيناً بمستقبل قريب يزخر بالتنوع الاقتصادي لم يربط المملكة بمشاكل الشرق الأوسط فقد شعبنا بسخاء الوفاء ومساهمات الواجب وأصبحنا مؤهلين لأن نحقق زمالة فاعلة وناجحة وإيجابية المعطيات للمواطن مع القوى الاقتصادية الصناعية التي تؤثر في سياسات العالم الحضارية .. لنا مقعدنا هناك كدولة وللمواطن مبررات تطوره ..

يجب أن نلحظ بعناية أننا لا نمر بفترة طفرة عارضة، لكننا نضع أقدامنا بثبات على أرضية تشكيل نمو وتمكن في القدرات الطبيعية والمهارات البشرية في ديمومة الاستمرار ..

الأمير عبدالله في دالاس علاقات الشريك القادر^(*)

أعتقد أنه سيكون اختصاراً غير دقيق لحقيقة العلاقات السعودية الأمريكية لو تركز على تاريخية وجودها وكونها تمثل أقدم تعاون بين دولة في الشرق الأوسط والمحور الأول في طريف السيادة الدولية قبل أكثر من نصف قرن. وإن كان في ذلك تجذير أكيد لمتانة التعاون وما استطاع أن يتجاوزه من أزمات وينتصر فيه أيضاً على عقبات دولية لم تكن بالسهلة. ذلك أن حقيقة الواقع الراهن الذي يطل به الأمير عبدالله بن عبدالعزيز على مدينة «دالاس» الأمريكية إنما يمثل بما هي عليه مواقف الأمير عبدالله، وصلابته في اجتياز الأزمات وبعده رؤيته في معالجة قضايا المنطقة الراسخة إنما هو يمثل أيضاً نمو المكانة السعودية عالمياً وكونها طرفاً مطلوب التعاون في أكثر من مجال.. الكثير من القادة يصلون إلى العاصمة الأمريكية وهم يبحثون عن حلول لمشاكلهم، والأمير عبدالله يأتي إلى هنا وهو كما قال المتحدث باسم البيت الأبيض بصفته شريكاً مهماً وفاعلاً في تطوير أوضاع الشرق الأوسط الاصلاحية من ناحية، وحلّ أزمات المنطقة من ناحية أخرى. وتعبير «الشريك» هو دلالة على الاستقلالية وتوفر القدرة الذاتية لمعالجة قضايا بالغة التعقيد.. وإذا استعدنا بالذاكرة أهم قضايا المنطقة والتي لن تكون إلا القضية الفلسطينية سنجد أن المملكة وهي طرف غير عسكري في سخونة الصراع، ومع ذلك فإنها الوحيدة التي انفردت برؤية الأمير عبدالله التي اعتمدت موقعاً عربياً حظي بتقدير العالم ولم تستطع بعض التجاوزات عبر خطط جانبية اهتمت بالهامش لا صلب المعالجة لكونها لم توفر شمولية الرؤية لتعقيد الوضع الفلسطيني في معالجة حجم دولته ومصير النازحين خارج خطوط الاحتلال..

وإذا برزت قضية الإرهاب العالمي التي شغلت الذهنية الأمريكية كثيراً وأوجدت حساسية مفرطة في التعامل مع دول العالم الثالث، فإن المملكة قد برزت بشكل استحوذ على تقدير كل المراقبين بكونها استهدفت بشراسة أكثر عدوانية من قبل الإرهاب، وكونها في الوقت نفسه حققت أكفأ أساليب مطاردته والقضاء على بؤر تواجده بل تجاوزت قدرتها الأمنية

(*) العدد ١٣٤٥٤ (١٦/٣/١٤٢٦هـ، ٢٥/٤/٢٠٠٥م).

نطاق المواجهة متى حتمتها هجمة إرهاب إلى براعة المتابعة وترصده في بؤر إعداد هجماته وإجهاضها قبل أن تتحرك، وقد أعطى الأمير عبد الله في لقاءاته مع الوفود السعودية المتنوعة الأطياف والمواقع التأكيد بأن المملكة لن تضطر في إسلامها وفي نفس الوقت سوف تتعقب أي محاولات للنيل من أمنها .

الأمريكيون يراقبون ويعرفون جيداً أن الرجل الذي وصفوه بالقوي والنزيه ويتصدر بدولته مواقع مشاركة عالمية مرموقة في مجال التعاون الدولي الذي أصبحت تباشر به الاستثمارات الجديدة فتح تنافساً يكشف جزالة الصداقات في عالم أصبحت تقوده المصالح. والمملكة عندها الشيء الكثير الذي يغري مصالح الآخرين وفي نفس الوقت عندها انطلاقات التأسيس الاقتصادية الجديدة التي أصبحت تؤسس أيضاً لمجتمع سعودي تتألق فيه المنافسات الاستثمارية محلياً التي ستجعل الإصلاح الاجتماعي منجزات تحول حضارية أكثر مما هي رصف براق لمسميات لا تعكس شيئاً مهماً عن الحياة الاجتماعية مثلما هو شأن معظم المجتمعات العربية..

إننا كمواطنين وفي عالم سريع التحولات وسريع المخاطر نستشعر بالأمان في الوصول إلى مستقبل سيجد فيه الجيل القادم مكانته المرموقة بين الشعوب المتقدمة.. بمعالجة تطورات التقنية التي يؤهل لها الحاضر المتحرك الآن سريعاً نحو الأمام بما يعطي الشخصية السعودية مكانة المشاركة لا المتابعة للأهواء الدولية..

والصداقة الأمريكية لن ينكر أحد بأنها رصيد هام في اجتيازات ظروف الحاضر الشرق أوسطية أو الدولية الصعبة والأمير عبد الله بمواقف الثبات التي حاور حولها أيضاً أطراف الصداقات الأخرى إنما يقدم على خريطة العالم رؤية مستقلة تليق بدولة تتزعم العالم الإسلامي وفي نفس الوقت تهيمن على أكبر المؤثرات على إنتاجه الاقتصادي والصناعي..

عبدالله.. الفارس العربي للشراكة مع نادي الأقوياء (*)

كأنك بين أهلك وذويك، داعب هذا الشعور كلاً منا مساء يوم أمس الأول عندما أقام جورج بوش الأب حفل العشاء تكريمًا لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز فاللقاءات بين مختلف المدعويين سعوديين وأمريكيين كانت حميمة متفائلة تتقارب فيها مشاعر ذوي معرفة مسبقة وذوي ثقة متبادلة مسبقة. لكن أجواء العالم بصفة عامة ومبالغات أجهزة الإعلام كانت توحى بحذر ما رغم أن استقبال الفارس العربي القوي في الزيارة الأولى لهيوسطن حفلت بخصوصية ترحيب واستقبال ولم يكن ما حدث هنا في دالاس أو قبل ذلك في هيوسطن يتكرر لأي زعيم آخر.

فكلنا ما زلنا نذكر مظاهرة زملاء أمس وأصدقاء اليوم الذين تجمعوا قبيل مزرعة الرئيس رافعين نماذج تذكارية وعبارات تؤكد أن أرامكو كانت الحاضنة الوفية لصداقة شعبيين أنجزا على جفاف الصحراء مورقات النمو الحضاري الخضراء.

وفي صبيحة اليوم التالي تلقينا كصحفيين نسخة البيان المشترك الذي وُلد في أعقاب ذلك الفرح الليلي أثناء حفل الرئيس جورج الأب وكان فيه تبادل الطرائف ورفع الكلفة يدلان على أصالة جذور التلاقي التاريخي بين دولتين فيأتي البيان المشترك ليؤكد بالحروف ما رأيناه على الملامح أثناء الحفل. يأتي البيان المشترك فيعيدنا إلى ما قبل ستين عامًا مستعرضًا لقاء الرئيس فرانكلين روزفلت والملك عبدالعزيز آل سعود في لقاء يصفه بأنه كان تاريخيًا شهدته البحيرات المرة في قناة السويس وأن من أتوا بعد ذلك انطلقوا بامتدادات ذلك التأسيس إلى تأكيد وعبر كفاءة كل طرف على أن التحالف الوثيق بين الدولتين يتجدد ويتأصل. ثم يشير البيان المشترك إلى أنه يصدر في خطوة تجديد للصداقة الشخصية والعلاقات بين البلدين ويشير وهذه أهمية خاصة تنفرد بها المملكة إلى أن التغييرات الهامة التي تجري في العالم تتطلب من الطرفين صياغة قوية مبنية على ما تم تحقيقه، ومن شأن هذه الشراكة مواجهة تحديات هذا العصر.

(*) العدد ١٣٤٥٥ (١٧/٣/١٤٢٦هـ، ٢٦/٤/٢٠٠٥م).

ويلح البيان على إبراز هدف هام لهذه الشراكة وهو الاستفادة من الفرص التي ستتاح للبلدين خلال العقود القادمة ويشير البيان أن الصداقة قائمة على إدراك أن كلا من البلدين يتمتع بتاريخ متميز يدعو للفخر والاعتزاز.

وتشير الولايات المتحدة وبخصوصية متميزة في البيان أنها تحترم المملكة العربية السعودية كمنبع للإسلام الذي تصفه بأنه أعظم الأديان في العالم. من جانبها تكرر المملكة دعوتها لكل من يدرس ويدعو للدين الإسلامي أن يلتزم بدعوته أي الإسلام للسلام والاعتدال والتسامح والوسطية حيث ترى الدولتان أن رسالة السلام والاعتدال والتسامح يجب أن تنتشر بين كل الناس والأديان.

ثم يشير البيان إلى إيجابيات سعودية هامة بينها إعلان الرياض الذي يدعو إلى تعزيز قيم التفاهم والتقارب بين الثقافات ومحاربة كل أشكال التفكير الذي يدعو للكراهية ويحرض على الإرهاب مما لا يقبله أي دين أو قانون.

وفي إشارات متبادلة تدرك السعودية مبادئ الحرية التي قامت على أساسها الولايات المتحدة الأمريكية والدور التاريخي الذي لعبته أمريكا لوضع حد للاستعمار والامبريالية ومنح الشعوب حقها في تقرير المصير.

ولا تتوقف الولايات المتحدة في البيان المشترك عند حدود الاهتمام بقضايا عامة مشتركة كمكافحة الإرهاب واحترام حريات الآخرين وخصوصيات كل طرف لكنها ترحب بتجديد المملكة عزمها على تحقيق الإصلاح الاقتصادي وسعيها للانضمام لمنظمة التجارة العالمية.

ويرى البيان أن الشركاء سيعملان لاستكمال المفاوضات مع أعضاء المنظمة في جنيف للترحيب بالمملكة كعضو فيها قبل نهاية عام ٢٠٠٥م مروراً بالاهتمام بأسواق النفط وسلامة تدفقه بشكل وافر وأمين من مصادره السعودية. وعندما يتناول البيان القضايا خارج حدود الدولتين فإنه يبرز الحرص على توفير الأمن للشعب العراقي ومؤسساته لتكون لكل فئات شعبه دون استثناء، مع دعوة الطرفين المجتمع الدولي لدعم نمو العراق وعدم تدخل الدول الجانبية في شؤونه والتأكيد مجدداً على تكثيف الجهود لمحاربة الإرهاب حرباً لا هوادة فيها.

وفي الشأن الدولي الخاص بالأسلحة النووية تؤكد الدولتان اتفاقهما على منع الانتشار النووي وتكرار الدولتان موقفهما من لبنان بضرورة وجود انتخابات حرة، عادلة، نزيهة في أسرع وقت. وجوهر النزاع في منطقة الشرق الأوسط ليس إلا الصراع الفلسطيني الإسرائيلي فيأتي البيان صريحاً مؤكداً ضرورة وجود دولتين ديمقراطيتين ودعم جهود السلطة الفلسطينية لإصلاح أوضاعها. وأعربت الولايات المتحدة عن شكرها لولي العهد السعودي على مبادراته التي وصفت بالجريئة والتي تم إقرارها بالإجماع في قمة بيروت عام ٢٠٠٢م.

مبادرة الأمير عبدالله هذه لم تستطع أن تزحزح ثباتها ومصداقيتها أي محاولات أخرى ويلاحظ على البيان أنه يكرر الشراكة بين الطرفين السعودي والأمريكي في معالجة كثير من القضايا المشتركة الاهتمام بما في ذلك توسيع نقاط حوار وتفاهم والتعامل بين المواطنين وتشكيل لجنة عليا لتعزيز التبادل التعليمي والثقافي والعسكري والتجاري والاستثماري بين البلدين وفق نقاط تشمل زيادة عدد الطلبة الدارسين وزيادة برامج التبادل العسكري التعليمي والتدريبي وتواجد الأمريكيين في المملكة عاملين ودارسين.

وفي التختيم يتكرر ذكر بذل جهود أكبر لتتغلب على العقبات التي تواجه رجال الأعمال والطلبة السعوديين والمواطنين ذوي احتياجات العلاج.

لا أعتقد أن دولة نامية أو خارج حدود نادي الدول الغربية الكبرى بمقدورها أن تخرج بمثل هذه النتائج الكبرى بل أستطيع القول بأن المملكة بهذه النتائج ومثلها ما أسفرت عنه زيارة الأمير عبدالله لفرنسا من إيجابيات وما للمملكة من علاقات تعاون وثيق مع كل من بريطانيا ودول الجنوب الأوروبي قد تمكنت من دخول نادي الكبار فأصبحت شريكاً وصديقاً وحليفاً وليس هناك طموح أكثر من ذلك.

تقديرنا جميعاً كمواطنين لفارسنا العربي.. عبدالله بن عبدالعزيز الذي تجاوز بنا مرحلة القلق إلى مرحلة يقين الشراكة في عضوية نادي الأقوياء.

محترم التصرف.. محترم الأداء.. لا بد أن يكون شريك الأقوياء (*)

الأمير عبدالله شخصية تتوفر فيها البساطة وإيجابية التعامل مع الواقع.. قد يتساءل البعض أحياناً لماذا فعل هذا.. كفكرة الحوار الوطني.. وعودة القضايا إلى أصولها كنظام المطبوعات الأسبق تقنياً لحل خلافات النشر والإعلام.. والرد البدهي.. إلى ماذا ستؤدي السلبية وخلط الأوراق لو لم يفعل ذلك.. وصحيح إذا قلنا إن تمرد أسعار البترول على مقاييسها القديمة لم يكن قراراً سعودياً وإن عودة رؤوس الأموال المهاجرة لم يكن بإغراء محلي ولكن بسبب ظروف دولية تبرز لنا إيجابية تصرف الدولة عندما لا ترى في ذلك دعماً طارئاً فقط لميزانية ولكنها توظف ذلك عبر تأسيس التنظيمات والمؤسسات الاقتصادية الجديدة لخلق مجتمع يستفيد مالياً وتقنياً وعلمياً بذلك وبالتالي يملك قدرات النمو الذاتية.. مجتمع غني هو الهدف وليس فقط دولة غنية.. هناك دول غنية على سبيل المثال ليبيا وعراق صدام وجزائر ما قبل بوتفليقة ولكنها تحكم شعوباً فقيرة والعالم العربي في عمومها يعاني من هبوط اجتماعي اقتصادي أدى إلى تفشي البطالة ومعها الجريمة وسرية تكوين النخبة الاجتماعية..

المملكة التي باشرت إصلاحات اقتصادية واجتماعية تتحرك نحو الأفضل بثوابت إمكانيات تُوظف في مواقعها الاجتماعية الصحيحة..

ننتقل من هذا التميز الاجتماعي الواعد بعضوية دولية أرقى لنعرف مدى وجاهة رؤية الزمالات الدولية لهذا التميز من خلال تعامل هذه الزمالات مع دول المنطقة.. هنا في المملكة توجد إيجابيات تؤسس ويتسارع نموها وخاصة المجتمع السعودي المحافظ بدلاً من أن تكون هدف تعشيش لأضرار الخلاف تم تحويلها لتكون خيمة حوار لأبناء وطن واحد.. العلم الذي أصبح يعرف وعبر دقائق كل ما يحدث في كل أبعاده يدرك جيداً أن المملكة تتحرك باستراتيجيات نحو تملك أساسيات الاستمرار وشمولية اتفاق اجتماعي على أن لا

يفسد اختلاف وجهات النظر متانة كفاءة الوطن كموارد، والمواطن كأصالة ثوابت.. إذ لا أتصور أن الأمير عبدالله يحقق في أمريكا احتراماً خاصاً للمملكة فقط لكنه يقدم نموذجاً لعروبة لم تدرکہا إعاقات المجتمعات الأخرى، ولم تلتحف مشاكلها بحلول وقتية.. نحن لم نطلب معونة اقتصادية من أحد ولم نطلب من ذلك الأحد نموذج حل لمشكلة اجتماعية ما.. نحن الأكفأ اقتصادياً والأفضل محلياً لمعالجة مشاكلنا والحوار مع العالم وبالذات مع أمريكا حيث تتصدر سيادة القدرة الاقتصادية والسياسية في العالم هو حوار زعامة تحاول أن تكون الشريك الأكفأ في معالجة هموم المنطقة..

في أمريكا.. من دالاس.. حيث جبوت المال والعلم والسلاح والانفرادية المطلقة في ذلك.. وبعيداً عن لغو ثقافة المقاهي في الستينات التي أصدرت دواوين هجاء الامبريالية ومقالاتها ثم تحولت إلى تسول أصحاب أصغر موآئدها أو بث الأحقاد ضدهم.. أشعر في دالاس أننا لسنا مجرد رقم صغير بين مجموعة الأصفار العربية ولكننا الرقم الكبير المميز في الانفراد بتميز الأهمية الإسلامية وتميز الأهمية الاقتصادية..

ولذا لا أستغرب أن يصدر البيان المشترك مع أمريكا يوم أمس الأول وهو يعود بالصداقة إلى أصولها وبالتعاون إلى أعلى ذروته فالخيار في منطقة الشرق الأوسط لا يجد في هذه المنطقة المضطربة والفقيرة ما هو أكبر من المملكة اقتصاداً واستقراراً وتسارع نمو..

(*) ما بين هيوستن ودالاس

كلنا نجزم أن الأمير عبدالله بن عبدالعزيز لم يذهب إلى أمريكا لكي يطلع قاداتها على صورة محسنة عن المملكة.. تغيير جديد في مواقفها من قضاياها وقضايا المنطقة.. فالمملكة هي المملكة.. قبل أن تثور الأعصاب الأمريكية وفي ذروة غليانها ثم أثناء محاولاتها تلمس ملامح الحقيقة حول أوضاع علاقاتها.. ثمة مفاصل جوهرية هامة عبّر خلالها الأمير عبدالله عن ثوابت رأي المملكة ومواقفها ليس فيما يخصها فقط ولكن فيما يخص ما حولها..

الإرهاب.. القضية الفلسطينية.. أوضاع المنطقة.. وفرت الرؤية عبر لقاءات هيوستن قبل عامين.. مؤتمر قمة بيروت.. مؤتمر قمة شرم الشيخ المصغر بحضور الرئيس الأمريكي ثم قمة الجزائر.. ثم أخيراً.. دالاس.. فالإرهاب مثلاً لم تنظر إليه المملكة وهو قضية دولة معينة أو ثقافة معينة أو مجتمع محدد ولكن تعاملت معه وهو تصرفات وخلق دائرة الإجرام لأنها استباحت الدماء.. مسلمة أو ذمية.. ونادت عملياً بخراب الاقتصاد والاستقرار، في محاربته رغم كل الإرجاف من قوى متضررة منه لكنها كانت تمتحن معنوياً وتراقب.. استطاعت المملكة البرهنة على أنها ذات الموقف الأقوى والأشد في محاربته.. والإصلاح لم يختصر بهامش وعود وتحريك أحجار تتبادل مواقعها دون أن تتبدل حقائنها، ولكن تحذير لنمو شامل بآلاف البلايين عبر سنوات قريبة للخروج عن الركود الشرق أوسطي إلى التعددية الاقتصادية والشراكة العالمية كما في أوروبا.. ولا أتصور الانتخابات البلدية إلا مجرد خطوة ستلوها خطوات كبيرة وكثيرة..

فرق بين من انطلق هنا بقدرات ذاتية وبين من تتدافع الأيدي الدولية لكي تحركه ولو قليلاً أو تبعده عن الانفجار..

في قمة بيروت كان هناك موقف مبدئي ثابت لمبادرة الأمير عبدالله هو موقف المملكة.. ورغم محاولات التغيير في شرم الشيخ لاحقاً أو في قمة الجزائر فإن المرجعية السعودية بقيت هي

الثبات والأساس للحق الفلسطيني.. في «هيوستن» قبل عامين كانت هناك حفاوة ملحوظة لكن في «دالاس» كان هناك تفهم ملحوظ..

من الذي تفهم الآخر..!؟

أجزم أن الأمريكيين وهم يراجعون خارطة الشرق الأوسط.. العراق السابح في دمائه والذي لا تستطيع أمريكا الخروج منه أو البقاء فيه.. لبنان الذي كل حجر فيه علامة استفهام.. إيران الموجودة في حدودها أم الممتدة حتى جنوب لبنان.. وثمة دول عربية أخرى تعاني من قلق الارتباك وضعف القدرة اقتصادياً على التحرك نحو الأمام.. إذاً وفي الرؤية الأمريكية إلى خارطة الشرق الأوسط بحثاً عن منهجية تعامل أفضل مع حليف أكثر استقراراً وثقة بذاته وقدراته.. كانت المملكة هي الخيار.. صديقاً قديماً تعاون ولم يساوم.. تعرض لحروب الشعارات اليسارية عربياً ومن كل الاتجاهات قبل أن يتعرض لها من الإعلام الأمريكي المتطرف حيث المملكة باقية بثوابتها.. الرجل ذاته بقيمه وآرائه الذي احتفت به هيوستن كصديق هو نفسه الذي احتفت به «دالاس» ليس كصديق فقط ولكن كشريك أيضاً..



الفارس العربي.. ومسؤوليات يهمننا أنها ثقيلة (*)

بموضوعية.. أرجو أن تفهم هذه النقطة جيداً بما تعنيه من شمول يخص الجميع وليس فقيدنا الغالي وحده أو الأسرة المالكة وحدها.. إنما الجميع.. أليس من اللافت للانتباه أنك لست متروكاً وحدك لتحزن.. لست مكتئباً معزولاً.. والذي يسرك ليس وفرة الموجودين حولك يقاسمونك حالة وجومك ولكن هناك شيء آخر يضيء ذلك الوجوم وهو أنك كبير في عيون الآخرين.. فرحك فرحهم وحزنك حزنهم.. إنني دائماً عندما أستطلع مع نفسي أدوار المملكة تجاه الآخرين بدءاً بالقضية الفلسطينية ومروراً بمختلف الدول العربية على اختلافات ظروفها أحس أن هناك خللاً في طبيعة التعامل المتبادل.. أتحسس قصوراً ما لا يعطي القيمة السعودية مكانها الصحيح.. لكن في عتمة الوجوم يومي أمس وأول أمس وجدت أن الكل رحل إلى هنا لكي يقول إنه معنا في أيام العزاء.. معظم الدول العربية أتت إلى هنا في شخص رؤسائها.. أهم دول العالم أيضاً فعلت ذلك..

فهد -رحمه الله- رجل عظيم فقدناه لكنه لم يفقدنا.. هنا جوهر الاختلاف.. كثيرون يموتون فيذهبون إلى فراغ أو حساب سلبيات لأنهم لم يتركوا موجوداً مرموقاً بعدهم.. الموجود المرموق متوفر منذ وفاة عبدالعزيز بن عبدالرحمن -رحمه الله- ومعيار ميزة التواجد هو تصاعد هذا المعيار بين جيل وآخر.

ما كنا نطلبه.. أو تطلبه الأرض في عصر فيصل -رحمه الله- كان في ضرورة قوة الصمود أمام محاولات انهيار أصبحت تحدث يميناً ويساراً حولنا وتوفي فعلاً فيصل بن عبدالعزيز وهو المنتصر دون أن تضع من حدوده مسافة شبر واحد.. ثم كان خالد وطفرة النفط وقيادة فهد الاقتصادية والاجتماعية..

لقد بدأ إحداث المتغيرات بتأهيل ما يجب أن تكون عليه الأرض من قدرات وإمكانيات فكانت صناديق المساندة الاقتصادية في الإعمار والزراعة والصناعة، وكانت مجالس إدارة مؤسسات النمو الاقتصادي والاجتماعي الطارئة الجديدة..

(*) العدد ١٣٥٥٥ (٢٩/٦/١٤٢٦هـ، ٤/٨/٢٠٠٥م)

لقد خرج المجتمع إلى حالة تأهيل جديدة وفقاً لوجود متطلبات نمو حضاري جيدة.. لا أحد يستطيع أن يقف حيث كان والده يقف.. أمريكا لو فعلت ذلك لتخلفت.. والحقيقة أنه ما بين عامي ١٤٠٠ و١٤٢٦هـ كان قد تحتم على الدول أن تواجه ضرورات في التطوير والتحديث، وفي نفس الوقت كوارث عربية انتقلت من الغرب والوسط إلى أقصى الشرق بما في ذلك أحداث لبنان ثم أتى الإرهاب وقد سبقته مفاهيمه منذ خُذل جهيمان في الحرم المكي فكانت معركة ثانية تحتم على الدولة أن تخوضها..

إن الرؤية لمسار الأحداث من الصعب أن يجعلك تفصل مرحلة عن أخرى عهد مسؤول ملك عن غيره ملك آخر فترابط المشاكل موجود وترابط احتياجات النمو موجودة ومشاريع التحديث الحضاري متوالية.. لكنك أيضاً لا تستطيع أن تقف معتبراً أمام أي إنجاز أنك حققت المطلوب بما يشهد أنك أفضل من الآخرين وإلا لقلنا الآن أن ميزانية سابقك وحدها أفضل من ميزانية دولة عربية ما.. لا تستطيع أن تقف.. لهذا تحدث خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز يوم أمس فوصف حمل المسؤولية بأنه ثقيل وأن أمانتها عظيمة..

الفارس العربي.. الذي بهرنا بشجاعة مواقفه دولياً فيما يخص الفلسطينيين ومحلياً في تنقيبه عن الفقر لمنازلته ووضع إستراتيجية للتقليل من سطوته.. يقول ذلك.. وهو المواجه الصارم الحازم ضد الإرهاب، والرجل الذي فتح قلبه للوثام الاجتماعي مثلما أحكم قبضته على ضرورات الانضباط الاجتماعي..

يقول ذلك لأنه يتحدث حول ما هو آت مستقبلاً.. ما هو يستشرفه كي يصل إليه من احتياجات يريدها نمو المجتمع علمياً واقتصادياً واجتماعياً.. هو الذي بعث بأكثر من رسالة إنسانية إلى دول نائية وعلمية متقدمة يقول فيها إن ابن الصحراء.. ذاته صديق الجمل.. هو الذي أصبح يجري عمليات فصل التوائم، وأن تخصصي فيصل هو أفضل مستشفى أوسطي لأمراض السرطان، وأن تخصصي خالد يمتلئ بحجوزات مرضى العيون الآتي بعضهم من الخارج..

هذه الصحراء التي يقود فيها الفارس العربي عبدالله بن عبدالعزيز جمهورها .. على أرضها التي كانت مسرحاً لمطاردات الذئاب والطيور المهاجرة، أصبحت تتنفس التداولات الاقتصادية كل ساعة وما يتم فيه خلال أسبوع يفوق ما يتم في العالم العربي لشهر ..

بنوكها رأسماليات محلية عملاقة وتحالفات مصالح مع بنوك غربية .. مسافة بعشرات الكيلومترات حين تذهب إلى الخرج من الرياض لم تعد مواقع خيام «كشته» ولكنها مدن صناعية متجاورة. وتستعد منطقة سدير لاستيعاب وجود صناعي كبير. فيما الجبيل وينبع مدن سوف تمتد منها اقتصادياً إلى عمق طوكيو ونيويورك ولندن .. ويقفز عدد الجامعات إلى حد يكاد ينافس عدد الثانويات قبل بضع سنوات .. ويسمح تدفق الموارد الاقتصادية بتوسيع أرقام الابتعاث بعد انكماشه السابق .. حركة المجتمع نحو الأمام تمتلئ بفحولة القدرة على الفعل الحضاري إيجابي النتائج. ولذا تحمل المسؤولية كما يراه خادم الحرمين الملك عبدالله هو حمل ثقيل .. لكنه مهمة مشرقة .. الرجال الأقوياء وحدهم القادرون على تحمل المسؤوليات الثقيلة التي يستشرفها سمو ولي العهد الأمير سلطان بن عبدالعزيز بتفاؤل هو في محله تماماً عندما يؤكد بأن المملكة سوف تستمر في طريق مسيرتها الخيرة .. مسيرة النماء والعطاء.

نعم .. إنه اهتمام الناس .. هنا .. العالم .. هناك .. معزين .. أو مبايعين .. إنما هو اهتمام بوجود إنساني واقتصادي وسياسي مرموق كلاهما أعطاه ما يستحقه من تعاطف وتقدير في آن واحد ..

الفارس العربي واهتمام واشنطن (*)

عندما وقف الشاعر الخطيب بين يدي المغفور له - إن شاء الله - الملك عبدالعزيز ملقياً إحدى قصائده وحين قال شطر هذا البيت:

وأخشى الذي أخشاه من مصر أنها ..

أشرأب إليه الجميع يعصف بهم سؤال .. ما الذي يخشاه من مصر على الملك عبدالعزيز .. أو ما الذي يخافه، لكنه حين أكمل الشطر الثاني قائلاً:

تنافسنا فيك الهوى فتضيع

ابتسم الجميع متذوقين براعة الاستهلال ثم الالتفاف على المعنى بالمفهوم الأرقى حين أوضح شخص عبدالعزيز محبوباً لدى الطرفين بل هما يتنافسان ..

لن أعيد تشطير البيت فأوجهه إلى خادم الحرمين الملك عبدالله قائلاً «وأخشى الذي أخشاه من واشنطن أنها ..» لأنها لن تنافسنا فيه لكن نحن من أصبحنا السعداء حيث كانت أكثر الدول بصفة عامة اهتماماً بالتأبين واحتفاءً بالمبايعة وتقديراً لشخص الملك عبدالله مع أن أهم الشخصيات العالمية أتوا إلى هنا ..

كيف استطعنا - معاً - أن نحمي جذور الصداقة القديمة التي تمتد لأكثر من نصف قرن فلا يحرقها لهب الطائرات في المركز التجاري ولا تخيفنا منها اعتداءات الإرهاب في المدن السعودية.

إذا كانت الصحف السعودية تمتلئ بآلاف التهاني يومياً والمبايعات فإننا أيضاً نستشعر التقدير الدولي من خلال نوعية الاهتمام ولعل موقف واشنطن هو المعيار الأوثق والأقوى لما كان عليه الموقف الدولي من ترحيب بالفارس العربي .. عبدالله بن عبدالعزيز ملكاً.

أمريكا أتت منها رئيس دولة سابق هو جورج بوش الأب ووزير خارجية سابق هو كولن باول ونائب الرئيس حالياً الذي لا يتحرك بسهولة هو ديك تشيني .. ونوعية القادمين ليست هي

(*) العدد ١٣٥٥٨ (١٣٥٨/٧/٢هـ، ٢٠٠٥/٨/٧م)

كل شيء ولكن الفارس العربي العائد منذ بضعة شهور من تكساس يتلقى الدعوة مجدداً لزيارة أمريكا توثيقاً لتقدير المبايعة وتوثيقاً لتصاعد احترام الفارس العربي..

لا نريد أن نذكر الأمريكيين بالوقت الذي كانت فيه سحب الجهل المنتشرة في الشرق الأوسط قبل أربعين عاماً تعتبر صداقة أمريكا تهمة وكان يخفف هذا الادعاء أنهم أيضاً كانوا يعتبرون رأس المال ظاهرة اجتماعية مرضية وأن رجل الأعمال شخص محبوب.. لقد احترم الملك فيصل - رحمه الله - الصداقة الأمريكية وعمل على مضاعفة رأس المال واحتضن صعود أهمية رجل الأعمال.. وصاعد الملك فهد ذلك.. وتعامل الفارس العربي.. خادم الحرمين عبدالله بن عبدالعزيز مع حقائق أوسع وأكبر وأكثر خطورة في المنطقة فلم ينفصل عن الصداقة الأمريكية ولم يفرط بالحق العربي وبالذات الفلسطيني.. وكانت أمريكا في شخص أصحاب القرار.. في شخص المتعاملين مع مصلحة الشعب الأمريكي واستراتيجيات مستقبلية يختلفون تماماً عن بائعي الأوهام في الإعلام لأنهم هم أيضاً لم يفرطوا بالصداقة السعودية ولم يعتبروها تهمة ولكن الرئيس جورج بوش سمى المملكة بالحليف الشريك.. وطور مع الملك عبدالله علاقة التعاون بإيجاد لجنة تعاون تجتمع سنوياً ويرأسها وزيراً الخارجية من الجانبين وتتولى اللجنة بشكل مستمر دراسة مختلف أوجه التعاون..

لقد كان الملك عبدالله.. وجهاً براقاً عرفت فيه واشنطن صلابة الرجل الذي يُعتمد عليه ناشراً للإصلاح وبنياً للاقتصاد ومنفتحاً على أجواء السياسات الدولية..

كثيرون من هناك اهتموا بما يحدث هنا بينهم أيضاً بيل كلينتون وجيمي كارتر وجيرالد فورد وهؤلاء رؤساء سابقون ومادلين أولبرايت وجيمس بيكر وبوب دول جميعهم تحدثوا لـ«الرياض» بما هي عليه المملكة من مكانة وما هو عليه الفارس القادم بنا إلى مجد آخر من تأهيل وقدرة..

عبدالله.. ومحاولة صياغة أخلاقية للآخرين (*)

ستبقى أنت المضمون الرائع في لغة الناس، حيث طهّرت مفرداتهم بالمواقف النبيلة يا خادم الحرمين.. عبدالله بن عبدالعزيز..

أمس الأول فتحت بوابة واسعة يمثل ما هو اتساع هذه الصحاري التي علمنا البطل الموحد عبدالعزيز بن عبدالرحمن كيف نحبها.. بوابة دخول للعالم العربي نحو القلب الكبير المتحرك شفافياً ود وصدق في ضمير كل الناس هنا كي يلتقي العرب في حالة وثام تجعل العالم يستمع منهم إلى صوت واحد وموقف واحد حول قضاياهم بعد أن قلل الضجيج الذي بما هو عليه صخب أصدائه وتناقضها من احترام العالم لواقع العرب المتردي يوماً بعد آخر.. وقمة بعد أخرى..

لسنا أذعبياء حين نعلن أن بلادنا هي الأكثر تجاوزاً عن أخطاء الآخرين وتسامحاً في تخطي عثرات الآخرين.. قد يتصور البعض.. لأن المملكة لم تتعود الإعلان عن آلامها.. إن مشروع الجريمة الليبية المستهدف لأمن المملكة واستقرارها ليس هو التجاوز البشع الوحيد لكن هناك في ملف الإساءات ما هو مرير ومؤلم.. بعض المخدرات لم تأت تهريباً ولكن تصديراً من عناصر أرادت تدمير المجتمع.. بعض حوادث إقلاق أوضاع الحج في مواقعه المقدسة كان منها ما هو مرتب للتشكيك في كفاءة المملكة كمستضيف قادر للحجاج، علماً أن المملكة كدولة تدفع الكثير من الأموال لتوفير حج مريح كل عام ولو كانت واقعه في دولة أخرى لتحول إلى مصدر كسب في السياحة الدينية..

بلادنا تعرف كيف تغفر لأنها توالي ازدهاراً في ظل حكم هو الأعرق والأقدم بين جميع الأنظمة العربية.. نظام انبثق من الداخل فحارب التدخل العثماني وقاوم الوصاية البريطانية وسد المنافذ ضد تسرب النفوذ الفرنسي..

بلادنا تعرف كيف تغفر لأن فارساً عربياً أصيلاً مثل عبدالله بن عبدالعزيز يفضل أن يدخل منتدى القادة بيدين مفتوحتين لمصافحة كل رجولة قادرة على خدمة قضايا أمته..

العفو عن الليبيين المتهمين ليس مجرد قرار إلغاء معاملة إدانة ولكنه إعلان سياسي وأخلاقي ضخم.. هائل.. يؤكد نوعية الرجل الكبير في عقله وقلبه حين يريد أن يتحدث ويتصرف في شؤون أمتة شرط أن يبادله ذلك من له مثل هذا التأهيل الأخلاقي العريق..

عبدالله بن عبدالعزيز ليس بالجديد على منتدى القادة فهو صديق أهم قيادات العالم وهو المدافع القوي عن الحق الفلسطيني، وهو رائد مشروع الحوار الوطني في مجتمعه.. لكنه وهو يبدأ دوره الرسمي بعد أن مارس ذلك كثيراً أراد أن يجدد للآخرين حضوره الأخلاقي الذي التزم التعامل به مع غيره.. ولا يلتزم بالتعامل الأخلاقي إلا ذلك النوع النادر من البشر الذي يحاول صياغة الآخرين في تعاملهم وفق ما هو عليه من ثقة ونقاء وبعد نظر..



الملك الرائد بين متطلبات الشارع والطموحات الواعية^(*)

فتح الناس نوافذهم صباح أمس على نسائم ربيع جديد.. ربيع مفاجئ تخيلوا معه أنهم خرجوا تماماً من صيف خانق الحرارة.. الصيف صديق قديم ألفناه في صحارينا لكن ما لم يكن متوقعاً في جزالته وسرعته هو ربيع الانفراج الاجتماعي مبكراً على رفاهية قادمة.. لا تعتقدوا أن زيادة الـ ١٥٪ على المرتبات إضافة إلى مرتب شهر على من هم في المرتبة الخامسة وما دونها هو كل شيء.. هناك مكسب سريع نتحسسه بسهولة مع نهاية كل شهر يتعلق بقدرة الناس على مواجهة المتطلبات اليومية والشهرية ويخص المرتب الشهري مباشرة وهناك مكسب أهم يتجاوز في نتائجه على الرخاء العام ما يمكن أن يفعله المرتب الشهري وهو ما استهدفه الأمر الملكي الكريم بإنعاش قطاعات يتصل نموها وخروجها من مراحل العجز القديمة بتلبية متطلبات المواطن من خلال إتاحة فرص الاستفادة من رافد الدعم للقدرات الفردية سواء تعلق بالإسكان الشعبي أو بصندوق التنمية العقاري أو بكفاءة بنك التسليف أو صندوق التنمية الصناعي أو برنامج الصادرات السعودية ورصد الدعم هنا لهذه المؤثرات الاقتصادية والاجتماعية يتم بالمليارات.. أي أن زائد إيرادات البترول اتجهت سريعاً وإيجابياً إلى خدمة مصالح الناس.. والزيادة في بعض المرافق تجاوزت حجم المعتمد سابقاً. نأتي إلى البند السادس فنجد أنه قد خصص ثلاثون مليار ريال.. أكرر ثلاثون مليار ريال.. كي تصرف على مرافق خدمات يأتي في أولوياتها الطرق والتعليم والصحة والمياه..

هنا نريد أن نلاحظ بأن التدفق المالي الداعم لاحتياجات المواطن وتطوير المرافق ذات الاتصال المباشر بحياته الاجتماعية والاقتصادية إذا تعلق في البنود من واحد إلى خمسة بحركة الصرف الشهري نجد أنه من البند السادس وحتى الثاني عشر يشار إلى أن تدفق مليارات الدعم يأتي من فائض ميزانية ٢٥ - ٢٦ الهجري.

(*) العدد ١٣٥٧٤ (١٨/٧/١٤٢٦هـ، ٢٣/٨/٢٠٠٥م)

هنا نحن أمام وضوح صادق وأمين.. تمامًا مثلما هي شخصية الملك عبد الله.. بأن المسارعة في الدعم الاجتماعي تأتي متزامنة مع تطور تدفق دعم الإيرادات البترولية.. وفي هذا الوضوح الصادق نلاحظ أنه لم يوضع بين يدي الناس قرار ترضية أو مجاملة أو مواساة وإنما وضعت بنود تأسيس وتجذير للتطوير الاجتماعي بمليارات تكاد وحدها تمثل ميزانية مستقلة..

وفي مجال الوضوح والمسارعة للاستفادة من كل طارئ اقتصادي داعم سنجد أن هذه الخطوة لم تكن هي الأولى من نوعها لكنها الأهم والأكبر والأكثر جدوى تاريخية في تجذير نمو الاقتصاد وتعدد روافد الرخاء الاجتماعي الذي لن يُنتظر من المرتب الشهري فقط ولكنه سيأتي بفعل دعم الحركة الاقتصادية وقدرات الدولة على تلبية احتياجات الناس في مجالات عديدة.

أثق أن أكثر من سيده تعاني أزمة إنفاق وأكثر من رب عائلة يواجه أكثر من ضائقة.. كل منهما اتجه بيديه ونظره نحو السماء طالبًا طول العمر لرجل الخير والإنسانية عبد الله بن عبدالعزيز وأثق أن أكثر من شاب طموح واقتصادي محدود القدرة كل منهما رفع يده إلى أعلى.. تحية إكبار لقائد رائد يسبق الطموحات في قراراته..

عبدالله.. هو عبدالله (*)

الأمير عبدالله.. عفواً الملك عبدالله.. عفواً عبدالله.. ما يقارب ربع قرن قد أُلغنا مناداته «الأمير» وما يقارب العشر سنوات والرجل نفسه هو صاحب القرار بغض النظر بماذا كانت تتم المناداة.. واحد من القلائل لا تضيف إليه صفة «ملك» أي جديد على تتابع الجديد في فكره وقراراته وميز المناداة بـ«الأمير» أنه عبدالله الذي يعد اسمه وكفاءته الشخصية بإزالة مظاهر الترهل من جسد الدولة أو رؤية المجتمع.. وبادر في تطلعاته زائراً لأحياء فقيرة أو مخترقاً جموعاً تتراص لرؤيته عند افتتاح المشاريع كي يجد الشاب والمرأة والطفل الصغير أنهم تماماً أمام الأخ الكبير.. ويجده الأب إدارياً أو رجل أعمال أو صاحب حرفة وهو القيادي المحنك الذي بادر إلى تنظيم سوق المال وتوفير مجلس اقتصادي أعلى وتنوع تقنية التعليم..

لا أعتقد أنه حدث احتفاء إعلامي وشعبي مثلما كان عليه الترقب لمضمون حديثه المبهر مع الإعلامية الأمريكية الشهيرة «باربرا وولترز» لمحطة «إيه بي سي» الأمريكية وقد عكست أهمية الحديث تبعاً لأهمية صاحبه المؤشرات الزمنية التي سبقته.. ووكالة رويترز قدمت بعضاً منه مساء يوم الخميس بعد الساعة الواحدة فجراً تقريباً.. مع أن بعض الصحف حاولت أن تضحك على العقول الصغيرة ونسبته إلى نفسها بتغييب المصدر.. ثم قدمت الفضائية الأمريكية بعضاً من مضمونه فقراته ظهر الجمعة عند الساعة الثانية والنصف بينما يعرض عند الساعة الخامسة من صباح اليوم السبت.. وهذا الموعد أستبعد أن يكون فيه جديد على المتابعين الذين دفع بهم اهتمامهم أولاً إلى المتابعة الإخبارية ثم الاتصال ببعض الأشخاص القريبين من المناسبة الإعلامية الهامة لمعرفة مزيد من التفاصيل.. ولا يتعد عن ذلك أيضاً مصادر بعض القنوات العربية وبالذات فضائية «العربية» التي كانت في وضع ممتاز جداً من المتابعة.. وأقول ذلك بناءً على اتصالات شخصية..

الملك عبدالله عندما يكون بمثل هذا الوهج الإعلامي نشعر نحن بوهج الفخر يملؤنا حين

تتكسر أهمية بلادنا، تترسخ أهمية ما لنا من رأي فيما يحدث داخل العراق فيما نرى ما قد يحدث من أخطار لو جازفت إيران بمغامرات غير محسوبة النتائج..
والرجل الملك.. تحدث بنظر بعيد.. بعقلية متمكنة الوعي والإدراك فيما أطل به على مشاكل المنطقة، البترول، العراق، الإرهاب، العلاقات الدولية، من نضج ليس بالجديد عليه..

عبدالله هو عبدالله.. أميرًا أو ملكًا مثلما وجدناه فارس العربوبة الذي أخرج القضية الفلسطينية من ملف التسوية إلى مرحلة تسويق الحقائق الصارخة بضرورة وجود وطن لشعب ذاق الكثير من ويلات الإرهاب الإسرائيلي فقد وجدناه على صعيد التنوير والتحديث يلزمنا بالحوار الوطني وهو أسلوب حضاري يلتزم به الأشقاء قبل أبناء العم إذا ما اختلفوا على شيء فكيف لا نلتقي به مع مصالحنا كشعب..

إنه الرجل الذي يشرفنا أن نحبه.. ليس كما يعبر المثقفون أو يتحدث بذلك كبار المسؤولين.. ولكن كما يعبر الشباب عن مشاعرهم في ذلك بغفوية متناهية حين يملأون الزجاج الخلفي لسياراتهم المتواضعة بصورته باسمًا يدعو الجميع نحو ارتياد المسار الحضاري بعزم الأقوياء خصوصًا وهم يملكون إمكانيات القوة..

الملك عبدالله.. والخروج عن المألوف العربي (*)

لم يخرج الملك عبدالله في خطابه بمجلس الشورى عن مألوفه المعروف عنه فهو ذلك الصريح الصادق القريب جداً إلى يقين الناس تماماً مثلما هو «الأخ والأب والصديق»..

هيبة التقدير هي ما تضعه في موقع خاص وليست رهبة الخوف ما تعزله عن الناس.. بكل ضخامة مشغوليته هو دائماً القريب إلى الناس.. تلك خاصية ينفق معظم القادة - إن لم أقل كلهم - الكثير من المال والجهد والترهيب.. كل حسب موقع أمتة من الوعي.. شعوب واعية يجب لها القادة ببرامج لجان متخصصة وأخرى متخلفة إن لم تشتتر بالمال فهي تساق بالقوة.. هذه الخاصية التي جعلته «أباً وأخاً وصديقاً» إنما ترسخت بتلقائية عند الغالبية العظمى لأنهم يشعرون بصدق وحقيقة تفاعله مع مشاكل مجتمعه الخاصة..

لكل مجتمع في ذروة الرقي الحضاري أو في غيبوبة التخلف البدائي، ولا علاقة هنا لصفة غنى أو فقر وإنما لمستويات ووعي، لكل مجتمع مشاكله الخاصة.. وفي دول الرقي الحضاري هناك مواجهات مكشوفة مع تلك المشاكل تلاحقها دراسات ومتابعات متخصصة.. أما دول التخلف فإنها لا تواجه مشاكلها بحقائق كينوناتها وطبيعة تعقيدات وجودها.. يلجأ الزعيم لأن يخرج على الناس بمبالغات الأمانى وترف الأحلام.. ونحن في العالم العربي أكثر من تخصص بظاهرة الخطابة.. تلك التي كانت وقوداً مغرياً وبراقاً لمشاعر الناس في شوارع القاهرة ودمشق وبغداد والخرطوم وعدن.. سنوات قاربت النصف قرن والمواطن يقتات خطابة الزعيم ويشعر بالزهو أن العامل الأمي عضو في مجلس إدارة الشركة وأن الفلاح الأمي مثله يحتل مكاناً يمثل فيه الأمة.. ولم يسأل مواطن الآخر: لكن ما هي ربحية تلك الشركات ومستواها المالي وكيف هو أداء تمثيل الأمة؟!..

الملك عبدالله لم يقدم نفسه في مجلس الشورى وهو الخطيب النائر لبريق الأحلام ولكنه

(*) العدد ١٣٧٩٨ (٦/٣/١٤٢٧هـ، ٤/٤/٢٠٠٦م).

تحدث وبإيجاز مع الناس فيما شاركوه مهمات النجاح فيه.. نشرًا للاستثمار وتطويرًا للتعليم ومحاصرة للفقر وكسرًا لقيود الروتين..

أجواء جميلة وواقعية لم تهبط من سماء الأحلام لكن الناس عايشوها في واقع حياتهم.. الشورى الذي بدأ وسط علامات استفهام قلقة أثبت حضورًا مطمئنًا بتوالي نجاحاته.. الشورى الذي هو وجود قديم ولكنه كممارسة فعلية ولد على يد الملك فهد بن عبدالعزيز - رحمه الله - كواقع تقييم دارس مع إجراءات التحديث الإداري دفع بالدولة إلى الأمام في مواقف خياراتها.. وهو أي (الشورى) نموذج الإسلام في توفير ديمقراطية النخبة وليس التسابق على مهمات إغواء العامة..



عبدالله.. الناس هم اهتمامك.. (*)

منطقة الشرق الأوسط هي أكثر مساحات العالم غنى وتنوعاً في إمكانات اقتصادها ومعظمها يتطلل بديانة واحدة ويتحدث بلغة واحدة تجاورها الإيرانية ويمزج بينهما الإسلام، ومع ذلك فهي أكثر مساحات العالم بعداً عن مواجهة مشاكلها الحقيقية وتشبثاً بالبقاء تحت ضغوط همومها المحلية التي أخذت تتجذر في اتساع ضحايا الفقر والأمية وصعوبة الحصول على العلاج لأن هذه المنطقة قد ضلت مبكراً طريق إصلاحات مشاكلها وتحضير حياة مواطنيها نحو اكتفاء أفضل بفعل توالي القيادات السياسية التي مارست العمل القيادي فيما يشبه حفلات الألعاب النارية التي تبهر المواطن بأضواء البريق لكنها تتركه نائماً في ساحات مكشوفة وعرة نادرة النبات حتى توقظه شمس الحقيقة بعد سنوات على حقائق تخلفه ومظاهر تقدم الآخرين.. منذ منتصف القرن العشرين بدءاً ببريق القومية وتنافسها مع فرقعات اليسار الواعد بجنات موهومة والتأكيد أن الغذاء الشرق الأوسطي سوف يشبع جوع تكوماندو في مجاهل آسيا ويقطع سوار الأمراض حول كمبالا في متاهات أفريقيا وسوف يوفر العافية بديلاً لتلك النظرات الحاسدة.. وحتى أخيراً مسألة التخصيب النووي التي ألهمت المنطقة سياسياً في متابعات ساخنة.

في المملكة لم نمارس هذا الدور منذ أن كنا نسمى «رجعية» تحاصرنا «تقدمية».. إن الحاكم يتجه إلى الداخل وليس إلى الخارج.. الملك عبدالله الذي أصدر قرارات تخفيض سعر الوقود وابتهج به المواطن وأمر بامتدادات الإسكان الشعبي بتكلفة ٤, ٢ مليار ريال كل هذا يوم أمس.. هو عبدالله.. صديق الناس.. أملهم.. قبل أن يكون حاكمهم.. الذي من قبل ذهب إلى بيت الفقير فشرب القهوة معه..

ما أسهل المتاجرة بالشعار السياسي مثلما ألفنا ممارسات عالمنا العربي منذ نصف قرن وتطور ذلك التأسيس إلى أعمال عنف تشهدها أكثر من سبع دول عربية.. ليست إرهاب التطرف الديني الذي ينتشر في العالم ولكن عنف المصادمات في وهم تصديها لمحاولات

خروج من الخوانق.. قبل أسبوعين تقريباً.. وجهت اتهامات للمملكة بأنها تملك تسليحاً نووياً.. ولم يفعل هذا الاتهام ويفرقع في سماوات الألعاب النارية الشرق أوسطية ولكنه مرر دون اهتمام باعتبار أن الدخول في المشاكل الإقليمية أو الدولية بغير محاولات الصلح وإطفاء الحرائق هو أمر يعني الانصراف عن مصلحة المواطن إلى مصلحة غيره..

عبدالله بن عبدالعزيز.. هو نموذج قيادة سعودية مثالية تضع يدها في يد المواطن سواء في حالة تصحيح الخطأ أو في حالة تطوير حالات الصواب.. وليس هناك مكان في العالم ليس فيه خطأ أو صواب لكن القيادات التي تملك إرثاً يمتد لما يقارب الثلاثمائة عام وولدت من داخل وجود شعبي محض وحدها القدرة على استيعاب هذه الحقيقة والسير برفقة المواطن قبل غيره لإنجاز مهمات بناء المستقبل تصحيحاً لخطأ لو وجد وتصعيداً لأكثر من صواب عليه أن يتكاثر.. زادنا الله بعداً عن ساحات الألعاب النارية في شرقنا الأوسط.

عبدالله .. المحبة والاحترام معًا (*)

شمس الخير التي ما برحت ترسل ضوءها في كل مساحات وطننا، حيث كررت الأحداث بعيد نظر قرارات تيسير حياة المجتمع، أن ذلك يعني مطاردة كل عتمة بعيدة لتكون مضيئة بالأمل والتفاؤل وواقع السعادة العملي مثل أي بقعة قريبة من النظر.

هذا التميز في سرعة الحضور لتطوير أوضاع المجتمع وسد الاحتياجات ما هو ملح منها، وما هو حالة فتح جديدة لروافد كفاءة عيش تتطور بتيسير الإمكانيات..

هذا الواقع هو تميز عن أي آخرين في مجتمعات أخرى، مما يبرهن أن قدرة الحكم السعودي هي متانة الوصل الجغرافي والتعدد البيئي والمناطقية بين كل الناس في بروز ولاء واضح يرفض الضياع في متاهات غيرهم..

عبدالله بن عبدالعزيز.. مثل امتدادات الخير الشامل الذي لم يعد ولكنه نفذ.. لم يدع ولكنه أسكن حقائق جهوده في العمل من أجل الناس.. كل الناس في قلوبهم، فكان الرجل الذي تنافس العقل والقلب على احتواء كامل محبته واحترامه..

مجد الخطوات الجادة في ممارستها والكبيرة في مدلولها ومعطياتها في اتجاه تحسين حياة الناس هو مجد لا يدانيه مجد آخر، ولا أتصور أن المتفحص أو من تهمة ممارسة التقييم في حاجة لأن يذهب إلى مسؤول أو كاتب ليقول له كيف تجد المسافة بين عبدالله بن عبدالعزيز والناس، لأن الوصول إلى معرفة هذه المسافة يتم بمباشرة رصد مشاعر الناس ذاتهم.. العاديون البسطاء ومثلهم أصحاب المسؤوليات والأعمال عندما تجده متألقاً في مواقع أحاديثهم ورسائلهم في الجولات أو النت وهي انفعالات عفوية مثلما نشرنا يوم أمس وتوسع فيه بعدد اليوم فهو صاحب الحظوظ القوي الذي أتى إلى مجده بعواطف مواطنيه إثر تفاعلهم مع اهتمامه العملي بشؤونهم.. كل المجتمعات لديها مشاكل لكن ليست كل قيادة ترصد الاهتمام والمبادرات لكي تباشر بها إنهاء المشاكل أو تدرج حلولها بشكل دائم بل مع كل درجة ارتفاع للإيراد هناك خطوات حلول يفرح بها كل الناس ويشعرون بصدق وبشواهد

(*) العدد ١٢٨٢٧ (٥/٤/١٤٢٧هـ، ٣/٥/٢٠٠٦م)

واقع عملية أن الرجل الرمز لا يعيش بعيداً عنهم أو بافتعال إثارات سياسة كما هو حال قادة العالم الثالث، ولكنه يتواجد فعلاً بينهم كما قال في وقت سابق وكما ينفذه في كل مناسبة فرح مع الناس بأنه لهم الأب والأخ والصديق.. وكّرر: وسأبقى كذلك منكم وفيكم..

في العواطف البشرية ليس هناك ما هو أقوى تأثيراً وتوجهاً للمشاعر مثل عاطفة الأبوة والرجل الكبير بيننا حقق عملياً أبوة محبة ورأفة وصدق رعاية لكل من تجمعهم بهم حدود وطن واحد.. وطن أسعده أن يكون الرجل الرمز في مثل هذا النقاء وضوحاً وكفاءة الأداء إخلاصاً.

الإجراءات التي اتخذتها الدولة توسعاً في تطوير حياة المجتمع مقروءة تماماً في ذهن الجميع، لذا أجدني لا أقدم وصفاً لما هو معلوم ولكنني أقترّب من تفاعل الناس فأسجله تقديراً لهم هم أيضاً الذين عبّرت عواطفهم عن امتنانهم بما حدث.

طويل العمر (*)

ليس هناك ما هو أكثر طرافة من ألقاب القادة.. كلما توغلنا بالتاريخ إلى الخلف عثرنا في تاريخنا الإسلامي على أسماء تربط قدرها وتصرفها بالرب جل وعلا وربما يكون أكثرها طرافة من هو حاكم بأمر الله وبالتالي فلا مجال لمراجعة تصرفاته لأنها إنفاذ لمشيئة الله.. في التاريخ الحديث تنفصم التسميات بشكل متباعد إلى ثلاث مسافات.. في العالم الثالث هناك البطش اللغوي الذي يكاثر صفات.. الجلالة.. الرهيب.. والمهيب.. الفاتح للأول من أيلول.. الزعيم الأوحده.. القائد الرائد.. إلخ..

في العالم الفوقي اقتصادياً وعلمياً وعسكرياً في أمريكا ودول أوروبا الكبرى.. ليست هناك ألقاب لكن هناك مقاييس رسمية للتعامل مع الشارع والإعلام والمناسبات.. أما في دول الشمال الأوروبي فلا تستغرب لو فشل ألف طالب جامعي هنا في معرفة اسم رئيس وزراء النرويج أو فنلندا وربما أورد اسماً مضحكاً كما حدث لأحد المشاركين قبل سنوات في برنامج مسابقات عندما طُلب منه معرفة اسم رئيسة وزراء الهند آنذاك، واستقبل التغطيش من زميله بالغلط فقال منيرة الغامدي بدلاً من أنديرا غاندي.. ويعتبر أمراً طبيعياً أن يتسوق الرئيس بواسطة دراجة عادية.. لماذا؟ السياسة هناك ليست عمل خاصة معينة.. والرئيس لا يمثل جوهر سياسة الدولة وغيابه لا يعني الإخلال بها، ويعتبر الشمال الأوروبي هو الأعلى في مقاييس الديمقراطية.. وهكذا كل نظام يقدم تعريفاً لقيادته وفق ظروفها الاجتماعية والدولية القائمة..

عبد الله بن عبدالعزيز هذا الرجل العظيم باسمه مجرداً بذاته دون إضافات قبل أو بعد، يعرف دوره بين مواطنيه أنه «اجتهاد المحب لأهله الحريص عليهم أكثر من حرصه على نفسه».. أجزم أن كل نظام يتوخى أن يطور ممارسة الجماعة بحيث يكون الرجل رقم واحد تتمثل به أبوة طبيعية صنعتها رؤى وأنظمة نفذت إلى تداخلات المجتمع وتفصيله وقدراته فكونت مسار هذه الأبوة..

(*) العدد ١٢٨٣٤ (١٢/٤/٢٧هـ، ١٠/٥/٢٠٠٦م)

الملك عبدالله ليس إفراراً عفويًا كما في شمال أوروبا لكيّنونات مستقرة الملامح ولكنه هو نفسه يحاول أن يعطي لمجتمعه بدون أن يفاخر بذلك كيّنونات التفوق بجزالة القدرات الطبيعية المتوفرة والتي تحتاج إلى صياغات تفرعها خدمة للصالح العام..

لهذا.. لأنه يصنع الإصلاح عمليًا بعيدًا عن يكذب على الملأ بادعائه أن السعودي يتمنى الرز مرة واحدة كل ثلاثة أيام وأنه ينام تحت الجسور.. الرجل الأب يفعل أكثر مما يتكلم ولأن السياق الزمني والتاريخي الراهن يحتم استبعاد الخصومات الصغيرة وارتهانات قدرات الوطن فإن أي أحد ليس لديه الاستعداد لسماع مثل ذلك الهراء، لكن الجميع يجد في مظلة هذا الرجل الفذ غيوم ربيع دائم مارست فعلاً تحويل التصحر إلى اخضرار وجزالة تتنوع استحداثاته الأبوية بين التحديث التعليمي والتطوير الاقتصادي والتنوع العلمي والتوعية الاجتماعية.. ولهذا أيضًا فمن الطبيعي أن نجد العامة قبل الخاصة وبعفوية متناهية يتأملون ملامح فروسية إرادته وهم يدعون له صادقين بطول العمر.

ومن قبل كان الكتاب الأجانب يطلقون على الملك عبدالعزيز تسمية صقر الجزيرة الذي جاب أقصى أبعادها الجغرافية شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً حيث قضى معظم حياته في صعوبات حروب التوحيد وإعلان الوطن الواحد..

مواطنوه لم ينادوه بأي لقب لكنهم في ظل توفر الأمن ومدارس توطين الهجرات وتداول مفردات غربية كميزانية ووزارة وسفير في طليعة أولى المفردات الحضارية التي دخلت حياتهم القاحلة الخائفة قبله.. كانوا يشيرون إليه في مجلسه بالصفاء ينادونه.. يا طويل العمر.. أملاً في مزيد من المكتسبات الجديدة أكثر وأكثر.. دامت أبوتك يا طويل العمر عبدالله بن عبدالعزيز..

عبدالله.. الفنان والمهندس والمواطن (*)

تقرأ الرواية وعندما تعجبك تقول إن أفق خيال هذا المؤلف واسع وقادر على تصور الجزئيات الاجتماعية أو الإنسانية، فقدم براعة في تجانس الأحداث ومقومات تأثيرها ومواقع دلالاتها..

تدخل إلى مبنى باذخ وكمهتهم بقدرات التصور ومستوى الإحاطة الفنية والذوق فلا تهتمك المساحة ولا كميات الاستهلاك الإنشائية، لكنك تبحث عما يشدك من ترابط بين وحدات البناء ومدى قدرة المهندس في التعرف على مستلزمات التكامل الذي يعطي الشكل الهندسي شمولية التجانس، مثلما يحدث ذلك مع المبنى.. مع الرواية.. يحدث ذلك أيضاً مع اللوحة الفنية.. يكون الفنان فيها بارعاً إذا ربط الألوان والتكوينات التي توشك أن تتحرك داخل اللوحة بضرورة التجانس الأنفة الذكر..

قادة الدول تصعب عليهم مهمة التعامل مع جزئية التنوع السكاني والاقتصادي بحاسية الفنان والمهندس.. من هم في دول كبرى مشغولون بصياغة ذرائع أطماع غالباً ما تكون خرائط افتعالها خارج الحدود، ويفضل أن تكون في المسافات الأبعد، فالداخل المحلي غالباً ما يكون قد استكمل ضرورات تكامله وتبقى مهمة توالي رغبات الاحتياج بتوالي امتداد التنوع الاقتصادي والكفاءات الإدارية..

في العالم الثالث يضطر القادة إلى تزييف لوحات العمل الاجتماعي أو الاقتصادي أو الخدماتي، ويحتاجون دائماً إلى صحافة كاذبة.. لأن فرط تباعد المساحات بين واقع الاحتياج والبعد المتناهي لطاقة الإمداد اقتصاداً أو تأهيلاً اجتماعياً يجعل مسألة التصدير هوة سقوط لا سبيل إلى إنكارها إلا بالادعاءات الإعلامية التي تعد بالثراء وتوسع التوظيف ومحو المساكن العشوائية والسيطرة على انتشار الأمراض والفقر والأمية..

هنا لدينا رجل تشهد مواهبه القيادية أنه حالة اختلاف جوهرية وبعيدة عن كل المؤلف في العالم الثالث.. عبدالله بن عبدالعزيز.. الفنان والمهندس والمواطن.. في آن واحد..

هو الحالة النادرة قيادياً.. التي يصل إليها تأييد المواطن ومحبهه ومتابعة أخباره وتسليمه بطمأنيته لأبوة تريد أن يستظلها ويشهرها أنه الأب الصالح الشاكر لكل عطاءات أبوة المهندس والفنان والمواطن..

عبدالله بن عبدالعزيز.. في كل دول العالم يتلمس القادة وجود منافذ خروج إلى مواقع اهتمام مواطنيهم حتى ولو كانت وهمية أو عارضة أو يتيمة الحدود لا تكرر لها، فيملأون آفاق الوطن بمفرقات الإثارة الإعلامية وكأنهم وحدهم في المكان..

الملك عبدالله.. يؤكد بسلوكة وأفكاره وعواطفه أن المكان ليس له وحده.. هو لا يريد ذلك.. وأن في المكان طاقات وإمكانات مواهب تتزامن معه إلا أنها تبحث عن فرص الظهور.. جهده - وهو الفنان والمهندس الذي عرفوه محلياً ودولياً بالفارس العربي - أن يوفر لقدراتهم على تنوعها فرص العطاء.. فرص النفاذ من حالة التوقف أو التراجع كي تتقدم عبر فرص الدولة لتكون في موقع الفاعل والمشارك والمنتج..

إن إعلانه عن اقتراب ميلاد صندوق التنمية لذوي الدخل المحدود هو خلاصة تفكير حقيقي في كل المواطنين، وهو أول اهتمام خارج الدول الكبرى بوجود اقتصاد فاعل لذوي الدخل المحدود.. يسهل الربح ويعوض عن الخسارة.. وهو يعني أول خروج عن المألوف الذي يوكل إلى اقتصاد الأغنياء مهمة إفراز الفرص الشحيحة لذوي الدخل المحدود الذين قد تطحنهم تلك الفرص مثلما حدث مؤخراً في سوق الأسهم..

لكن عبدالله بن عبدالعزيز موجود.. ومعه يولد كل يوم أمل وتشرق الشمس كل صباح مع فرص استثمار وبناء لكل الناس هنا..

إن من السهل كما في معظم الدول وخصوصاً الكبرى أن تصنع شركات كبرى ورجال أعمال أغنياء وطبقات اجتماعية موسرة ثم تقول إنك بين الأغنياء، في حين يموت الفقراء قرب صناديق النفايات.

أما عبدالله بن عبدالعزيز فهو يتأمل الخارطة السكانية ويبدل كل الجهد لأن يلغي منها رقم (الصر) فيجعل لكل فئة محدودة القدرة فرصة القدرة في بناء الذات.

عبدالله.. الحضور في كل المشاعر والمساحات (*)

لا يستطيع أي حاكم شرقاً أو غرباً.. جنوباً أو شمالاً.. الادعاء بأنه يملأ كل فضاءات وطنه وقريب من كل نوعيات مواطنيه.. القياسات التقليدية والتي تعتبر معقولة ومقبولة في كل أنحاء العالم هي أن يحقق الحاكم حضوراً في تنفيذ خطط إدارته.. في احترام واجهات مجتمعه، في الاقتراب فكرياً وأداء من النوعية الحزبية التي يمثلها.. إذ لو اقترب بتقصير أداء الإدارات مواطنون بعيدون عن السقف الذي هو يتحرك فيه فتلك غلطة من يمثلونه ما بين السقف والقاعدة لو حدث خلل غير ملحوظ فيما هو مهم إلى جانب خلل فيما هو أهم فبداية تكون المسارعة لمعالجة ما يحدث فيما هو أهم.. تلك قاعدة تكاد تكون عامة ولذا فإنك في أمريكا تكون مغالطاً تماماً لو سألت عن الجهات المسؤولة عن من ينامون على أعتاب المتاجر ليلاً فوق أرضية الشارع.. من يبحثون عن بقية خبز أو أشلاء فاكهة من صندوق بقايا ما يأكله المارة.. فالمجتمع الأمريكي في واقعه متوفر في ترف هوليوود وشركات كاليفورنيا ودالاس ونيويورك وفلوريدا أما هؤلاء من هم أشبه بنخالة تالفة وهم أقلية جداً فهم خارج التقييم، وما بين هاتين الفئتين هناك تدرج لا يدخل في القياسات.

نفس الكلام قلّه عن أبرز الدول الأوروبية بوجود أكثرية ساحقة تحتسب بما هو بمستوى متوسط أو أقل، أو أقل ولا تعترف بالنخالة البشرية كمؤشر لحالة اعتلال معيشية..

ما هي صورة مجتمع الملك عبدالله في ذهنه وإجراءاته التي لن نستمع إلى مواصفاتها من أي طرف كان ولكن سوف نتعرف عليها من واقع إجراءات معالجته..

دعوني أربط بين مناسبتين بالغتي الأهمية للغاية فهو وسط بريق ثناءات العطر الآتية من كل مصادر الإعلام المحلية، ومن أفواه الناس في حواراتهم في الفضائيات.. في تقارير المؤسسات الاقتصادية العالمية غير السعودية لكنها مستثمرة في السعودية. الكل يقول إن الملك عبدالله بدولته السعودية قد فتح باباً رحباً أمام الاقتصاد السعودي.. هذا تعبير مدغم.. فتح ضمانات لسعر الريال.. ضمانات لتزايد الميزانية مثلها لإمدادات تنوع مشاريع

البناء الاقتصادي.. مثلها تكتل الوظائف المهنية بالآلاف وأيضاً توسع مباشر في الجامعات العلمية يزاحمه تسابق كفاءة بين ما هو حكومي وأهلي.. الرجل.. عبدالله.. في ذروة هذا البريق من الشئ حوله والإشادات المتنوعة بالقول إنه قادر فريد الطموح والمبادرة بالتواصل الوثيق مع المستقبل الأفضل.. من أعلى هذه القمة بين خبراء وكبار مسؤوليه وطامحي شباب بتأهيل أفضل.. في ذات اليوم بيتسم سجناء ما كان في جدولة برنامج أي زعيم يعيش مثل ساعات تألقه أن ينعطف نحوهم ليس في الجبيل جغرافياً فقط ولكن في جميع مساحات المملكة حيث يحتاج السجن إلى مبادرة تعاطف ويحتاج المدين إلى موقف مساندة.. ولن يكون في السجن أو في قائمة المحاسبة والمتابعة من هو مهتم في الدرجة الأولى بكيفية ارتفاع أرقام النمو الاقتصادي التي ستحققها مشاريع الجبيل؟ لكنه مهتم وللغاية بوضعه الخاص وعزلته الخاصة اللذين وصلتهما عناية أبوة عبدالله بن عبدالعزيز بمهارة قيادية مذهلة جعلت الفرح حقاً مشاعاً للجميع.. فعله رجل.. خرج من القصر.. من بين كبار مساعديه.. ليدخل الحي الفقير ويرتشف فنجان القهوة.. ويستعصي على التنظيم الأمني في افتتاح مشروع اقتصادي قبل بضع سنوات فيخرج لسماع وجهة نظر سيدة أرادت أن تحدثه وإلى شاب طموحه أن يكون له معه حوار خاطف.. حدث ذلك وخرجا معاً الأخ والأخت وخلفهما على الزجاج الخلفي كان يتلثم صقر العروبة في صورة ملأت قلبيهما قبل أن تملأ الزجاج.

الملك..

في مهمة التوافق بين الإمكانيات والوعي (*)

يبقى التصور عاجزاً عن المجازاة.. التصور أوجده ما هو مألوف..

أما ما حدث من انطلاقات وهبات لا تعني محدودية مبلغ المال لمستفيد منه ولكن الانطلاقات لخيول المستقبل الفاره القوة والثقة والإمكانيات فقد شملت المدن السكنية، الاستحداثات الجامعية، التدريب، التعليم الفني، توسعات الصحة، المدن الصناعية الجديدة، شبكات الطرق الجديدة، مشروع المياه الشامل، أبوة أبناء الشهداء، تعايش الوجود في حياة سجين أو مديون.. كثير.. كثير جداً ما حدث..

التصور فيما كتبه آخر لقاء يوم الأربعاء الماضي اعتقدت فيه ومعني كثيرون أن الرائد العملاق عبدالله بن عبدالعزيز فيما أعلنه داخل الجبيل قد أعطى الكثير وبدفعتين هائلتين وطنياً وإنسانياً.. استحداث مستجدات اقتصادية صناعية تعلن لأول مرة.. وقبل أن ينتهي التصفيق إعجاباً بضخامة الاستحداث إذا بالرجل جزيل المبادرات وجزيل المشاعر الإنسانية ينعطف بسرعة مذهلة نحو البائسين في سجونهم كي يجدوا مواطنهم في أرضهم وعواطفهم داخل أسرهم..

أيضاً بقي التصور يوحي لي بأن تصفيق إبهارات الإعجاب والثناء لما حدث في الجبيل سوف يتواصل ليس حتى تنتهي فترة إقامته في جدة ولكن حتى عودته إلى الرياض.. لأن ما أعطاه للاقتصاد والأرض والإنسان كاف للغاية لأن يكون ملهماً متواصلًا بتجسيدات الثناء كلما حل بمدينة جديدة..

والمألوف عند القادة بالذات في العالم الثالث أنهم يجعلون من المفاجآت مراحل متباعدة تعيد تألقهم في الأذهان وفق التدرج الزمني لتلك المفاجآت.. الملك عبدالله بأبوة مثالية نادرة برهن عملياً أنه في حالة استعداد لأن يعطي دائماً لمواطنيه وأرضه كل ما في الإمكان

(*) العدد ١٢٨٧٢ (٢١/٥/١٤٢٧هـ، ١٧/٦/٢٠٠٦م)

أن يكون.. هو يعرف أن بين يديه تتدفق ينابيع إمداد اقتصادية هائلة العطاء وقادرة على الانتشار ويعرف أيضاً - وهذا مهم للغاية في نوعية الهوية القيادية التي يدير بها أمور وطنه - بأن هناك احتياجات متفاوتة.. ومثلما أن هناك مواقع قصور لابد أن يتم تمديدها نحو الأعلى وبجانبتها تتوفر مواقع الامتداد الاقتصادية الوافرة العطاء تجعلانه معاً يمارس مهمة التوفيق بين الاحتياج وبين كفاءة الإمكانيات..

وتعبير «الاحتياج» يجب ألا يكون قاصراً على مدلول تغطية القصور الآني مادياً ولكن برؤية ملك يؤسس لنمو حضاري وعلمي وثقافي طموح يوضح سلوكياً من أفكاره ومنجزاته أن الاحتياج يأتي أيضاً وهو حالة استباق استراتيجي لمتطلبات «غد» قادم وليس حالة وقوف عند «حاضر» يعلن واقعه عن ضرورات تطويره ولكن خدمة «الغد» بهذا الاستباق هي إحلال تأسيسي جديد لواقع علمي واقتصادي وثقافي جديد..

من الذي سيفعل ذلك؟..

من حول الملك مؤهل لأداء المهمة؟..

إنه المواطن من طريف حتى الوديعه.. من ضبا حتى القطيع الكل مستنفر بالوعي والعقل والإمكانيات ليكون حول الملك وهو يمارس فعلاً إطلاق هذه المهمة التي لن تكون صعبة لريادة مصلحة «الغد» القادم متى التفت الناس إلى مصالحتهم الشخصية.. مصلحة الحدود التي تجعلهم على أرض وطن واحد.

إن الأطفال وحدهم من يتركون غرفة الدرس وغذاء العائلة.. وغرفة المذاكرة.. وحديقة الألعاب.. كي يسيلوا دم بعضهم في الشارع ما لم تكن هناك أبوة ناصحة وراذعة في الوقت نفسه..

الأميون الجهلة.. متى بدوا أمام أنفسهم أنهم أصحاب علم أو ثقافة الذين يقدمون قضية الاختلاف العابرة المبالغ في تصور حجمها على مهمة التفاهم والتلاقي على رعاية مصلحة مشتركة كل مراقب محايد يجزم بفضيلة الالتفاف حولها..

من الحمق والرعونة والجهل بحقائق العصر ومخاطرة أن يترك الإنسان إمكانيات قدراته

الخاصة مالاً وعلماً وأخلاقاً لكي يلهو ببعض من أمراض الآخرين.. الملك عبدالله رفض أن يكون هناك تقسيم تسميات يوزع تهماً مختلفة تشير إلى علماني أو ليبرالي أو منافق أو إسلامي متطرف..

أليس من الحمق المتناهي أن يترك الناس مهمة الاهتمام بثروة بلد هائلة ومنجزات مشروعات مؤسسة قادمة العطاء قريباً وعلاقات احترام دولية متعددة المصادر كي يختلفوا على مدلول تسميات لا وجود عقائدي لها..

نحن مسلمون ملتزمون بأخلاقياتنا.. ويجب أن يكون الجميع في مستوى أبوة عبدالله بن عبدالعزيز.. إنه لا يقرب باب التاريخ كي يكتب فيه حالة حضور قيادي لشخصه ولكنه يباشر دخول التاريخ مسجلاً حالات حضور لشعبه وأرض وطنه خلف قدرات قيادته..



الملك عبدالله.. إستراتيجية العقل لا العاطفة (*)

لو أنه تم التعامل برؤية المملكة ومنطقها في الأزمات العربية منذ احتلال فلسطين، حتى الآن، لثم تلافي كوارث وإهدارات كثيرة، اقتربت بمقدرات معظم الدول العربية، إلى قاع الصفر، وأفقدتها أهميتها - أي الدول العربية - في المحافل الدولية، والصدقات، والتحالفات، مثلما نشاهد عملياً من واقع مرير للانحياز الدولي ضد قضايا العالم العربي..

لقد أثقلنا اهتمام العالم بتعدد المشكلات، سواء في فلسطين المحتلة، أو لبنان، أو السودان، أو العراق، أو الصومال، أو اليمن، أو الجزائر.. دائماً تعالج المواقف، والقضايا، والتجاوزات، بمؤثرات العاطفة، وليس شرطاً أن تتوافر القناعة لدى من يستخدم العاطفة، كما في الخطب التلفزيونية، أو حوارات الجامعة العربية، لأن من يستخدمها يفعل ذلك في لغة تواصل مع الشارع العام، الذي يستفزه الهتاف..

عودوا إلى تاريخ الهزائم العربية عسكرياً، وسياسياً، وستجدون أنها حدثت بفعل استفزاز عاطفي، وكل مكاسبها حالات هتاف بعد اتخاذ القرارات العاطفية..

حرب عام ١٩٦٧م وهي أكبر كارثة حلت بالعالم العربي، منذ الحروب الصليبية، هل كان من المعقول أن يغلق الممر المائي في شمال البحر الأحمر، وأن يطلب -عربياً- من القوات الدولية الفاصلة الانسحاب، ثم بعد ذلك يكون غريباً أن تأتي الضربة القاصمة من إسرائيل؟! لماذا لم يباشر الضربة الأولى من سحب القوات الدولية وأغلق الممر؟!

سلام كامب ديفيد، لماذا لم يكن سلاماً عربياً، خصوصاً وأن القمة العربية - التي سبقته - أقرت مشروعاً عربياً للسلام.. وكيف عالج العرب هذا التجاوز - من قبل السادات - بتجاوز أخطر، وأكبر، عندما تبارى الخطباء العرب.. القادة.. في مؤتمر بغداد، مستجيبين - دون أن يعرفوا- لطموحات صدام حسين، التي عزلت السادات، وأضعفت موقفه ونشطت الطموحات غير المشروعة لدى صدام، الذي قاد العراق إلى هذا المآل الدموي الذي هو فيه الآن..

(*) العدد ١٣٩٠٢ (٢١/٦/١٤٢٧هـ، ١٧/٧/٢٠٠٦م)

حروب لبنان ما مبرراتها؟ ولماذا لبنان بالذات قد تخصص في الحروب..؟! أليس لسهولة الانقياد العاطفي، الطائفي، أو الحزبي، أو العرقي فيه ..؟..

عندما نتأمل حوارات اجتماع وزراء الخارجية العرب في القاهرة، نجد أن المملكة والدول ذات الدراية بالمخاطر - مثل: مصر، والأردن، ودول أخرى - قد رفضت منح المغامرات، وأيدت موقف المملكة، بضرورة أن تكون هناك إستراتيجية عامة يلتزم بها العرب.. ثم كيف نفسر تناقضات التمثيل اللبناني؟ إذ في الوقت الذي يعلن فيه السنيورة - رئيس الوزراء - أن لبنان بلد منكوب حالياً، وأن الحكومة قبل ذلك ليس لديها أي علم عن الحرب، أو قناعة بأي مسببات؛ نجد أن وزير الخارجية اللبناني في اجتماع القاهرة، يؤكد على ضرورة مساندة حزب الله في حربه - كمقاومة مشروعة - ويجد من يؤيده في ذلك.

ومن ناحية تناقض أخرى، استمعنا يوم أمس الأول - تلفزيونياً - إلى معالي وزير الإعلام اللبناني الأستاذ غازي العريضي، وهو يؤكد أن المملكة في رؤيتها السياسية، لا تقصد التخلي عن لبنان، وهي باقية مستمرة في دعمه، وقد أكد كلام الوزير اللبناني - الواعي جيداً لما يحدث - أن المملكة هي أول دولة عربية، أو عالمية، قدمت دعماً مالياً يبلغ خمسين مليون دولار، للمساندة في الإغاثات الأولية للمتضررين، يخرج في اليوم التالي مسؤول لبناني مرموق؛ عبر الفضائيات مردداً: «كفى تعريضاً بإيران وسوريا لتجاهل عدوان إسرائيل».

لا أحد يتجاهل عدوان إسرائيل، لكن أيضاً، لن يكون هناك شعب عربي واع يقبل أن يضع مصيره في يد المغامرات..

(*) الرجل الأمين في البلد الثمين

في سنة البيعة الأولى، خرج الملك عبدالله بالناس إلى فضاءات هائلة الأبعاد والمضمون؛ لأنه رجل تعود ممارسة الجدية في كل شؤون الحياة.

يبدو ذلك في دأبه، وحرصه على مضاعفة «الإضافة» البنائية في مشروع النمو العام؛ وكأنه يطارد الدقيقة لئلا تكون فراغاً يستلقي على فراغ دقيقة أخرى. وهو حريص على أن يملأ حركة الزمن بإضافة الجديد في تحركه نحو الأمام؛ حتى يصل إلى ذلك «الأمام»، وهو في حالة متقدمة ومبهرة النتائج..

الرجل البعيد النظر؛ يمثل ما هو عليه في قوة الإرادة، يدرك جيداً - وبالتالي يمارس عملياً - أن «فضاء» الأمام الذي يسعى الجميع إليه، من المستحيل أن يمتلئ، حيث كلما تقدم الإنسان، زاد وعيه لاحتياجات لم يكن قد أهل لها من قبل؛ لكن أولئك الذين لا يدركون هذا الاتساع، والشرة في احتياجات المستقبل، يرضى طموحهم أن تمتلئ بهم الأزقة الضيقة، في بدايات المنطلق، كما في العالم الثالث؛ من لم يصلوا إلى الفضاء الرحب للمتطلبات، يعتقدون وهم يتحركون في مواقعهم، أن حيازة المألوف من الاحتياجات الدنيا؛ هو حالة الاكتفاء المرغوبة.. هذا الحال تجده في معظم الدول العربية.. مسألة العيش، والوظيفة، والمدرسة، والمستوصف، في الحدود المتوسطة؛ وكل ذلك هو مرحلة الاكتفاء المرجوة..

في المملكة؛ نحن نتحمل مسؤولية مختلفة تماماً.. لدينا تزايد سكاني.. في أرضنا ثروة هائلة يحتاجها كل العالم.. في تعريفنا الجغرافي، هناك مواقع مقدسة.. هذه الصفات غير المتاحة لكثيرين؛ تجعل منها حالة انفراد في التأهيل لريادة الاكتفاء الأمثل؛ الذي لا ينتهي في المسار الحضاري الطويل..

ليس طموحاً أن نقول - عن تحديد مسؤولياتنا تجاه أنفسنا -: إننا جازمون على توفير ظروف المعيشة المناسبة، والتوظيف والمستوصف والمدرسة.. فعلى أي مستوى سوف يحدث ذلك.. وما نوع الوظيفة، وما رسالة المدرسة، وهل بمقدور المستشفى أن يصبح مؤسسة

علمية عالمية، وأن تفعل الجامعة ذلك، وأن يُصرغ الاقتصاد على الصحاري البور انبثاقات
ميلاد اقتصاد متنوع.٤

أصحاب الإمكانيات الكبيرة ليسوا هم في سباق للحصول على ما يريدونه من كفاف، ولكنهم
في سباق خلف المجهول العلمي، والمجهول الاقتصادي، اللذين لا يريدون لهما أن يمتدا من
دون متابعة كسب حضاري خاص..

نحن مؤهلون لهذا الموكب.. الله سبحانه وتعالى، أقسم أن بلادنا، هي: البلد الأمين.. والعلم
المعاصر أضاف أنها - أيضاً - «البلد الثمين».. وبصفتين خلاقيتين، لهما مهابة خاصة،
نسعى لأن نكون في جديّة عمل، وخطط نمو، تجعلنا نرفض الضياع في حالات الانتكاس
المكررة في الشرق الأوسط، منذ عام ١٩٦٧م وحتى عام ٢٠٠٦م، وتفرضنا قوة - بقدرات
ذاتنا - نصنع بأنفسنا مهابة وجودنا..

نحن مع عبد الله بن عبدالعزيز، الرجل القيادي الذي يملأ «الدقيقة» في زمنه داخل بلاده
بحركة العمل.. ويملاً عقل كل شاب بإضاءات الأفكار البناءة، وله قلب كبير تعودنا منه شمول
المحبة، في أفياء أبوته للجميع.

(*) أبو متعب في تعبير شعبي

تعبير بسيط تعود الزميل عبدالسلام الهليل أن يختطفه من أفواه العامة، من مشاعرهم.. مثلما هي معظم لوحاته المعبرة والساخرة فهو لا يذهب بعيداً عن اهتمامات الناس وخواطرهم، متاعبهم وأفراحهم، سذاجتهم وذكائهم..

يرسم الهليل صورة طالب صغير السن يقول لوالده: إن مدرس التعبير قد طلب منهم أن يكتبوا موضوعاً عن بابا عبدالله.. ثم يرد الأب بسرعة «وأنا أبوك اكتب.. أبو متعب من عد فضايله يتعب»..

شدني في بساطة التعبير أن تكون صفة «بابا عبدالله» تعني أبوة مطلقة تكون مفهومة بما تعنيه الأبوة أو تنتمي إليه حين يأتي بعدها اسم «عبدالله»..

لسنا أمام قصيدة نبطية متكررة المعاني والصور نتحدث عن الخيول والرماح وغبار المعارك مثلما كان مألوفاً قبل مئة عام.. غير مقبول في العصر الراهن الذي أصبحت فروسياته مطلوبة في ميادين العلم والمعرفة والبناء الحضاري وهو ما فعله الملك عبدالله في توجهه لتبني المشروعات الإنسانية والعلمية وحماية حريات الحوار الوطني.. وفي هذا الصدد لا يجوز أن أغفل الدور الرائد لسمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز الذي يعتبر مؤسساً خلافاً لكثير من الموجودات العلمية والحضارية ذات النفع العام في بلادنا..

أعتقد أن هذا التواجد القيادي في مضمار بناء المنطلقات الإنسانية والعلمية يوفر النموذج الذي لن يكون أي أحد معذوراً إذا لم يقتد به..

وأرجو ألا يفهمني أحد بطريقة خاطئة إذا قلت إن علينا تطوير أساليب مفاهيمنا للأعمال الإنسانية والإسلامية والاجتماعية.. فمثلاً في كثير من مساحات مدننا تتواجد المساجد كفضيلة بناء ومشاركة يشكر عليها من يتبرع بها.. لكننا نعرف أن الدولة معنية بهذا المرفق الهام والضروري إنشاءً وصيانةً وتجديداً ثم إن تكلفته المتواضعة لا تتناسب وقدرات ذوي الإمكانيات الكبيرة الذين يفضلون ترويح أسمائهم من خلال تسمية موقع مسجد وهو أمر

يقوم به غيرهم - الدولة - بينما قدراتهم تجعلهم مؤهلين لأن يشاركوا في تأسيس وتطوير القدرات العلمية والحضارية في كل مكان يحتاجها ..

أعود إلى عبارة الهليل .. «أبو متعب .. من عد فضايله يتعب» لأجد أن بساطة التعبير تتناسب مع أهمية المناسبة - اليوم الوطني - وتناغمت مع عفوية التعبير تقديرًا للرجل الأب عندما ملأت صورته صدور الطلبة وزجاج سيارات الشباب .. هذا هو الحب الصادق .. لرجل اتسم بشجاعة الأداء عندما رعى بحزم أبوي صارم كل منطلقات البناء الوطني .. مجتمعًا واقتصاديًا وعلومًا وعلاقات دولية ..

وليس تصويبيًا مقبولاً لو ادعى أحد بأن الإمكانيات المتزايدة هي التي سهلت ذلك .. فالرجل منذ بضع سنوات أي قبل قفزة النفط الهائلة كان يباشر المبادرات في أكثر من ميدان كي يبني المواطن وطنه بإمكانياته المتاحة ..

الملك وولي العهد يقودان الوعي لا القطيع (*)

زميل سألني لماذا تُلح على المقارنة بين المملكة وما يحدث عند الآخرين كلما كان هناك حدث إيجابي في المملكة..؟

كان جوابي أن الممارسة القيادية هنا ليست طارئة إيجابية وليست تختار حلولاً مؤقتة فبالتالي هي لا تحتاج مني إلى ثناء بقدر ما كثير من المواطنين يحتاجون إلى تبصير لاسيما وأن أدوات الكيد للمملكة أو في أحسن حالات حسن الظن أدوات إعلام الآخرين عن وجود أنفسهم تتم عبر مغالطات إعلامية..

مثلاً على الصعيد العربي وقضاياه الدولية.. المملكة لم تشارك بمضاعفة دماء أي حروب أهلية أو تأجيج أي فئة طائفية.. بينما رأى البعض في هذا المحرم الوطني إما منفذاً لإعلان الذات أو ممراً للوصول إلى مكاسب ذاتية..

إن أهم مؤتمرين حظيا بإجماع المباركة العربية والدولية كانا عندما اجتمع الفرقاء اللبنانيون في الطائف لكي يعملوا على حسم أوضاع الحرب الأهلية التي أتت على الرطب واليابس في لبنان..

العراق لم تسرّب إليه المملكة أسلحة ولم تفعل ذلك مع لبنان ولم تسرّب متدربي حروب محلية إلى بغداد ولكن بمثل ما أنهى الطائف المشكلة اللبنانية فإن مؤتمر مكة قد حاول إنهاء المشكلة العراقية..

فلسطينياً رغم كل ما يقال فلا زال المشروع السعودي للاعتراف بالحقوق الفلسطينية هو القائم دولياً باسم المبادرة العربية..

محلياً الاهتمام القيادي بالمملكة لا يلحق الناس عبارات مثيرة ولا يفتعل في ذهنياتهم تصويب مواقف خاطئة أو أوضاع خاطئة للاقتصاد أو الإسكان أو مستويات المعيشة ولكنه يطرح

(*) العدد ١٤٠٠٠ (١/١٠/١٤٢٧هـ، ٢٣/١٠/٢٠٠٦م).

مشاريعه المتنوعة بتجهيز الرؤية الصائبة وخطوات التنفيذ العملية دون تحويل الجهد إلى مزايدات إعلامية.. راقبوا كل ما حدث هنا منذ تعليم البنات وتطوير قدرات البنوك وتحديث التعليم وتسهيل فرص الإسكان ودفع القروض الحكومية والبنكية لتكون مسانداً للقدرات الذاتية.

أخيراً الأمر الملكي بنظام هيئة البيعة كأحد الأنظمة الرئيسية وهو غير قابل للتعديل وكفاءة إعداده تجعل المجتمع وليس النظام هو المطلوب أولاً بحيوية تفهم حركة التطوير في أداء الحكم وتداوله بمشروع يتوفر فيه رضا الجميع وعقلانية الاختيار..

إنه استكمال واع وموضوعي لاحتياج زمني قادم يقره ويباشر تمثيل مشروعيته قوى حكم لا تخدم أي مصلحة لها بل هي تؤسس به ضمانات المستقبل لكي يكون الاستقرار سلوكاً سعودياً خاصاً ويتصاعد التوجه بكل المرافق نحو الأمام كخصوصيات بناء حضاري تتفاعل معها حياة المجتمع..

ضرورة المقارنة أو المقارعة مع الحدث عند الآخرين تملئها أهمية إدراك المواطن أنه موجود في عضوية مجتمع يتجدد ويتقدم وليس مجرد أنه عربي الانتماء أو الموقع الجغرافي موسوماً بعاهات الآخرين..

(*) المبرر والمفقود

الأفكار النبيلة ليست مهمات شاقة ولا ممارسات صعبة.. لكنها تحتاج إلى تخريجها في زمنها المناسب وموقعها المناسب..

والأعمال الخيرية لم يعد مظهرها ينحصر في «كرم» شخصي محدود لا ينسجم في حجمه مع الحجم الاقتصادي لصاحب الكرم.. ولا هي أيضاً انتشار عشوائي قد يخطئ أهدافه.. لكنها في عصر التكاثر البشري وتعدد الاحتياجات الملحة أصبحت تحتاج إلى تنظيم ورؤية تنفيذ صائبة..

نحن من أغنى المجتمعات العربية.. ومرصودون بين الأمم القادرة على حياة التفوق الاقتصادي وبالتالي تقليم أظافر الفقر خصوصاً وأن بيننا رجالاً قيادياً أعلن بشجاعة حربه ضد الفقر.. وكان في ذلك اعتراف بوجوده.. ومن النادر أن يفعل ذلك قادة كما فعل عبدالله بن عبدالعزيز الذي تبني أيضاً مشاريع إنسانية نبيلة، كما أن بيننا من خطط ترشيد مساهماته الخيرية بمشاريع إنسانية وأكاديمية وطبية مثلما هي عليه مشاريع سلطان بن عبدالعزيز..

نحن نملك الرغبة والقدرة لكن هل وفقنا في تنظيمها مثلما فعل صاحب جائزة نوبل الإنسانية محمد يونس الذي حوّل ضواحي دكا إلى مهرجانات أفراح بعد أن حظي مشروعه الإنساني «بنك الفقراء» على إجماع التقدير الدولي..

الأمر لا يخص بنغلاديش فهي من أفقر دول العالم وعمالتها رخيصة التكلفة للغاية.. وأجزم أن جميع المجتمعات العربية أغنى من ذلك البلد الذي يعاني من متاعب المعيشة والوظيفة.. ما أعني به المجتمعات العربية يخص الكل.. أما إذا خصصنا المجتمعات البترولية فيكفي القول أنه ليس بين مواطنيها من يتواجد كعمالة في دكا ولكن في مدنها ومزارعها يوجد بنغاليون كثير.. الأمر يخص محمد يونس الذي عرف كيف يعالج الفقر وكيف يصل إلى من يعاني منه فيحول العاجزين مالياً إلى أصحاب مهن صغيرة تبعدهم عن مذلة التسول..

(*) العدد ١٤٠٠٨ ١٤٢٧/١٠/٩هـ، ٢٠٠٦/١٠/٣١م.

ثم تأتي مبادرة الرجل الآخر.. الأول في آسيا الفقيرة.. أما هذا فمن إفريقيا الأكثر فقرًا وأمراضًا وخلافات بل وحروب.. أعني مبادرة الدكتور محمد فتحي إبراهيم السوداني المقيم في لندن والذي رصد جائزة سنوية مقدارها خمسة ملايين دولار باسم جائزة الحكم الرشيد.. ونحن نعرف أن إفريقيا أحوج ما تكون إلى الحكم الرشيد لحقن دماء قبائلها وعلاج أمراضها وبناء أساسيات نموها.. لكن من يستولون على الحكم لا يهتمون بالمآل السيء الذي تتردى فيه مجتمعاتهم.. والمبلغ مغر لطبيعة الأوضاع المالية والاجتماعية هناك فهو يوزع على عشر سنوات أي خمسة مئة ألف دولار سنويًا وكمرتب شهري ستكون في حدود المئة وستين ألف ريال تقريبًا.. وهذا المبلغ كبير جدًا في المجتمعات الإفريقية.. ولضعف قدراتي الحسابية فحتى لو كان هناك أي خطأ في الرقم فهو أيضًا يظل كبيرًا في مجتمعات لم تصل المرتبات الشهرية في معظمها لما يقارب نصف المبلغ..

لكن هل يمكن أن يرصد للمجتمعات العربية التي تعاني من عجز في قدراتها الاقتصادية أو عنف صراع سياسي وطائفي بين فئاتها فيطمئن كل قيادي منافس على الرئاسة إلى هذا المال الآمن؟.. طبعًا لا.. لأن طموحات الطامعين في الحكم في هذه المجتمعات لا تقبل بالمبلغ كمكافأة سنوية وليس على عشر سنوات.. لأن مصادر التمويل الخارجي والنهب المحلي تتجاوز قدرة هذا الرقم بكثير.. لتبقى فتن تلك المجتمعات مستمرة.. وعجزها عن التطور أمر يستعصي على الحلول..

يا خادم الحرمين.. جازانُ ترنو إليك وتحلمُ (*)

«يا ملهم الصحراء ركض خيولها»، أنت فارس العرب، الذي انطلقت رؤاه الحضارية ومشروعاته التنموية، خيولاً تصهل في آفاق المستقبل، وما كنت لترضى أن تكون باني إعمار مدن قريية منك، مثلما هو حال معظم الدول النامية، عندما تجعل من بريق المدن لحافاً زاهياً يخفي فقر مدن وقرى أخرى..

جبت الشرق، والغرب، والشمال، وها أنت ذا في الجنوب تصافح مدنه السعيدة، بوجودك حيث.. «أيقظت في هذا الثرى تاريخه.. حين اشتملت لواءه تتمنطق».. وما كنت بالحائر، أو المردد، أو المكتفي بالوعد، ولكنك.. «وهززت في يمينك قامة موطن.. مجدداً ورفرف فوق رأسك بिरق» «يا ملهم الصحراء ركض خيولها»، حين أتيت بموكبك المهيب زارعاً الثقة في النفوس، ومؤكداً بأنك: «اليوم جئت تزف بشرى حاضر.. وغد بمولده التنبؤ يصدق»

أريد يا خادم الحرمين الشريفين، ويا راعي تحول الصحراء من جفاف تصحرها إلى أعراس ميلاد وجودها الصناعي والاقتصادي.. أريد أن أضع بين يديك معلومات، أجزم أنك لا تجهلها؛ فأنت بما تعطي من مشروعات، ترسل من عقلك قدرة الاطلاع الواعية، بكل الحقائق من حولك، فيأتي ما تفعله وهو توائم قريب ولصيق بما تحتاجه الأرض والناس..

لقد زرت جازان أكثر من مرة، أهمها عندما رفضت أنت أن يحط ركابك بغيرها من المدن في أثناء أزمة «الوادي المتصدع»؛ لتطمئن على ما يتخذ من معالجات إنقاذ ومواجهة، وكتبته وقتها بعنوان: «الوادي المتصدع»؛ لتطمئن على ما يتخذ من معالجات إنقاذ ومواجهة، وكتبته وقتها بعنوان: (من «كان» إلى جازان).. هذه المنطقة - القريب أنت من قلبها - هي أحوج ما تكون لأن تجد رعاية من يجعلها تقف على قدميها؛ كي تؤدي دورها مثل المناطق الأخرى. وأراهن أنها ستكون الأفضل؛ إذا توافرت لها الإمكانيات، وهي التي تعيش عجزاً في كثير من مواقع احتياجات النمو..

(*) العدد ١٤٠١٢ (١٣/١٠/١٤٢٧هـ، ٤/١١/٢٠٠٦م).

الناس هنا، هم الأقرب إلى الثقافة من كل الآخرين، فقد عرفنا أسماء الشعراء، والباحثين، والمؤرخين، قبل أن نسمعها في مواقع أخرى.. ويحدث ذلك في حياة اجتماعية تستحق المساندة الإنمائية منذ وقت طويل.. وجازان الثقافية تجانس مع جازان الوعي المعنوي، الذي لا يرفض العمل ولكن يقبل بممارسته في أدنى مستوياته وفي أعلاها أيضاً.. المهم هو العمل وتوافر كرامة العيش فيه..

جازان.. حدثني قبل زمن طويل المسؤول المباشر مدنيًا، عن مواجهة الحرب الشرسة، التي أرادت الناصرية أن تتطلق بها من جنوبنا، عن طريق اليمن، فقال لي: «هؤلاء - يقصد الجازانيين - كانوا كالنمور الشرسة، لقد أخافت شجاعة المترجلين منهم أولئك المختفين داخل الدبابات؛ لأن الوطن لديهم أثمن من حياتهم..»

يا خادم الحرمين.. شيء من العناية وجدته زراعة المانجو، فكان إن أصبح إنتاجها عطر أسواق البيع في كل أنحاء المملكة، فماذا لو طورت المنطقة زراعيًا، وهي مؤهلة للتفوق؟ وكيف إذا وجدت تجارة الكائنات البحرية دعمها اللائق، ألن نجد جنوبنا صورة مشرفة لواقعنا الحضاري.. خصوصًا وأن هؤلاء الناس النبلاء جديرون بسخاء البذل التتموي، حيث هم مؤهلون لإنجاحه..؟

لقد استعصوا على ثقافة الانغلاق، وملكوا تجانسًا باهرًا بين جمال السواحل وروعة اخضرار المرتفعات؛ فهم جديرون بأن يكونوا أصحاب زراعة وصناعة وسياحة، ويكفي أن أقول: إنهم أرق من رحل بالنعمة العاشقة إلى كل بلادنا..

يا نسيم الصبا سلم على باهي الخد نبهه من منامه
وأنت يا من ترى في جمالك مزيد شي علينا ملامه
غير في نظرة الخد الأسيل المورد من روابي تهامه
من رأى غرته هلل وكبر وشهد بدر ليلة تمامه

وقمة عبدالله من الحاضر إلى المستقبل (*)

مؤتمرات كثيرة.. كثيرة جداً حضرتها طوال حياتي الصحفية حتى أستطيع التأكيد أن كل قمة خليجية أو عربية أو إسلامية لم يحدث أن غبت عنها..

تجربة الحضور لما لا يقل عن ثلاثين عاماً جعلتني وكثيراً من الزملاء لا نرتاح لكلمات الافتتاح أو ما قد يقال تعقيباً عليه.. كلمات الافتتاح إما أن تكون محاسبة خيالية الطموح نثق أنها لاستهلاك ساعات زمنية فقط ولاستدرار التصفيق من أكف خيالية القدرة والجهد أو أن تكون هذه الكلمات روتينية متبلدة للغاية.. في كلتا الحالتين كنا نثق أن لا شيء سوف يتغير بعدها وربما تأخذنا الظنون فنتوقع احتمالات إيجابية تستدعي سرية العمل عدم إعلانها. لكن هذه الظنون لا تلبث أن تضيع عندما تعقد القمة التالية ولا شيء تحقق من وعود أو ظنون سابقتها.

ليست هناك مصداقية تعبير أو تحديد دقيق لواقع المتاعب أو الاحتياجات.. لواقع الخلل والخطأ أو مسالك التقدم ونجاحات الحلول..

الملك عبدالله وهو رجل تاريخي بكل المقاييس خاطب الأمانة الوطنية ومسؤوليات الأداء عند كل مسؤول خليجي.. عند كل مواطن خليجي بوضوح واقعي وموضوعي.. شعرت وكأنه يضع يده في يد كل أصحاب المسؤوليات من قمة القيادة وحتى أدنى مواقع القدرة الإدارية ويمر بالجميع عبر كلماته ومضامين عباراته على مواقع الخلل في إرث الماضي القريب.. يفتح نوافذ واسعة على حقيقة مخاطر المنطقة.. يقرأ أرقاماً ضمنية تتبطنها العبارات، توضح قدرات المنطقة الخليجية التي لم تنشط وتدعم وتدفع نحو الأمام وفق القدرات الطبيعية الجاهزة فيها..

إذا كان الطالب السعودي.. الشاب.. ومثله صاحب الوظيفة المتواضعة قد وضع صورة هذا الرجل التاريخي على زجاج سيارته فلأن كل مواطن هنا شعر أن الرجل يفتح أمامه

(*) العدد ١٤٠٤٩ (١٤٠٤٧/١١/٢٠هـ، ٢٠٠٦/١٢/١١م).

آفاق تطور جديدة.. آفاق استقلالية اقتصادية وعلمية يضاعف الزمن قدراتها فضاغف هو مصادر انطلاقتها.. أرجو أن يستشعر أي مواطن خليجي أبعاد الترغيب في تحمل المسؤوليات المتاحة باستقلالية خليجية موحدة الجهد والرؤية، فالرجل الكبير يقول ما توصلنا إليه لا يزال متواضعاً وبعيداً عن تطلعات شعوبنا.. حلم الوحدة الاقتصادية يجب ألا يغيب عن عيوننا.. بلا وحدة سنبقى كيانات صغيرة تتأثر ولا تؤثر..

إنها قمة جابر وفاءً لقيادي نبيل غاب وهي قمة عبدالله وضوحاً وشجاعة رأي ومصداقية طرح نحو واقع خليجي جديد بعيداً عن ملاعب العرب الدامية والمخجلة..



الملك عبدالله والغاية العليا (*)

التقيت بمسؤول فلسطيني مرموق قبل أكثر من شهرين.. وفي العادة لا يتفاعل الفلسطينيون بالمنامخ الدولي.. يتحدثون وهم معذورون عن الإجماع الغربي ضد قضيتهم، وأنه لا يجوز أن توضع كل المفاتيح في يد أمريكا.. معذورون دون شك.. لأن زمن اضطهادهم وصور الإسفاف غير الإنساني ضدهم كفيلاً بأن يراهما كل أعمى في عقله..

ذلك المسؤول كان متفائلاً بشكل غير مألوف.. قال ما معناه: نحس الآن أن هناك تحركاً أوروبياً.. ربما يواجه تعاطفاً فرنسياً.. ومللاً بريطانياً من ديمومة العذاب ونتائج الإرهاب الديني كإفرازات تأتي بفعل الاحتواء الغربي للتجاوزات الإسرائيلية، وأن أمريكا أدركت مؤخراً بأنه لا بد من حل، ولكي تنتصر واشنطن في أفغانستان والعراق لا بد أن تحسن سمعتها في غزة..

المشكلة ليست في أن هذه التوقعات بعيدة عن الواقع، بل هي قريبة منها وإن لم تكن موجودة بشكل دقيق فهي على الأقل تمثل مشروع إنهاء لهذه القضية التي عقدت أوضاع المنطقة.. لكن..

لكن كيف ستكبح تلك العواصم استهانة الإسرائيليين بالحوار مع الجانب الفلسطيني دون شروط مسبقة لتل أبيب؟.. من سيقول إن «أولمرت» على خطأ حين يسألهم: كيف أتفاهم مع فئات تقاتل بعضها؟.. ليتفاهموا أولاً ثم تأتي لنعرف من هو المسؤول أمامنا..

هذا مأل صعب ومؤلم.. أصبحنا نحاول أن نتجاوز إضاعات الأسطر على الفضائيات عن عدد القتلى بين الفئتين، وبات مؤملاً أن تستمع إلى تصريحات فلسطينية غير مسؤولة تتوعد وتهدد..

هل المرحلة هي عصر برمجة عمل مثلما تفعل الأحزاب المتنافسة عند الآخرين، أم مرحلة كفاح جماعي لا يتقبل رصد الادعاءات وتبادل التهم؟..

(*) العدد ١٤١٠٠ (١٢/١٤٢٨هـ، ٢١/١/٢٠٠٧م).

الملك عبد الله بن عبدالعزيز يعرف أن على الفلسطينيين الالتقاء حول «غاية عُليا».. حول ما هو أهم من الشخص والفئة والحزب وحتى الدولة.. هذه الغاية العُليا هي العمل الجماعي ليس لإنقاذ ملثم يبحث عن إسرائيلي، أو خصم فلسطيني، وإنما لإنقاذ أطفال يموتون تحت الأنقاض ونساء غرقن بأمطار عيونهن الساخنة.. الغاية العُليا تتم أمام الله ليس باللسان أو الإغراء أو التنازلات، لكن بنزاهة القلب وصفاء العقل حين يستوعبان بشكل جماعي عند الكل مسؤولية الدفاع عن طفل وأم وتراب ضاع..
مكة.. حيث القداسة والصدق واتجاه عيون كل المسلمين إلى هنا..



مكة.. وأبوة الملك عبدالله (*)

غنيت مكة أهلها الصيدا والعيد يملأ مهجتي عيدا

عواطف تمجيد أعلنها شاعر مسيحي ونشرها كسماء الغيوم صوت مطربة مسيحية وطرب لها مسلمون في كل مكان عربي..

ذلك كان زمن ما قبل التشرذم العربي.. كانت خلافات ولاء شرق أو غرب.. يسار ويمين.. وكان المراقب الساذج الذي لم يستطلع من التاريخ في أقدميته كيف نفوذ القبيلة على تسامح جماعية الإسلام.. كان التصور أن الاختلاف يتلاشى بانتصار الأغلبية الأفضل.. ربما لم يكن بمقدور أحد آنذاك المراهنة على أن المجموع العربي ينتكس وأن تفصيلات خلافات قادمة هي أسوأ مما هو موجود..

أخيراً الكل يتفق مع ذلك بعد فوات الأوان..

بغداد كانت الملعب الكبير الذي تم فيه استعراض التفاصيل الجديدة.. التوهم يوحي أن المهدي يقود الشيعة.. وثقافة القاعدة والزرقاوي الدموية تدفع السنة إلى مزيد من العنف.. ربما وحدهم يزيدية الصائبة يختبئون خلف صخور الطاووس المقدس رعباً من ضعف الأقلية.. كان مد الموج الدموي يغسل ساقى بيروت.. يحاول أن يتوغل.. ألم يتم تجهيز قوات مقاومة؟.. أليس هناك حزب لله هو الأجدر بأن يتكلم ويعنف ثم يحكم؟..

غريب جداً توزيع الأدوار بما يوحي أن ممثلين للرب يقودون فتن عالم بدائي التصورات والمفاهيم، بينما الرب - جل وعلا - أرسل محمداً رحمة للعالمين ولم يحدد فئة معينة..

الخيال العربي قادر على استيعاب ما يحدث وتصور انتكاسات أكثر لكنه لا يوجد أحد قادر على فهم أن يقتل الفلسطيني مواطناً مثله.. اللغة السائدة فلسطينياً من قبل هي الجهاد لحقن الدم الفلسطيني واستعادة الأرض والأمن والسلام.. الكل ما زال يستعيد بألم صور والد محمد الدرة وهو كشجرة عارية من الأغصان والاحضرار تحاول إنقاذ الشهيد الطفل.. هل من المعقول في عالم الشهيد الطفل وعصر الشهيد الطفل أن تتطلق رصاصه واحدة نحو صدر مواطن فلسطيني؟..!

(*) العدد ١٤١١٠ (٢٢/١/١٤٢٧هـ، ١٠/٢/٢٠٠٧م)

إن أي مدينة عربية لن تتسع أي منها لاستيعاب الوهن الفلسطيني الذي كاد أن يسقط القضية.. لكن مكة ببدءات الجهاد الفاضل نحو حياة أرقى، بروحانية اليوم الأول في بناء الدولة الإسلامية، في التسامح المجيد الذي كان شمس يوم الفتح التي أشرقت بمفاهيم إنسانية نبيلة لم تكن معروفة من قبل.. هذا الرجل الكبير.. بوعيه، بقدرات عقله، بنظافة علاقته، بوضوح رؤيته.. عبدالله بن عبدالعزيز.. جمع المختلفين في جلسة نقاء روحي أكثر مما جمعهم على طاولة نزاعات رأي.. وليس من السهل أن يوجد رجل مسموع الرأي ومحترم الموقف مثل ما هو عليه الملك في رؤيته لنموننا ومعالجاته لقضاياهم..



(*) أبي الشاشات ملأها الملك..

ميركل تهنئ

فرنسا تؤيد..

الشرع: مصالحة أكثر من مصافحة..

الخارجية الأمريكية تستوضح..

أولمرت مرتبكاً: السلام خلال خمس سنوات..

القاهرة: مصر والسعودية قدرة واحدة..

صحف أسبانيا: العرب جادون نحو السلام..

طوكيو.. ميتسو سكايا: نقدر جهود الملك عبدالله الذي أوصل القمة خاتمة نجاحها..

القدس الفلسطينية: قمة الرياض أنجزت دعماً شهرياً للسلطة..

بري: القمة ستعكس إيجابيات على وضع لبنان..

أحتاج إلى كل صفحات الجريدة الـ ٦٤ لو أردت أن أستعرض شهادات التقدير لقائد قمة

الرياض الملك عبدالله بن عبدالعزيز.. على شكل تصريحات واتصالات تهنئة كانت هي

حديث العالم وليس المجتمع العربي فقط..

منذ قمة إزالة آثار العدوان التي مرت عليها عشرات الأعوام وحتى الآن كانت لي متابعة

مستمرة.. مع مؤتمرات القمة وأستطيع الجزم أن قمة الرياض كانت خطأ فاصلاً.. بين

ماضٍ مشئت وحاضر قادم يحفز على التعاون والتعامل المشترك.. تماماً مثلما استطاع

الملك فيصل - رحمه الله - عندما لمس منه الرئيس عبدالناصر - رحمه الله - جدية

المؤازرة والصمود حيث أعاد فيصل قدرة المواجهة العربية بعيداً عن تعريفات من هو يسار

أو يمين.. كانت الظروف آنذاك قاسية للغاية في أعقاب هزيمة حرب ١٩٦٧، تماماً في

قمة الرياض اجتمع القادة العرب ومعظمهم أت بألم أوجاع متعددة.. حرائق العراق وبنادق

بيروت الجاهزة.. اختراق سيادة السودان.. مآسي القتل في الصومال.. تواطؤ الصهيونية

العالمية مع إسرائيل لتدمير العراق وتوسيع الخلاف بين الفلسطينيين، هذه الأجواء المؤلمة..

(*) العدد ١٤١٦٠ (١٣/٣/١٤٢٨هـ، ١/٤/٢٠٠٧م).

المخيفة.. فماذا بعد التدخلات الأجنبية من جهة والاختلافات الطائفية والعرقية من جهة أخرى.. ماذا يُتَظَر للعالم العربي من مستقبل؟..

الملك عبدالله بن عبدالعزيز الذي ملأ كل شاشات العالم بتأكيد الحضور الجديد لتضامن عربي لن يهتم إلا بسلامة المجتمع العربي.. ولن توظف أي قوة عربية قدراتها لتكون شهادة تأكيد على عجز العالم العربي عن ممارسة أدواره الإيجابية..

عبدالله بن عبدالعزيز الذي استطلعت العقول في كل أنحاء العالم وهو يتحدث بصراحة متناهية ومن موقع مستقل للغاية جامعاً مجتمعه العربي حول هدف نمو وسلام أو تحرير بإرادة واحدة..

عبدالله بن عبدالعزيز الذي ملأ العيون وهو يشرق بأبوة متناهية الامتداد والقدرات ليحول المخاوف ما قبل القمة إلى تحفز إرادة جماعية بعدها..

هو الملك بحق..

الرجل القوي الصادق أينما رأيت.. في حي فقير يعين على نهوضه.. بين أبناء منطقة يعتذر ويعد بالأفضل.. حول طاولة حوار يؤكد فيها استقلاليته بتنوع صداقاته العالمية وفرض تنوع اتجاهات مصالح بلاده.. في استقباله مصالِحاً بين قوى خلافات أو معززاً سطوة اتحاد القمة وخلفها وحدة الإرادة.. أبقاه الله أباً يحبه ويحترمه الجميع في آن واحد.. مثلما هو في شاشات عقولنا وقلوبنا..

الملك عبدالله ومجتمع في موقع قمة (*)

لم يتعود القادة في العالم الثالث وبالذات في عالمنا العربي طرح أفكار بناءة من خلال مجلس تتكاثر فيه النخبة المفكرة والفعالة بمساندة الدولة لأن عدم وجود الحلول للمشاكل المستعصية والرغبة في تجهيل الجماهير بمسببات عدم وجود الحلول يجعل الإنارة بالوعود بينهم فيما هو لن يكون لكنه التعويض العاطفي بالإلهاء..

بمثل الوقار التاريخي الذي يمارس به الملك عبدالله مرحلة التأسيس التنموي الجديدة التي يقودها تحدث بوقار المسؤولية الحازمة والفاعلة أمام مجلس الشورى بعرض وليس - أمنيات - الريادة التي تسعى إليها أفكاره معطيًا للمواطن ولعضو الشورى ولفاعلية القطاع الخاص وإمكانيات الدولة أولوية المسؤولية ومباشرة تنفيذها.. بينما الكل يعرف أن الرجل الكبير بأفكاره وإرادته هو من دفع بهذه القوى الوطنية نحو مباشرة مرادفة المكاسب والإنجازات في مجتمع يملك كل أرصدة القدرة المتمكنة..

نحن مجتمع شاهد عملياً قسوة عاهات غيره وإذا أرجأت بعض الظروف الدولية أو الاقتصادية مسار الإنجاز إلا أن المجتمع وبوعي قياداته المتعاقبة لم يمارس الانتكاس نحو الخلف.. وهو الآن.. عبدالله بن عبدالعزيز في ظروف إيجابية تكامل بها قدرات الفعل التنموي يحشد كل الإمكانيات كي يأخذ هذا الفعل الحضاري والاقتصادي وجوده في كل مواقع انتشار المواطن.. القضاء على الفقر، تحقيق سواسية النمو، توسيع مجالات العمل، الدفع وبقوة لم تحدث من قبل بقدرات التعليم، تأكيد تزامن المشاركة بين الدولة والقطاع الخاص، رفع جزالة المنتج المحلي وزيادة التحول إلى الإنتاجية الصناعية.. طبعاً كل ذلك لا يتم داخل إطار مغلق ولا بالاتجاه نحو حليف واحد ولكن عبر مصافحة كل القوى الدولية القادرة والمتقدمة والمؤثرة على القرار السياسي والاقتصادي في العالم شرقاً وغرباً.. ولعل أبرز الأدلة الانخفاض الكبير لسقف المديونية الحكومية والارتفاع الكبير لعدد مواقع الممارسات الاقتصادية.. والأروع عالمياً أن روح المحبة والسلام هي ما يحرك جزالة المصافحات مع كل

(*) العدد ١٤١٧٤ (٢٧/٣/١٤٢٨هـ، ١٥/٤/٢٠٠٧م)

القوى الدولية الفاعلة.. في حين نذكر جيداً كيف كانت الخصومات العربية تطرح في عالمنا العربي وكأنها شاهد قوة ذاتية، بينما دلت النتائج على قسوة خسائر ذلك المنحى المتهور.. إن الرجل النبيل عبدالله بن عبدالعزيز الذي دفع بكل قدرات النمو المتعددة المكاسب هو نفسه الذي جعل مجتمعنا يستقطب مساعي المصالحات والبحث عن حلول لمشاكل عالمنا العربي..

نذكر ومنذ زمن قريب كيف كان المتاجرون بالفتن يحاولون التقليل من أهمية واستقلالية الموقف السعودي تماماً مثلما نشاهد الآن كيف أن الكل يتجه نحو الرياض كقوة صلح نزيهة ومحايده بعد أن استطاع الملك عبدالله أن يلغي من الذاكرة العربية تلك المفاهيم السلبية التي تجعل من الخصومات منابر ظهور وتآلق.. فالقائد هنا يتصاعد ظهوره وتآلقه بضخامة إيجابيات ما يتجه إليه مجتمعه فعلاً نحو أفاق التفوق بتعدد المنجزات وتنوعها.. إن رائد القمم الفاعلة قد جعل من مجتمعه قمة في موقع الصدارة الأولى عربياً وإسلامياً..

(*) نجومية الداخل ومرجعية الخارج

نجاح الملك عبد الله في ميادين عملقة اسمه كرجل تجاوز صفة الأبوة محلياً بما فعله من تأسيس لأبوة إنسانية خدمت الأرض من أجل الإنسان أمر لا يحتاج إلى ثناء.. لأنه هو عطاء الثناء الفريد والتممكن بما فعل..

والقول إنه تجاوز المحلية الشرق أوسطية من رجل «يزامل» لكي تستكمل به رؤية أو وجهة نظر إلى عملقة قيادية أصبح التوجه إليها منفردة شاهد قوة ونزاهة يتآزران ليكون هو مرجعية القرار.. هذا الأمر له شواهدة دولياً وعربياً..

لا يجب أن نستطلع ملامح شخصية الملك عبد الله على ضوء ما فعله هو شخصياً فقط.. ولكن يجب أن نقارن إيجابية الفعل عنده بما هو وهن الفعل عند غيره بسبب اهتزاز مواقف الآخرين، وأيضاً نقارن الظرف الخاص برؤاه وأفكاره وقراراته مع ما تعودت الظروف الدولية من إعطاء حلول لكن يصاحبها أخذ مكاسب أخرى..

أستطيع القول إن ذهول بعض التدخلات الدولية من جرأة حلوله بسبب إنصافها ليقين أطرافها بنزاهته هو أنه خلص الظرف المحلي الفلسطيني أو المحلي السوداني من تداخلات المكسب الدولي الخاص..

على سبيل المثال.. القبول بحكومة فلسطينية كان يحبذ دولياً استبعاد حماس وتوسيع القطيعة بينها وبين فتح فور أن حدثت تلك القطيعة وكان الإغراء الوهمي أن إسرائيل ستفاوض متى ما ابتعدت حماس «الإرهابية» وهذا يعني اندلاع حرب أهلية.. لكن الملك عبد الله وبجهد الخاص أقتع الفلسطينيين أن الموقف أمام إسرائيل بقوة موحدة هو غيره عندما تفاوض طرفاً يقاتل طرفاً آخر..

كانت غاية الآخرين محاصرة المطالب الفلسطينية وفرض الشروط الإسرائيلية لكن بوجود حماس «السياسية الوطنية» يتحرر الموقف الفلسطيني من حصار الضغط الإسرائيلي ومباركات من يمارسون حمايته..

وتتألق الجنادرية مجددًا بأداء الخطوة التاريخية الثانية حيث بعد إقناع الخرطوم بقبول الحزمة الثانية من خطة الأمم المتحدة في دارفور اجتمع القائدان المختلفان هناك على تفاهم ينهي استمرارية ميلاد النزاعات المسلحة في مناطق شبه بدائية هي الأحوج للغذاء والتعليم والطب فوق الرئيسان البشير وديبي اتفاق التفاهم والسلام وبينهما رجل الإصلاح.. محليًا بما رعى البلاد به من إصلاحات، ودوليًا بما قاد به الدول الصديقة سواء في مكة أو الرياض من جهود نحو مصالحات السلام..



الملك عبدالله.. (لا) في مكانها.. و(نعم) في مكانها (*)

ليس هناك أكثر من فرص ضياع الحقيقة كما هو الحال في خطب القادة الذين يحكمون الدول.. ولذا فالملك عبدالله حالة خاصة في مقاييس المصداقية.. إذا تعلق الأمر بشؤون دولية تمارسها دول كبرى فإن القادة يوظفون مسميات كبيرة وبراقة لتبرير ما أقدموا عليه من تصرفات كما هو الحال في العراق عبر خطب الإيحاءات السياسية من واشنطن ولندن.. في مواقع الأزمات الحادة كما في أفريقيا في أكثر من مكان، أو داخل الاحتكاكات الفلسطينية تحس كما لو كنت تتفرج على لعبة شطرنج.. هناك من يتألم ويخسر وهناك من يناور ويحاول أن يكسب..

في الدول النامية خطب المناسبات بالغة الغرابة فهي تكرر ما يقال على مدى ثلاثين عاماً أو أكثر، وترتب مقاطعات تأييد متنوعة الميول، ثم تحشد مثاليات الأمانى في واقع مفلس من أي إيجابيات اقتصادية أو حضارية..

قبل في أمريكا اللاتينية إن الرئيس الفنزويلي قد أثار غضب واشنطن لأنه جعلها في استعراضات خطابية مستفزة ضد سياساتها لكنه لم يغير في اتجاهات تلك السياسات. أين يقف الملك عبدالله بن عبدالعزيز من كل ذلك؟..

إن تأمل الصورة الخاصة به فكرياً وعاطفة للمقارنة مع النماذج السابقة تؤكد بإلحاح أنه الرجل البعيد النظر في رؤيته والصادق في أحاسيس معاناته والضعيف النظيف في تحمل مسؤوليات آرائه ومشاريعه..

الملك عبدالله نموذج إنساني مختلف عن حالات الشعب في أمريكا اللاتينية لأنه عارض سياسات الدول الكبرى في الشرق الأوسط كي يصحح المفاهيم عن حقائق أوضاع المنطقة، وكي يشير بيد قوية نحو تجذرات القلق والخوف والخطر في هذا المكان المهم اقتصادياً

(*) العدد ١٤٢٠١ (١٤٢٨/٤/٢٥هـ، ١٢/٥/٢٠٠٧م).

لكنه المنتهك سياسياً ووطنياً فقاد ظاهرة المصارحة قبل المصالحة.. وعلى مستوى حوارات المنطقة وما هو قريب منها في إفريقيا لم ترتفع أصوات هتافة مملة ولكن أفرزت الرياض وقبلها مكة مصداقية حضور العقل الصائب النزيه.. هي اللغة ذاتها على صعيد محلي عندما لا تكون عرعر بنت عم للرياض ولا جدة أخت رضاع لجازان، فالممارسة العملية وليست اللفظية تؤكد ميدانياً وعبر الاعتماد الاقتصادي بأن عرعر والجوف وتبوك وجازان ونجران هم أشقاء لجدة والرياض والأب الكبير عبدالله بن عبدالعزيز يفرض عدالة العناية بكل الأشقاء..

إن المشهد التاريخي في الأزمنة القديمة منذ أعلن قياديون نادرو النوعية عن حضورهم المؤسس لتطورات المجتمعات الحضارية يبرز لنا عبدالله بن عبدالعزيز وهو الأبوة النبيلة العواطف أمام احتياجات الأبناء في طريف أو أملج أو رماح أو ظهران الجنوب أو القطيف مثلما هو الساعد القوي الذي أشهر كلمة «لا» في وجه أي موقف دولي غير منصف.. فكان من أبرز أولئك النادرين الذين دخلوا بوابة التاريخ باستحقاقات الإنجاز وليس الهتاف أو الأكاذيب..

(*) الملك عبدالله بين اليتيم والمهندس

فلان مليونير.. صفة براقة تكاد تكون تهمة في الماضي، لأن من يتصف بها يخاف أن يصبح عرضة للحسد، الآن تواضعت هذه الصفة وإن كان يعجز كثيرون عن امتلاكها لكن.. ملياردير.. باتت الحلم الأعلى إن لم تكن عند من يملك إمكانيات الوصول إليها فعلى الأقل هي الفضاء الرحب عند أصحاب أحلام اليقظة..

إن ما نسمعه ويوثق عبر قوائم الصرف على مشاريع جديدة في كل جولات المصلح الأكبر.. عبدالله بن عبدالعزيز ليس طياراً في خيال أحلام اليقظة ولكن توثيق توجهات أرقام الصرف يؤكد ميلاد مشاريع تنموية وهناك إلحاح رائع على تطوير ثلاثة مقاصد حضارية هي التصنيع البتروكيماوي والتعليم والصحة.. مليار لم يعد رقمًا كافيًا لاستيعاب توجه الطموحات، لكن تزامن المليارات التي بلغت أكثر من أربعة وعشرين ملياراً في مشاريع عرعر والجوف وتبوك إنما يشير إلى ظاهرة «البذخ» الإيجابي المطلوب الذي اتجه إلى الأرض والإنسان كي يرسخ وجود دولة يتحتم موضوعياً ومادياً وعملياً أنها الأوفر حظاً لأنها الأوفر إمكانيات والأوفر توحداً اجتماعياً، وبالتالي تكون الأجدر في الخروج من إعاقات منطقة الشرق الأوسط اقتصادياً أو اجتماعياً بما في ذلك إيران التي تخسر ولا تكسب من اختلال توازن صرفها بين ما هو لمصلحة المجتمع وبين ما هو في مناورات الشغب السياسي.. يهمني أن أتوقف أمام مشروعين متزامنين ومختلفين هدفاً ونتيجة ولكن فيهما تتضح رؤية الشمول في استيعاب مهمة نجاح كل الغايات.. فعرعر التي غنت مع الصبايا ترحيباً بأبوة القادم أمطاراً وربيعاً في مثل قول الشاعر:

أرض تطاها يجي به نور ينبت ثمر ورد صمعاها

وهذا الصحيح.. لم نعد نأبه بما يردد عن جفاف التصحر لأننا أصبحنا نسمع ونلمس عملياً عن هطول مليارات الدعم الصناعي والاجتماعي كي يورق عصراً حضارياً بادخ الإزهار..

أتوقف أمام تبرع الملك عبدالله بإنشاء مركز خاص للأيتام في عرعر، لألحقه بالأربعة والعشرين ملياراً مجمل المرصود لمشاريع الربيع العلمي والحضاري.. هذا التلازم بين العقل والعاطفة يجب أن نعرف عن ندرته في الدول الكبرى لأنك في قلب نيويورك ستجد فقيراً يبحث عن بقايا طعام مهمل.. وفي شوارع لندن شاهدت شخصياً من يستفيد ليلاً من تجويف مداخل المتاجر فينام فيها هروباً من الصقيع.. أما في الدول النامية فحدث ولا حرج عن مستويات الفاقة..

في منهجية الحكم التي يقودها عبدالله بن عبدالعزيز ليس هناك شيء لإطراب أحلام اليقظة ولكن هناك أشياء عملية وواقعية ليست لغرض التفاؤل على سنوات الحاضر ولكنه تبشير عملي بما ستتحول إليه المملكة من كينونة دولة هامة اقتصادياً وعلمياً واجتماعياً..

(*) مدريد وباريس.. ترحبان بمؤسس

تعودت الدول الكبرى - ذات الاقتصاد والصناعة المتفوقين، وبالتالي التأثير في القرار السياسي العالمي - أن تتعامل مع العالم العربي بخصوص مشكلاته، أي إنه لم يحدث أن حاورت، أو ناقشت، أو عرضت الدخول في مصالح مشتركة.. فالعالم العربي يكاد يكون محصوراً بمشكلاته الخاصة، التي هي صارخة الحضور.. ففي كثير من المدن العربية، هناك ما هو متوقد كما في العراق، ولبنان، واليمن، والسودان، وهناك ما هو نائم جاهز التحضير للاشتعال.. أما مع المملكة فإن الوضع مختلف تماماً..

الترحيب الكبير، الذي قوبل به الملك عبد الله بن عبدالعزيز في مدريد، وباريس هو اعتراف عملي بمكانة زعيم عربي مارس الإصلاح في بلاده، وعمل على تقويم قدرات الاقتصاد، وخطط لواقع السعودية المقبل.. ربما بعد ثلاثين عاماً تقريباً؛ لأن ما أسسه الملك عبد الله لم يكن إطلاقاً لمشروع محدود النتائج، ولكنه إعادة بناء بنية تحتية لواقع اقتصادي مقبل، سيغير - تماماً- من نوعية الإمكانيات المتاحة حالياً، إلى إمكانيات متعددة النتائج، وفي توسع كبير لخريطة فرص العمل، ومصادر الدخل..

وبهذا يكون الملك عبد الله قد دخل بشعبه إلى الساحة الدولية شريكاً، ليست لديه مشكلات يبحث عن عون على حلها، أو عنده عجز اقتصادي يطلب تسويته، بل هو الشريك، ذو القدرة الفاعلة، وليست المتردية الخائفة..

هذه الرؤية لهذا الرجل الكبير بيننا - عبد الله بن عبدالعزيز - هي التي نقلتنا - بوصفنا شعباً له أهمية دولية بينهم، وهذا هو منتهى النجاح لرجل تدخله قدرات إنجازته إلى مكانته التاريخية؛ بما فعله للارتقاء بقدرات بلاده.

فعلى الرغم من المصائب المتعددة المواقع، والكوارث الكثيرة في العالم العربي، وخصوصاً في الشرق الأوسط، فإنه وبقدرة أجهزة الأمن، ومشروعات الاستثمار، قد أدخل مواطنيه إلى ساحة الاحترام الدولية.. وما يعبر عن كل هذا الظهور المرموق، لن يكون مقالة لصحفي في

أي دولة عربية، ولا حوارًا تلفزيونيًا يبالغ في المديح، بل ربما أن المملكة هي الأكثر استهدافاً - عربياً - بحملات التشويه والادعاء..

ولكن عبدالله بن عبدالعزيز صعد فوق كل تلك التتوءات، ووقف إلى جانب خوان كارلوس في مدريد، ونيكولا ساركوزي في باريس، وهو الرجل الجدير بالترحيب.. مكانة وإنجازاً..



الملك عبدالله.. ودخولنا العالم المتقدم (*)

العالم، هو العالم.. لكن اختلفت سياساته وتوجهاته..

في الماضي القريب كانت هناك ثلاث فئات:

القوتان الأعظم في روسيا، وأمريكا.. وأوروبا المتجددة اقتصادياً، وسياسياً، والفئة الثالثة التي عرفت بالقوة التي تحصد ذاتها.. حيث الثورية في الدول المتخلفة تدمر إمكانات الشعوب الفقيرة..

وتماماً، مثلما تقدمت وسائل المواصلات، والاتصالات بسرعة مذهلة، ربما كانت تستلزم قروناً كما في مقاييس الماضي.. أما مقاييس الحاضر، فقد أصبحت تعني سرعة المبادرة، وسرعة المشاركة مع قوى الآخرين.. لقد صنعت أوروبا وحدتها الكبرى، على الرغم من كل الاختلافات في الأديان، والقدرات، واللغات، ونسب المهاجرين، لكن ذلك لم يوقف تطورها إلى تثبيت حصانة ذاتية، لا تجعلها تحت رحمة أحد..

الملك عبدالله، أستطيع الجزم بأنه واحد من عباقرة محدودي العدد في العالم الثالث.. نجدهم في الصين، والهند، وماليزيا، واليابان، ممن وعوا أن أي دولة تنعزل بقدراتها، وتكتفي بمخيمات تقاليدها، هي عاجزة عن خلق نمو متكامل، يشمل جميع قواها السكانية.. فالعصر الآن لم يعد يحتكره نفوذ حكومة، أو قدرات رجال مال، ولكن التنمية العالمية في سوق المال المفتوح، وتخاطف القدرات لمواقع الانتشار المغرية، أصبحتا يحتويان من يبادرون، ويخططون، ويملكون أساساً - إمكانات المشاركة: كي يكون الانتفاع عاماً وشاملاً، وفي الوقت نفسه مذهب النتائج..

ولعل أقرب دليل على وجود التفوق الملحوظة، أن مستويات الأسعار والأجور، ومراتب العمل، في لندن، أو باريس، أو مدريد، أو روما، لم تعد تلك التي كنا نعرفها قبل عشرة أعوام

(*) العدد ١٤٢٤٤ (١٤٢٨/٦/٩هـ، ٢٤/٦/٢٠٠٧م).

فقط.. والسبب أن السيولة الكثيفة، وتزواج قدرات المال وسعا من فرص العمل، وطورا من إمكاناته.. هنا يفرح الناس، أي ناس، بأنهم يعيشون حياة راقية القدرات، متاحة للجميع..

الملك عبدالله، الرجل الذي يحظى بالتقدير في جميع الأوساط الدولية، لم يسافر إلى مدريد، وباريس، بوجهته الشخصية التي تمتلئ بتقدير كل الآخرين، ولكنه أيضاً سافر ومعه مواصفات التميز التي تملكها بلاده التي تلاقح فيها رأس المال المحلي بالآخر الذي تملكه تلك الدولة؛ وهما طرفا الحوار في الدولتين؛ لكي ترتفع قدرة الأداء من محليته المحدودة إلى المشاركة الدولية المحتفية بالتعاون مع بلد بترولي مرموق.



وسام البسمة لرجل القدرة والبسمة^(*)

نحن نشعر بالتكريم وبالأهمية الدولية عندما نجد أن الملك عبدالله بن عبدالعزيز قد وضعنا في هذه المكانة في عنفوان عصر الضياع العربي.. في ثلاث عواصم من أهم العواصم الأوروبية غرب القارة في مدريد ووسطها في باريس وشرقها المستجد الحضور في الديمقراطية والرأسمالية الأوروبية.. وارسو.. وقد قنن الرئيس الفرنسي ساركوزي الأهمية السعودية دولياً عندما قال: نحن نحتاج إلى السعودية بما هي عليه من مكانة اقتصادية واستقرار محلي.. نحتاج أن نعود بالذاكرة بضعة أعوام قليلة عندما كانت وسائل إعلام مختلفة - حتى ربما كان بعضها قد أوجد لهذا الغرض - تشكك في مناعة القدرة السعودية وتستشير أي فرص لبث القلق والخوف..

نحن جوهر سكاني مختلف تماماً عن كل من حولنا.. إذا تحدث أحد عن الاستقلالية الذاتية فإننا أول من أعلن قيام دولة عربية مستقلة قبل ثلاث مئة عام تقريباً.. ثم قبل مئة عام تقريباً أعلن الملك عبدالعزيز - رحمه الله - دولته في ظل ظروف عربية بالغة الصعوبة ومثلها الظروف الدولية التي خرجت من حرب عالمية كبرى إلى الثانية الأكثر ضراوة وتدميراً.. وقد استطاع الملك عبدالعزيز بمهارة فائقة أن يرسخ الدولة المستقلة..

ثم توالى بعده خطط التنمية التي حولت الصحارى وعدد النخل المحدود وكرم الماعز الشحيح في البيوت إلى مدن تفوقت.. هي الناشئة الحديثة.. على مدن عرفت الجامعات والطب والبنوك منذ زمن بعيد..

ما علينا هذا تاريخ معروف.. لكننا الآن نقف أمام حالة تقدير مذهلة لرجل يمثلنا أمام المجتمع الدولي أبرع تمثيل.. حيث إلى جانب الحفاوة الرسمية في العواصم الثلاث وتوقيع عدد من الاتفاقات التي لم تعد تنموية فقط ولكنها تفتح الطريق لبلادنا كي تلتحق بزمامات عالمية متمكنة القدرات والكفاءات.. نقف أيضاً أمام مشهد تكريم نادر استحققه الرجل

(*) العدد ١٤٢٤٥ (١٠/٦/١٤٢٨هـ، ٢٥/٦/٢٠٠٧م).

الإنسان الذي أصبح رائد أبوة دولية بسببها سوف يتلقى غداً وسام البسمة البولندي الذي يمنح لمن قدم خدمات غير مسبوقه لخدمة الطفل وتشرف عليه لجنة فوق سن الخمسين وهي جائزة دولية تمثل «١٥» دولة.. وقد حصل عليها من قبل رئيس بولندا السابق وبابا الفاتيكان السابق وملكة السويد والجائزة بدأت عام ١٩٦٥م..

من النادر أن يوجد رجل يحتفي به كبار الساسة وفي ذات الوقت تحتفي به براءة الأطفال الذين قدروا له فصل التوائم على نفقته الخاصة وعرفوه باسم قائد مملكة الإنسانية.



شكل ثاني.. (*) حبه هو شكل ثاني

الملك عبدالله.. الرجل البعيد النظر.. ويدرك - تمامًا - منذ زمن ليس بالقصير، أن «الوادي غير ذي الزرع» والصحراء اللاهثة بحثًا عن مطر.. موعودان بمسببات ثراء مختلفة الاتجاه والنتائج، فالمطر يأتي من أعلى والبترول يتصاعد من تحت الأرض.. يدرك أيضًا أن العمر المعطى للبترول محدود الزمن، حتى ولو بلغ المائة، وحتى تكون بلدًا مثل اليابان إذا افتقد الإمكانات الطبيعية، فهو قد ملك غزارة السيولة، وتعدد وسائل الإنتاج، مع تعدد نوعية جيدة من الزمالات الاستثمارية.. إذا لن يكون الإيراد مصروف مرتبات.. ولا ميزانية احتياجات ضرورية خدمية، ولكن سيكون تأسيسًا لعصر الثروة العملية والعلمية القادمة..

هنا تكون زيارة إسبانيا في أهدافها متقاربة مع زيارة الصين، والمرور بباريس هو مثل التوقف في ماليزيا، والتخاطب مع بولندا يضم أهدافًا عولجت في اليابان، أو سنغافورة، أو واشنطن، أو لندن.. وتبدو ظاهرة الترحيب بالتقدم الاقتصادي السعودي واضحة في قول الرئيس ساركوزي.. بما معناه أن المملكة مطلوبة الحضور في العلاقات البناءة مع فرنسا، وكذا نوعية التباحث في بولندا، الذي شمل تطوير أهداف تعليمية، وصحية، وجهدًا مشتركًا في مكافحة الجريمة.. مليار دولار لدعم صندوق الاستثمار السعودي الإسباني..

وما هو واضح في تطوير منافع العلاقات، أن رجل الأعمال موجود مثل مسؤول التعليم، والتجارة، والثقافة..

إذا علينا أن نعلم أننا ندخل عالم حقائق حضارية جديدة، بقدر ما ستعطي تغييرًا نوعيًا كثيفًا في تعدد مصادر الاقتصاد، ستعطي أيضًا مناعة ابتعاد.. إذا أمكن.. عن عقد الشرق الأوسط ومخاطره.. فالملك عبدالله يعمل من أجل الأهداف النبيلة، والغايات الفاضلة، التي يفترض أن يلتقي حولها الفرقاء.. فهو لم يمول - مادياً - أي منشق، ولم يهرب سلاحًا لأي مترصد..

هذه الصورة التي تجسد حجم أبوة صارخة بضخامة كفاءة الاستعداد لتعدد أهداف الرعاية اقتصادياً واجتماعياً وحضارياً وإنسانياً يؤوي فيه الحالمون بوطن فوق عاهات الآخرين إلى قلب كبير، جمع بالحب والعمل كل عواطف الآخرين وأفكارهم..

في الأردن مثلاً.. كان الحب الصادق هو الذي نصب تلك الخيام، ونثر كرم القبيلة على واجهات الطرق، وحشد آلاف المواطنين في تعبير عفوي للترحيب بالرجل الذي لم يكره أحداً، لكنه يجاهد لكي يرى كل طرف يحب الآخر فلا يخافه؛ وإنما يتعاون معه في شرقنا الأوسط المتأرجح وسط المخاطر المخيفة..

.. في وارسو، الحب ذاته.. الطفولي الناعم، الذي اشتعل عفويًا في ساحة الاستقبال.. لم يكن هناك من يحركه، وإنما كانت عيون الأطفال وشفاهم هي شموعه التي أشاعت النور في عيون كل الآخرين، عندما اندفعت دما وأولجا إلى الرجل النبيل عبدالله بن عبدالعزيز تلتفان من حوله، وهو الأب الأول في عواطفهما الكامنة.. هو البذل الإنساني العفوي فيما يتجذر في عواطفهما الكامنة.. هو البذل الإنساني العفوي فيما يتجذر في عقليهما.. صفق الجميع لعطر الحب الذي شمل كل أرجاء المكان.. توالى التصفيق.. الطفلتان وحدهما من كان يتحرك بحيوية فيما الأب والأم مشدودان مع مرافقي الملك لتلك التهويمات من عطور العشق تحلق حول الأب الكبير وتثرهما نظرات الطفلتين وابتساماتهما..

انتهى المشهد.. وهبط الجميع مع الطفلتين مودعين الملك، وكأن على لسان كل واحد تتردد كلمات: «شكل تاني حبك إنت شكل تاني».. هنا وعند بوابة الخروج كان هناك بعض الأمراء، وبعض المسؤولين، أرادوا التقاط صور معهما، وفيما الكاميرات تستعد، والطفلتان تتجهان إلى مكانهما، رأت «أولجا» الدكتور عبدالله الربيعية، فتركت مكانها راكضة لكي تعانقه في مشهد أعاد التصفيق مجددًا إلى المكان.

في ذكرى البيعة (*) يتواصل تفوق مجتمعه

بالتأكيد أنت تعرف نفسك ..

وبالتأكيد أنت تعرف بلادك ..

ولكي تفهم الملك عبد الله وذاتك وبلادك أكثر وأكثر ضع خريطة العالم الثالث بعمومياته سكانياً أمامك .. ضع أوضاع الأغنياء بالإمكانات، وفقراء في مستويات ممارسة الحياة .. اقترب أيضاً من خريطة ثالثة .. هي عالمنا العربي .. وكيف أصبح بؤساً وخوفاً وإهداراً ..

عندما استقلت الجزائر كانت تعتقد أن زمالات المجتمع العربي المتحرر سوف تقود عربة التقدم إلى التفوق .. هي الآن .. وأجدها معذورة تماماً تستقبل ساركوزي، تأكيد بأن التحالفات مع المجتمع المتقدم هي غيرها مع المنشقين والمتصارعين ..

لفت انتباهي عبارة قالها الرئيس الإسرائيلي أولمرت حين تساءل: أين هو حسن نصر الله من الشارع اللبناني .. إذا كان آمناً لماذا لا تراه يسير هناك ..؟ هذا صحيح .. معه أضف هروب مقتدى الصدر المتكرر .. ودموية نهر البارد .. وعجائن اللحوم في المسجد الأحمر واستقلال جزء فلسطيني عن جزء آخر ..

أشياء كثير تستطيع أن تتأملها وسوف تلمس فوارق رجل البيعة، في انتهاء عامها الثاني وأكف كثيرة لأمهات وآباء يدعون الله أن تتكرر عشرات المرات، فعبداً بن عبدالعزيز هو صاحب أبوة النمو الاقتصادي، وصاحب أبوة الوفاق الوطني، والبعيد البعيد نزاهة وطنية وسلوكية عن معظم النماذج العربية والإسلامية العاجزة عن السير في شارع عام ..

هل تذكرون حفلات افتتاحه لمواقع اقتصادية كبرى، كيف يحول أجهزة الأمن باتجاهات مسيره أكثر مما كان يلتزم بمسارات أجهزة الأمن؛ كي يستجيب لدعوة مضيف مطعم شعبي، أو يرد على سؤال سيدة، أو يحاور تجمع فئة من الشباب .. هو في أي مكان بين أهله .. يمارس أبوته .. وتعطينا وقائع الآخرين الحجم الهائل في الفروقات بيننا وبينهم ..

(*) العدد ١٤٢٦١ (١٤٢٨/٦/٢٦ هـ، ٢٠٠٧/٧/١١ م).

ثروة يستفاد منها، وأمناً يردع الخطأ، ونموً يسارع في تقدم المجتمع وعلاقات احترام دولية مثلما هو رمز بيننا جعلته رمزاً يمثل واجهة الوجود العربي القادرة على الفعل، وعلى حيازة الاحترام في آن واحد..

إنه من النادر في العالم كله أن يحوز رجل واحد على إجماع التقدير من الناس؛ لكن عبد الله بن عبدالعزيز، الذي قاد مملكة الإنسانية، ووظف البترول دروباً نحو تعدد اقتصادي هائل الاستثمار، وطور الابتعاث التعليمي كي تتعدد الكفاءات وتتنوع القدرات.. هو الذي حاز على ذلك الإجماع..



الملك عبدالله.. الاهتمام بالصحفي والمثقف.. نموذج الاهتمام برعاية الجميع (*)

متابعتي القديمة مع بعض الزملاء من الإعلاميين والمثقفين للاهتمامات المتميزة التي كان يوليها خادم الحرمين الشريفين ليس للحالة الصحية التي يكون عليها المثقف أو الإعلامي ولكن جميع ما يتعلق بالشأن الصحافي والثقافي أشخاصاً أو مستوى أداء أو مكانة احترام عبر تلك النوعية المتميزة من علاقات الود والتعامل المباشر التي كان يوليها لكل من يمارسون النشاط في هذين المجالين اللذين لم يتعرضا في المملكة لأي محاولة تهيمش أو تغييب.. فقد رعى هذا النمو الإعلامي والثقافي المتصل بوعي المجتمع فهو - حفظه الله - يدرك وبعمق متمكن أن الصلة مع وعي المجتمع تمر بمحاور عديدة بينها الإعلام والثقافة.

الوجه الآخر وذلك في مناسبات مختلفة مع العامة الذي يكفيهم وصولاً إليه أنهم يحملون هوية المواطنة.

منذ زمن بعيد يتجاوز سنين طويلة كانت مناسبات مناورات الحرس الوطني واحتفالات الجنادرية تعني من ناحية أخرى تجمعات إعلامية وثقافية يحرص على تقربها منه وتبادل الاتصال معها وإشعارها بالحوار المباشر وبساطة التناول أنها قريبة جداً من اهتماماته ويرى فيها قوى ذات أهمية في تحقيق شمول النمو والتطور.

كانت هناك كثير من الحوارات ربما بعضنا لم يكن يجرؤ على تسخين بعض التناول في الحوار فكان -حفظه الله- هو من يبادر إلى طرح الشفافية في القول وفي مصداقية الرأي.. لقد سعد الإعلاميون والمثقفون بأخبار اهتمامه الشخصي بالرعاية الصحية لمن خدموا في مجالات الإعلام والثقافة وما أردت أن أشير إليه في بداية هذا المقال هو أن هذا التعاطف الأبوي ليس جديداً أو طارئاً لكنه يتشكل مع اهتمامات ثقافته ورؤيته وشمول رعايته لكل فئات المجتمع.

(*) العدد ١٤٢٨٨ (١٤٢٨/٧/٢٤هـ، ٢٠٠٧/٨/٧م).

أريد أن أضيف ذكر نموذج حالة من الاهتمام التي أولاها لعدد من الزملاء فأحدهم وهو الزميل محمد العجيان الذي كان أحد مؤسسي التطوير الصحافي في المنطقة الوسطى عندما قدمت كرئيس لهيئة الصحفيين عرضاً لمقامه الكريم أشرح فيه وضعه الصحي كان أن أتى التجاوب الإيجابي السخي خلال ثلاثة أيام فقط وهذا منتهى النبل وسمو الأبوة لكل انتماءات المواطنة من رجل قريبة جداً منا روائع إيماءاته النبيلة المبشرة بالخير والتي عممت شعبيته المبهرة في قلوب الشيوخ والشباب.

ومثل هذا التعامل وكما هو معروف لدى الجميع شمل بالرعاية الأستاذ عبدالله الفري والأستاذ محمد الجحلان والزميلة ريما الشامخ وأخيراً الأستاذ عبدالغني قستي. الشكر من الأعماق لرجل مجّد الاحترام والتعاطف مع كل قلم وفكرة.

(*) الملك عبدالله.. اليمين الفاضلة

ثقافة الخلاف سائدة في العالم العربي منذ نهاية النصف الأول من القرن العشرين عندما توالى الانقلابات العسكرية مثل فرقة المتفجرات اللافتة جداً للانتباه في علو صوتها وبريق الإشعاعات منها لكن في النهاية يكتشف الجميع أنها لم تكن إلا «حالة» حريق مفتت لكل ما وقعت عليه..

والغريب العجيب أن سلوكية تاريخية هامة في عالمنا العربي لم تجذب الآخرين بمزاياها بمثل ما فعلت تلك المفرقات.. أعني أول وحدة عربية معاصرة.. تلك التي أنجزها الملك عبدالعزيز في أوسع البراري العربية وأكثرها تباعداً وأوسعها استيطاناً للأمم والحروب القبلية.. مع أن قادة المفرقات تغنوا بهدف الوحدة ورفعوه شعاراً ليس من خلال منهجية تعاون وتقارب بين القدرات، فهذا ما لم يحدث حتى الآن، ولكن من خلال الإقرار العملي لثقافة الخلافات.. فبغداد مثلاً التي انقلبت بدموية متوحشة على نظامها السابق وقالت إنها تسعى لتتحد مع سوريا ومصر كانت أعنف من تأمر على ذلك التوحد وأخطأت الناصرية طريق الوحدة الشاملة عندما أصبح الغزو العسكري والآخر الإعلامي هما المبشران بتلك الأفكار وليس تقارب القدرات وتوثيق تعاون التحالفات.. أما البعث فأعتقد أن كثيرين الآن قد نسوا تماماً شعاراتها القديمة التي لم ينفذ منها أي شيء..

نأتي إلى الدور الذي تلعبه الرياض عندما نلاحظ أن هناك من يستغرب توطين الرياض لسياسة المصالحات في حين تتخاطف العواصم العربية حمى الاتهامات.. الأولى مسلكية سعودية خاصة لم تتشأ فجأة ولكنها تدرجت من تلك العلاقات الودية - قدر الإمكان - مع العواصم العربية بعد توحد المملكة وتآلفت بتجاوز الملك فيصل كل الضغائن التي خلفتها ممارسة غزو بلاده من جنوبها وزادت توثيقاً بمؤتمر الطائف لتصالح اللبنانيين.. يأتي الآن الملك عبدالله فيضخم هذا الدور الأخوي الإنساني الذي لا يمكن أن يوثق بسلامة أهدافه إلا عندما يأتي من عاصمة بعيدة عن كل الشبهات..

الملك عبدالله.. الرجل النبيل.. الذي امتدت يده لتصافح كل مظاهر بوادر السلام في المنطقة.. كل قدرات البناء فيها.. مبدأ التصالح شمل الفلسطينيين ثم تألق في السوادن وأخيراً الصومال.. إن صاحب اليمين الفاضلة قد امتدت يده وما زالت في بلاده لكي تحارب الفقر والبطالة والتخلف لتأسيس تأهيل مجتمع تفرض قدراته الطبيعية أن يكون بلدًا اقتصاديًا وصناعيًا مرموقًا، وامتدت اليمين الفاضلة إلى خارج الحدود كي تطفئ جذوة الخصومات وتعيد الفرقاء إلى حقيقة أن التصافح لخدمة غاية مشتركة هو الأفضل من ترك البنادق تعلن أفراحها بإشاعة فوضويات الحياة التي يعتبر المواطن البسيط في غزة أو مقديشو أو دارفور هو الخاسر الأكبر فيها..



(*) الملك عبدالله.. شهادات المواقف

في مجتمعات عربية كانت مرموقة تعودت «الجماهير الكادحة» و«طلّاع المد الثوري» أن يختلط في سمائها غبار الأرض وضجيج الأصوات وهي تعيش عزلة لا يهتما فيها ما يحدث في العالم الخارجي.. بل هي أحياناً فخورة ببطولة الخطابات النارية ضد القوى الكبرى لكن عبر أكثر من نصف قرن كان كل ما أسفر عنه الغبار بعد خفوت الأصوات هو أن المدن الكبيرة أصبحت متاحف طوعية لكيفية كانت الحياة قبل ذلك الزمن البعيد.. ومع أن في الذاكرة عدداً من عواصم عربية كبرى استسلمت للشيخوخة أو الضياع فإن بغداد نموذج ذلك السقوط ومن بغداد اختار أيضاً صدام حسين نموذجاً لقيادات كانت القوى الكبرى تحركها من بعيد عن طريق الخصومات الوسيطة أو التحالفات الكاذبة ثم يبقى الجبار القاسي على شعبه مفتوح الجبهات عند حلول ساعة الصفر.. وما أكثر ساعات الصفر في حالات سقوط أهميات المدن العربية..

الملك عبدالله بن عبدالعزيز لم يتطوع بأداء خصومات ولم يتفرغ لافتعال بطولات لكنه مارس نهجاً أخلاقياً مبكراً قدم به نفسه إلى كل أنحاء العالم مبتدئاً بقريته وباديته قبل أن تلتحف ساحات المدن بشعارات الولاء الصادق له. فالرجل القوي النظيف تكوين إنساني وقيادي نادر الكينونة في عالم عبث باستقراره كل القوى السياسية والطائفية والعرقية لكن عبدالله بن عبدالعزيز اتجهت إليه الاحترامات لأنه مارس الأخلاقية النادرة في كل تعاملاته مع القضايا والخصوم والحلفاء.. حتى الحلفاء - وهذا تعبير مبطن بكثير من المحاذير - أثبتت التجارب معنا ومع الآخرين سهولة أن يتحولوا إلى خصوم لو اقتضت استراتيجياتهم ذلك مما جعل إيضاحه العملي بأن اليقين في عمله ليس إلا الولاء المطلق لمصالح وطنه ومواطنه.. أذكر وكنت شاهد حضور كصحفي كم تعرضت العلاقة مع أمريكا للاهتزاز مرتين لم يكمل بهما تبادل الحوار إلا بوضوح مسبق لصدق زعامة الرياض لجهود مكافحة الإرهاب.. ثم في الثانية بشرم الشيخ عندما استوضح إلى أين تؤدي خارطة الطريق هو الذي رعى مسارها العربي وقبله التأسيسي..

آنذاك أذكر كيف كانت الصحافة الأمريكية بالذات تمتلئ بإيحاءات التقليل من شأن المملكة والترحيب بشرق أوسط جديد إلا أن الرجل.. الواضح الصلب.. أثبت عملياً في كل سياسات التعامل مع الجوار وأزمات المنطقة ومطاردة الإرهاب وشموخ التأسيس الاقتصادي العلمي الجديد أنه الرجل الجدير بكفاءة الاختيار من قبل الواشنطن تايمز كأحد أبرز أربع زعامات عالمية متعددة الكفاءات وإيجابية الأدوار وهو اليوم.. عبدالله بن عبدالعزيز.. يرسخ في.. ثول.. حقيقة التحول الكبير نحو المكسب العلمي والاقتصادي بانطلاق تأسيس جامعة متميزة للعلوم والتقنية تحمل اسمه..



الملك.. بين يدي واجبه.. (*)

تبدو مسألة أداء الواجب مهمة سهلة ومتاحة للجميع هذا صحيح إلى حد ما.. لكن إلى أي حدود.. هناك من يؤدي واجبًا لكن بحدود... وهناك من يؤدي واجبًا لكي يحقق مكسبًا شخصيًا وهناك أيضًا من يفعل ذلك لكي يلحق الضرر بآخر وفي كل هذه الحالات تبدو مسألة «الواجب» مثل مظلة من السهل أن تخمن لماذا هي لكن في الواقع من الصعب أن تجزم بنوعية ما يحدث داخلها من أداء واجب ولو توفرت إيجابيات الأداء عند الجميع لكان ذلك يعني وجودك في عالم من المثاليات المفترطة وهو أمر من المستحيل أن يحدث في أي مكان.

الملك عبدالله بن عبدالعزيز أعطى للواجب قداسة في أداء الإنسان.. المواطن.. لعمله تجاه غيره.. مارس أداء الواجب لا ليتوقف به عند حدود اعتباره معذورًا بأداء ما هو مطلوب منه ولكنه تجاوز ذلك بطرح نموذجية مذهلة بطرحه الجهد المتواصل سعيًا لحل مشاكل الآخرين.. القيادة المثالية من الصعب أن تطبق في كل الظروف وعند كل التكوينات البشرية لكنها عند الملك عبدالله مسلكية طبيعية من الصعب أن تتفصل خصائص بروزها عن شخصه.. في مدينة عربية لاحظت أن زجاج سيارة فورد قد غطي بصورته وبجانبتها عبارة «الرجل المتميز».. والشاب يقودها وهو يجد نفسه في شموخ الصورة.

لا أحتاج لأن أسرد كم افتتح من مشروع.. كم تبنى من إنجازات.. كيف اختصر المسافات بين جهوده وقلوب الآخرين.. هذا معلوم ومعروف.. وفي مجال السياسية وهو مساء اليوم ضيف بريطانيا النابه والمحترم.. عرفته لندن ومثلها واشنطن وكذا باريس على أنه الرجل الذي لا يبحث عن مظاهره تمجيد شخصي في بلده أو عند الآخرين ولكنه ذلك الجاد الصارم في فرض احترام بلده كعزلة نزهة عن تورطات منطقة الشرق الأوسط ومسؤولياتها حتى أصبحت القوى الكبرى حائرة في كيفية الحصول على حلول ناجحة.. أجزم أن بعضهم مع نفسه يقول: لو استمعنا إلى رؤية رجل الرياض الأول مبكرًا لما كانت هذه الارتكاسات..

(*) العدد ١٤٣٧١ (١٧/١٠/١٤٢٨هـ، ٢٩/١٠/٢٠٠٧م).

يكفي أنه وسط هذه الحرائق الشرق أوسطية والمصائر المجهولة لكثير من الأماكن والفئات يقود بلداً تتنافس فيه أصالة الوضوح السياسي والوطني مع نزاهة العلاقات مع الآخرين.. لندن سعيدة برجل الصحراء التي تحول ترايبها إلى ذهب بفعل جهود قائد وضع كل قدراته بين يدي واجبه.



(*) **يبو.. يبو.. متعب**

عندما نتحدث عن شمولية باهتمام فسوف نعرف لفئات رجال الأعمال بأهمياتهم الخاصة وكذا الأكاديميين ومثلهم المعنيون بشؤون السياسة أو التعليم أو الصحافة وكل تدرجات مواقع الواجهة؛ فإن الشمولية تعني الوصول بالعباية إلى جميع فئات المجتمع..

هذا أمر من السهل أن يقال لكن من الصعوبة أن يطبق عملياً في كل المجتمعات ونحن في الشرق الأوسط منذ أكثر من نصف قرن تعودنا طقوس الإبهام بوجود عنايات شاملة ترتبها مظاهر مفتعلة غير عملية لأننا نجد الانفراد بالخصوصيات المهمة من شأن من يسيطرون على السلطة عبر ولاءات الحزب الواحد..

لكن في مجتمعنا السعودي لم يتوقف الملك عبد الله بن عبدالعزيز عند انعطافه الجريء نحو الحي الفقير كي يشرب القهوة في أحد منازلهم ولكنه دعم ذلك بمشاريع تطوير قدرات فئات المجتمع بعدة وسائل بينها مشاريع الإسكان الخيري وتسهيلات التعامل في القروض وبناء الملكيات المحدودة..

ولأن من يتصرف يتفاعل مع كونه مواطناً أكثر من كونه القمة في المكانة المرموقة فإنه عند افتتاح مشروع تجاري كبير لم يلتزم بخط المسار الأمني المعد سلفاً مثلما هو شأن المناسبات الرسمية في كل أنحاء العالم ولكنه شعر بانجذاب شديد نحو تطبيق سواسية التعامل فخرج عن مسار المجموع نحو نادل مطعم صغير يحلم بمرور الموكب أمامه.. توقف للرد على سؤال سيدات محجبات.. واصل.. ثم رد الابتسامة بقبلة على جبين طفل وطفلة..

هذه مجرد مشاهد تصور حقائق شمولية العبابة بإيقاظ حيويات المجتمع وتفعيل عضوياته في كل مجالات مساهمات البناء الذاتية والمشاركة.

ولعل اجتماعه.. الملك عبد الله.. بالطلبة والطالبات في بريطانيا يمثل مصداقية من النادر أن تحدث في مجتمع آخر لأنها كانت برئية تماماً من تهمة الإعداد المسبق، فالطلبة والطالبات

ناقشوا بكثير من الانفتاح وحرية التعبير كل ما هو يهمهم. أكثر من خمسمائة طالب وطالبة دراسات عليا جمعتهم القاعة الواسعة في حوار مفتوح ولأن المشاركة مفتوحة للجميع فقد كان بوسعك أن تسمع تكرر.. يبو.. يبو متعب.. من طالب يخترق التقاف المجموع كي يقول رأيه.. تسمع.. لو سمحت.. لو سمحت.. أبغي بس أسلم عليك.. ويقرر مكافأة شهر وصرف المكافآت الشهرية إلى الاسترليني وتأكيد أمر كل طالبة تتعهد الدولة بمكافأة من يرافقها.. وتقف طالبة.. تقول إنها على وشك إنهاء رسالة الدكتوراه وتشكر الأب الكبير على مشروع جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية حيث ستوعب أمثالها من راغبي مواصلة البحوث العالية..

كان اجتماعاً قُدر له ساعة واحدة لكنه استمر ساعتين في جو كانت المسافة فيه بين الملك والطلبة هي تلك التي تشد الأبوة إلى عواطف وأفكار الأبناء..

الملك المسموع الكلمة (*)

المألوف التقليدي في التعامل بين القادة هو الاحتراف بحضور الضيف عبر الطقوس المعتادة.. مع الملك عبدالله بن عبدالعزيز أصبح هناك ما بات مألوفاً لشخصه.. يتميز به في تعامل القادة الآخرين معه، ولعل سطوة القلق لا تتمثل في وضوحها إلا عندما تعكس ضرورة الاعتراف في اختلاف نوعية الأهمية للشخص والدولة بين القادة الكبار في القارات الأخرى وبين من يطمحون في العالم الثالث بالدعم والمساندة من أولئك الكبار.. هناك حاجز إمكانيات ثم حاجز أهميات.. لا أحد يستطيع إنكار ذلك.. وأحياناً تلجأ بعض قيادات العالم الثالث إلى عنتريات العنف لكنها لا تلبث أن تجد عنفها قد عاد بسلبياته عليها فتصبح هامشاً دولياً لا أهمية له.. والنماذج معروفة..

الملك عبدالله قالت عنه المستشار الألمانية ميركل أنت رجل مسموع الكلمة في العالم ونريد التعاون معكم لحل النزاعات سلمياً.. رائع جداً أن تكون مسموع الكلمة في العالم وأن يكون التعاون معك مثمراً في حل النزاعات سلمياً.. وأكثر روعة أن تكتسب هذه السمات وتنال عليها شهادة الأقباء.. البعيدين جغرافياً عن الحرائق المشتعلة والأخرى النائمة حين يكون وجودك قريباً من تلك الحرائق وتكون الزمالات - جغرافياً - تحتاج إلى تأهيل وإعداد يجنب الناس مخاطر تلك الحرائق..

الصورة تبدو أكثر وضوحاً حين نقارن صورة وطن آمن وناهض وقوي التوثب نحو المستقبل وأنجز فعلاً مكتسبات إيجابية كثيرة ولم يتوقف عندها ولكنه اعتبرها مرحلة وصول نحو واقع مستقبل أقوى وأرقى وتتمثل فيه.. أي الملك عبدالله.. حوافز ومبررات وقدرات الدفع نحو ذلك المستقبل.. ونقارن مع أوطان إما أن تكون قد تخلت عن أهمياتها القديمة بفعل سياسات الاقتصاد الخاطئة أو أن تكون ذات قدرات ذاتية لكنها لم تتعامل معها بصنع إيجابيات تقدم المجتمعات بقدر ما عملت منها مجرد مصاعد درج لطموحات شخصية وأحياناً تكون هذه الطموحات معاكسة لمصالح المجتمع..

(*) العدد ١٤٣٨٣ (٢٩/١٠/١٤٢٨هـ، ١٠/١١/٢٠٠٧م).

ويأتي فرق تقدير آخر تمثل بلقاء بابا الفاتيكان ففي العادة ينصرف البابا في يوم الثلاثاء للتعبد شخصياً في مقره فلا تكون هناك مقابلات.. مع الملك عبدالله بن عبدالعزيز حدثت حالة استثناء نادرة وهي توفير فرصة للقاء بينه وبين البابا في يوم الثلاثاء.. وإذا كان أن كثيراً من القادة والمفكرين والمهتمين بدراسة أوضاع الإرهاب يتفقون على أن الحزم الأمني لا يكفي وحده لتشتيت قدرات العنف وإيقاف مغريات مخاطره عند الشباب إلا عندما يضاف إلى الحزم الأمني التمكّن التربوي والثقافي والإعلامي لصياغة مستوى وعي أفضل فإن لقاء شخصية إسلامية بالغة الأهمية تتمثل في الملك عبدالله بشخصية مسيحية لها مكانتها الكبرى في الجانب الآخر فإن لغة التفاهم والتعاون في ظل الاعتراف بالطاعة لرب واحد هي المسلك الأفضل نحو دعم القدرات الأمنية عند الطرفين..



الملك عبدالله..

(*) المؤسسة لمتغيرات التطور في مجتمعه

لكل رجل تاريخي ظروفه الصعبة.. مكتسباته غير التقليدية..
إنفاذه الحزم لمتغيرات إيجابية تحمل مسؤولياتها قراره..
ولم يكن المكسب في كل ذلك أنه دخل دائرة اهتمام الناس ثم الانفراد بتقديرهم ومحبتهم
في آن واحد ولكن أيضاً نقل مستويات حياتهم وعياً واقتصاداً وعلماً ومعيشة إلى أعلى..
يُعد كل قائد دولة.. ملكاً أو رئيساً كثيراً من المؤثرات التي توفر له صفة الرجل الأول.
ذلك متاح بحكم نوعية موقع المسؤولية لكن ما هو صعب ويتميز به كل رجل مسؤولية عن
آخر هو أن دخول دائرة التاريخ تفاعل إيجابي لمهمات تأسيس في الحكم ارتبطت بذاته وتم
لها النفاذ بشجاعة إصراره ولهذا فالملك عبدالله بن عبدالعزيز لم يكن رجلاً تقليدياً ولا
الظروف التي مرت به هي الأخرى تقليدية..
في دائرة شجاعة القرار لم يقبل أن يأخذ مكانته بنمطية التابع تقليدياً ولكنه فضل مواجهة
ظروف صعبة بمواقف شجاعة لم ترفع له كف رجل الأعمال أو زميل المسؤولية فقط بإيحاء
تقدير.. ذلك حدث، ولكن الشاب.. أينما كان.. البعيد عن مؤثرات المجاملة أو التقليدية..
ومثله الطفل.. ومعها فتاة الدراسة أو الوظيفة.. كل منهم التحف العلم الوطني ورفع شعار
صورته..

هذا ليس بالسهل.. الدول الناشئة تدفع ربما بلايين التكاليف كي تطرح إيهاماً أن الاحترام
يحيطها من كل جانب.. الملك عبدالله مشى إليه الشارع.. وفعل ذلك السائح البعيد باختياره
رمزاً لوجود وطني يتكاثر حوله الاحترام في كل أزمته المتلاحقة..

قبل البيعة بأعوام قليلة نشأت وتكاثرت ظروف بالغة الصعوبة بل وبالغة المخاطر سواء في
الشرق الأوسط كمجموع تحاصره علامات الاستفهام أو في العلاقات الدولية وكأن ترسيماً
جديداً لحجم دول المنطقة ومكاناتها يوشك أن يفرض على الجميع.. لقد تصدى الرجل

(*) العدد ١٤٤١١ (١١/٢٨/١٤٢٨هـ، ١٢/٨/٢٠٠٧م).

القوي لكل ذلك.. فأوضح عملياً عبر المؤثرات واللقاءات وفرص المشاورات أنه إذا كانت ثمة ظروف تتلاعب بقدرات دول المنطقة فإن عاصمته «الرياض» لها مناعتها الخاصة التي تحميها من ظروف التلاعب تلك.. ودائماً.. دائماً.. وعبر التاريخ.. يختار القادة من مؤشرات مكانتهم التاريخية إما الاكتفاء بتلك المناعات وصلابة المقاومة سياسياً وإدارياً مع قوى الخارج أو الانغلاق الداخل لإنجاز بعض رتوش ليست بالجوهريّة تخدّر من يعيشون في الداخل».

الملك عبدالله بن عبدالعزيز في صلابه مواقفه مع قوى الخارج ورفضه أن تكون المملكة مجرد تابع لقرار سياسي وإنما وفّر صفة الحليف الذي انتهت نتائج الخلافات والمواقف على إقرار حقيقة أنه الأكثر احتراماً في ذاته وفي علاقاته.. لم يكتف بذلك مع أننا عشنا في عالمنا العربي أكثر من نصف قرن وكل مكاسب الأنظمة الثورية هو أنها ذات خصومات وخاسرة مع الخارج..

لقد عالج أوضاع الداخل بقرارات إيجابية كبرى وليس مجرد رتوش براقه في استحداث المدن الصناعية وتنوع مكاسب البترول صناعياً واقتصادياً وجذب مليارات المبالغ الاستثمارية الأجنبية إلى بلد هو بطبعه غني وفائض القدرة مع إعطاء عناية خاصة وذات تجذير متعدد بمستويات الكفاءة الصحية وتطوير الخدمات الاجتماعية وفوق كل ذلك ضخ أكبر عدد من الشباب في الابتعاث العلمي إلى الخارج يقابل ذلك افتتاح عشرات الفروع العلمية للجامعات..

هكذا هو الرجل التاريخي.. في مجده.. من خلال قناعة وسعادة واحترام ومحبة الناس لوجوده.

الملك عبدالله.. رجل كل عام.. (*)

كاتب عربي صديق حادثني منذ أسبوع معاً.. وتبادلنا السخرية بأن العالم العربي لا تتجدد في الأعياد أفراحه ولكنه مثل العائد من مآتم حيث تتوالى مع الأعوام كثافة مشاكله وهمومه..

قال لي: إلا أنتم..

قلت: لكن فينا من له شكوى..

قال: تختلف الأسباب.. غيركم يعاني الركود أو التراجع، أنتم منطلقون إلى الأمام.. من يشكو لديكم ربما هو ينظر إلى المسافة الأمامية التي سيقطعها تقدماً وهذا طبيعي.. أن يرى طول المسافة في بلد يريد أن يلحق بدول متقدمة جداً لكنه لو تطلع إلى ما تركه وراءه من مسافات كان يتخلف قبلها لواصل الابتسام ولم يشك..

أما غيركم فإن ما يؤله ليس حالة الركود ولكن توالي التخلف الاقتصادي والاجتماعي الذي يجعل صورة الماضي هي الأفضل، مع ما يوجد من مخاطر دموية أصبحت متكاثرة الانتشار..

هذا صحيح.. ما قاله هو عين الحقيقة.. فنحن نتعامل بضجر مع مهمتنا التي هي ليست بالسهلة في كيفية أن نقيم اقتصاداً عملاً يدخل في منافسات الصين والهند وماليزيا والدول الأوروبية في أكثر من مصدر واحد.. أيضاً مهمتنا الاجتماعية في كيف أن نوجد تقارباً بين فئات على ركود قديم وأخرى في حالة تحديث قويم وهي الأكثر.. ليس المهم من هو الأكثر أو الأقل.. المهم أن يتوفر التعاون بين فئات مجتمع واحد.. ونعرف جيداً أن ذلك ضرورة قصوى كي تتوفر الاستفادة غير المعاقة من إمكانيات بلد موعود بأمجاد اقتصادية وحضارية مرموقة..

هل حدث هذا التأسيس منذ عام حتى يتوقف بنا تقديرنا للملك عبدالله بن عبدالعزيز على عام ٢٠٠٧م، ومن فعل ذلك لم يخطئ لأنه أخذ في قياساته إنجاز ذلك العام المنصرم يوم أمس..

(*) العدد ١٤٤٣٥ (٢٣/١٢/١٤٢٨هـ، ١/١/٢٠٠٨م).

إن الرؤية لإنجازات المملكة في مختلف المجالات، وليس المهم كم تملك من مليار دولار أو كم برميل نפט تنتجه في اليوم الواحد .. إذا كان مجرد إيراد فالأهم أين توظف ذلك الإيراد ومثله ذلك الإنتاج ..

وليس المهم معرفتك أن عدد سكان بلادك يقارب العشرين مليوناً، وهو عدد متوازن يرتفع عن تواضع الأرقام الخليجية ويتباعد بوسطيته عن عبء الأرقام المرهقة في الدول العربية الأخرى، المهم في هذه المعرفة السكانية أن هناك مشاريع تعليم وابتعاث وتعميم خدمات طبية واجتماعية وميلاد شركات إنتاج اقتصادية كبرى وحوافز معونات إعمار منها ما خصص لذوي الدخل الضئيلة ..

رائد الإصلاح في كل عام الملك عبدالله بن عبدالعزيز هو الذي قاد مسيرة التميز محلياً والاعتدال دولياً والتوافق عربياً .. هو رجل كل عام .. خطط فيه ونفذ مشاريع تحديث للنمو والحوار الوطني والمناعة الأمنية والتصدي للإرهاب والاستقلالية الحقيقية عن توجهات المصالح الخاصة الدولية ..

حفظه الله أباً للجميع .. ومحبوباً بالرضا من قبل الجميع هنا .. لا بالإكراه أو الترغيب كما في الدول العربية الأخرى ..

رؤية بوش التي أوجد الملك عبدالله مبرراتها (*)

ليس للرئيس الأمريكي بوش مصلحة فردية يريد الوصول إليها من خلالنا ..
الكل له مصلحة في الشرق الأوسط ..
الكل له أيضًا مشكلة في الشرق الأوسط ..
لكن تظل مصلحة دول المنطقة أكثر إلحاحًا من مصلحة أي دولة خارج المنطقة ..
وتظل كل مشكلة لأي طرف هي ثانوية بالنسبة لمشاكل دول المنطقة ..
سوريا مثلًا بالنسبة لتحقيق السلام أو استمرار التوتر لها وضعية خاصة ..
الأردن دائمًا بين (نارين) وتعامل برحابة صدر مع مزعجات كثيرة ..
مصر دخلت السلام وعملت من أجله، لكن أزعتها أنفاق -الله أعلم- ستؤدي إلى أين ..
العراق مجزرة للجميع ومستودع انفجارات تهدد الجميع ..
إيران قلقة بين حوافز الطموحات ومخيفات المغامرة .. حتى تركيا وصلتها سخونة أوضاع
المنطقة ..
إذاً عندما يقول الرئيس بوش عن الملك عبدالله بن عبدالعزيز بأنه «يحظى باحترام جميع
دول المنطقة وحين يتحدث يستمع إليه الجميع» ويقول «التزام المملكة في مكافحة الإرهاب
يثير الإعجاب» ..
كلنا نجزم أن الملك عبدالله ليس بحاجة إلى إيضاح أكثر لصورته الواضحة أساسًا حيال
مشاكل المنطقة والتعامل مع الإرهاب واستقلالية العلاقات الدولية، لكننا نرحب بهذه الرؤية
التي هي في الواقع تخص المملكة وتخصنا كمجتمع مثلما أراد لنا الملك عبدالله من صيغ
حضور مشرفة في رؤية المجتمع الدولي ..
فرق كبير بين من يتصرف ويتحدث من دافع استقلالية معلنة عبر المواقف والآراء وبين من
يريد أن يحظى بشيء من تلك الاستقلالية لكنه مشدود إلى رهانات ليست نهاياتها بيده ..

(*) العدد ١٤٤٠ ١٢/٢٨/١٤٢٨هـ، ١/٦/٢٠٠٨م.

لقد عصفت بالمنطقة أحداث رهيبية ومخيفة عندما أعطى الملك عبدالله بها آراءه المستقلة فوجئنا بنزق متهور لا يستطيع مجاراة تلك الآراء المستقلة لكن نهايات تلك الأحداث والعودة إلى عقلانية المملكة أكدتا ما سبقى نحترمه سواء ما يعود إلينا أو إلى علاقتنا ..

وعلاقة الصداقة والتعاون بين أمريكا والمملكة ليست بالجديدة، بل هي الأقدم في منطقة الشرق الأوسط واستطاعت هذه العلاقة أن تهزم كثيراً من ظواهر القلق والمجازفة التي عصفت بالمنطقة منذ أعوام بعيدة ..

أن نلتقي مع واشنطن عبر هذا الوضوح أمر نضيفه إلى مكاسبنا ..



فيصل وعبدالله تاريخيان بمنجزات خاصة (*)

يأتي حصول الملك عبدالله على جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام أمرًا طبيعيًا لأن الأسرة المالكة جمعت أطراف شبه الجزيرة العربية الشاسعة تحت راية الإسلام.. وبدأ جمع كلمة معتقيه منذ عهد الإمام محمد بن سعود وحتى عصرنا الحاضر.. وقد تجاوزت العناية بجمع كلمة معتقيه حدود الدولة السعودية إلى كل الأبعاد التي جمعها الملك فيصل -رحمه الله- تحت راية منظمة خاصة تواجه ذلك المد الشرس آنذاك للثورات الإلحادية بدءًا بالشيوعية واستيطانها آيات أخرى بعيدة عنه..

كان بريق الشعار الواحد بالحرية والاشتراكية والوحدة يغزر بالتائهين في مجتمعات فقيرة.. لكن صدق المضمون الإسلامي لو طبق بنزاهة بداياته لكان أكبر هازم متفوق على ما حدث وهو ما جعل الملك فيصل ينتصر بدولة محدودة الإمكانيات آنذاك على دول تدعمها المغامرة ويحرضها التهور فجنب بلاده ما تعرض له أولئك من خسائر.. وما حدث بعد عام ٢٠٠١ من استهدافات عداوات متنوعة ضد المملكة صمد لها الملك عبدالله بصدقه واستقلالية مواقفه..

وفي فهم الإسلام ذاته والاستفادة من انفتاحه التقى الملك عبدالله بالملك فيصل عبر انتهاج سياسات متقاربة الأهداف وإن كانت مختلفة المؤثرات.. فالملك فيصل الذي طور مرافق الدولة وأسس من أجل تحديث قدراتها الكثير من الأنظمة والإدارات وقف خلف مشروع تعليم المرأة بشجاعة ورزانة لم تعرقها خطب المتطرفين، والذي يحدث الآن حيث أتى الوعي متأخرًا، وهذه مشكلة المجتمعات المتأخرة الوعي.. يأتي لتشهد حاليًا المطالبة بالمزيد من مدارس البنات ويرافق مهمة فتح مدارس البنات الانفتاح الإعلامي والتلفزيوني وحقائق يدركها الجميع بوجود دور عرض سينمائية في الأندية الرياضية وسوق خاص لذلك في أحد شوارع المربع..

(*) العدد ١٤٤٢ (٣٠/١٢/١٤٢٨هـ، ١/٨/٢٠٠٨م).

لم تكن تلك ممارسة سرية فالكل يقصدها ويدخلها بتذاكر معدة سلفاً ويصلك التلفزيون السعودي بحفلات الغناء في لبنان أو سوريا لصباح وفيروز وتأخذ أم كلثوم وقتها الممتع الطويل..

لقد قاد الملك عبدالله انفتاحاً حضارياً متعدد التوجهات وضمن الأطر الإسلامية حيث تعددت أخبار المشاركات السعودية الفنية وأدركنا وكأننا نعي للمرة الأولى أن لدينا سيدات حاصلات على مؤهلات عليا متعددة التخصص وفيهن من يعملن في الغرفة التجارية وفيهن من يقمن معارض دولية سعودية للأزياء..

هذه هي حقائق موجودات المجتمع الانفتاحية على المجتمعات الأخرى، ولأن الرجل سعى إلى جعل الحوار وسيلة تفاهم بين الأفرقاء العرب فإن الحوار الوطني منجز حضاري ابتدعه الملك عبدالله كي يقرب بين الفئات ويجعل من الكلمات ووعي الأفكار جسور تواصل بين الجميع..

الملك عبدالله.. بعد بوش.. شتاء الفقراء (*)

هو لا يريد أن يكون حديث الناس..

يريد أن يكون الناس الذين يمثلهم.. مجتمعه.. هم حديث المجتمعات الدولية..
لقد باشر إنعاش حيوية الثقة بالمستقبل في نفوس الناس عندما عد مصادر تنويع قدرات المستقبل وبمئات المليارات فأصبحوا لا يضيقون ببعض حالات التماس في تباين القدرات وعدم تناسق الفرص، لأن الخروج من حالة الرتابة إلى حيويات الانطلاق لا بد أن يصحبه تباين في المستويات حيث وجدت أهمية البترول المتصاعدة أهميات توظيف متسارع لقدراتها الاقتصادية..

ولكن الصورة الأمل.. الأبعد واقعا عن كل مستويات الحياة الاجتماعية في المنطقة هي التي قادت في طريق النمو المتسارع لأن وضع أسس نمو ما لا يعني التوفر السريع لمكاسبه ولكنها تأتي بعد تنفيذ برامجه..

ألسنا الآن الأقل حديثاً عن أنفسنا والأكثر استقبالا لحديث الناس عن توفر الأمن الاقتصادي وتنوعه في بلادنا؟.. ومن النادر أن يتحدث الآخرون عن مجتمع أكثر مما هو يتحدث عن ذاته، بل إن الدول النامية بالذات تصرف كثيراً من إيراداتها كي تتحدث عن حلم تنموي لم يحدث..

إن شواهد الاهتمام الشامل بشؤون مجتمعنا متعددة المظاهر ومعلنة المشاهد.. مواكبة لتصاعد الأهمية السياسية والاقتصادية الدولية..

قبل وصول «بوش» ورحيل ساركوزي وأثناء تنقل بوش ضيفاً في أكثر من موقع ومقيماً أطول مدة في زمن زيارته كان حديث الوكالات والفضائيات والصحف يتناول الزيارتين بأهمية خاصة.. وكل منهما زار معظم المنطقة لكن زيارة الرياض حظيت بأهمية خاصة خصوصاً

(*) العدد ١٤٤٥٤ (١١/١١هـ، ٢٠/١/٢٠٠٨م).

في جوانب التعاون الاقتصادي والعسكري للأولى وفي الثانية فيما يخص «بوش» من تداول لوضع مشكلته مع إيران ومشكلة العرب مع إسرائيل ومشكلة لبنان مع نفسه ومعاطف الآخرين المتدثر بها..

ومع ذلك لم يضع الملك عبدالله ساقاً على أخرى ثم ينطلق متحدثاً إلى من حوله.. ماذا قال وماذا سمع.. وكيف يتصور المستقبل؟..

لو أراد أن يتحدث عن نفسه لشهر كامل لكان ذلك أمراً في منتهى السهولة لوفرة مصادر مشاركاته، بل والعودة إليه فيما هو مهم منها.. لكنه رفض أن تأخذه مكاسبه وخصوصية بلاده الاقتصادية والسياسية التفت سريعاً إلى الناس الذين تعود الاهتمام بهم ووجوه الناس تعصف بها شدة البرودة حيث تراخت أوراق الأشجار معلنة خضوعها وتمدد الصقيع على مختلف المساحات..

لم ينس الملك الإنسان.. عبدالله.. أن هناك فقراء قد يعجزون عن مواجهة قسوة البرد فأمر وبشكل فوري أن تصرف معونة برد لكل مستحقي الضمان الاجتماعي..
لفتة أبوة من الصعب أن يفعلها غيره في الدول الأخرى..

الملك عبدالله.. شمولية الرعاية.. (*) ورضا الناس الذي يُدرك

الرجل الكبير.. الكبير.. في وعيه ومفاهيمه هو دائماً ذو رؤية شمولية تستطلع أوضاع مجتمعه فتعالجها بدءاً بمن هو أكثر استحقاقاً، والملك عبدالله قاد هذه النظرة الشمولية فكان منذ زمن بعيد الرجل القريب من ذوي الاحتياجات.. ومعظم الناس هم من هذه الفئة مع اختلاف مستوى الاحتياج.

يهمني أن أتوقف عند المزايا الشخصية في رجل قيادي مثالي الممارسة، وأذكر في أول لقاء لي معه قبل أن يصير ولياً للعهد أن أذهلني عمق التناول وبساطة التعامل في شخصه.. كنت مرتبكاً يخالجنني شعور عن الرجل المعروف بأنه جدي وصارم لن يعطيك الرأي أو المعلومة إلا بأطراف الأصابع.. تكررت اللقاءات في مناسبات مناورات الحرس الوطني وزياراته الرسمية فلم أكن وحدي المبهور بذلك العمق الذي يتناول به أوضاع مجتمعه متلازماً مع تلك البساطة التي يقترب بسببها منه كل مواطن..

إن من أهم الفروق في مجتمعات الدول المتقدمة والأخرى النامية وبعضها يصح أن يوصف بالناائمة لأنها تتجمد على رتبة الأخطاء.. من أهم الفروق أن السلطة في الدول المتقدمة ملزمة بأن تجعل ذوي الاحتياجات هم الأقرب إلى اهتماماتها وتسهل للقطاع الخاص فرص نجاحه، بينما في الدول النامية يكون أصحاب الاحتياجات هم الأبعد وبالتالي تتكاثر مسببات عدم الاستقرار والاضطرابات.. الملك عبدالله.. أخرج المملكة من دائرة الدول النامية عبر خطوط التغيير الجوهرية التي أسس لها والتي وصف جانباً منها اقتصادي مرموق هو الأستاذ عبدالله الدباغ في المنتدى الاقتصادي الدولي بأنها ستجعل من المملكة سوقاً اقتصادياً مؤثراً في التعاملات الدولية.. من جانب آخر عمل على تطوير القضاء وكل ما له صلة بأنظمة وجهات الحقوق العامة، وفي زحمة موجات الغلاء العالمية لم تتخبط الدولة السعودية بقرارات «ترضية» صورية أو إجراءات عاطفية غير مدروسة، لكن تناول

(*) العدد ١٤٤٦٣ (٢٠/١/١٤٢٩هـ، ٢٩/١/٢٠٠٨م).

أوضاع المستفيدين من الضمان الاجتماعي بتسويات مساندة ثم تخفيض التكاليف في مرافق الخدمات والزيادات النسبية مما يجده القارئ في القرارات الصادرة عن مجلس الوزراء برئاسته في عدد اليوم «ص ١، ص ٢».

إن الثروة ليست سحابة كريمة الأمطار على فئات خاصة مثلما هي حال معظم الدول النامية ولكنها تنشر اخضرار ربيعها على كل الفئات..

عندما يقول المثل الشائع بأن (رضا الناس غاية لا تُدرَك) أستطيع القول إن فكر الملك.. الأب للجميع.. برهن أنه القادر على إرضاء كل مساحات وطنه.

الملك عبدالله من خلال قراراته.. (*)

السائد في العالم الثالث أنك ترى الحاكم من خلال كلماته ومناسبات تنقلاته وما يحشده إعلامه من وعود رخاء غالباً لا تنفذ..

ومع توالي ما لا يقل عن نصف قرن مع هذه المعادلات أصبح الخلل يبدو مألوفاً في الحياة الاقتصادية وتخلف المفاهيم في الحياة الاجتماعية صار أمراً عادياً..

بعض الذين - وهم أقلية - تتوفر لديهم قدرة رؤية حجم الخطأ ثم يحاولون المطالبة بإصلاحه يبتلعهم بحر التخلف الاجتماعي على أنهم «معكرون» للحياة العامة..

الملك عبدالله بن عبدالعزيز كان بمقدوره وببساطة أن يرضي الناس بتوفير متطلبات سهلة.. لماذا لا؟.. ما دام أن إيراد البترول قد ارتفع إلى مستواه المذهل..

تريدون مدرسة.. خذوا عشرًا..

تريدون طرقاً.. خذوا ما يكفيكم من طرق مواصلات..

تريدون علاجاً.. لا بأس من الاستعانة بنهج دولة خليجية كانت تسفر المريض وعائلته كما لو كانوا سياحاً..

تريدون زيادة مرتبات.. لم تكفكم خمسة في المئة خذوا عشرياً..

الملك عبدالله بن عبدالعزيز ليس حاكماً هدفه أن يرضي الناس عبر توفير متطلبات يسهل أن تكون متاحة، ولكنه يريد أن يدخل بهم مرحلتهم التاريخية بنقلة اقتصادية وحضارية هائلة توفر حلول المتطلبات تلقائياً وتستهدف تشغيل مئات المليارات من الاستثمار المحلي الأجنبي في أكثر من خمس مدن سعودية..

عصر أمس وبجوار معالي الأستاذ عمرو الدباغ وكنت مع عدد من الزملاء ضيوفاً لدى الهيئة العامة للاستثمار استمعت إلى ما يؤسس لجذور دولة تتخطى الشرق الأوسط لتلحق

بدول الاقتصاد الأولى وتترزع من شفاها عبارات كيف ماليزيا صنعت ذلك؟.. الشيء نفسه سنغافورة.. كيف حققت اليابان مجدها الاقتصادي دون مواد أولية؟.. كيف تخطت أوروبا حرب الكنائس وأوجدت مجتمعاً متصالحاً انفرد بقيادة المنجزات العالمية؟..

الدور التاريخي المتحول بنا من باعة بترول إلى مصدري صناعات كثيرة.. كيف تشتري منا الصين البترول وتبيعنا مشتقاته.. سنفعل ذلك.. سندخل في مصالح الرأسمال البريطاني والأمريكي وغير ذلك كثير..

الحاكم هنا «في روضة خريم» يستطلع الصحراء، الرمال، صلابة الصخور بجزم من هو قادر على تحويلها إلى مدن علمية خضراء، وخطوط سكك حديدية، وأخرى مواصلات، ومدن معرفة، ومدن صناعات متنوعة، وانتشار علمي للجامعات..

سنوات.. لا ندري كم.. لكن حتماً ستشهد شبه الجزيرة العربية تحولها الأول إلى استيعاب سكاني مؤهل ومدن إنتاج عالمية متفاعلة مع كبرى مدن الاقتصاد..

بقي أن يعي الناس أهمية هدف المهمة التاريخية تأثيراً على مستقبل أجيالهم فيتواجد الفكر العلمي مواكباً ومساعداً على إنجاز قدرات التحول..

الملك عبدالله.. بين كفاءته ومجوداته (*)

من يكتب من داخل العالم الثالث يتحسس النماذج الواهنة في امتدادات جغرافية واسعة.. وللحقيقة يلمس أيضاً بعض محاولات ناجحة للانفكاك من السلبيات والاتجاه نحو المستقبل.. يدرك ذلك أكثر من الكاتب في العالم التقني الاقتصادي الأول حيث توفرت ثقافة الحقوق عندما تمكنت المجتمعات من حماية حقوق أفرادها..

إن الملك عبدالله في أوضاع التخلف العربي هو منظم سياسات تشريعية تتوالى لقيادة المجتمع نحو ما بمقدور مؤهلاته أن تعطيه من مكانات بارزة، ولذا فإن أصعب مشكلتين مرّتا لم تكونا نتيجة سياسات دولة، وإنما بفعل خطأ ممارسات أفراد، أو بفعل اجتياح ظاهرة سلبية عالمية.. ولم يقف منها متفرجاً، بل توالى الأنظمة وتعديل صيغ الممارسات كي تتوفر فرص وضوح لتعامل الناس مع أسواق التداول للأسهم التي ابتعلت قدرات أشخاص غامروا ولم يجربوا، وتلك كانت الظاهرة الأولى، ثم أتت أزمة الغلاء وهي كما قلت في مقال سابق حدثت بفعل رغبة خارجية لاقتناص شيء من مكاسب ارتفاع سعر البترول أو بفعل انتهازية محلية لذات السبب.. وكلنا نعرف أن الملك عبدالله وعبر قرارات تلاحت وقرّ مواجهة تعاملت مع المستقبل القريب والآخر البعيد المدى.

هذا الجانب في شخصه، رغم أهميته، مكمل لجوانب ريادية مارس بها فرص الإصلاح وفك مخانق الانغلاق، وهو الرجل الذي اقترب على الصعيد الإسلامي من قضايا بالغة السخونة والخطورة.. فكانت مكة المكان الأرقى بمثل ما هي قدسيته لكي يجتمع فيها قادة دول عاشت مأزق الاقتتال الداخلي بحثاً عن مخارج نحو الحياة الآمنة.. لقد كان التواجد في ضيافة الملك عبدالله بالنسبة لمشاكل السودان والعراق وفلسطين والصومال لا يمثل تواجداً مع طرف ثالث يحدد مقاييس لصالح نفوذه، وإنما كان يتم على مستوى من نزاهة الرعاية والمحاولات المخلصة لأمن مجتمع إسلامي قوي التفاهم والتلاحم حيث تعيش الدول

(*) العدد ١٤٥٠٣ (١/٣/١٤٢٩هـ، ٩/٣/٢٠٠٨م).

الإسلامية حالات من الاختراق وبالتالي حوافز الدخول في الصراعات الدموية.. إن الفوارق بعيدة جداً بين نزاهة أبوة إسلامية مثلها الملك عبدالله وبين حالات ارتهان إسلامية وعربية لدى مؤثرات جذب من قوى تحاول أن تهيمن على الاتجاهات بما في ذلك توفير مسببات الاقتتال الداخلي.. سياسياً أو عرفياً أو طائفيًا.. ومن المؤسف أن تتخذ لبنان نموذجاً لتباين مستوى المفاهيم والمؤثرات، إذ في حين يعمل الملك عبدالله جاداً كي يبقى لبنان موحد القوى والقدرات يتواجد فيه من يسرب نفوذ الآخرين ويجسد ظواهر انقسامات لصالح الفئات مما لا يتصل بانقسامات الرأي عند الشعوب المالكة لشؤون مسارات حياتها.. عند إعلان أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية المتعددة الاختصاصات.. التي هي في الواقع أنضج عمل ثقافي وفكري ارتفع عن مستويات المحلية الشرق أوسطية أو العربية ليكسب احترام الاهتمامات الدولية.. وهو نجاح مشرف يقدر لأبناء الملك فيصل وبناته القريبين دائماً من كل عمل بناء وذكي.. عند إعلان الأسماء قال الأمير خالد الفيصل: إنه (يهنئ الجائزة الإسلامية حين تقترن هذا العام باسم الملك عبدالله بن عبدالعزيز).. هذا صحيح.. ويضاف إليه.. عندما نعرف جيداً طبيعة أزماتنا المحلية وبعضها مفتعل، ونعرف دونية أسباب الصراعات عربياً وإسلامياً، ندرك أن الملك عبدالله يطل بموضوعيته وصدقه من قمة برج شموخ النزاهة.. على عوالم تنن من بذاءة من يعيقون اعتدالها أو سلامتها.. فهو يستحق أكثر من جائزة امتياز تنفرد بها كفاءته ومجهوداته..

الملك عبدالله.. فارس المرتفعات الصعبة (*)

مهمة الإصلاح أصعب بكثير من مهمة الإفساد.. والقدرة على تحمّل المسؤولية الفردية فيها الرجولة الغائبة عن ممارسات نشر ضبابية المواقف..

الإفساد يجد الاستجابة من غالبية نفوس الناس، حتى أصبح ثقافة عامة عند بعض الشعوب، وأوشكنا أن نصل إلى هذه المرحلة لولا مواقف رجل إصلاح تحمّل مسؤولية إعادة بناء الثوابت الفاضلة، وهي مهمة صعبة تحتاج إلى مساندة الكثيرين..

إن الناس في الدول النامية عموماً يركضون دائماً للحصول على ما هو «الأكثر» لحياتهم حتى ولو لم يكن مشروعاً، ولا يستطيع أحد أن يقرر بدقة أين كان موقع الخطأ.. بينما في المجتمعات المتطورة الراقية علماً وثقافة يفقد أصحاب أسماء لامعة مواقعهم البارزة لاكتشاف خلل ما كانوا هم السبب في وجوده..

هذه رؤية لأوضاع مجتمع من حيث مباشرة تقويم الأخطاء..

تعال إلى نوعية التناقضات الحادة بين أكثرية تريد الوصول إلى الأفضل اقتصادياً وعلمياً واجتماعياً بعبء إمكانيات مادية سخية وهبها الله لنا في جوف الأرض، وبين أقلية تحمل سلالم سد الذرائع أو فتاوى التكفير أو رسائل التحريض كما في بعض مواقع الانترنت خوفاً من معرفة ما يجهلون، وما أكثر ما يجهلون..

تعال أيضاً إلى كيف كان الناس في دولة كبرى مساحة وتعداداً سكانياً يتجهون إلى المدن الرئيسية كالرياض وجدة والدمام للبحث عن عمل أو علاج أو سكن، وكاد التعريف الجغرافي في والسكاني للمملكة يرتبط حضارياً بتلك المدن..

إن شجاعة النزاهة هي الأقوى في مواجهة التحديات..

وضوح براءة الصدق في الممارسة هي وجهة القبول عند كل الفئات..

إذا فالملك عبدالله بن عبدالعزيز لم يكن رجل مهمة إصلاحية محدودة، ولكنه الرجل الذي

(*) العدد ١٤٥١٠ (١٤٢٩/٣/٨هـ، ٢٠٠٨/٣/١٦م).

اعتلى الدروب الوعرة كي يحوّل النمو السكاني من دورانه في السهول حول ذاته إلى طموحاته في المرتفعات من أجل مستقبل أجياله ..

مهمة ليست بالسهلة.. بل مهمات تتواصل مع بعضها في آفاق.. ولهذا فقد كان تعديل القضاء ومساندة ديوان المطالم ومضاعفة حيوية تحرك مجلس الشورى والتطوير المتزايد لتخصصات التعليم وابتعاثاته والتعديل المتواصل لأنظمة سوق المال مع الاندفاعات المالية الجديدة التي كاثرت فرص الاستثمار لمختلف الفئات بحيث تتم محاربة الفساد من جهة، وفتح فرص الكسب المشروع عبر عديد من الفرص..

ولم يكن الملك عبدالله مع أو ضد في اختيار موقف خاص بين فئات اختلاف الرأي في مجتمع واحد.. ولكن ولأنه الرمز والمرجعية القيادية في هذا المجتمع الوطني فتح باب الحوار واسعاً، وعمل على تنقله بين فئات المواقع للخروج من عتمة الركود وكسر حدة التطرف توجهاً إلى أسفل أو إلى أعلى..

إن الرجل الذي أصغى إليه العقل العربي في خطاب الشورى يوم أمس هو الرجل الذي رفض أن يتجه المواطن إلى مدن معينة كالرياض وجدة والدمام بحثاً عن عمل أو علاج أو سكن.. حيث تشهد الآن عشرات المدن وثباتها الكبرى في استحداث مستشفيات جديدة رفيعة مستوى التخصص، وكذا كليات الجامعات العلمية والطبية ويشمخ بعضها لأنها من سواحل البحر الأحمر الشرقية أخذت تتطلع أن تكون في مثل أهمية مدن صناعية اقتصادية على الساحل الغربي للخليج حيث الخفجي وبقيق ورأس تنورة، وفعل ذلك كله..

فتح أبواب متغيرات كثيرة.. أبواب دخول إلى مستقبل أرقى وأغنى وأوعى.. رجل نعرف أنه يجاسب نفسه ويستطلع جيداً ما إذا كان قد فعل ما يرضي ربه وضميره.. عبدالله بن عبدالعزيز..

فعلًا.. هو صانع تاريخ (*)

هل أقول: لقد أضاف الملك عبدالله بن عبدالعزيز مرحلة مجد جديدة إلى منجزات ماضية وحاضرة؟.. أبدأ.. الإنسان حسب نوعيته، والرجل القيادي حسب نوعية تأهيله.. والتأهيل للقيادي ليست شهادة جامعية أو تزكية معاصرين.. الملك عبدالله منذ وقت مبكر عندما كان ولياً للعهد وهو صاحب مبادرات شخصية تؤكد أن تأهيله القيادي أت من طبيعة تكوين ذاتي متفوق.. قادر على الرؤية البعيدة المدى، وقادر على قراءة الأحداث قبل وصولها.. ولهذا فقد استبق كثيراً من المشاكل التي هددت مجتمعاً راكداً الاقتصاد، ومنعطف التعليم إلى الخلف، ويكاد يكون مستسلماً للنمطية التقليدية في كل شيء.. لقد أطلق بنجاح أسس التغيرات الإيجابية الجديدة، وحرك الحياة الاقتصادية وحثها على التفاهم ودفعها نحو رؤية أن تقبل الجديد بإيجابياته ومثالب الركود القائم بسلبياته، فكان الحوار الوطني لغة المجتمع الطموح.. وجعل المختصين عالمياً ومحلياً ليس عبر الأقوال ولكن عبر خطط المشاريع المرصودة فعلاً، يتحدثون عن بزوغ بدايات المستقبل الصناعي الاقتصادي الجديد..

وفرقت كبير.. كبير جداً، بين واقف في اليوم لأكثر من مرة يحرض على العداوات بين الأديان أو ناقل عبر الفضائيات وصايا القاعدة في ضرورة نشر الإرهاب والقتل العشوائي على أنه جهاد، أو معتصم بعزلة انفراد لا يرى فيها أي فضائل لآخر يتعامل معه في العلوم والاقتصاديات والطب.. فرق كبير بين كل ذلك وبين رجل دولة موهوب كما سبق أن أشرت.. قدرته القيادية تتخطى به حدود المألوف إلى تطلعات المستقبل وثقافة تأخي الجميع عندما دعا الملك عبدالله إلى حوار الأديان فوصفه الغرب قبل الشرق على أنه صانع تاريخ يمد يد سلام يجب أن يضافها الآخرون..

هذه الرؤية.. الأفق الأعلى الذي يشع به تنوير الديانات نحو سلام يشمل الجميع هو أبلغ رد على تجاوزات رسم كاريكاتوري أو فيلم موجز لا يزيد على الربع ساعة لكنه جارح ومرفوض.. فالإرهاب الديني الذي نرفضه قبل غيرنا وتضررنا منه أكثر من غيرنا كان هو الذي حرك تلك الإساءات.. والرجل الذي وصفوه بملك الإنسانية يقدم نموذجية تسامح الإسلام ومنحاه النبيل نحو توفير أمن الإنسان وتعاونه نحو الخير العام.

(*) العدد ١٤٥٣٠ (٢٨/٣/١٤٢٩هـ، ٥/٤/٢٠٠٨م).

الملك عبدالله في شهادة الخصم والصديق (*)

عندما تأتي الشهادة إيجاباً من قوة رأي مستقلة تماماً ومسموعة الكلمة دولياً والأهم أنها المؤثرة بالدرجة الأولى داخل مجتمعها المؤثر عالمياً بشكل لا ينافس فإنها تعني وساماً دولياً يعطيك صدارة التقدير.. مرحلة نقل ليست بالغريبة على الملك عبدالله بن عبدالعزيز من أجواء الخلافات والتخلف العربيين، اللذين سبق أن رفضهما عبر مدلولات آرائه ومواقفه إلى فضاء التقدير الدولي بمنجزات إصلاحات ورؤية المستقبل الأفضل لمجتمعه عبر ما تكاثر على أرض بلاده من إصلاحات..

كلنا قرأنا صباح الخميس الماضي ما نشرته الصحف عن مضمون وتفاصيل التقرير المشترك لمعهد بروكينغز ومجلس العلاقات الخارجية الأمريكية من رصد وتقدير للتحويلات الكبيرة وذات الأبعاد الناشرة لتجذير قدرات التحول اقتصادياً واجتماعياً داخل المملكة بشكل لا يحتكر الصواب لفئة في الرأي ولا فرص النجاح لنوعية من السكان أو فرض التمايز بين حق الرجل وحق المرأة..

لم يطرح الرجل التاريخي المتميز رأياً ونزاهة آراءه وخطواته الإصلاحية ببريق خطابي أو بتحيز لفئة رأي أو فئة مستوى اجتماعي معين ولكنه - وهذا هو المهم - استهدف المجتمع السعودي بشمولية تغيير وتطوير وهو أمر يحتاجه كل شعب.. حتى الأمريكيين.. والإنجليز.. وأستراليا.. أو اليابان.. مهما تقدمت الأمة الحضارية فهي تضع عينها دائماً على ما يستدعيه المستقبل من تجديد وقدرات تنوع..

الملك عبدالله وبشهادة معهد بروكينغز ومجلس العلاقات الخارجية الأمريكية مارس مهمتين ليستا بالسهلتين. حيث تعودنا في العالم الثالث وبخاصية ملحوظة في العالم العربي على الاستسلام للركود خوفاً من الفشل في تحقيق متطلبات التطوير والتغيير.

فقد باشر مهمة الانطلاق ومعها باشر أيضاً طرح مختلف قدرات دفع المجتمع نحو تعدد

(*) ١٤٥٥٢٤ (٢١/٤/١٤٢٩هـ، ٢٧/٤/٢٠٠٨م).

الامتيازات الاقتصادية وتسابق قدرات الاستثمار الدولية على دخول السوق السعودية. هذا التعدد الاقتصادي الصناعي محفوف بتعدد آخر يستهدف تحسين أوضاع التعليم والابتعاث وتوازنات الحقوق والرعاية الاجتماعية والتدخل الحكومي في مهمة ترويض أوضاع السوق المالية وتنوع التوظيف وفتح مسارات الحضور الإداري والاجتماعي لقدرات المرأة وفق المشروعات الإسلامية ..

إن أمريكا هي الخصم والصديق .. الخصم الذي لم نحاول أن نخسره لكن الملك عبد الله بذل جهوده النزيهة لإيضاح حقائق المنطقة .. وهي الصديق الذي وجد في المملكة متانة الرسوخ كنظام يعبر فعلاً وبوعي عن أوضاع مجتمعه ومعالجات انحراف من هو حوله .. والوعي بأهمية الدور الأمريكي هو مباشرة ذكاء مبكرة أدركها وكسب وجودها العلمي بالدرجة الأولى الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في وقت كانت بعض الدول الأوروبية وحدها هي المعروفة عند قيادات دول الشرق الأوسط في ذلك الزمن البعيد جداً ..

الملك والطفل والجامعة (*)

ليت أن السفير السعودي قبل أن يغادر لبنان جمع كل الفرقاء وبالذات من يتسمون بالمعارضة أو من يحتمون بالموالاة طلباً لمكاسبها.. جمعهم أمام عرض تلفزيوني لبلد قبل خمسة وسبعين عاماً كان عبارة عن بادية ومراع شحيحة، وعندما أتى إليه النفط عرف قاداته كيف يوجدون أحدث عاصمة عربية وأفضل خدمات تقنية وأكبر تجمعات رأسمالية وأوسع علاقات دولية..

قبل السبعين عاماً كان خطباء الديمقراطية يتواجدون في مرتفعات لبنان وسهوله، والثورة العربية الأولى تتوقد في سوريا، وفي العراق ومصر صدرت صحافة لم يكن البدو يعرفون ماهيتها..

إلى أين سرنا.. وإلى أين هم وصلوا؟..

لن نطلب وفداً يزور المدن الصناعية قيد التأسيس، ولا الخطوات المتسارعة لتنظيم وسائل ترويض غلاء المعيشة وتوفير الوظيفة وعلمنة التعليم - أي الاستجابة لمتطلبات التعليم العلمي - وأن الريادة المبكرة للقيادة الإسلامية لم تكن مبرراً لقتل الآخر ولا لإنشاء أحزاب تحمل السلاح قتلاً لمواطنين مسلمين، ولم تفرض الجوع بنسبة ٧٠٪، وتضع في السجون آلاف المعارضين فتدخل في خصومات دولية من أجل تسليح نووي لا نعرف هو ضد من.. ولا ما هو مصير جزر العرب الثلاث..

نقف عند قصة يعرفها الجميع إعلامياً وحدثت مؤخراً وهي جزء من مسلسل إنساني متواصل..

فماذا يعني علاج طفل أردني عند قدرات ملك أو قدرات دولة.. لا شيء.. لو أتى الأمر بفعل معاملة استعطاف أو قراءة تقرير استلزم وصوله مدة زمن ليست قصيرة، لكن علاج الطفل أيّاً كانت هويته سواء كان في دولة بعيدة أو في منزل مجاور لسكن الملك الرائع الريادات والإيحاءات النبيلة.. أتى إثر نشر خبر مرض الطفل والعجز عن علاجه وفي أقل من نصف ساعة كانت مبادرة التبرع بالعلاج..

(*) العدد ١٤٥٦٩ (١٤٢٩/٥/٩هـ، ١٤/٥/٢٠٠٨م).

هكذا فعل الملك.. الخادم للحرمين الشريفين.. الذي لم يوزع السلاح بين أفراد شعبه ولم يوجد له منافسون يفعلون ذلك كي تكون السلطة اغتصاباً..

الرجل الإنسان.. عبدالله بن عبدالعزيز.. في مجتمع البدو سابقاً أو أكثر المجتمعات العربية شموخاً اقتصادياً الآن.. يتعامل مع قوى الاقتصاد الكبرى بما يبشر بمستقبل دولي هائل.. هو الذي قدم لمجتمعه يوم أمس أكبر جامعة طبية كإنجاز علمي كبير..



الملك عبدالله.. في أكثر من اتجاه (*)

تعودنا في الشعوب النامية، أن «يلمع» الرجل القيادي باستحداث حالة خروج عن المألوف، يكون الناس معها يمثلون حالة «انتساب» إليه، والله أعلم بما تكون عليه النتائج، حيث لا تتوفر رؤية موضوعية نحو مجموع قدرات الأرض وقدرات الإنسان في موقع المجتمع الواحد، ثم بالتالي تكون الاندفاعات إلى الأمام بخطط عمل.. هذا لا يحدث.. لقد عرفنا في أفريقيا العربية حالات «خروج» عن المألوف تثير السخرية، ولست في مجال تبادل لكلمات مع أحد، لكن مراقبة الأوضاع تضع عقلك وعينيك بداهة على فداحة التفريط فيما هو مألوف.. أما في آسيا العربية فيكفي نمط صدام حسين مثلاً، عندما يصنع من مسحوق الأمة تمثال الرجل المخيف..

دائمًا، آسيويًا وإفريقيًا، هناك شبح الرجل المخيف الذي أن يقال عنه بأنه صانع المستحيلات والواعد الصادق بمجد قادم ينتظره الجميع لكن بصبر فارغ؛ لأنه لن يأتي.. في أوروبا، في العالم المتقدم، الناس لا ينتظرون وصول معجزة كي يكونوا بشرًا على مستوى من الاحترام في رعاية حقوقهم، وحماية مكتسباتهم، والوصول الهادئ إلى غاياتهم؛ لأنهم أساسًا ينتمون إلى تكوينات حضارية، لا يستطيع رجل الدول الأوروبية أن يدعي انفراده بوجودها، وهذا أمر معروف..

الملك عبدالله.. هذا الرجل العظيم فكرًا، وممارسة، أتى في موعد مصافحة مع القدر؛ كي يضع بين يدي الأمة في بلاده نموذج الرجل الذي يأنس بابتسامة الأطفال، وتتكاثر حوله مشاكل فئات المجتمع، وهو متواصل التحذير؛ لخلق مكونات النجاح لمجتمع يريد أن تتكامل فيه نموذج الاطمئنان الحضاري، الذي تعيشه مجتمعات التقدم الحضاري في أوروبا..

لقد تحمل أكثر من مسؤولية، ففتح أكثر من مسار إلى ذلك التواجد الحضاري المأمول.. ومن يتعامل مع ضرورات تأسيس مستقبل أمة، هو رجل تعطيه منجزاته بريق الإثارة والتقدير،

(*) العدد ١٤٥٩٠ (١٤٢٩/٥/٣٠هـ، ٢٠٠٨/٦/٤م).

وليس ما يقوله عن نفسه.. الملك عبد الله، لم يقل عن نفسه - مادحًا - أي شيء، لكنه شدد أكثر من مرة، على ضخامة مسؤوليته في تحقيق ما هو مؤهلة له أمته..

إن الشمول التتموي، لا تطل عليه من نافذة واحدة يقتصر عليها مرأى قوة المستقبل القادم، ولكن، هناك نوافذ عديدة فتحت على ميزانيات، وأصول مشاريع، ومنطلقات خدمات، وتغييرات جوهرية عن كل واقع المنطقة بما هو أرقى وأكبر..

رجل الحوار الذي افتتحه في الداخل؛ لتعارف الفئات النافرة خطأ من بعضها، ويبرهن به حاليًا الرغبة الخلاقة عنده، في أن يُوجد مجتمعًا إسلاميًا يقاد بالتفاهم والتعاون، لا بالعداوات..

الملك عبدالله.. القفز نحو أوروبا (*)

عندما قال الشاعر الشعبي:

أرض تطاها يجي به نور ينبت ثمر ورد صمعاها

كان يطوي البراري القاحلة وعندما يحلم بوجود رجل كريم وسط امتدادات الفقر والعجز فإن خياله يتجاوز حاجته الذاتية فيصور رؤية تلفه بأطر من ناوة الأمطار وابتسامات الرمال على شفاه الأزهار ورفض الصخور أن تظلل نباتات صفراء جافة حيث تورق الأرض بإخصابات متعددة الألوان والأذواق..

نحن أهل صحراء.. عانينا قروناً من الفقر..

كان تماوج تنقلات القبائل ليس من أجل النزهة، أو رحيلنا المعاصر ارتواءً من إضافات جماليات السياحة في دول مترفة، وإنما كانت القبائل تبحث عن مواقع سقوط المطر ليكون سقوط سيوفها ضد البعض أملاً في الاستيلاء على الخصوبة عبر زمن قصير للغاية حيث أن الصيف يساوي الجميع في الركض نحو القرى لبيع كل ما هو شحيح النتائج.. ثم تعاود الحروب اشتعالها مع بدايات البروق ثم الأمطار.. ثم الربيع..

الملك الأب، المؤسس الجديد.. أعطه ما شئت من سمات أو ألقاب فهو أكبر من كل ذلك، لأنه فعلاً يتجه إلى أي أرض في وطنه تجاوزت مرحلة الفقر وتتعطش للارتواء من قناعات تأسيس جديدة لنمو اجتماعي يتعمق فيه الاقتصاد والصناعة..

الملك عبدالله.. لا يلبي حاجات عارضة ولكنه يرصف وبعناية دروب اتجاه الجميع نحو خروج نهائي من أوضاع الشرق الأوسط فقره وخلافاته.. خروج.. ليس حالة أمل.. ولا مباشرة تجربة.. ولكنه تجهيز لقدرات هائلة الطاقة.. واحد منها ما سوف يضع له حجر التأسيس في مدينة الملك عبدالله الاقتصادية برابع.. ١٣٠ مليار ريال استثمار أجنبي ومحلي في مدينة الرجل الخالد، وحجر الأساس لمشروع مدينة كادر للتدريب التي ستقام على مساحة مليون متر مربع لتدريب أبناء وبنات براري الصحارى القاحلة في ماضيها، الخصبة عطاءً مذهباً في حاضرها..

(*) العدد ١٤٥٩٧ (٦/٧/١٤٢٩هـ، ١١/٦/٢٠٠٨م).

«أرض تطاها يجي به نور».. أجل.. تلك البراري وانحناءات الصخور الجيرية المجوفة وأهازيج عواء الذئاب المخيفة.. سوف تشع بها الكهرباء.. ليس هذا فحسب.. بل إن كل شيء سوف يضاء.. يأتي نور العلم إلى المنزل.. إلى المدرسة.. إلى المستقبل إرشاداً استراتيجياً يقودنا إلى زمالة أوروبا..

«ينبت ثمر ورد صمعاها».. صمعاها.. هذه لم يدركها جيلنا لكن طفولتنا أدركت ذلك الفقر الشاحب حين تقنن الأمهات.. وأنا عشت رعاية أم.. موجود التمر القليل جداً الذي يوزع على مدى السنة بأحقية لا تزيد على خمس تمرات في اليوم..

أما جيل اليوم.. فهو الجيل الذي يفتح أمامه عبد الله بن عبدالعزيز كل بضعة أشهر آفاقاً اقتصادية كبرى.. بل لماذا لا يكون كل بضعة أسابيع حيث كان في الشرقية منذ زمن وجيز يتخاطب عملياً مع مستقبل القفز نحو أوروبا..



الملك عبدالله.. رجل المنجزات الصعبة (*)

من النادر - إن لم يكن المستحيل - أن تكون الأبوة أكثر طموحًا من الشباب، وأن تمارس الجراحة البناء أمام تردد من هو أصغر سنًا، وأن تكون الدراية الواعية بما يجب أن يتم الوصول إليه كسبًا للزمن، أو كسبًا للفرص، أو استفادة من الطرف المتاح أكثر بعد الريادة أمام الاكتفاء بما هو موجود..

إننا نسير في موكب الملك عبدالله بن عبدالعزيز، نعايش هذا «التميز» المذهل في تكوين شخصية رجل تاريخي، لا يتبالغ إطلاقًا إذا قلت أنه مجدد ورائد لتأسيس خاص..

من يقود أمة ليست ملامح قدرته التاريخية وفرص بقائه خالداً في ذاكرة الزمن، هو أن يتعايش مسألماً مع كل ما هو متاح، ولكن الملك عبدالله، هو القدرة الرجولية والعقلية التي رفضت الاكتفاء بما هو متاح، وقررت الوصول إلى ما هو صعب، ويراها هو سهلاً؛ لأنه الواعي لإيجابيات ما هو أكثر من متاح..

أطربني تعبيره قبل بضعة أشهر، عندما كان يتحدث عن مهمة التوغل لحياسة كل جديد حضاري، وعلمي، واقتصادي، بتساؤله: «لماذا نجفل من كذا وكذا؟» حيث عدد مظاهر ريادة متعددة قادرة، بل متوغلة السطوة، فينقلنا زمنياً إلى واقع هو في رؤية الآخرين بعيد المنال.. أعجبتني «نجفل» فهي تعبير شعبي يورد كل أبعاد المضامين والتجارب، نقوله أمام أي عبارة تفاجئنا، ونقوله أمام مشهد فني، أو معماري، أو هندسي يذهلنا، ونقوله لو أردنا أن نمارس تجربة صعبة أو نقرر خوض مواجهة حتمية.. إنها كلمة بسيطة، لكنها التعبير الأدق لوصف حالة الذهول عند المفاجأة..

الملك عبدالله قدم الكثير مما «جفلنا» من بداياته، ثم لم نلبث أن قبلنا موجوداته.. احتفاظنا ببعض السلبات في الرؤية الحضارية، أو التعامل الثقافي، أو تحمّل المسؤولية الاقتصادية بوضوحها المطلوب، يجعلنا «نجفل» عندما يقال لنا بأن يتحتم علينا الوعي بأن مؤثرات اليوم،

(*) العدد ١٤٦١٧ (٢٧/٦/١٤٢٩هـ، ١/٧/٢٠٠٨م).

ومتطلباته، ورؤاه، ومكاسبه، ومخاوفه، تختلف جذرياً عما هي عليه مؤثرات الأمس.. على مر التاريخ.. يحمل لقب مؤسس التجديد، وريادة تحقيق المنجزات الصعبة، هو من يرفض الاستسلام للركود القائم، ولا يقبل أن يكون مجرد حاكم يساير خطى الموكب، ويستفزه أي طارئ جديد..

رجل المنجزات الصعبة هو عبدالله بن عبدالعزيز، الذي لم يكتف بالإمداد «المعيشي» الموجود، لكنه اخترق الركود مؤسساً لتعددات الإمداد العلمي، والاقتصادي، والثقافي؛ ليكون الوضع المعيشي تنوعاً هائلاً في نوعيات الموارد، واطمئناناً اجتماعياً على تنوع فرص العمل، وثقة في كفاءة قدرات المستقبل، من خلال كفاءة التصاعد المذهل، لتنوع مصادر نمو الاقتصاد، والتوغل في تحقيق مشاركات الاستثمار في الداخل والخارج، تبادلاً بناءً؛ لتأكيد الشخصية الدولية السعودية، التي نشر مكاسبها ونفوذها رجل الثلاثة أعوام المبهرة في تاريخنا، والقادم خلف رايته أروع، حيث لن «نجل» من أي جديد حضاري، لمسنا إيجابيات التأسيس والبدايات، ونحلم خلفه أن نصل قريباً إلى الغايات الكبرى..

الملك القمّة.. في أهم قمّة (*)

قمّة بيروت العربية التي عالجت الوضع الفلسطيني - وكان الملك عبدالله بن عبدالعزيز أهم نجومها - لم تكن سياقاً للتواتر العربي في القمم المضادة، ولكنها خرجت بمشروع القمّة العربية الذي أصبح العمود الفقري الذي تتكاثر حوله الحلول ويبقى الجوهر المنسوب لعبدالله بن عبدالعزيز أساساً لثبات الحقوق العربية وجمعاً رصيناً لأفكار التفهم حول الحلول المقبولة عربياً.. والمتابع للقاءات الملك عبدالله الدولية في دول بالغة الأهمية في مجالي القرار السياسي والاقتصادي يجد أن الرجل النبيل الأهداف يحمل معه دائماً حقيبة الهموم العربية مدعومة بإيجابيات الاختلاف السعودي وضوحاً وثباتاً عن تجارب التقييم المختلفة بين رجل دولة وآخر في بكين، لندن، موسكو، واشنطن، باريس، مدريد.. وقف الملك عبدالله مع القيادات الدولية على منصة تكافؤ واحدة، بل زاد أن من يلتقي بهم قد أنهوا مهمات مجتمعاتهم التقدمية منذ أزمنة بعيدة، بينما هو يعنون طموحات سن شباب مجتمعه في سجل مواقع الوصول إلى منصات التقدم الحضاري والاحترام السياسي..

هذا هو الرجل الذي جمع الفئات الإسلامية في بلاده وطلبها أن تخرج من مخابئ العزلة وقناعات الخوف والحروب إلى استسهال الوصول إلى توافق إسلامي يعيد تشرذم الأشتات ويحتوي صعود إرادة مجتمع إسلامي متوافق الاهتمامات والتعاون..

ثم في مدريد أعترف أنني لم أتصور أهمية القادمين إليها عدداً ومسؤوليات برقع من أعلنت عنهم البيانات حيث لا يجب ورود أي تصور قد يخص الحضور السعودي بأنه قيادة لأقلية إسلامية وسط أكثرية الحضور لديانات أخرى..

في البيانات الرسمية هناك تدافع لعدد ليس بالسهل ولا القليل يمثل مواقع اهتمامات إسلامية كثيرة، حتى في أسبانيا هناك سبعة مقاعد لأصحاب اهتمامات إسلامية ثقافية وتاريخية، وتصدد أمريكا بأرقام ممثلي جامعاتها وجمعياتها ومراكز البحوث والدراسات المعنية بالإسلام داخلها إلى ما يقارب أو يزيد على ستة وثلاثين مقعداً، أما بريطانيا فهي تعلن وجودها المتعدد في اهتمامات الأديان إلى أكثر من اثنين وعشرين مقعداً..

(*) العدد ١٤٦٣٢ (١٣/٧/٢٠١٤هـ، ١٦/٧/٢٠٠٨م).

لو واصلت استقصاء الأعداد للزمني أكثر من صفحتي جريدة، والملاحظ أن هناك تداخلات متعددة حيث توجد أهميات متابعة إسلامية ومن جميع الديانات الأخرى فيما يخص نوعية المشاركين حيث يوجد مهتمون بمعتقدات آسيوية كالبودية والهندوسية..

إن شعار «تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم» هي وضوح في براءة الإسلام من خلق الفتن، وأن الجماعات المتطرفة كنظام القاعدة ليسوا في الحقيقة أعداء لديانات أخرى بقدر ما هم أعداء لمجتمعاتهم الإسلامية حين تطبق الاعتدال والوسطية..

الملك الرائد الذي قاد في بلادنا مهمة الحوار الوطني.. وحقق نجاحات مشهودة برهانها التعاون الواضح بين كل المؤسسات والتقارب الإيجابي بين الانتماءات الإعلامية والثقافية مع مثيلاتها في مجالات خدمة الدين وتصحيح المفاهيم وصيانة الفضيلة الاجتماعية..

فخورون بالرجل التاريخي الذي وضعنا في صدارة المسعى العالمي الأول من نوعه لتحقيق مجتمع بشري متقارب الرؤية ومتجه إلى التعايش في ظل سلام عادل حيث أن تغرب الحروب وتنتهي التهامات القوى الأكبر لمن يعانون ضعف القدرات..



أفق الحوار الإنساني الديني يفتحة الملك عبدالله^(*)

عاشت البشرية قرونًا طويلة و«السياسي» يجرها إلى حروب مأساوية غزيرة الدماء.. على مر القرون.. كان الإنسان يموت في سياق جماعات تتوهم أنها تضحي من أجل هدف نبيل.. من الإسكندر المقدوني حتى عصر «بوش» الابن.. ولم يحدث أن تحقق هدف نبيل.. السياسي يكذب باختراع أهداف إنسانية مثلما كانت مبررات التدخل في الكونغو قبل سنوات طويلة، مثلما يحدث في العراق الآن.. هنا السبب الديمقراطية ولا تدري لماذا لم يمتد تحقيق الديمقراطية في بعض آسيا ومعظم أفريقيا، ثم تتأمل ما حدث ويحدث في أفغانستان فتجد تحالف العداوات واشنطن توقع بموسكو ثم يأتي التضاد الآخر.. التطرف الديني يواجه الأطماع السياسية في ظل احتفاء واشنطن بسقوط منافسه موسكو.. والقاعدة المتكشفة في مثل توحش الذئاب.. مجتمع بشري كان من الممكن أن يتجه نحو الأفضل منذ قرون بعيدة لو لم يندفع في الاتجاه الخاطئ تجاوبًا مع وهم مقاصد «السياسي» النبيلة أو تجارب أسوأ خلف رجل يدعي الدين وهو مغلق يسوق الإنسان نحو القتل المعلن..

لقد اتسم التاريخ البشري باتجاهين لم يتضادا، لكن لم يتحالفا.. معتدلية فهم النص الديني وحكمة الخالق، ومن ناحية أخرى موهبة الابتكار وقراءة مسبقة للمستقبل القادم.. ذلك كأن مسار الدين والفكر.. الاتجاه الآخر وهو الأكثر ظهورًا فروسية الغزو وتدمير الآخر طمعًا سياسيًا وانفلاقًا دينيًا لم يحدث أبدًا أن تم تنصيب مفكر متميز أو مخترع مطور لقدرات حياة الإنسان رئيسًا لدولة حضارية لكن السياسي في الدولة المنتصرة لا يحتل الأرض لكنه يحتل الإنسان.. ألم يهجر علماء ألمان بمغريات إلى أمريكا..

من يتأمل بدقة في المجتمعات الحضارية بالذات.. أمريكا أو فرنسا مثلاً.. سوف لن تخدعه تعددات مواقع الفنون والبنوك والمسارح ومبتكرات العلوم وبريق الشوارع ووضوح القوانين.. سوف يدرك أن هذا عالم خاص لمن يحملون هويته، وإلا لماذا خرجت فرنسا من غرب

(*) العدد ١٤٦٣٣ (١٤/٧/٢٩هـ، ١٧/٧/٢٠٠٨م).

أفريقيا وهي بدائية كما دخلتها قبل أكثر من مئة عام؟.. ولماذا لم تزح واشنطن تل أبيب عن كتفها ولو ليوم واحد حتى تقلل من وحشيتها؟.. وماذا جاء بها إلى العراق؟..

حين تأتي إلى مدريد.. أنت أمام ظاهرة غريبة.. أمام مهمة صعبة.. هل هو خروج عن المألوف التقليدي في علاقات الشعوب والأديان.. هو كذلك حين يرمى.. الرجل الإنسان.. الملك عبد الله اجتماع رموز التخصص إلى حوار الأديان والعقائد بحثاً عن مجتمع إنساني متعاقد.. والأكثر إبهاماً وأنا أقرأ قائمة المشاركين أن معظم الحاضرين هم من رجال الثقافة والفكر البارزين عالمياً في زمالة مع رواد دراسات دينية ومعاهد تخصص في اهتماماتها..

الامتياز أن من هم داخل دائرة الحوار إذا استبعدنا الجانب السياسي، نلاحظ أن الأولوية في الحضور كسبها من هم عاملون في مجالات تنوير الفكر البشري وفيهم من يرأسون أو يعملون في عضوية مؤسسات مهمتها الأولى توفير الدراسات المتنوعة عن الكثير من مقاصد الديانات.. وقد توفر أيضاً لآسيا حضورها عبر من يمثلون معتقداتها الخاصة..

إنه أفق جديد يفتح للناس مجالات الحوار لتتلاقى الفضائل في عالم إنساني يرفض الصراع والعداوات..

في قطار الملك عبدالله (*)

في العشر السنوات الأخيرة أجزم أن كل مواطن في دول العالم الثالث يتلفت مبهوتاً يبحث عن حقيقة وضع مجتمعه بين الدول الأخرى، وكم حجم عمر التخلف في الفروق مع الدول المتقدمة.. رأي يقول إن الدول المتقدمة مسرعة الانطلاق في قطار التقدم الحضاري والعلمي، وأن الدول النامية ما زالت في صفوف الانتظار.. ليس لكي تنطلق ولكن لكي تكسب أهليتها وقدراتها في ممارسة الانطلاق.. وهو ما لم يحدث.. لقد تباعدت الفروق بشكل مزعج، حتى أصبح واضحاً أن العالم قد انقسم إلى فئتين: متقدمة جداً.. ومتخلفة جداً.. خرجت الصين من قيود التراكم السكاني الهائل لكي تغزو الأسواق وتحاول اللحاق بالآخرين.. الهند (أرض المنبوذين) صححت هذه الرؤية بدخول عالم التقنية وأصبحت حليفاً تقنياً واقتصادياً مع دول مهمة..

من داخل ضبابية العالم العربي وتراجع بل عجزه عن الوقوف والتطرف في تأليه الزعيم من جهة والوقوع تحت أوجاع خلافاته ومشاكله تخصصت بعض الدول بحكم خصوبة المشاكل في أن يكون لها أكثر من زعيم وأكثر من أوجاع..

إن المسافة الهائلة التي أصبحت تفصل العالم العربي في تراجعه وتخلفه والقوى الاقتصادية والعلمية الكبرى.. أصبحت مخيفة في ذهن كل متأمل لحقيقة الأوضاع، والتي تشير إلى أن العالم العربي أصبح متخصصاً في تصدير المغامرين بحثاً عن عمل أياً كان نوعه، وتم الجزم بأن الخروج من القاع قدرة ووعياً هو بعض المستحيل في كينونة الشرق الأوسط..

بهذه الرؤية المنطقية التي تسندها حقائق ما نراه في تقلباتنا داخل المنطقة لا بد أن نلمس فروقاً كبيرة تبتعد بمجتمعنا عن أوضاع غيرنا بثلاثة شواهد انطلاق لم تتوفر في أي بلد آخر ليس في الشرق الأوسط فحسب ولكن في جميع دول العالم الثالث..

بدأت هذه الفروق بقرارات التأسيس المحلي لوجود اقتصادي وصناعي يمثل واحد منه ما تعده مدينة الملك عبدالله من قفزة تطور ستحيل الصحارى الجافة والسواحل المتواضعة

(*) العدد ١٤٦٤٠ (٢١/٧/٢٩١٤هـ، ٢٤/٧/٢٠٠٨م).

إلى حواضر ازدهار صناعي ومضاعفة مستويات السيولة بنوكاً وشركات أضعافاً كثيرة عما كانت عليه قبل سبع سنوات فقط.. وأعترف أنني شعرت بالزهو في مدريد وأنا أجد اسم المملكة مقروناً باسم الملك عبدالله كإعانة دولية لتوافق إنساني نبيل تمثل حجمه في عبارات التقدير عند متخصصين دوليين أوائل..

إن القطار الذي أخذ المجتمعات العلمية إلى الأمام.. لم يعد بعيداً عنا ولم نعد نحن في طابور المنتظرين، فمع الملك عبدالله بن عبدالعزيز انطلق بنا قطار التوجه العلمي والاقتصادي الذي لم يعد مؤثراً فيما هو قريب حوله ولكنه أصبح مطلوب الوصول إلى زمالة الدول المتفوقة اقتصادياً وعلمياً.. ولعل مؤتمر استوكهولم الذي عقد مؤخراً هناك وطالب المجتمعون فيه - وهم أصحاب مسؤولية دولية غير عادية بحكم أنهم رؤساء حكومات دول سابقون في اجتماعهم السنوي السادس والعشرين - بضرورة إعادة النظر في العضوية الدولية للدول الصناعية والاقتصادية بحيث لا تقتصر العضوية على ثمان دول فقط وذلك لوجود متغيرات جديدة أوجدت دولاً وصلت إلى مكانة دولية مرموقة بينها المملكة والصين والهند والبرازيل مع اختيار عضوية إفريقية لم تحدد.. ثم حين يستطرد البيان يعطي للمملكة خصوصية منفردة بحكم أنها أصبحت دولياً مرموقة دولياً اقتصادياً وتباشر حالياً بروزها الصناعي.. هذا الرأي لم يكتبه موظفون عرب أو سعوديون أو جهة دراسة أوروبية متخصصة ولكنه وتحت توقيع واحد وأربعين مشاركاً جميعهم من القياديين الدوليين يؤكد خصوصية دولية جديدة للمملكة لم تحلم بها معظم دول العالم الثالث، بل هي تعني مباشرة الخروج فعلاً من ركود العالم الثالث وتعثر قدراته..

في قطار الملك عبدالله وصلنا إلى زمالة الدول الصناعية الاقتصادية المتقدمة.. وهو ذاته.. المفكر القائد سوف يصل بنا إلى الكثير.. والكثير..

استرسلت تفوقات الملك.. فاسترسل تصفيق القاعة^(*)

أيّما كان هو رجل القمة في كل قمة ..

فالملك عبدالله الذي حيت نيويورك بحضور معظم ساسة العالم دعوته الثقافية الإنسانية نحو حوار أتباع الديانات والتوجه إلى فرض وجود مجتمع إنساني يرتفع بالإنسان عن مستويات التدني المعرفي وتحريك الولاءات الدينية إلى صراعات، هو الذي حيته شعوب الخليج في قمة الرياض عندما حفظ للخليج وحدته ووضوح موقفه من مأساة غزة خارج إطار الصراعات وإعلام الغوغاء إلى تأكيد ترسيخ الولاء لمهمة مساندة الشعب الفلسطيني وتجريم ما يحدث في غزة.. وهو الذي يوم أمس ألهم القاعة بالتصفيق عندما ارتفع عملياً بالمسؤولية العربية عن مسار التردّي القائم وأعلن أن المملكة تدعو إلى خلق موقف موحد ينقذ الواقع العربي من ويلات التشرذم.. كان التسامح الهائل ثقة بالذات ونفوذاً إنسانياً بالمشاعر هو الذي أوقف المقارنة بين لغة الخطباء ليكون الالتفاف حول رؤيته الراحية بوعي وعناية لواقع الأمة العربية..

لماذا لا؟.. ألم يكن هو نجم قمة بيروت ومشروع السلام العربي؟.. وفي الظرف الراهن الخيار بين موقف دبلوماسي متحد والدخول بقدرات متحدة لإعطال مساعي الإجماع الإسرائيلي أو الضياع في انحدارات الخلاف؟..

لقد قاد الملك عبدالله توجهات قمة الكويت إلى إيجابيات العمل المشترك، ثم أعلن مبلغ المليار دولار لفلسطين غزة وليس دعمًا لفئة ضد أخرى..

الرجل الجدير بالمكانة التاريخية المتميزة هو الذي لا تجذبه الخلافات أو يستعين بقدراته لصالح فئة ضد أخرى، ولكنه - الملك عبدالله - ذلك الرجل الذي تعامل بأبوة فريدة مع واقع التردّي الفلسطيني خاصة والواقع العربي في عموميته كي ينقذهما من مساوئ الانشطار..

(*) العدد ١٤٨٢٠ (١/٢٣/١٤٣٠هـ، ٢٠/١/٢٠٠٩م)

لقد كان إعلام الغوغاء ومنذ خمسين عاماً تقريباً هو ذلك الذي كان أشبه ما يكون بقدرة إدارة الخلاف وتحريك مهارات التجاذب كي يتحول الشارع العربي إلى مجرد مسرح مشاهدة يرتفع فيه التصفيق لمن هو الأفضل فريقاً في أفاضله أم مهارة في تحرك تحالفاته ..

الملك عبد الله بن عبدالعزيز هو الرجل الذي أجم هذا المد التاريخي لوجود العربي كظاهرة صوتية بممارساته العملية في تقدم النموذج السلوكي الذي يرضى بأبوة قيادة متميزة كل احتياجات الدفع إلى الأمام ليتحول الشارع العربي إلى مسار تقدم في الممارسات ووعي متمكن للحقائق، وهذا لا يحدث بسهولة ما لم تتوفر نزاهة مطلقة وبعد نظر فيه شمولية الرعاية عند من هو زعيم حقيقي بمعطيات فكره وتصرفاته ..

يوم أمس .. هو يوم متميز يأخذ مكانه ارتفاعاً ونبلاً بين أيام الملك عبد الله المجيدة المضيئة في حياتنا الخاصة مثلما هي مضيئة عربياً في سلوكية العمل السياسي والوطني ..



(*) فرض عروبة الحضور بنجومية الملك عبدالله

في ذهن متابعي مؤتمر قمة الكويت أن جلسة الافتتاح ستكون مقارعة لفظية ساخنة بين عدد محدود من المتحدثين، لكنهم الأكثر تأثيراً على مسار الأحداث سلبيًا أو إيجابيًا، ويدخل التفاؤل باحتمال أن يتطوع عدد من الأكثرية في العضوية بإجراء المصالحات ثم تنتهي الأمور بغطاء يموه الحقائق وكل ما يفعله أنه يؤجل انفجارها الجديد. تمامًا.. تمامًا.. مثلما كان يحدث في القمم السابقة وبالذات تلك المتعلقة بقضايا جوهرية، ولأن الموقف الراهن يتوقف عند أخطر مراحل العدوان وعزلة الشعب المغلوب على أمره في غزة من ناحية، ويتوقف أيضًا عند تشعب الخلافات وقسوة التهم المتبادلة.. كانت القضية الفلسطينية تتأرجح في هواء بالغ السخونة والعلاقات العربية تكاد تذهب مع الريح..

وبالتأكيد ولتوفر مواقع بث إعلامية فضائية وورقية وإنترنت، فقد كان يجري الاستعداد لديها لملء الفضاء بهجمات الاتهام وكلمات الدفاع.. كان الخوف يستبد بالمتعلقين واحتمالات التشتت سُحِبَ تملأ الأفكار والعواطف.. القاعة تزدهم بعدد كبير من المسؤولين حيث ارتفع العدد عن الحجم الأقصى للحضور العربي إلى حضور إسلامي ودولي..

في بداية الجلسة الأولى برزت أسماء خمسة، بقدر ما هي محملة باحتمالات إشعال الانفجار، فقد كان هناك تفاؤل بالعودة إلى تفاهم جديد.. لكن أي نوع من التفاهم؟.. هل سيكون مجرد تأجيل لتصاعد سخونة الخلاف خجلًا من وضع غزة المأساوي؟..

الكلمات في البداية بعضها كان موضوعيًا، شرح الحقائق بصدق مثلما فعل الرئيس مبارك، وبعضها كان يبحث عن مخرج وإزاحة لغة الاتهام..

لم تكن كلمة الملك عبدالله مدرجة ضمن خطب الافتتاح ولم تكن طويلة تبريرية مثلما هي حال الكلمات السابقة ربما لم تزد العبارات التي حولت مسار الحوار أو طرح وجهات النظر عن ثلثي صفحة فقط هي أقل من ١٠٪ مما قاله أي آخر، لكنها كانت المفاجأة الكبيرة التي

حول بها الملك عبدالله مسار وجهات النظر إلى انعطاف إلزامي نحو إيجابية التعامل مع القضية الفلسطينية بتوحد الموقف العربي..

إن كنتم تريدون السلام وحقوقكم ليكون موقفكم واحداً، وإن لم تجدوا إلا الحرب فلن ينجح فيها مختلفون مع بعضهم.. وإنذاراً لإسرائيل.. أن تلاقي الجهود العربية لن يترك خطة السلام العربية مهمة على طاولة الانتظار.. لغة لو فُصِّلت لاحتاجت إلى عشرات الصفحات.. ثم أشرق بشمس الوجود العربي حين أعلن إقدام المملكة على إسقاط اختلافات وجهة النظر العربية وقيادتها نحو موقف موحد، ثم ختم ذلك بالآلف مليون دولار وهي لغزة وأهلها.. منذ مساء يوم الاثنين ثم صباح أمس الثلاثاء قبل كتابة هذا الموضوع والملك عبدالله في كل وسائل الإعلام هو الحضور القوي الذي قاد المؤتمر وبالتالي إجماع عروبة المواجهة ضد عبث إسرائيل ومن يدعمها.

مَنْ احتضن الواقع العربي والفلسطيني وإليه شخصياً توجه خطاب أولمرت؟..^(*)

المسألة ليست شراسة خلاف ولكنها نوايا إصرار لإقامة دولتين فلسطينيتين واحدة في رام الله بواسطة مباحثات، والثانية في غزة بواسطة تبادل العنف حتى آخر فلسطيني.

استغربت كثيراً وأنا أستمع مساء يوم الأربعاء الماضي إلى خطاب خالد مشعل كما لو كان ينسف كل الأمانى الطيبة والتطلعات المتفائلة نحو تلاقي العالم العربي وفق إستراتيجية سياسية موحدة وتلاقي الفلسطينيين - وهذا هو الأهم - في إطار دولة واحدة سواء تحقق الوطن المطلوب بواسطة السلام أو بواسطة الحرب..

هل حدث خطأ فاجأه في قمة الكويت: أم كان هناك كثير من الصواب والدعم السياسي والمادي الذي أطرب جميع العرب؟.. لماذا لم ير فيه خالد مشعل المسار المضمون لمستقبل أفضل؟..

عجيب جداً.. ترى من أورثه القضية الفلسطينية؟.. ومن أعطاه حق تبني توحيد مسارات عواطفها ثم تصرفاتها؟..

حاولت أن أفهم بماذا كان يغري الغزائين تسليحاً أو ملاذاً أمنياً فلم أجد في عباراته أي تأكيد لشيء من ذلك..

إن كل ما كان يعد به هو أن أي مقتول يذهب إلى «الجنة»، ثم عندما يمر بالأمهات القتيلات أو الأطفال أو المشردين لا يتردد أبداً عن فتح أبواب الجنة، مؤكداً أنهم ذاهبون إليها.. علماً أن أولئك الأطفال والنساء والعجائز لم يكونوا مسلحين يمثلون حماس في مواجهة لعدو مشترك بقدر ما كانوا مختبئين في منازلهم ويستخدمون كدروع بشرية لم ترحم إسرائيل من كان بريئاً وهم الأكثرية، ومن هو متسلح مختبئ وهم الأقلية..

عجيب جداً أن تبرز هذه الصورة الساذجة لواقع المعرفة النضالية في غزة وأن يمرر إيحاء

(*) العدد ١٤٨٢٤ (١/٢٧/١٤٣٠هـ، ١/٢٤/٢٠٠٩م).

بأن الذهاب إلى الجنة ميسور ومتاح لكن بدفع من رصاص إسرائيلي.. فلماذا لا تكون النار عقاباً لمن وضعهم دون حماية في واجهة ذلك الرصاص الإجرامي..

لقد اطلعت على هذه المعلومات بعد مهاتفتي زميلاً فلسطينياً في عمان غادر غزة قبل الاشتباك بأيام قليلة.. فسألته هل سكان غزة هم فعلاً جنود حماس.. قال.. لا.. بل الأسوأ أن بعض المنتمين لها يختبئون قرب الأحياء السكنية كدروع بشرية فيطالها الضرب ويموت من هم في الداخل ويهرب من هم في الخارج..

أفهم أن تكون هناك خصومات لكن حتى العداوات لها سقف أخلاقي يلزم الإنسان الشريف بالتوقف عنده..

هل من المعقول أن ينتهي الكلام عن قمة الكويت بكلمة شكر عابرة تتساوى بها دول القمة العربية في تقدير واحد مع بعض دول أمريكا الجنوبية؟..

ثم يبدو وكأن مهمة تلوين سمعة الطرف الآخر الفلسطيني ضرورة وطنية، فهو يكرر التحذير من تركهم يتصرفون بمبالغ التبرعات لأنهم من المفسدين..

لا يهمنا ما سبق.. يكفي أن الأكثرية عربياً ودولياً مع عملاقة الملك عبد الله بن عبدالعزيز الذي دعا إلى الوحدة الصارمة عربياً وفلسطينياً والذي كان رد الفعل على قوله بأن الخطة العربية للسلام لن تبقى طويلاً على الطاولة.. قول (أولمرت) في صحيفة معاريف اعترف: أقول للملك عبد الله بن عبدالعزيز إنني مستعد لقبول مبادرة السلام والتفاوض على أساس ٢٤٢ و٣٣٨..

(*) الملك عبدالله كافح الفقر والتخلف

دخول التاريخ لشخصية دولية مميزة هو أصعب بكثير من مهمة الخروج منه.. عرف التاريخ البشري على طول امتداده عالمياً الكثير من الشخصيات التي حاولت أن تكون ذات شأن تاريخي، لكن باستعمال العنف والبطش أو السطو وإهدار حقوق الآخرين، لكن هذه الشخصيات وإن حشدت مختلف الوسائل للقول بأنها مميزة ونادرة، إلا أنها سرعان ما أن تنقضي حتى يبدأ الناس رؤية بشاعة الهدميات التي خلفوها منذ عصر الإغريق وحتى توقد الحروب العالمية..

ولم ينأ التاريخ الإسلامي بعدم وجود مستبدين قساة أشعلوا الحروب من أجل مصالحهم، وفي تاريخنا العربي الحديث نذكر أنه منذ عام ١٩٤٠ تقريباً وحتى عصرنا الراهن تدمرت وحدة مجتمعات وانهارت قوى اقتصاد وتشتت مشردون رغم أن الشوارع في عصر بريقهم كانت تمتلئ بالهتافات البيغضة «بالدم.. بالروح.. نفذيك يا...» وضع أكثر من ألف اسم توجه لها هذا النداء بدءاً بمن يرأسون ومروراً بمن يدمرون باسم من كانوا يرأسون حتى أصبح العالم العربي يتحول من سيئ إلى أسوأ.. والسبب أن أي واحد من هؤلاء لم يدخل عقول الناس بإيجابيات منجزات، ولكن دخل إلى عواطفهم إما بالتضليل أو بالترهيب..

ملكنا.. الرجل الأب.. قبل كل شيء.. كلما أتى تقديره محلياً ولعل آخر المناسبات قمة الكويت، نجد أن مسارعة عالمية تعطيه مكانة تقدير أعلى، وآخرها ما حدث في «دافوس» عندما حصل - عالمياً - على جائزة «البطل العالمي لمكافحة الفقر» في الحفل الذي حضره ممثلو حكومات ومنظمات وشركات كبرى دولية.. تقدير لا يستطيع أن يشكك فيه أحد.. وأتصور أنه لو اجتمعت كل ازدحامات الشارع السعودي وقررت بعفوية مبسطة أن تختار بطلها من خلال منجزاته فإن الملك عبدالله بطل تاريخي ليس لأنه وهب الفقير اهتمامه من خلال العناية بمستويات الرواتب وتوفير فرص العمل ودعم قدرات الرعاية الاجتماعية وتكثيف البعثات.. فعل ذلك.. لكن أيضاً هو بطل مهمة تصحيح اجتماعية وثقافية واقتصادية تاريخية، هي الأولى من نوعها من حيث تعدد الغايات..

وعندما أقول الثقافة فلست أقتصر على الفهم التقليدي للثقافة التي تُنسب لفئة معرفة معينة وإنما ثقافة الشارع للوعي بكل متطلبات تطوره.. ولعل مبدأ الحوار الوطني هو أرقى غاية تمت ممارستها.. ألم نكن قبل سنوات ليست طويلة نعاني من انكفاء الفئات الاجتماعية على شؤونها الخاصة عرقياً أو مذهبياً أو إقليمياً، فيما يتوقد فينا حالياً حماس التطلع إلى زمالة أوروبية عالية المفاهيم والممارسات وهو يرضى اليوم ملتقى الشراكة والمسؤولية بين القطاع العام والقطاع الخاص، وهذا الملتقى يسعى إلى تطوير فهم المسؤولية الاجتماعية بين كل القطاعات وتقييم أولويات المجتمع واحتياجاته..

الرجل التاريخي.. لا يتحدث عن نفسه.. لكن إنجازاته هي التي تروي السيرة الذاتية الراقية عنه.. عبدالله بن عبدالعزيز بالأفق الفكري الواسع هو الذي لم يفتعل تقديم نفسه بإضاءات الشهرة للتاريخ، لكن فئات مجتمعه بقدراته الاقتصادية والعلمية والثقافية وبما دخلت فيه من أدوار مشرفة غير موجودة عربياً هي التي قدمته لإضاءات التاريخ بما فعله من أجلها..

طموحات القائد وأداء التنفيذ (*)

عندما يتفوق الفرد عطاءً ونزاهةً وبعداً فكرياً على كل مستويات التنفيذ من حوله فإنك حين ترفع مكانته في نفسك إلى مستوى القداسة لا تقف عند حدود الإكبار له ولكنك تتمنى أن تكون أجهزة التنفيذ في مستوى حرصه على تنفيذ مبادرات البناء الحضاري الصعبة حتى يمكن الوصول بتمكن يعترف به مع الواجهات الحضارية العالمية ..

لقد تعودت القيادات العربية بمختلف أنظمتها وبمختلف مستويات اقتصادها أن تربط صلة المواطن مع قيادته بتأكيد حضور القيادة في ميادين معيشتة .. صحيح أن المعيشة في مستواها مؤشر أول لكن ليست كل شيء .. بل لقد نهضت شعوب من قاع الفقر كالهند مثلاً لتبني ذاتها فتدخل محيط الدول المرموقة وقريباً ستكون من الدول الكبرى صناعياً وعسكرياً .. غاندي أوجد الأساس .. لكن كفاءة القيادات بعده هي التي أنجحت مهمات التنفيذ ..

الملك عبدالله بن عبدالعزيز هو ذلك الفرد الذي أدى مسؤوليات المجموع وقاد بنزاهة ووعي ذلك المجموع نحو المستقبل الأفضل ..

لو كان الملك عبدالله صاحب اهتمامات محدودة حتى لو كانت مرضية في بريقها لقلنا إن المهمة سهلة لكن الملك عبدالله بوعي نادر وإرادة نادرة أيضاً اخترق كل سياجات الركود ولم يترك المال الوافر وهو خصوصية مجمدة، ولكنه انطلق نحو أهداف أكثر من بناء حضاري مطلوب بحتمية لا يستطيع أن يجادلها أحد .. فالأمر هو أن نكون أو لا نكون .. أليست المشاريع المتنوعة والهامة التي تستقطب حالياً كل قدرات الصرف والأداء كان يجب أن تبدأ انطلاقاتها منذ زمن مبكر .. ورغم الأزمة العالمية الكبرى اقتصادياً وتردي معظم الإيرادات وهبوط أسعار البترول إلى أقل من الثلث ومع ذلك فإن عشرات البلايين جاهزة لاستمرار مهمات البناء الحضاري السريع مما يعني وبشواهد عملية كفاءة النزاهة التي ضمنت في شخصه ..

أعود إلى البداية.. هذه الآفاق العديدة والمتنوعة التي فتحتها الملك لمجتمعه للاتجاه نحو واقع ثقافي تعليمي واقتصادي وصناعي وحضاري عام ينقل مجتمعنا من أوضاع التردّي الشرق أوسطية إلى مكانة البروز الحضاري ليس بالصدف أو الحظوظ العارضة، وإنما بالإمكانات المتاحة فعلاً والتي سيّاج بقائها ودافع منطلقات بنائها الكفاءة القيادية.. النادرة.. التي هي عليه شخصية عبد الله بن عبدالعزيز.. يظل السؤال ملحاً ومتصلاً ببداية هذا الموضوع.. ما مدى كفاءة الأداء؟ ما مدى وعي قدرات التجهيز والتنفيذ لدى مختلف الإدارات الحكومية المطلوب منها أن تكون في مستوى قريب وقادر على أداء المهمات البناءة والتي هي ليست صعبة بسبب توفر الإمكانيات.. ومتاحة الأداء الناجح متى تم كسر الروتين وأدائه البطيء.



قفزة فارس.. ولمسة فنان (*)

التغيير الذي تناول سير العمل الحكومي في مرافق ذات صلة مباشرة بالمواطن، لم يكن تغييراً تقليدياً، ولا هو أيضاً تطبيق مدة زمنية تفترض مهمة التبدل.. لم يكن الأمر شغل مقاعد شاغرة بمدة زمنية لاحقة، لكنه تأصيل جوهري لمهمة ضرورة تطوير المتغيرات الإيجابية في المجتمع السعودي، وإقرار أن ممارسة «عدالة» القرار، أو نوعية الممارسة، يجب أن تتم بواسطة مستوى من النزاهة وكفاءة التطبيق..

سنوات ليست بالقصيرة، وضع الملك عبدالله بن عبدالعزيز في بداياتها أسس التحول الاجتماعي نحو حداثة الممارسات، ولعل الحوار الوطني الذي فُتح في أكثر من موقع، وحمل ترميزاً وطنياً متسامحاً ومنطقياً أهلية مشروعية تبادل الآراء وفق ما هو يخدم مصلحة الجميع، لكن بعض المنصرفين نحو ذاتهم وليس نحو المصلحة العامة، وجدوا في الحوار الوطني منصة وضوح عامة، يتلقى منها المجتمع مفاهيم تطويره، فكانت بعض محاولات إعاقه ذلك الوضوح..

المهمة التعليمية لم تكن قرار رجل كريم بتغطية تكاليف التعليم، ولا هي توسع عفوي نحو تكرار ثقافة معينة، بقدر ما كانت خطة إستراتيجية تعليمية كبرى، يتواصل فيها تعدد الجامعات في الداخل، مع الاستفادة ابتعاً من خصوصية الكفاءة عند جامعات في الخارج لكن بدا للكثيرين كما لو كانت المهمة التعليمية تنوء بثقل بطء الممارسة وكأنه غير معروف ما هو مطلوب..

تقفز «نورة» من اسم جامعة إلى اسم أول نائبة وزير في تاريخ الإدارة السعودية، وهي هنا رسمياً تريخنا من سرد تعدد مواقع بروز المرأة في الطب وإدارة الأعمال والثقافة، فنشير إلى موقعها وهو اختيار رسمي وليس مجرد طموح شخصي..

توسع عضوية مجلس الشورى هو في الواقع توسع لقدرة التداول في الآراء والمعاشية، مع تنوع

مناطقى شمل مع مجلس الشورى شؤون القضاء والإفتاء باحتواء لكل الانتماءات الوطنية مذهبياً، وحضور تعدد المكان..

الرؤية المدققة في نوعية إجراءات التغيير سوف تدلنا بوضوح على استهداف المواقع الجوهرية لتحرك طموحات المجتمع، ومنحه الممارسة القادرة على الوصول إلى الغايات التي رسم دروبها رجل تاريخي، ليس بالسهل ولا بالتقليدي بل طموحات ونزاهة واستراتيجيات عمل.. لم يعد أي شيء يتخاطب مع مستقبلنا هو حبر على ورق، ولكنه خطط عمل يراد المسارعة في إنجازها، خصوصاً وأن أساسيات التطور الاجتماعي المتعدد الأهداف موجودة منذ أعوام، ويتم دعمها بشكل متلاحق، فنحن الآن ندخل مرحلة إلحاح الظرف القائم على ضرورات الإنجاز السريع..

إن الذكاء القيادي المبهر، الذي بدأ بفتح أبواب الخروج نحو تصحيح الأوضاع وتطوير المستويات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.. هو قفزة فارس متمكن وقادر، ولمسة فنان مرهف الحضور، في أذهان ما تريده الأكثرية السكانية.

من الركود إلى التصحيح والممارسة (*)

كنت أتحدث مع فريق أكاديمي من جامعة الملك سعود.. يتساءلون كيف يكون بوسع مرحلة التعليم الجامعي في جامعة ما أن تكون مجهزة لأداء أدوار قيادية تعليمية أو اقتصادية أو تقنية.. بسرعة.. والتفاف متمكن حول مستجدات الطموح الاقتصادي والصناعي والثقافي الجديدة إذا كان التلميذ يأتيها من الثانوية العامة وهو فاقد للغة العلمية الأولى.. الإنجليزية.. وغير واضح في ذهنه عند إنهاء تعليمه إلا الحصول على شهادة توظيف جامعية هو من أجلها يختار الأسهل في التخصصات وبالتالي فالاندفاع يتكاثر حول المواد النظرية..

كلام سليم.. فهذا القلق في مسار طموحات جامعة يتماثل تماماً مع القلق في مسار رؤية المجتمع لما أحدثته من تغيير تلك البلايين.. بالعشرات.. التي أعلن عنها تمويماً لبناء واقع علمي واقتصادي وصناعي جديد.. الأمر الذي كاد أن يوحى لمن شككوا بطبيعة ما هو أمامهم بأن يكون ذلك الواقع خاصاً بفئة قدرات اقتصادية وليس شمول التداخل الاجتماعي مع هذا الرصد للتطور..

لقد أتت قرارات رجل الحضور التاريخي المتميز عبدالله بن عبدالعزيز وهي تحريك جديد لبنية التوجه العام في المجتمع ليكون نحو الأفضل عند تحسين أو تجديد قدرات قياداته خصوصاً في مجال التعليم والصحة والقضاء والفتوى والإرشاد.. لأن هذه المنطلقات هي الأكثر تأثيراً في تنوير الرأي العام وتوجيهه نحو الأفضل.. فالجامعة قوية بنوعية متخرج الثانوية، ومتخرج الثانوية قوي بنوعية إعداده الابتدائي ثم المتوسط..

ولأن بلادنا محظوظة بتوفر اندفاعات اقتصادية كثيرة وقفزات مذهلة في أسعار العقار يسايرهما سخونة اختلاف المفاهيم فإن أدراج المحاكم قد امتلأت بالكثير من المؤجلات، وربما أخفت المصالح الخاصة في بعض المناطق حقوق أطراف عامة ووجد من يملك أرضاً بوراً عمارة شامخة باسم غيره، وختم كاتب عدل على امتداد هائل المساحة باسم ورثة فرد بينما هي مدفوعة المساهمة من قبل آخرين..

(*) العدد ١٤٨٤٧ (٢/٢١ / ١٤٣٠ هـ، ٢/١٦ / ٢٠٠٩ م).

وضَّع من الصعب تحميل مسؤولياته شخصاً معيناً أو محكمة معينة، لكنه أتى بفعل ركود المسؤولية وضعف قدرات الأجهزة حيث لم تطور هذه القدرات مثلما كان مطلوباً منها..

بداهة يأتي تكامل الحضور المذهبي في المؤسسة الدينية وهو يعني حضوراً لكامل الانتماء الإسلامي وبالتالي توسيع قدرات الحوار والاستيعاب..

لقد عنيت بالإرشاد هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث تم استبدال التعاون بالتراشق وبدلاً من أن تكون حراسة أخلاق إذا هي طرف نزاع، وهذا أمر في منتهى الخطورة، حيث أن الهيئة المطلوبة التواجد وهي موجودة في مجتمعات مختلفة لكن بمسميات أخرى..

كان المطلوب أمام أي خطأ أن تكون هناك خطوات تصويب وتصحيح وليست بيانات بإدانات غير مبررة في بعض حالات استعمال القسوة..

إن تطوير هذه المرافق وتحسين أدائها واستفادتها عملياً من البذل المادي السخي لتطويرها من شأنه أن يساهم في تطوير الوعي وتوثيق وحدة المجتمع والاتجاه العملي والسريع نحو الأمام..

رسالة سلوك وممارسة (*)

رسالة الملك عبدالله إلى الرئيس مبارك يوم أمس.. انطلقت بتاريخها الذي كتبت فيه لكنها في مضامينها وأهدافها موجودة في فكره وممارساته قبل زمن طويل..

لنتذكر كيف كان يرفض العبث واجتماعات التلاعب بالألفاظ وقمم الاستعراض الشخصي.. محدداً وبحزم أن عالمه العربي بأوجاعه وتخلقاته وتراكض العداوات لكي تحيط به.. لم يعد مسرحاً للمباهاة الشخصية واستعراضاتها مثلما كانت تفعل أنظمة الأمم القريب، وتشتت قدراته وتعدد ميادين تجزئاته لم يعودا يسمحان بتدخل أطراف غير عربية لكي توسع صراعات تعدد الولاء فيه..

هل أقول إن قمة الكويت كانت منطلق تأسيس لوجود عربي جديد.. منطلقاً لم يقم على المساومة وتبادل التنازلات، وإنما قام على مبدأ إعلان الوضع، ومن أراد أن يسير في وهج الشمس فليتحرك حيث لم تعد العتمة عربياً أو فلسطينياً دروب حل لأي مشكلات.. في تلك الفترة بالذات.. قمة الكويت.. كانت مصر الأكثر عربياً في تقديم الشهداء والجهود تمر بحالة جحود ومحاولات جرهما لأن يكون شارعها مسرح غوغاء.. لكن مناعة مصر الوطنية - وهي معروفة تاريخياً - وإيمان الرئيس مبارك بصواب ما هو فيه جعلها القاهرة تستعصي على جهود محاولات تقسيم المواقف السياسية لأكبر عدد ممكن مع التلويح بوجود تنافس شيعي سني يشارك في زحمة الغوغاء..

أدت مصر دورها بحزم وأدت الرياض رسالتها بوضوح وثقة.. وكانت الرياض والقاهرة تدركان جيداً أن العالم أمام متغيرات سوف تغير من مقاييس عصر بوش.. أولها: الأوضاع الاقتصادية العالمية المتردية.. وثانيها: شعور الأمريكيين أنهم بحاجة إلى «تحسين سمعة».. ولن يتم ذلك والناس يشاهدون رصاص إسرائيل يصبغ الشوارع بالدماء، فيما كف بوش وكونداليزا يصفقان.. يفترض أن باراك أوباما آت إلى العالم بصورة أفضل عن السابق.. إذاً لابد من استقبال هذا الاحتمال بعالم عربي متقارب الرؤية ومتقارب الأهداف ويحاور بلغة

واحدة فلسطينياً ثم عربياً.. فهل نحلم أن حوار الفئات الفلسطينية يتم حالياً نتيجة إدراك لهذه الحقائق..

يجب ألا نتصور بأن إيجابية التفاهم تتوقف عند تنوعات البيت الفلسطيني ولكنها تمتد إلى دول عربية أخرى، لا أنكر أن من مصلحتها الاستفادة من أي ظاهرة سياسية تركزها ضمن أهميات أوضاع المنطقة لكنها استجابات أكثر وأكثر لمغريات مصلحتها في عالم عربي قد توحدت مرثياته ومواقفه وبوجود احتضان لتوحد فلسطيني مأمول..

رسالة الملك عبد الله هي إيجاز رؤية له ليست بالجديدة، وهي جزء من إيضاح ممارسات تاريخية وبناءة تمثلت في الخارطة التنموية والحضارية داخل المملكة، وتمثلت أيضاً في رفضه المبكر لفروسيات الكلام في القمم العربية ومزايدات الولاءات باسم القضية الفلسطينية..

أتصور أن محاولة إيران تعديل موقفها من البحرين - وإن لم يكن جوهرياً بصفة خليجية - هو حالة استدراك وحذر من إيجابيات وضع عربي جديد حقق قدرته الخاصة ثم هو الأقرب إلى كسب الحوار مع القوى الدولية المؤثرة وبالذات أمريكا..

(*) سلوكنا يعطينا التفاؤل

الذين أعطوا تأويلاً لاختيار موقع إسرائيل الجغرافي في منتصف امتداد العالم العربي شرقاً وغرباً بأن ذلك تم لإعاقة قيام دولة عربية كبرى تستعيد الوجود العباسي الأطول عمراً.. ألهمهم هذا التأويل أن العالم العربي الذي بدأ يخرج من تأطير الاستعمار، وإن لم يحدث ذلك بشكل كامل، فعلى الأقل كانت هناك أفكار تدعو إلى ثورية عربية وحدوية، وعند مجازاة هذا التأويل، لا بد أن يكون من اختار المكان قد أحس ما بين عامي ١٩٥٠ و٢٠٠٨ بأنه تخبط في تخیلات لا أساس لها، فالعالم العربي عبر هذا الزمن حارب بعضه أكثر مما حارب إسرائيل، ووفر من أخطاء الحكم وتردي الحياة الاجتماعية، ما أعطى لإسرائيل صفة أفضلية ديموقراطية غير موجودة في المنطقة، ومن تصفح بشكل سريع تاريخ الملك عبد العزيز سيجد أنه الوحيد الذي أسس وجود دولة من موقع الصفر، عند الأخذ باعتبارات القبلية الناشطة آنذاك، والامية المتجاوزة لـ ٩٠٪، وندرة وجود الإمكانيات، لكنه لم يتجاوز بعبادة أحد، وخلق وطناً نظيف الخصومات، وفي الوقت ذاته حليف الأقوياء، دون أن يكون لهم يدٌ ضد أحد، وعندما استشررت الصراعات العربية ما بعد عام ١٩٥٠ سنجد أن الملك فيصل واجه خصومات مفتعلة من جميع مواقع حدود بلاده، ولا تفهم لماذا ذاك الاستهداف إذا كان أن المصلحة العربية مسؤولية مشتركة، حيث كان ما يمارس هو أن الخصومات مسؤولية مشتركة..

إسرائيل تستفيد من مظاهر الضعف العربي - لا أكثر - سواء في نوعية ممارسة الحكم، أو تدني مستويات معيشة المجتمعات بعد أن سقطت تآلق الثورة العربية الشرسة الأهداف والنوايا، وتوَلَّد تنوعات الخصومات وتَقَرَّم مواقعها لكنها فتحت الفرص لقوى غير عربية كي تكون ذات تأثير في صنع القرار. ولعل إيران أفضل نموذج لهذه القوى، وتآلق لبنان كأصغر بلد يحوي أكثر عدد من الحكومات، وانقسام القضية الفلسطينية إلى خطين متخاصمين بشراسة مخجلة..

نحن الآن في عام ٢٠٠٩ نطل على واقع جديد.. واقع بدأ به الملك عبدالله فرض أهمية أن تكون أي قمة عربية ذات قرار فاعل مؤثر، أو لا تكون، مثلما حدث في قمة بيروت، وأن تكون العلاقات العربية الدولية دافع تطوير للأهمية العربية، مثلما تجادل مع السياسة الأمريكية في عصر بوش، نحن الآن أمام بواذر واقع جديد على الساحة العربية إذا تحقق نجاحه فسوف يسفه ويحجم هذا الواقع جميع قوى الانشقاقات عندما يتم التطلع إلى القمة العربية القادمة بأن تحوي إطاراً يعمل على توفير التعاون الاقتصادي وتوحيد الموقف السياسي ليس لتحقيق منجزات مصالحات وتعاون محدودة، ولكن لإلغاء صفحة مخجلة من تاريخ الخصومات المتعددة المواقع جغرافياً، والدخول في واقع عربي جديد، إذا تأكد فوحده الذي سيضع إسرائيل أمام خيارها الصعب.. السلام أو العزلة، ليس أوسطياً وإنما عالمياً.

ألم يقل الملك عبدالله بأن مشروع السلام العربي لن يبقى طويلاً على مائدة الانتظار..؟
ألسنا ننتظر توافقاً عربياً قريباً مهما كان محدوداً فإنه سوف يؤهل لأن تكون قمة الجميع القادمة في أي شهر أتت منطلق حضور عربي عالمي جديد..؟

قد يكون انكسارنا النفسي من تجارب الماضي الطويل باعثاً على التشكك، لكن معاشتنا للسلوكية السعودية في تاريخنا تجعلنا نتفاءل.. ألم يكن الملك فيصل هو الرجل الذي فاجأ عبدالناصر بجزالة مساندته بعد هزيمة عام ١٩٦٧..؟

الملك عبدالله ومهمة توحيد الأمة (*)

كانت المسلكية السياسية العربية الاعتصام بحواجز الخلاف وتبادل التهم ووضع الخيارات أمام المواطن.. أين يتهم وأين يبىء، ولم تسفر خياراته طوال أكثر من نصف قرن عن اختيار موقف نزيه يتم الاعتماد عليه، ولذا بقيت حالة الركود الواهنة تسيطر على الموقف العربي من كل قضاياها، بل أصبح يشاهد تكس خسائره، خصوصاً والعواصم العربية تتوالى الصعود والهبوط على منابر المزايدات والاتهام..

هذا واقع عربي لم يمكن إنكاره، ويمكن بسهولة رصد سلبياته.. الأمر الذي جعل الغرب والدول المؤثرة عالمياً تهمش الأهمية العربية وتجعل إسرائيل تتحدث عن السلام، في الوقت الذي تهجر فيه الآمنين فيها، وتوالي بناء المستوطنات..

إن الرياض والقاهرة كانتا أكثر العواصم العربية مؤخرًا استهدافًا للتطاول والتشكيك، حتى تساءل كل مواطن سعودي ومصري.. إلى أين نسير إذا كان من حولنا لا يريد أن يصغي لنا..؟ ماذا سنقدم إيجابياً للقضية الفلسطينية إذا كان الفلسطيني مشغولاً بخصوصياته الخاصة ويهرب من حقائق قدرتنا إلى مظلات واهنة عند غيرنا..؟ لمصلحة من تتوسع مشاكل عربيتنا مادام هناك استيعاب لإيران..؟ وإلى متى نعمر ونبني مادام حزب الله وما يماثله في المستوطنات داخل لبنان وكذا إسرائيل يخلقون فرص الهدم..؟ وإلى متى تخرج أهمية الجولان عن أهميات المساحات الفلسطينية..؟ وهل تهديد الخليج أقل خطورة من تهديد مساحات أخرى على البحر الأبيض..؟ وهل نتوقف في تقدمنا الترموي ارتباطاً بجمود غيرنا..؟

لن نستدعي الشواهد من ذاكرة نسيان قديم، فالملك عبدالله وعبر الشواهد العملية كسر تشريع منصات الخطاب والتسابق الإعلامي في مناسبات الظهور، وطرح المواقف العملية الصادقة النوايا في وجه الولايات المتحدة الأمريكية أولاً، ثم في وجه الخلافات العربية، وبالذات من يمارسون سياسة الميكرفون والهبل التخبطي في مواقع الحياة العربية.. رفض

أن تكون القمم العربية مناسبات للخطابة، ورفض أن يكون العرب مع الصداقة الأمريكية مجرد طابور تصفيق، وأن تكون حيوية الوجود العربية قائمة على تبادل الاتهامات.. هناك قضايا ومواقف ومصالح وسياسات دولية لا بد من واقعية جماعية تتعامل مع كل ذلك بمواقف موحدة وإستراتيجية عمل متضامنة وأن كل ما هو مسلوب عربياً هو جزء من قضية عربية شاملة.. كانت واقعية لغته صدقاً وأمانة وبعد نظر في قمة الكويت هي ذلك التفجير النوراني الذي فتح الطريق لطرد الخلافات والنزاعات وعزلة نوعيات المشاكل وفتح الطريق الأوسع نحو عالم عربي لا تحكم تصرفاته سلوكيات رئاسة بقدر ما تحكم تلك السلوكيات مسؤوليات أداء صداقة ونزهاء.

في قمة الكويت خرج الملك عبدالله بالعالم العربي من تاريخه الممتد لما يصل إلى أكثر من خمسين عاماً كي يباشر وجوده المتفاهم والمتعاون من أجل إنجاز مسؤوليات مشتركة.. ليس صحيحاً أن القضية الفلسطينية وحدها هي قضية العرب، ولكن كل أرض محتلة ومثلها كل وجود عربي مهدد بغض النظر أين تكون المواقع الجغرافية هو قضية العرب التي يجب أن توحد الجهود وتنظم وحدة الأمة.. الأمة التي يجب أن تأخذ مكانها في أولويات الصراع ضد أي خصم وليس مزاج صاحب القرار وحده..

إن الملك عبدالله أول حاكم عربي أنكر ذاته التاريخية العظيمة، من خلال ما أعطاه لمجتمعه من أمجاد، فأبرز مكانة المسؤولية المرموقة لأمته، ولهذا بعد قمة اليوم نتطلع أن تكون القمة القادمة منطلق توثيق لأكبر حضور عربي..

ما هي مغريات إيران بالخصومات؟ (*)

غريب جداً أمر هذه المنطقة ..

عرب تناصروا ..

أو مسلمون استوطنهم التخلف، واستبدت بهم الصراعات ..

بعد الحرب العالمية الثانية، خذ مقياساً شاملاً تستطلع فيه ما هي أكثر الدول تقدماً وأكثرها تخلفاً، طبعاً باستبعاد الدول المتفوقة علمياً وعسكرياً من القياسات ..

هل الهند مثل باكستان ..؟

هل السودان مثل جنوب أفريقيا ..؟

هل لبنان، المؤهل سياحياً ثم عطل نفسه، مثل تايوان التي اقتطعت بعد حرب دموية وجاورت خصومة أبوة قوية ..

هل العراق مثل تركيا ..؟

هل نمور آسيا مثل ذئاب الشرق الأوسط ..؟

هل ماليزيا مثل إيران ..؟

في الماضي، قبل خمسين عاماً تقريباً، كنا نتمنى لو كانت لكل دولة عربية لغة تختص بها؛ لفرط ما حولت الأنظمة الثورية صحافتها، مسنودة بالصحافة اللبنانية، الأسهل انقياداً إلى أبواق هجوم غير أخلاقي، استهدف الدول المستقرة، وفي مقدمتها المملكة ..

الآن، نحمد الله أن المواطن السعودي لا يجيد اللغة الفارسية، وإلا لقرأ ما يدفعه إلى التقيؤ من معلومات متحاملة ومتخلفة، وهي بالطبع موجهة إلى القارئ الإيراني، الذي ردد في هتافاته حين الهجوم على غزة، عبارة تؤكد تحالف المملكة مع إسرائيل، وقبل ذلك، روجت معلومات شبيهة عند حرب تموز داخل لبنان بين حزب ودولة .. ثم تأتي صحيفة كيهان في مناسبة أخرى، فتروج معلومة تقول بأن السفارة السعودية تتجسس ضد إيران، بجمع معلومات لصالح إسرائيل .. وتندفع الصحيفة نفسها معبرة عن رفضها لحوار الأديان،

(*) العدد ١٤٨٨٢ (١٤٣٠/٣/٢٦هـ، ٢٠٠٩/٣/٢٣م).

الذي رفضه كل المتطرفين في أي ديانة، ورحبت به الأكثرية الكبرى من المعتدلين والواعين والمتقفين، فتقول إن جائزة ليخ فالينسا حدثت لأن الملك عبد الله أفضى الشرعية على وجود إسرائيل في الشرق الأوسط في مؤتمر حوار الأديان، وكأن الحكومة هي التي نظمت الحوار، وليست الأمم المتحدة..

في الماضي، قبل استيلاء المرجعية الدينية على السلطة في إيران، كنا نقول إن الشاه - رحمه الله - بعيد عن الواقعية في سياساته الداخلية، بدلاً من سعيه الحثيث كي يوجد إيران دولة قوية عسكرياً وعلمياً في الشرق الأوسط، من الأفضل لو بدأ بخلق قوتها الاقتصادية الاجتماعية، بدلاً من الفقر الذي يعيشه مجتمعا.. الآن ماذا تقول وقدرات إيران الاقتصادية توجه في تسريبات غير مشروعة نحو آخرين في دول أخرى لإشاعة الاضطراب في أكثر من مكان عربي..؟

شيء من العقل.. شيء من الموضوعية.. ليس من أجلنا، فنحن نتحرك بإيحاءات عقولنا، ونظافة مواقفنا، ولكن من أجل مجتمع مسلم في إيران، يعيش أقسى حالات الفقر، وحكومته تريد اكتساب قوتها النووية.. ضد من..؟ ولماذا..؟

الملك عبدالله ومسؤولية الإيجابيات المستقرة (*)

لا يستطيع أن يؤثر إيجاباً على مسار خلافات الآخرين فيقلل من مخاطرها، ثم يجمعهم في مسار إيجابي متجانس الأفكار والرؤية.. لا يستطيع ذلك من يعيش خلافات خاصة في مجتمعه موزعة طائفيًا وسياسيًا وعرقيًا، بل ربما هو يلجأ لذلك لكي يغيب عن الذاكرة المحلية سلبيات واقعه..

مشكلتنا المزمنا مع العالم العربي أن من تحدثوا في البداية عن الوحدة العربية هم الذين هاجموا غيرهم، وأن من أعلنوا من بعيد أنهم لا يساومون على القضية الفلسطينية هم الذين جعلوا منها قنطرة للتفيس عن أزماتهم، وأن من حاولوا استغلال وضع فئات دينية تعيش بكامل الاحترام في مجتمعها مثل أقباط مصر أو شيعة لبنان أو تعددية جنوب السودان فاتهم أنه لا يوجد مجتمع بديانة واحدة أو مذهبية أو عرقية واحدة لكنهم يحاولون توسيع مساحات التباعد في فئات المجتمع الواحد ثم الخصومات..

الملك عبدالله بن عبدالعزيز.. رجل يقف على منصة الحيادية الكاملة.. واستقرار مجتمعه الذي فشلت المحرضات المختلفة أن تحوله إلى مجتمع صراعات.. إلى عراق إضافي.. بل أستطيع القول جازماً وكلنا يعرف ذلك أنه الحاكم الوحيد في العالم العربي الذي ورث المهمة التاريخية الفريدة في تحويل مجتمع الرعي والعزلة والقبلية الصارخة إلى مجتمع التوحد الحضاري، والسبق المشهود في موجودات التقدم الاقتصادي والعلمي.. تتباين لدينا فئات المجتمع.. وهذا أمر عالمي معروف.. ففي أمريكا وهي المجتمع العلمي المعروف هناك متشددون مسيحيون.. فبواسطة فكر الملك عبدالله، وإشرافه المباشر على تنفيذ موجزات التحول الكبرى، أمكن أن نقول عن عصره بأنه مكن من الوصول إلى حالة الاختلاف الجوهري تنموياً وصناعياً واقتصادياً، عن كل مساحات الشرق الأوسط.. شرقاً أو غرباً..

إذاً، فالرجل حين يعطي للخلافات العربية ومسؤولية تذويبها أهمية ملحوظة في خطابه أمام مجلس الشورى فنحن لسنا فقط أمام حرص قائد عربي مميز الأفكار والتصرفات؛ للقضاء

على تباعد المسافات بين آراء القيادات، ولكننا أيضًا أمام رجل أمامه وأمام مواطنيه شواهد متانة الاستقرار، وشواهد أهمية وطن تدفع إيجابياته مواطنه؛ ليكون - ذاتيًا - في جذرية المحافظة عليه، ومن يقوده هو رجل حقق مكانة دولية لم تتوفر لغيره من قبل..



بانتظار فروسية الدوحة (*)

في مجلس الخليفة حين يحتدم الخلاف للوصول إلى حقيقة لا خلاف عليها يؤكد من يحدد تلك الحقيقة بأنها مربط الفرس..

في جلسة رجال أعمال يتعدد الحوار للتعرف على الطريقة الأفضل والأربح والتي لا يطالها شك يصفها من يقررها بأنها مربط الفرس..

أما المثقفون خصوصاً من لهم ولع بثقافة الماضي سواء كان حوارهم يستقصي مفاهيم أدبية أو يريد التوقف عند حجة فقهية.. يقال.. نعم إنها مربط الفرس..

عالمنا العربي ولسنوات طويلة لم يعد يجد مربطاً آمناً يتوقف عنده ولا فرساً تفحم أنفاس الآخرين، ولكنه بجهد التوزع والشك واليقين كمن يهرب من جمل هائج يجعله في النهاية لا يبحث عن الوصول إلى الموقع الأفضل وإنما ضمانة الأمان ولو نسبياً وسط الصخور والمنزلاقات والكهوف..

من كان يصدق أن القضية الفلسطينية.. عروس الأمس الدامعة الحزينة في الأذهان.. لم تعد تتمايل تحفيزاً لعربها في القلوب بقدر ما أصبحت بعض خيارات الاتجاهات.. ألم يتفجر أكثر من ثلاث دول عربية بمخاطر جعلت الدماء أكثر حضوراً من مواسم الأمطار.. ألم ترفع راية الإسلام السياسي سعياً إلى وجود تشعب عربي ممزق ربما تعينه إسرائيل مستقبلاً لو افترسه هذا التمزيق براياته أو تكون إسرائيل طرفاً شريكاً في انتشاره..

أتخيل.. بل أجزم.. أنه لولا تدخل الملك عبدالله بن عبدالعزيز بصورة بطولية حاسمة أثناء قمة الكويت الأخيرة لعقدت كل قمم لاحقة والمواطن العربي الذي يمارس لعبة الورق مع أصدقائه على ثقة بأن قياداته العربية تمارس لعبتها، لكن بحراسات ومواعيد.. ربما يتندرون بما يقال ويسخرون من كل واحد..

الملك عبدالله أعاد للمواطن العربي ثقته بأن هناك حضوراً عربياً.. إن لم تنقد إليه القمم

(*) العدد ١٤٨٨٩ (٣/٤/١٤٣٠هـ، ٣٠/٣/٢٠٠٩م).

العربية وتعمل وفق مصالح المجموع فتسقط رايات زعامات الخلاف فإن هناك دولاً عربية إن كانت محدودة العدد فهي كبيرة الأهمية وبالغة التأثير سيكون في مقدورها معالجة القضايا العربية على الأقل التي تخصها وتخص الفلسطينيين بعيداً عن الواقع المتردي قبل قمة الكويت..

الملك عبدالله بن عبدالعزيز رجل لم يأت من المجهول هو صاحب فروسية تربية وفروسية وراثية أول وحدة عربية وفروسية حضور دولي لا يستطيع أحد أن يغالط فيه.



الملك عبدالله في حضور الأهمية الدولية لا سلطنة عبارات الوهم العربية^(*)

لم تتعود في شرقنا الأوسط وما حوله أن تكون أي دولة واردة في حسابات الأهميات الدولية، بل دائماً تكون موضع الاستهداف وفي نفس الوقت مواصلة مسار التخلف.. هذا هو الشرق الأوسط وما حوله، طبعاً في بعض دوله وليس كلها..

هناك مشاكل لا تنتهي وفي بعضها يُخيل لك أن ملايين المواطنين ومبالغ حساب الدخل المالي ومساحات امتداد الأرض جميعها رصدت لتكون مظلة يتوهج تحتها البريق المضحك للزعيم، وبالتأكيد ليست هناك صناعات لا خاصة ولا عامة، لكنها فروض قسرية مضحكة..

قبل أن يقف الملك عبدالله بن عبدالعزيز عملاقاً في المكانة والسمعة والقدرة مع الزعماء الأبرز والأهم في العالم، الذين احتوتهم لندن في مؤتمر قمة العشرين كان براون رئيس الوزراء البريطاني قد قال في مؤتمر صحفي عقد في مقر الأمم المتحدة قبل أسبوع من انعقاد قمة لندن إنه قد تحدث مع الملك عبدالله منذ أيام قليلة، ويأمل أن يكون بمقدوره الحضور حيث ذكر أن الملك عبدالله مرحب به عالمياً في القمة، وتتطلع للحديث والتعاون معه.. وعقد وقتها براون مؤتمره مع بان كي مون الأمين العام للأمم المتحدة الذي شاركه الرأي..

هذا رأي زعيم عالمي، وفي دولة كبرى، لكن بريقه الشخصي يأتي من إيجابيات سياساته ومنجزاته وليس من داخل خيمة عزلته..

أوباما الرجل الأمريكي الذي تتطلع إليه أكبر دولة في العالم علمياً واقتصادياً وعسكرياً كان الملك عبدالله من أبرز من حرص أن يقابلهم مبكراً فور وصوله إلى لندن، ولم يكن أوباما ليختار في تداول الرأي سياسياً واقتصادياً إلا الرجل الأكفأ بين الحضور العالمي في العاصمة البريطانية..

قبل كل هذا ونحن في لندن فخورون بأن نصل إلى حجم هذه الأهمية الدولية عرفنا

(*) العدد ١٤٨٩٤ (١٤/٨/١٤٣٠هـ، ٤/٤/٢٠٠٩م)

الرجل العملاق عالمياً وصاحب أبوة التصالح عربياً، والأكثر في منح التعاضد مادياً وسياسياً للفلسطينيين.. لم يقدم لنا نفسه على أرضنا كعميد للخلافات العربية، فهو من سعى جاداً إلى إنهاء تلك الخلافات، ولم يدفع الأموال لتحريض القوى الإسلامية الطائفية ضد بعضها بادعاء أنه ولي لأمر المسلمين.. ولكننا وجدنا أبوته تقف إلى جانب الفقير في بلاده وخطط تنويره الاجتماعي والاقتصادي والتعليمي أوجدت اتساع عدد الطبقة الوسطى، فيما السائد في بعض الدول العربية تباعد المسافات بين الأغنياء والفقراء..

لقد أعلنت البساطة المتناهية تواضعاً قدرات العقل الكبير في آفاق مهنيات المواطن كي ترى فيه ذلك النموذج من الأبوة الراعية التي افتقدتها عروبتنا، وفي عالمنا العربي أحل التشاحن الطائفي مبدأ الاختلاف والتقاتل على مبدأ الوثام والتعايش..

ما كان يمكن لاقتصادنا أن يتألق في عالمية حضوره، لولا أن الرجل الذي رعاه استهدف أن يبني به أرض المواطن وقدرات قواه..

ذكر معالي وزير المالية ومعالي رئيس مؤسسة النقد أن كثيراً من مشاريع النمو السعودية، وبالذات تطور قدرات رأس المال هما في حد ذاتها مشاركة مسبقة بإعفاء الاقتصاد من عثراته، وهو أمر ليس من الصعب أن يبادر به آخرون لو كان المال عندهم ذخيرة لمستقبل المواطن..

قيادي مبهر أخذنا لمسارات تجديد مجتمعنا (*)

وجدت نفسي في لندن وكأني في مهمة ابتعاث لتلقي معلومات جديدة على ذاكرتي ومعلوماتي، وبالتالي رؤيتي لمجتمعي..

لن يكون المواطن مقسماً إلى صنفين.. غني يمثل أقلية تتواجد في مطاعم الخمس نجوم، ويسير الواحد في شوارع المعروضات الثمينة وهو (مرصوص) بثقل الوجهة، أما من شاء أن يسافر بعيداً عن الطقس الحار فإن عليه استبدال سخونة بأخرى، حين تقوى إمكاناته على سياحة القاهرة أو البحرين.

لقد أفرز غنى الأقلية ضحاً هادئاً على مسار توسيع الطبقة الوسطى بدعم تبرعات التعليم وفرص العمل، فاستطاع سائح البحرين والقاهرة أن يقفز إلى روما ثم لندن بحكم توسع طبقته الوسطى، ومن هم في ابتعاث التعليم من قرى نائية سيكونون في نجومية هذه الطبقة.. ليس هذا كل شيء لكن هل تعرف شيئاً عن ملامح جازان، أرض فننا الغنائي الأول عندما يتردد في أجوائها:

يا نسيم الصبا سلم على باهي الخد.. فنطرب، وعن نجران أو حائل وما حولها، حيث السامري يتألق في الأجواء من عنيزة.. لم يعد شبابهم أو شباب أبها وتبوك وأرض (باهي الخد) يتزاحمون عند مكتب الخطوط، بحثاً عن حجز للرياض أو جدة لأنه ليس أمامهم إلا جامعات محدودة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة.. لا.. لا.. هذا قد تغير تماماً. أبصرت شواهد في لندن شباب ما كنا نسميه بالمدن الثانوية، حيث ألقى الملك عبدالله عملياً هذا التعريف، ودفع بجازان لتأهيلها كي تكون رياض الجنوب، وبحائل لتكون (جدة) الشمال لكن بدون بحر، نفس الكلام ينطبق على نجران وأبها ومدن أخرى كانت قرى صغيرة..

تعميم التعليم العلمي شامل ولافت للغاية يتمشى مع مشاريع تنوع الاقتصاد ومجالات الاستثمار.. قلت في البداية كنت كما لو أنني جئت لندن مبتعثاً، وهذا صحيح، حيث تصادف أن أقامت الملحقية الثقافية حفل افتتاح مقرها الجديد بحضور عدد كبير من الأكاديميين،

(*) العدد ١٤٨٩٧ (١١/٤/١٤٣٠هـ، ٧/٤/٢٠٠٩م).

وذلك بعد مؤتمر قمة العشرين، فقد تجاوزت مهمتان تعرفت خلالهما على ملامح حضورنا الجديد.. نعرف كيف عبر (أوباما) عن احترامه للملك عبد الله بشكل لفت انتباه الأوروبيين قبلنا، وإن يكن أوباما مهذباً وهو قائد أكبر دولة عظمى فإنه لم يسم نفسه ملك ملوكها، فقد نقل لي ممن شاهدوا لقاءات القادة أن الرئيس الصيني بدا وهو يتجه للملك عبد الله مرحباً كما لو كان يحتفي بشقيق يمتلئ بالاحترام له.. وقالوا: لقد بدا الرئيس الهندي في تعبير المحبة وكأنه يجري طقوساً روحية.. الكل أحب رجل المناذاة بالسلام العالمي وحوار الأديان، الكل لمس الفروق الشاسعة بين زعامات الخطابة والانشطار وتحويل وطنهم بقواه وأمواله إلى مجرد مكرفون أو حذاء سباق..

ألمس وبشكل جيد - وكلنا ندرك ذلك - أن الملك عبد الله ليس حريصاً على تمجيد ذاته، لكن ما أنا وأنت حريصان عليه هو تفهم حجم إشراقة المسار الذي نحن فيه.. الرجل الكبير فتح لنا طرقاً اقتصادية وصناعية وتعليمية علمية، وعلينا أن نتفاهم ونركض بأكثر ما نستطيع حتى نصل بعد سنوات قد تكون ما بين العشرين والثلاثين إلى مصاف الزمالة الأوروبية. نعترف أن لدينا فقراً وشيئاً من الأمية وشيئاً من الانغلاق، لكننا لسنا ثابتين على ذلك مثل غيرنا، حيث إن تعدد مسارات التطوير بالتعقل والحوار تقودنا نحو الأفضل..

شاهدت حجم الابتعاث الهائل الذي ذكر لي أنه يفوق ابتعاثات الهند والصين بالنظر إلى الفروق الهائلة بالنسبة السكانية.. كان وزير التعليم العالي في فندق الانتركونتنتال يتنقل من طاولة لأخرى بين مجاميع من الطلبة للحوار معهم في احتياجاتهم.. في ظروفهم.

مدير جامعة الملك سعود وهو ضيف الملحقية يمتلئ بمعلومات مذهلة عن عدد الجامعات الذي أصبح يفوق ما هو موجود في أربع دول عربية مجتمعة وبالذات في المجال العلمي، وأن البنات الراكضات علمياً نحو التفوق في الخارج يتجاوزن الخمسة والعشرين ألفاً، وطبعاً نحن عبر السنوات أمام أرقام تتزايد خلف بعضها..

عبد الله بن عبدالعزيز يمتلئ بالاطمئنان فمع عالميته المبهرة نحن ندخل معه نحو عالمية تطورنا الاقتصادي والعلمي..

(*) لدينا حصانة قدرة الاستمرار

قبل بضعة أيام كتب الأستاذ مأمون فندي موضوعاً سياسياً مطعماً بتصويراته المرحة الأنيقة، واتجه بجدية واضحة إلى تمييز دور المملكة العربي وكيف أنه قفز من مصاف الجدل العربي إلى عضوية البروز الدولي، بل بين أقلية النخبة الدولية التي يعني الدخول فيها مع توفر الاحترام الذاتي تتوفر أيضاً إمكانات معالجة أوضاع الخلل العربي وتعدد قضاياها..

بالتأكيد شخصية الملك عبدالله بن عبدالعزيز لن يستطيع أي مؤرخ أن يتجاهل دورها، بل تأسيسها لهذا الصعود الدولي الذي توفر الاحترام له بداية بما عاشه المجتمع السعودي من بدايات بناء متعددة الأهداف، وأن صراحة وحزم رجل المهمات الصعبة هما حصانة قدرة الاستمرار..

جالت في ذهني عبارة الدخول في ملعب التنافس الدولي.. ذروة الوصول إلى التسابق نحو كأس العالم.. تصور فيه مجال البساطة وذكاء وسيلة الوصول إلى أذهان الناس بعد أن أصبح التنافس الرياضي مستوطناً عواطف الجميع.. إن لم أقل عقولهم..

هل المشكلة لدينا تتوقف على ركود أساليب الملعب العربي وتردي احتياجه إلى «حكم» أجنبي كلما تعقدت قضاياها حيث يصعب جداً أن نقول عن «الأجنبي» الخصم وليس الحكم هو الخصم الوحيد..

في عالمنا العربي توجد دول لديها تصور أن افتعالها لمبررات مشاكل وخصومات من شأنه أن يعلي مقامها، وبالتالي فهي تقفز عند أي حلبة تبادل لكلمات.. صنف آخر لا يبحث عن الشهرة ولكنه متطوع في مهمة خلق المشاكل، ومغامراته مبالغ في كرم دعمها المالي لصحف التآجير وترويج الأكاذيب..

هل الملعب العربي وحده نقطة الضعف؟.. أبداً..

نحن لو أغفلنا أهميتنا الدولية ودخولنا المشرف في عضوية الاحترام العالمية فأعطينا «لدوري الحواري» شيئاً من انشغالنا فاكسب أهمية التعطيل لمسارنا الثقافى والحضارى نكون مثل لاعب مبهز التأهيل والموهبة لكن إصاباته تتكرر في منافسات «الحواري» غير المعروفة وغير المقننة.. ومع أن مثل هذا النموذج مرفوض بسبب تواجده على شكل انغلاق ديني ومطاردة مقرزة لخصوصيات الآخرين إلا أن إهمال الالتفاف إليه لا يكفي في سبيل توفير المناعة لمشوار تطورنا الحضارى والاقتصادى والعلمى، وإنما يجب محاصرته بالتحثيف والتتوير لكي نعطل ذلك التباين بين واقع دولى وعربى مرموق وتدنى تصرفات مرفوض..



(*) المجتمع وليس المدن فقط..

عندما تكبر المدن وحدها فإنها تعكس شحوباً تنموياً على حياة باقي المسافات.. وعندما تتكاثر الملكيات الخاصة لتجارة العقار البور أو ملكية البنوك والشركات، فإن ذلك لن يعني محاصرة الفقر..

في حياة الشعوب النامية.. معظمها.. مظاهر وهمية خادعة، فالأبراج السكنية العملاقة.. مثلاً.. لن تعني أن القروي الفقير أصبح يرى القمر في وضوح أكثر..

إن مانيلاً في الفلبين ليست شبيهة إطلاقاً لسيبو.. لكن كوالامبور ليست غريبة الخصائص على المدن المجاورة لها.. في أمريكا الجنوبية حدثت ولا حرج.. في إفريقيا بقدر ما يتساوى لون البشرة فإن أوجاع المعاناة متساوية أيضاً..

قبل زمن ليس بالطويل كان السؤال المقلق كيف ستُحمّل الرياض مسؤولية استيعاب مدن وقرى إقليمها؟ ونفس الشيء يقال عن جدة وأيضاً أبها ومثلهم الدمام.. واضح لدينا تسارع بناء المدن.. واضح لدينا توافر الرغبة في الوصول إلى ما هو أفضل، لكن كيف..؟

معظم مساحات المملكة وسطها، جنوبها، شرقها، شمالها باستثناء مكة والمدينة وجدة وسبق أن أشرت إلى ذلك تخطاها الحكم الأموي إلى الشام، ثم تخطاها الحكم العباسي إلى بغداد، وبقيت تلك المساحات الشاسعة.. أرض تصدير الهجرات بفعل الفقر والخوف.. مواقع فراغ لم تتغير عن طابعها في العصر الجاهلي إلا باعتناق الإسلام..

الشواهد التاريخية تؤكد أن الدولة السعودية منذ تأسيسها الأول هي التي أسست وجود دولة القطاعات المهمة عبر أكثر من ألف سنة.. فأدخلتها عضوية المجتمع البشري وتوافد عليها الدارسون الغربيون حيث كانت مجهولاً غامضاً.. ولبساطة بدايات الحياة عند تأسيس الدولة السعودية الثالثة، فإنه لم يكن غريباً أبداً أن يقف أعرابي مذهولاً فيما رآه داخل جدة:

ديرة هلها يبيعون القهاوي العدس والفضول فيها يجلبونه

لقد كان يعيب عليها ما تطور الآن في منزل أحفاده إلى جبن خالي الدسم وزيادي وعسل مع العدس وال فول ..

نتقبل هذا الاستغراب منه إذا عرفنا قسوة العزلة، وندرة مواد المعيشة، حيث يقول أحد معاصريه:

نركض ومن صاد الجرادة شواها وللنار يا مرث من المال دينار

فالجرادة على ضالة حجمها زاد سريع ومن يبقيها للبيع كمن يضع نفسه في نار الحرمان بحثاً عن دينار.

ولاشك أن السنين الماضية منذ قال ذلك البدوي قصيدته وحتى الآن تغيرت أشياء كثيرة وتحولت مدن الألف ساكن إلى مدن الخمسة ملايين ساكن ووجدت الجامعات والبنوك والشركات وخدمات الحياة الاجتماعية .. لكننا الآن نعيش مرحلة نقلة تاريخية مختلفة تماماً حيث لم نعد نجهز إمكانات ساكن المدينة وعلى من يريد أن يطور عمله أو يطور تعليمه أن ينتقل إليها .. نحن الآن ندخل في عمق المرحلة التي شرعت فيها الدول الأوروبية في تحقيق التقارب بين مستويات إمكانات المدن، طبعاً باستثناء العواصم .. هذه المرحلة التي يقودها الملك عبد الله بن عبدالعزيز والتي أصبح فيها الغرب السعودي بإمكاناته، يتماثل مع الشرق في مستحدثات قدراته .. ثم تنشيط الجنوب لكي تتماثل صور التحرك فيه مع ما هو مبذول من إمكانات لتطوير مستوى الحياة الحضارية في الشمال ..

هذا الذي يحدث .. ليس بالأمر السهل .. أو العادي .. فهو غير موجود في أي دولة عربية أخرى وهو في نفس الوقت توظيف مبادر وذكي لقدرات المال على يدي رجل نزيه لكي تستفيد منها كل فئات المجتمع.

الملك عبدالله في مصافح غربنا والشرق (*)

المفروض.. المفروض.. أن يكون المواطن العربي قد خرج من مرحلة الوهم الذي لم يعقبه الحلم الناعم ولكن عصفت بعده رياح الحروب مع الغير وعواصف الحروب مع الذات.. أن يكون قد خرج من ذلك إلى واقع ليصبح إنساناً منطقياً لا يهدر وقته بالأوهام والمشاحنات، ولا تحتكر مصادر ثروته فئات معينة ويبقى الكل فقراء في طابور الإحسان..

كان الوهم يلهم المغنين والهتافين عبارة «الأرض بتتكلّم عربي» على أساس أن الثورية الخطائية الفاتكة بمنافسيها لا بخصوصها قد أبعدت الاستغلال وجعلت الأرض بوضوح الاستقلال تتكلّم عربياً.. والحقيقة أن معظم ما حدث وما كانت به «الأرض تتكلّم عربي» هو صراخها من وجع تجارب ماضيها حيث الشتات وقسوة الصراعات، وإلا فإن ما أسماه الكاتب العراقي إبراهيم الزبيدي «دولة الإذاعة» لم يكن إلا اختزالاً لفضائح ضياع مدن وقطاعات حيث يتم موت حكومة وحياة أخرى عند مدخل إذاعة بغداد، حيث تُرك عبد الكريم قاسم ممدداً على الرصيف يوماً كاملاً، وضاع بعد ذلك صدام في نفق متهالك.. ولم تسفر حرب ٦٧ إلا عن مضاعفة مؤلفات محمد حسنين هيكل ومعها ضياع الباقي من فلسطين وجزء من مصر وآخر من الأردن ورابع من سوريا.. قال هيكل نكسة.. وردد خلفه معاقون.. الأرض بتتكلّم عربي..

يا رجل القوة قراراً والقدرة حزمًا والنزاهة توجهاً..

يا عبدالله بن عبدالعزيز.. أنت الرجل الذي أسمعنا دبلوماسياً واقتصادياً في لندن من يتكلّم عربياً في مؤتمر العشرين، وكذلك في نيويورك عند حوار أتباع الأديان، وأنت أت من أرض لم تدرّبها على قرع طبول التمجيد والاهتزازات وإيقاع قصائد المديح.. الأرض التي تكلمت ثناءً عليك بعروبة لغتها غرباً حين ملأت ساحلها الغربي على البحر الأحمر برصيد من مشروعات التصنيع وتقنية البترول ما يطمئن جداً على سلامة مستقبل أجيال قادمة.. هذه الأرض هي ذاتها التي تتدافع أمواجها شرقاً لتغسل ركود الماضي وبساطته وعزلة

(*) العدد ١٤٩١٨ (٣/٥/١٤٣٠هـ، ٤/٢٨/٢٠٠٩م).

قراه لكي يعتلي صوت عربتك وهي معك تتشد بالأكثر من خمسين ملياراً امتداد المواقع الحضارية ما بين سواحل الغرب وسواحل الشرق بعد أن أطلت جازان على الحضور الثقافي وهي عروس الموسم الإنمائي الجديد، ومعها نجران كلتاها تشد إحداها على يد الأخرى ركضاً في مشوارك الحضاري العلمي الاقتصادي الكبير..

هنا نعم.. وبالشواهد.. بالمنجزات.. بالشمول خارج مواقع معينة.. الأرض كلها أصبحت تتكلم لغات الثقافات.. لغات العلوم.. بعد أن استضافت لغتها العربية الأساس ما أوجده على أرضها الواسعة من أساس تطويري تتسابق منجزاته لتصافح أبوة اليوم البانية وتمجد قدرات شباب المرحلة القادمة..

أنت الرجل الذي لم يعادِ أحداً، لكن أفكاره ومشروعاته واستباقاته التطويرية جميعاً أكفُّ تصافح من له الرغبة في التوجه إلى المستقبل..

عبد الله بن عبدالعزيز وفرسان الماء (*)

لا أنسى عبارة قديمة للراقية في كل شيء رجاء عالم في نقاش حول الفن وأي أنواع أدائه جائز وما هو المحرم؟.. قالت: الجهاز.. سواء كان العود أو الكمان أو (الأورغ) ليس هو الذي يمرر التطريب في أذواقنا لكنها مهارة الإيقاع، حتى ولو فعل ذلك فنان متمكن بقطعة حجر على واجهة صفيح.. أو فعل ذلك بأصابعه فقط على أي موقع يتردد منه الصدى بما يريده من يفعل ذلك..

نعم.. إيقاع الطرب.. يلامس ذوقنا.. يتصاعد في تقبل مشاعرنا، لكن ما هو الأكثر تأثيراً منه.. ما هو ذلك الذي يسكن كامل تكويننا الإنساني، تتراقص فيه الابتسامة بجانب الدمعة، وتتناغم فيه الشفاه الباسمة مع إحياءات العين.. تشعر أنك مسكون بانفعال يملأ تكوينك بالكامل.. أليس ذلك هو التطريب الإنساني؟..

عندما قرأت خبر مبادرة ثلاثة من الشباب هم سيف بن فدعوس الشمري وعمر أحمد الفقيه ورشيد زامل الشمري بالصراع ضد جرف السيول ومخاطر اندفاعاتها ووجود احتمال أن يكونوا بعضاً من ضحايا انجرافها إلا أنهم لم يفكروا بأي شيء من ذلك، ووجدوا أن في إنقاذ حياة امرأة أرادت أن تبتلعها السيول مهمة إنسانية أغرقت المخاطر بشجاعة المواجهة وفشلت في إغراق الاندفاع الإنساني النبيل..

ليس ثمة حسابات واضحة للمغامرة.. ليس ثمة طرق يمكن أن يسلكها السباح في مهمة الإنقاذ.. فما أمامه هو مهمة المغامرة لاستعادة امرأة يجب أن تعود إلى حياتها.. كان السباق مع الموت مرعباً.. دون شك.. نحن نتأمله لكن من ينفذ ويعايشه هو الذي قذف بالرعب المخيف وأضاء شمس النبل الإنساني في مجتمع أكد هؤلاء أنه مازال إنسانياً وعطوفاً ويقدم التضحية دون ثمن.. نعم دون ثمن.. وهذا هو منتهى الإبداع الإنساني الذي ملأ النفس والعقل والعاطفة بوهج التطريب العطري الذي شرفك كمواطن لأن تنتمي إلى الفرسان الثلاثة..

(*) العدد ١٤٩٤٣ (٢٨/٥/١٤٣٠هـ، ٢٣/٥/٢٠٠٩م).

وأنت ردود الفعل رائعة في مستوى نبل الحدث..
الأمير محمد بن نايف رأى فيهم استحقاق جندي الأداء الأرقى فرفعهم وظيفياً أي رفعهم
في معنى التقدير اجتماعياً.. وقيل عن تقدير لاحق لم يعلن..

ثم.. وهنا بهجة تدافع التطريب.. حيوية تقارب المسافات الاجتماعية.. شعورك أن تيارات
مشاعرك ومثلها عواطفك ومعهما مفاهيمك أصبحت سياجات ندية باسمه تجمع في كل
قدرات إحساسك ذلك التقارب النادر في أي بلد.. أو مجتمع.. التقارب الأسري الإنساني
بين الرجل الأول في الدولة والمجتمع عبدالله بن عبدالعزيز بثلاثة من أهله، من أفراد
أسرته.. وإن اختلفت الأسماء فالمجتمع هو الأسرة.. لم يلتفتوا لوهج سخونة المخاطرة
ولكنهم استجابوا لبريق نبل المجازفة حباً في إنقاذ امرأة.. الحب هنا مسؤولية إنسانية فهرت
اندفاعات المياه.. ورجولة وأبوة اجتماعية وإنسانية تميز بها دائماً عبدالله بن عبدالعزيز
حين جعل المسافة تقل عن المتر الواحد بينه وبين فرسان الماء..

إلى من ذهب أوباما؟.. (*)

تمر بنا في العالم العربي أحداث جوهرية من المفروض أن تعطي لا مجرد مؤشرات وإنما حقائق مواقف أو تحولات، لكنها تمر في ذهن المواطن كما لو كانت مجرد مؤشر عارض أو طرح متحول المضامين في ميادين منافسات السياسة..

أكثر من نصف قرن.. مر على المواطن العربي ولم يستطع أن يتقدم بنفسه إلى الأمام، ولكنه تراجع إلى الخلف مسافات كثيرة.. استوطن الفقر.. تعددت دموية المنافسات.. شاعت المعلومات الخطأ.. تأكدت صلابة الانتماءات الطائفية.. ابتكرت لغة شتائم واتهامات ذات خصوصية عربية.. وذلك لوضع سياج يعزل مفاهيم المواطن العربي عما هو خارج حدوده.. يخيل إليك أن هناك إدارات خاصة متمكنة توالي دراساتها ونماذج أساليب تطبيقها لتوفير معلومات مغالطة عربية تعزل الوطن عن غيره..

نحن الآن أمام أكبر انفراج تاريخي يقرب المواطن العربي عملياً وبواسطة الرجل الأول -أوباما- من أمريكا عبر وعد بسواسية التعامل في سبيل إيجاد دولتين.. ستجد أن جانباً فلسطينياً في منتهى السرور، لكن هناك جانباً آخر يؤول ما قيل إلى مضامين بعيدة عن واقع ما قيل، وبالتالي تستمر الاشتباكات الدموية بين فتح والفصائل الأخرى..

في لبنان قبل ثلاثة أعوام فقط صورت الصراعات كما لو كانت أمريكا فراغاً سياسياً لا أهمية له، وأعلن التشهير بفروسيات مواجهة إسرائيل، بل تجاوزت الانفرادات عن الموضوعية التدخل في الأرض المصرية والرغبة عملياً في تحويلها إلى مسارب تدخل لتحرير فلسطين.. يقلق إسرائيل.. نعم.. لكن يفرض الحق الفلسطيني.. لا.. وطرح إسرائيل عملياً أسلوب عقوباتها المدمر وغير الإنساني..

في لبنان كل المتناقضات، لكن بداخله أيضاً مختلف الحوارات الغربية العجيبة التي تبني قوام الأشخاص لكن تنهي سلامة الوحدات الاجتماعية..

(*) العدد ١٤٩٥٧ (١٣/٦/١٤٣٠هـ، ٦/٦/٢٠٠٩م).

في العراق تمت تجربة العديد من الولاءات بما في ذلك الاستعانة بإيران.. اليمن حدث ولا حرج.. وما دمنا نتحدث عن المفاهيم وليس فقط تصرفات الدول فمن الصعب أن تبرئ مجتمعاً بخلوه من عيوب الانقسام والضياع يتلذذ في متاهات الشتات..

لم يختلف أحد مع أمريكا بشكل مواجهة وحوار جاد بل وناشف مثلما فعل الملك عبدالله بن عبدالعزيز مع بوش في ظروف بالغة الحساسية في هيوستن وشرم الشيخ.. الملك عبدالله لم يكن اختلافه تسويماً إعلامياً في صحيفة أو على شاشة فضاء للاستهلاك، وإنما كان معاتبة جادة مع من يفترض أنه حليف أو صديق لكنه يفتقد هذه الصفة متى جعل من إسرائيل وجوداً فوق الشبهات..

لنعد مع زمن الست سنوات الماضية وسنجد أن الملك عبدالله هو الذي جمع العرب في أكثر من مكان وعمل بجدية على تعديل الانشقاق العربي وبالذات ما هو خليجي، وأنه الذي قال في عبارة موجّهة إلى الفرقاء العرب وأمريكا وإسرائيل بأن خطة السلام العربي لن تبقى طويلاً على الطاولة..

هل نذكر عندما عمت لبنان الانقسامات ووضحت مسارب الوجود الإيراني كيف ارتفعت لهجات تشكك في مواقف المملكة وعتب من لا يراها تقف معه لتحرير فلسطين بأفراد مقاومة وليس جيش دولة.. وكيف وصفت مصر بأنها خارجة عن الموقف العربي وتخاف المواجهات..

إذا.. إلى مَنْ اتجه أوباما وهو يريد شرح رؤيته لعلاقاته القادمة مع العالم العربي والإسلامي؟.. مَنْ يعني بالرجل الفذ مصدر المشورة - أليس الملك عبدالله؟.. ومن الرياض لم يذهب إلا إلى القاهرة حيث التقى بالرئيس مبارك وأبهر المتابعين بخطابه الموجه إلى العالم الإسلامي.. ومن القاهرة إلى أوروبا وليس إلى إسرائيل كما هي عادة الزعماء الأمريكيين وبالذات سيئ الذكر بوش..

(*) طور المفاهيم وفتح الآفاق

الموهوب الذي تنقله عبقريته إلى كامل مساحات التقدير عند الناس.. أبعاد مستويات الإنجاز وأبعاد مستويات الشهرة هي التي تساوي انتشار الصيت بين العامة والخاصة في اتساع شمول العناية بما ينتج.. بما يطرحه في اللوحة أو الكلمة أو الإيقاع من تجديد يطور الرؤية والمفاهيم أنه ليس مثل أولئك الذين يلجؤون إلى الميادين في عواصم مختلفة يعرضون ما عندهم مختلفين بذلك مع ما هو عليه الناس في متعة ما نقلهم إليه ذلك العبقرى المتمكن حرفاً أو إيقاعاً أو تصوراً..

ما هي العلاقة بين ذلك والزعامة؟..

قليلون جداً من يريدون تصوير أنفسهم في الأذهان أنهم أصحاب تجديد يطور حياة الناس.. قد تعترض ظروف خاصة بروز ذلك وقد تعترض عقبات قصر نظر أو خصوصية أنانية أو جنوح هوس انفراد شخصي دون أن يكون هذا النموذج من الزعامات البشرية في موقع عبقرية فكر أو فن مؤثرة في منجزات الناس ومفاهيمهم..

إن البشرية في تقدمها لا تدين بذلك لقادة تمرسوا في الحروب الشرسة وإنما لمعطيات مفكرين وعلماء قادت مرثياتهم الكل البشري نحو الأرقى، فالعبقرى المتمكن لا يحتاج إلى رصف معاريف امتداح فهو يخلق عملياً منطلقات الشاء التي لا تكون خاصة بسنواته وإنما إلى كل عصور قادمة يكون قد انطلق إبداعها من موحيات عصره..

لا يحتاج منا الملك عبد الله بن عبدالعزيز إلى مقالات امتداح.. من يحتاج إلى ذلك هو من يتحرك على أرضية مقفرة يتمنى لها استتبات ما يورق بالقليل من الشاء عليه.. أو المبالغيات في ذلك.. بل أتصور أن الحديث عنه في سمات مهما تكاثرت عبارات تمجيدها هو إساءة لحقائق سمات حضارية واقتصادية واجتماعية وثقافية متعددة الأبعاد ما بين «ثول» غرباً وحتى «الخفجي» شرقاً.. ما بين جازان جنوباً وحائل شمالاً.. استعرض كما تشاء حجم ما قفزه التعليم من مسافات تتفوق زمنياً وعدداً طلابياً وتنوعاً تعليمياً وتحديثاً تقنياً ربما كل

ما قطعه التعليم قبله من مسافات قد تتجاوز نصف القرن.. العالم يرتجف أمام التراجعات الاقتصادية ونحن يفاجئنا بين بضعة أشهر وأخرى بضخ مليارات تدعم وجوداً صناعياً جديداً أو آخر اقتصادياً يدعم نمواً اقتصادياً أو اجتماعي الأهداف..

ذروة الإشهار الذاتي ألا يكتب «الزعيم» تاريخه بأقواله أو ثناء من يريد الاقتراب منه، فالملك عبدالله لا يفعل ذلك ولا يرحب به وإنما ذروة الإشهار التاريخي هي التي تخلدها منجزات تغير ملامح تصحر الحياة الاجتماعية ومثلها الاقتصادية إلى إخصاب مدهل ستكتب عنه الأجيال القادمة بأفضل مما نفعل الآن..

لذا فإن الامتداح العملي اللائق به هو أن نتجه إلى ممارسة إيجابيات الأدوار المطلوبة منا حتى تحقق أساسيات التعليم والتصنيع والاقتصاد والتقنية في زمن وجيز مهمة التحاقنا بقدرات ووعي مجتمعات العالم الأول.. أوروبا مثلاً.. يجب أن نبحث عن تقارب مسافات توحد قوانا كي - في الوقت نفسه - نكون قد باشرنا الانطلاقات الحضارية التي فتحها لنا..

(*) في يد الملك وسام وفي يد الوزير عربة

متعة لا يمكن تجاهلها أن تجسد تجسيداً للحضور الإنساني في مجتمعك من خلال ممارسات عملية تتوغل بين كل فئات الناس.. ليس منحها خصوصية لأفراد معينين لكنها طرح عام يتوقعه أي مواطن مهما كانت بساطة حياته مثلما يشعر به من تجاوز بساطة القدرات..

ما حدث في عدد «الرياض» يوم الأحد الماضي كان رسداً نُشر بعفوية متناهية عن تصرفات حدثت فعلاً ولم تكن مجرد عفوية مشاعر ولكنها عنت إحاطة شمولية بكل أحاسيس يصعد إنسانيتها سلوكاً ومشاعر ذلك التواجد النبيل..

في الصفحة الأولى كانت هناك صورة للملك عبد الله بن عبدالعزيز وهو يقلد المواطن حمود بن نايل بن طوعان السويدي الشمري والد قتيل بادره بالعفو دون مساومات.. يقلده وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الأولى.. إنه تحريض نبيل من أبوة وطنية شامخة لكل مواطن كي يتجه نحو التصرف الأرقى، في مجتمع لا تنقصه الماديات ولا تتوقف مشاريع بنائه الاقتصادي والصناعي على أوضاع السوق المالية العالمية، ولكن يد الإنفاق السخية تفاجئنا بين كل بضعة أشهر ببلايين تتجه كسيول عذبة نحو مهمة مضاعفة الحضور الاقتصادي والصناعي.. لكن كما كرم الملك عبد الله إنسانياً أولئك الشباب الذين تساقطوا على موجات تدافع السيول لإنقاذ امرأة في حالة خطر فإن حضوره الإنساني، تحفيزه للعمل الخيري هو مواصلة نبيلة في تحريك المجتمع كي يتكامل التواجد الاقتصادي القوي مع متانة وانتشار التودد الأخوي النبيل بين أكبر عدد ممكن من الناس..

على الصفحة الأخيرة من نفس العدد يدفع معالي وزير الصحة الدكتور عبد الله الربيعة العربة الأنيقة بابتسامات الطفولة داخلها.. الطفلتان المغربيتان السياميتان حيث تخلصتا من مشقة الالتصاق.. وزير يدفع عربة أطفال من غرفة العلاج المركزية.. مهمة لطيفة، أنيقة.. كثيرون في أنحاء العالم آسيوياً أو أفريقيًا أو أوروبياً يذكرون لنا بكثير من التقدير أننا من

أعاد لهم ابتسامات الأطفال الذين حملتهم لنا غيمات الحزن وأعدت إليهم تلك الإشراقات
الطبية التي كان الأروع فيها إحلال الأمل ثم اليقين بدائل لقتامة اليأس..
من حقنا أن نبتهج عندما نجد أن شعوباً عديدة أعطتنا تعريف مملكة الإنسانية التي يقودها
الملك الإنسان عبد الله بن عبدالعزيز الذي يدفع حوافز النمو والتطوير في كل يوم باتجاهات
الأمم حيث إرادات العقل.. ولا ينسى مهمة مواصلة إرواء العواطف والمشاعر بالأحاسيس
الإنسانية حيث يزدهر طرب القلب..

(*) المنطق والعقل في موقف الملك عبدالله

في استقصاء منهك لاحتمالات المعقول في نوعية العلاقات الفلسطينية، كنت أحاول القبول بافتراض يفتقد برهنة الشواهد عندما كنت أضع افتراضاً ضئيلاً وشاحباً يبرر ما هو غير معقول في الخلافات الفلسطينية، خصوصاً وأنها ليست خلافات رأي فقط ولكن هناك قتل وسجون.. وضعني هذا الافتراض البائس في محاولات إقناع لعقلي بأن ما يتواجد من خلافات ليس إلا نوع من إستراتيجية فلسطينية في الصراع مع إسرائيل.. لإبراز أن هناك من يريد أن يحاور مدعوماً بأكثرية عربية.. وهناك من يدعي أنه يريد أن يقاتل وكأن الأمر يعني وضع إسرائيل في حصار خيارات تتجه بالقضية إلى الصالح الفلسطيني.. وقد أثبت الواقع على مدى السنوات أن هذا تخريف أكثر مما هو تصور.. حيث إذا حصلت على واحد في المئة فقط دعماً لهذا الافتراض فإن الواقع الراهن لا يوفر هذا الواحد اليتيم المطرود من كل احتمال منطقي بالتسعة والتسعين الباقية..

الظرف الراهن حدث فيه تحول أمريكي مهم للغاية مهما كانت محدوديته، خصوصاً وأن واشنطن في الماضي كانت تتولى الدفاع عن الموقف الإسرائيلي.. الآن الوضع متغير تماماً.. نفس الشيء أوروبا.. إذاً على ماذا يقوم الخلاف الفلسطيني؟.. أو على الأصح الخلافات الفلسطينية واللامعقول الفلسطيني في أكثر من حدث مثلما تصاعدت به السخرية إثر تصريحات إدانة فجأة وغريبة حول وفاة ياسر عرفات الذي هو الآخر كان يتصرف بعقلية أكثر من جبهة وأكثر من زعيم مما رسخ الركود السياسي في عصره رحمه الله..

والحقيقة أن الفلسطيني ليس هو وحده خصم قضيته، لكن أيضاً وعلى مدى الستين عاماً الماضية كان بعض الزعماء العرب يهجه جداً أن يهز العلم الفلسطيني في موقع خطابته ونردد خلفه من عواصمنا العربية: أمجاد يا عرب أمجاد.. لقد تلاحت الزعامات فتصاعد معها رجح الهتافات والخصومات والاتهامات المتبادلة بين عواصم عربية عديدة وتلاحق معها تراجع الاقتصاديات وترسخ الدكتاتوريات وتراجع مستويات الوعي..

بعد ذلك الماضي عربياً أو فلسطينياً نقف أمام الرجل الذي دفع بلاده اقتصاداً وتعليماً ووعياً نحو الأمام وحسم في قمة الكويت ثم الدوحة تباين المواقف العربية تجاه الوضع الفلسطيني والذي اختاره أوباما ليتشاور معه عند شروعه بتغيير الموقف الأمريكي تجاه تسلط إسرائيل.. عبدالله بن عبدالعزيز.. الرجل الذي أصلح الداخل وبنفس الرجولة اتجه لإصلاح الخارج، قال بصراحة وصدق ووضوح ما معناه أن القضية الفلسطينية لم تتأثر بعدوان إسرائيلي عبر سنوات بالقدر الذي ألحقه بها الفلسطينيون في شهور.. وهذا صحيح.. لأن تعدد الخلافات الفلسطينية أحزاباً وأسماء ومواقع جغرافية ألحق بالقضية من الإيذاء ما يفوق ما استطاعت إسرائيل أن تلحقه بهم.. الأمر الذي جعلها تتصرف للتوطين بعد أن ارتاحت لنتائج التشريد..

الملك عبدالله بصراحته الفريدة ومواقفه الواعية عربياً وفلسطينياً أشار وبدقة متناهية وللمرة الأولى عربياً إلى حيث يوجد الخلل وتتسرب مسببات الانكسار.. بل الضياع.. يأتي تشخيص الملك عبدالله لجوهر الخلل الفلسطيني في ظروف إيجابية غربية حيث لم تتوفر طوال تاريخ القضية الفلسطينية بالشكل الذي نلاحظ فيه حجم التحول الغربي بما في ذلك أمريكا بصفة خاصة..

المصافحة بين الملك عبدالعزيز والملك عبدالله في عيدنا الوطني وعيدنا العلمي (٢٠١) (*)

مثلما تتفاوت مستويات الضوء من داكن تفرح به العتمة إلى تدرجات الشروق حتى يصبح تلك الشمس المشرقة التي تضيء الجميع وتضيء كل ما هو حول ذلك.. الجميع.. تتفاوت أيضاً مستويات المجد.. هناك من يدعيه.. وهناك من يغتصب الانتماء إليه.. هناك من في حياته بعض منه لكن من يحمل راية المجد الحقيقي.. تلك الشمس التي تضيء الجميع وتضيء كل ما هو حول ذلك الجميع؟ إنهم النادرون الذين يخترقون بواقع الوجود الأرقى والأفضل مستحيلات الدخول لتعديل مناخي الضعف والشتات والتخلف وبدائية الممارسة فيصبحون قاعدة إلهام الجميع في التبديل الجوهرى لحالات الضعف والتراجع.. يلتف حولهم الجميع لأن مجدهم لم يبحثوا عنه ليكون خصوصية لهم لكن ما قدموه من أجل غيرهم هو الذي جعل غيرهم يرون تلك الخصوصية فيهم..

ما أكثر ممارسات الادعاء في سجل التاريخ.. كم قيل عن البطش إنه وسيلة قوة وعدالة، وكم قيل عن الترف الخاص إنه عموم كفاءة عيش عامة..

أمامنا نموذجان يلتقي بريق مجدهما غداً في وهج احتفالية كبرى تحتفي بالعيد الوطني الذي أبدعه الملك عبدالعزيز بمجده الشخصي مع بريق عيد علمي يفتح به الملك عبدالله بن عبدالعزيز نوافذ المعرفة على العالم أجمع حيث يقدم مجتمعاً يتجه وبحيوية قصوى ليكون رمزاً شرقاً وأسطياً لاستثناءات التفوق علماً واقتصاداً وتطوير مستويات الحياة الاجتماعية.. جامعة الملك عبدالله.. جزء من كل.. لكنها أهمية خصوصية علمية من ذلك الكل.. يكفي أن تكون بداية مشروعية الدخول في زمالة المجتمع العالمي المتقدم.. المجتمع الذي تطلب منه مجتمعات العالم الثالث شحنات العلاج والتغذية وخبرات التقنية والعلوم ومساندة الاقتصاد..

(*) العدد ١٥٠٦٥ (١٠/٣/١٤٣٠هـ، ٢٢/٩/٢٠٠٩م).

لا تتحقق الشمولية والمعرفة الدقيقة لضخامة منجز الملك عبدالعزيز إذا اقتصر الأمر على رصد تواريخ مراحل فرضه لوحدة المملكة، ثم ممارسة كفاءتها لمجتمع متحد القيادة والرؤية..

لا.. يجب استطلاع الظروف التي مر بها هذا القائد.. الظروف التي كانت تحكم شبه الجزيرة العربية بكل اتساعاتها باستثناء نسبي لمكة والمدينة المنورة.. استثناء نسبي لأن الفرق هائل جداً بين واقع ما هو شبه قرية بالأمس وبين حقائقهما كمدينتي امتداد حضاري كبير.. ولم يكن الملك عبدالعزيز قد أتى إلى الحكم وهو يواجه مشاكل جزئية.. أبداً.. لقد عوملت الجزيرة العربية تاريخياً بالإقصاء ومشروعية الفوضى منذ انتهاء حكم الخلفاء الراشدين.. وسبق أن تطرقت لهذا الموضوع قبل ذلك.. لكن إirاده ضرورة عندما نريد أن نستبين من هو عبدالعزيز، وما هي حقيقة ما فعل.. مع إدراكنا أن الحكم السعودي بمراحله السابقة مثل أولى محاولات جمع مجتمع الجزيرة العربية في دولة واحدة.

نعم من هو عبدالعزيز وما هي حقيقة ما فعل..

وكيف تألقت مناسبة المصافحة داخل هذا المجتمع بين الماضي والحاضر في عيدنا الوطني والعلمي يوم غد؟

المصافحة بين الملك عبدالعزيز والملك عبدالله في عيدنا الوطني وعيدنا العلمي (٢-٢) (*)

في عالمنا العربي والإسلامي بأكثر خصوصية ليس من السهل أن يكون الحاضر امتداداً لإيجابيات الماضي، بل غالباً ما يكون الحاضر حالة شيخوخة للماضي كما في ما بعد منتصف العصر الأموي وبعده العباسي وبعدهما العثماني، أو أن يكون كل حاضر جديد هو موسم افتعال خصومات مع الماضي تأخذ الناس إلى فراغ التهريج والخوف وصراع الولاءات.. ولعل العصر العربي الراهن في عدد من العواصم يمثل هذه الحضورية الخرافية المتمسكة بعجز الركود.. نحن نختلف كثيراً عن الحاليتين.. ولهذا فحاضرنا هو دائماً حالة مصافحة تواصل بناء مع ماضينا..

شواهد التاريخ تؤكد أن الملك عبدالعزيز -رحمه الله- لم يمارس مسؤولية تقليدية.. لم يكن مثل الوجوه البارزة محلياً في عصره حيث تستبد به زعامة قبيلة أو منطقة، ولكنه في شمول ما فعل أوجد الدولة العربية في معظم امتدادات الجزيرة العربية التي - والتاريخ يشهد بذلك - عاشت إهمالاً تاريخياً يتجاوز الألف عام، حيث ازدهرت الدولة الأموية في دمشق، وازدهرت الدولة العباسية بعد ذلك في بغداد، ثم حدث ما هو أسوأ إقليمياً عند قيام الدولة العثمانية.. تركت الجزيرة العربية الشحيحة الموارد بعيداً عن التوجيه الأمني والإداري والتقدم الثقافى لتعيش عزلة مخيفة، مَنْ تأمل حدة النزاعات القبلية فيها يجزم أنها لم تبارح وضعها، مفاهيم وممارسات، عما كانت عليه في العصر الجاهلي، ليس من ناحية الدين، ولكن من ناحية الحياة الاجتماعية..

هذه العزلة والإهمال كان لهما مردود سلبي آخر له خطورته الجسيمة أيضاً وهو أن العزلة قد عزلت التطور المعلوماتي وأي جديد حضاري من أن يصل إلى قرى صغيرة نائية حيث كان عدد سكان الرياض لا يزيد على الخمسة آلاف شخص، أو إلى مفاهيم قبائل لو سئلوا ما هي الدولة في شمال بلادهم لأعطوا اسم قبيلة لا دولة.. الشيء نفسه يحدث لو سئلوا عن دولة في الجنوب أو الغرب..

(*) العدد ١٥٠٦٦ (١٠/٤/١٤٣٠هـ، ٢٣/٩/٢٠٠٩م).

أرجو أن نصل إلى فهم عمق المسؤولية التاريخية وضخامة حجمها أداء ونتائج التي تحملها الملك عبدالعزيز حين يحيط نفسه بمتقنين عرب ويرؤض جنوح القبيلة ويرفض التجاوب مع الانغلاق والجهل فيوافق على تحريم الجديد العلمي.. مَنْ كانوا يتجاذبون السلطة في الجزيرة العربية كانوا يمثلون زعامة مدن.. زعامة قبيلة.. عبدالعزيز كان يمثل الرمز الذي تذوب حوله الفوارق الذاتية ويعمل على خلق وحدة اجتماعية شاملة..

هذا لم يكن مألوفاً..

في البداية قلت إننا نختلف كثيراً عن دول الماضي العربية والإسلامية، وكذا دول الحاضر بأننا لم نتجه إطلاقاً نحو الخلف حتى يصل بنا العجز إلى مأساة التوقف أو الصراعات الدموية، نحن ومنذ أسس الملك عبدالعزيز - وهذا انفراد - كنا ومازلنا في كل امتداد من عمر الدولة نتجه نحو الأفضل، طبعاً وفق ما تكون عليه الأوضاع الاقتصادية وكفاءة القدرات، لكن إذا أخذت أبسط المقارنات لأقول بأن غيرنا عرف الجامعة التعليمية قبل أن نعرف المدرسة الابتدائية بمئة عام ولم نكن نعرف معنى كلمة جريدة أو اسفلت أو رخام.. نحن الآن أكثر الدول العربية تقدماً، وليس هذا هو وحدة انفرادية الاختلاف، ولكن أتذكر رصداً نُشر قبل أيام قليلة يوزع كثافة المشروعات التي تبنتها عبقرية الملك عبد الله ومثلها تصاعد أرقام عدد المبتعثين ومثلها عدد الجامعات يبدو الأمر عند مقارنة الكثافة بمدى إقرارها الزمني كما لو أن كل بضعة أشهر يحمل نصيباً مذهلاً من اندفاعات التطور..

إن جامعة الملك عبد الله التي تفتتح اليوم وسط أجواء حضور دولي - زعامات وأكاديميين وإعلاميين - لا يجوز أن تُسمى مجرد - مشروع - أو هي خطوة تعليم، لأنها في الواقع عمل إعجازي سيتجه بالقدرات العلمية لدينا نحو مسار الزمالة الدولية المرموقة..

لقد قفز الملك عبد الله عبر سنوات ليست بالطويلة بمسار التطور العلمي والاجتماعي وتوسع الانفتاح المعلوماتي وبالتالي تحسين قدرات الوعي الاجتماعي وتنوع كفاءات الممارسة الاقتصادية ما نجزم أنه وضع بين قدرات المجتمع ما يضمن تميزه ليس بحجم ما ينتجه اقتصادياً، ولكن أيضاً بحجم ما سيكون عليه من كفاءة علمية وعالمية..

التقدير والمسؤولية مهمتهما المشتركة (*)

الذين يصنعون الوعي ليسوا كمن يستفيدون منه.. صنّاع الوعي هم الذين يبادرون إلى تبني منطلقات وجوده الاجتماعي والتي غالباً ما توصف بالصعبة.. مثلاً عندما تبنى الملك فيصل - رحمه الله - مسؤولية تعليم البنات كان يضع حجر الأساس لإيصال المرأة المتعلمة نحو مواقع مسؤولياتها مع اليقين بأن ذلك - أي النتيجة - لن يحدث في عهده..

المؤسس.. ليس لكلمة حكم فقط.. ولكن لمهمة توحيد أطراف مختلفة الهويات والنزاعات لكي يوجد لمسؤولية الحكم وحدة مجتمع ينطلق بها نحو ممارسة أدوار عربية ودولية، ورغم أن نتائجها كانت مبهرة في عصر الملك عبدالعزيز لكن رأى الجميع بعد ذلك كيف أصبحت أهمية المملكة تتصاعد عربياً ودولياً أكثر مما هو الحال في أي دولة عربية أخرى..

لقد أطل الملك عبدالله على مسؤولية الوعي عبر فتحه طرق الانطلاق نحوها بمهمات ليست بالسهلة أبداً.. حين قرر و بإرادة جادة أن يجعل من تجذير وجود التصنيع والتعدد الاقتصادي والكفاءة الاجتماعية العلمية دروباً لم يتركها لعممة التشكيك أو النسيان فتصبح مجرد أفكار، ولكنه مارس التنفيذ بحيوية وجدية المسؤول العبقري القدرة وكأنه قائد مركبة ضخمة يأخذ بها مجتمعه من واقع يكتفي بوجود الثروة إلى واقع أرقى تتواجد فيه آفاق تعدد الاستفادات العلمية والصناعية والاقتصادية.. الأرقى.. المتداخلة قريباً مع أهميات إيجابيات المجتمعات المتقدمة حضارياً في عالم اليوم..

لنتابع مع صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام عباراته التالية: «لقد عرفتك شغوفاً بالوطن مخلصاً للعقيدة وفيّاً للأمة محباً للإنسانية، حريصاً على العلم وأهله، فسخرت يا سيدي ما تملك من مال وجهد ومكانة للتوفيق بين الحضارات، ونشر قيم العدل والتسامح، فعرفكم العالم قائداً ملهماً، وسياسياً حكيماً، داعياً للسلام، مبشراً بالخير، عطوفاً على الفقراء، وحريصاً على العلماء»..

هذا التعبير الراقى عن ضخامة مسؤولية الحاضر التي يتحملها خادم الحرمين الشريفين يقول سمو ولي العهد وهو لغة كل مواطن..

يقوله الرجل الإنسان.. سلطان.. قمة التواجد في ضمير كل مواطن.. حيث يدرك الجميع كيف استطاعت إنسانيته أن تحقق شمولها في كل أبعاد المجتمع.. مساندات أو مشروعات أو معاضدة مسؤوليات بناء.. الأمير سلطان الذي عرفنا فيه إيجابيات الحضور الفاعل والمؤثر في كل ما يدفع بمجتمعنا نحو الأمام الإنساني والحضاري..

لا يلتقي الملك عبدالله بولي العهد سلطان عبر رعاية عاطفة أسرية، وإنما يلتقيان عبر مهمات تحمل مسؤوليات بناء كبرى لكي يخرج مجتمعها من ركود عالمنا العربي وبذاء نزاعاته إلى كل مشروعات الاستفادة من إيجابيات قدراتنا.. طبيعية وبشرية..

هذا التبجيل الواعي من قبل سمو الأمير سلطان نجزم أنه سوف يتمازج مع مشاعر الطالب المؤهل لكفاءة جامعة الملك عبدالله، وللمواطن.. رجل الأعمال.. متدرج الوظيفة في تطوير ما يجب أن يكون بما سوف تستحدثه له المشروعات المتنوعة من مستجدات أكثر من واقع أفضل..



قمة متميزة بين الرياض ودمشق (*)

هل ما قدمه الملك عبدالله محلياً وعربياً فاق إدراك الآخرين؟.. لأهمية ما أعطى محلياً كجامعة الملك عبدالله، وتأسيسه لبداية حضور عربي جديد مثلما فعل في قمة الكويت.. من فاتهم مجارة ما يحدث هم بعض لدينا وبعض في عالمنا العربي والآخر الدولي.. فيكون السبب أنه خارج عن المألوف التقليدي المتداول في عالمنا العربي والذي كون انطباعاً تقليدياً في ذهنية من يراقب الأحداث أو يشترك فيها عربياً أو دولياً..

تعودنا في عالمنا العربي أن تفتعل الزعامات المحلية مواقع احترامها إما بقسوة قبضة اليد أو فرض الصواب الخاطئ على كل التصرفات واستلاب الوجاهة، وهي مراوغة حضور وطني..

على سبيل المثال.. القضية الفلسطينية.. لم تكن عنده في مناسباتها ميدان منافسة ظهور لا عربياً ولا دولياً، ولذا فقد التبست مفاهيم السياسة الأمريكية عندما أرادت أن تتعامل معه في اجتماعه مع بوش الابن بما ينتهي إليه الحال مع آخرين.. تنازلات غير معلنة.. وتفاهم مصطنع يكون هو المعلن..

رفض إلا أن يعلن رأيه ويكرس مواقفه وحواراته بما يجزم أن توجه العقل الصادق لخدمة آلاف من المشردين لم تتقدمهم أي مؤتمرات قمة عربية أو اجتماعات دولية فكاد أن يقاطع مؤتمر هيوستن ثم فيما بعد اجتماع شرم الشيخ.. وقبل ذلك هو الذي استكشف خطة الطريق في بيروت لإيجاد الحل الفلسطيني..

في قمة الكويت التاريخية كان هو رجل مهمة الانعطاف الكبير والذي بفعله اكتسبت القمة سميتها التاريخية.. أعلن للعالم ضرورة إسقاط الخلافات.. وتناسي مبررات الخصومات والخروج من ميادين الاتهامات.. دعا إلى عالم جديد يصحح بقوة التواجد المتفاهم ما هو قائم من أخطاء ويردع ما هو متزايد من أخطار..

في تلك القمة كان الملك عبدالله مفهوماً بعمق أكثر من أي زمن سابق. وباتت الشخصية الأكثر انفراداً بالصدق وموضوعية الحوار وجدية الأداء ذات الحضور المهيمن على توجهات كل مساعٍ إيجابية لحلول المشاكل..

أستطيع أن أقول عن قمة دمشق بأنها الصعود الفاعل للاقتراب من واقع مشكلات العالم العربي، والاقتراب الأجدى من توثيق تعاون القدرات العربية، بدءاً بما يتوقع أن يتم من مكاسب تعاون بين الرياض ودمشق..

الإعلام السوري.. مشكوراً.. قبل الإعلام السعودي.. أعطى لمهمة مصافحة الاتفاق للصعود واقعياً وعملياً نحو مشاكل الأوضاع محلية ثنائية أو عربية متعددة المخاطر لتأسيس أول بروز عملي لتوحد جهود عربية تغير صورة الرتابة بإيجابية تعددات الإنتاج سياسياً ومحلياً وتردع هجمات التمزيق التي أصبحت تضاعف تهديدها لخارطة الوجود العربي.. سوريا مؤهلة لذلك والمملكة أيضاً، فكلاهما قادر على التوجه أماماً نحو الواقع الأفضل..



إنجازاتنا وآراء علماء الفقه (*)

من النادر الحصول على إجماع إشادة عالمي لأي مشروع محلي في أي مكان من عالمنا العربي، لكن الملك عبدالله بن عبدالعزيز خصنا بمبادراته الكبيرة المتوغلّة امتلاء بقدرات التحول الحضاري علمياً واقتصادياً لتكون كل مبادرة لافتة لانتباه الجميع، وبالذات من هم خاصة رفيعة المكانة عالمياً..

منذ أن ذهب إلى بيت الفقير وهو يعلن من خلال مشروعات التغيير الاجتماعي والالتفاف الحكومي لإنهاض الفئات المتواضعة القدرات.. منذ أن دفع بالآلاف.. من نقطة انحدار وصلت إلى رقم الثلاثة آلاف مبعثت إلى أعلى مستوى بلغ ما فوق الستين ألفاً، وهي عملية استيعاب سريع ليس للشهادة العلمية فقط ولكن للاطلاع على حقائق العالم، فكان أن أخذنا نسمع عن حصول شباب وشابات سعوديين على مواقع امتياز عالمية.. والقادم أكثر وأكثر.. وتلا ذلك التوزع الأكاديمي والاستثماري في الرياض والمدينة وجازان ورابع والشرقية، وقد جعل تنشيط الاستثمار المملكة في الموقع الأول عربيّاً والثالث عشر دولياً بعد أن كانت قبل خمس سنوات في موقع ٦٧.

ويتزامن كل ذلك مع مهمات تطوير أوضاع الجامعات.. فتح فرص أوسع لوظيفة المرأة.. تحسين المستويات الطبية وتنشيط الحوار الاجتماعي..

ألا تأتي الإشادة من كل صاحب رأي خارج حدودنا مثلما هو الحال داخل حدودنا أمراً طبيعياً وفّره وعدّد أهدافه ورفع حجم نتائجه الملك عبدالله..

طويلة جداً هي السنوات التي عاصرنا فيها جامعات نظرية لم تتقدم بنا خطوة علمية واحدة.. نحن المؤهلين في نوعية ثرواتنا أن نكون في مقدمة المتخصصين علمياً حتى نتمكن من سد احتياجاتنا التقنية أولاً ثم نوفر زمالة العالم المتقدم لنا..

أخيراً أتت جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية في ثول وهي الحدث التموي التعليمي الذي لا يوجد في أي دولة داخل العالم النامي ولكنها تخصص نادر في شعوب علمية متميزة القدرات.. يجب أن نقرأ في عدد اليوم ما كتبه فضيلة الشيخ الدكتور رشاد خليل عميد كلية

(*) العدد ١٥٠٩٠ (٢٨/١٠/١٤٣٠هـ، ١٧/١٠/٢٠٠٩م).

الشريعة والقانون بجامعة الأزهر مشيراً إلى اهتمام الغرب باحتكار التفوق التكنولوجي، ووراء هذا التفوق استثمارات مالية وبشرية ضخمة.. ثم يضيف: إننا نؤيد هذه الخطوة، بل ندعمها ونساندها ونقف وراءها.. من يقول هذا؟ عميد كلية الشريعة بجامعة الأزهر.. ورئيس مجمع الفقه بأمریکا الدكتور محمد رأفت عثمان - لاحظوا مجمع الفقه - يقول: جامعة العلوم والتقنية بإمكانها استعادة أمجاد الحضارة الإسلامية..

أما الشيخ حسان موسى عضو مجلس الإفتاء الأوروبي فيقرر.. هذه الجامعة كانت حُلْم كل مسلم فحقّقها لهم خادم الحرمين الشريفين..

ومن الرأي الإسلامي العالمي والعربي ننقل إلى آراء محلية عند متابعة استفتاء مجلة اليمامة.. فالشيخ الدكتور الفيسان يقول: إن جامعة الملك عبد الله صرح حضاري نفاخر به العالم ولا سيما في عصر التقنيات والعولمة..

أقف أمام قوله «صرح حضاري»، لأن صفة الحضاري مزعجة لذوي الانغلاق ويعتبرونها مستودع الليبرالية والعلمانية.. وهو نوع من الجهل المضحك لأن الصفة الحضارية لأي وجود هي وضوح تجديد حضوره بقدرات الثقافة والعلوم وليس أي شيء آخر.. ويتحدث لمجلة اليمامة سبعة من أصحاب الرأي جميعهم يمجدون الفكر الواعي والجاد الذي يقود به الملك عبد الله - شخصياً - مجتمعه للخروج من ركود وتعثرات الشعوب النامية عموماً والعربية بشكل خاص، والتي يندر أن تتجاوز بها دولتان تكون إحداها مشغولة بأحداث دموية.. وقبل هؤلاء العلماء والمثقفين في الداخل والخارج سبق أن أعلن فضيلة الشيخ عبدالرحمن السديس من أرقى مكان ديني في العالم من الحرم المكي أن جامعة الملك عبد الله صعود علمي تقني مطلوب.. إذا فجامعة الملك عبد الله هي سلالم الصعود بنا نحو مواقع الرقي العلمي والتقني والحضاري الذي هو حلم بعيد المنال.. لكنه قريب المنال منا لأننا أصبحنا نملك قدرات صعود تلك السلالم الراقية..

إن من يتصوّرون العلم خطيئة غريبة عليهم أن يقاطعوا ركوب الطائرة والسيارة واستخدام الجوال والهاتف الثابت وكل أدوية الأمراض وأدوات الحفظ والطهي في المنزل.. وعليهم أن يعوا بأن الثقافة الإسلامية في العصر العباسي هي التي صدّرت العلوم إلى أوروبا وتميزت بأرقى الفنون والآداب..

وماذا بعد...؟ (*)

من ذا من أصحاب العلم والفقہ في مواقع قيادية لم يتكلم بعد..؟
 شيخ الأزهر.. ورئيس مجمع الفقہ بأمريكا د. محمد رأفت عثمان.. مفتي مصر.. الشيخ
 غسان موسى عضو مجلس الإفتاء الأوروبي.. الدكتور رشاد خليل عميد كلية الشريعة
 والقانون بجامعة الأزهر.. الدكتور عبدالرحمن السديس إمام وخطيب المسجد الحرام..
 معالي رئيس مجلس الشورى الدكتور عبدالله آل الشيخ.. معالي وزير العدل الدكتور محمد
 العيسى.. والقاضي الشيخ الدكتور عيسى بن عبدالله الغيث.. هؤلاء أصحاب مكانة علمية
 دينية مرموقة يستحيل أن يعطي أي واحد منهم رأياً وهو على غير قناعة فقهية به.. هؤلاء
 هم قادة الرأي العام الإسلامي المتوزع في كافة أنحاء العالم وبحكم أنهم مرجعية محلية..
 حيث هم يقيمون.. ومرجعية عالمية فإنهم لا يمكن أن يجازفوا بأي شك يخالط أي فتوى
 أو رأي..

جميعهم أعلنوا صريح رأيهم وهم يهنتون مجتمعنا بوجود جامعة الملك عبدالله معلنين أنها
 ليست مكسباً محلياً لنا ولكنها مكسب عام لكل مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ليس لأننا
 مسؤولون عن شؤون الآخرين، ولكن لأننا أوجدنا النموذج الذي من شأنه أن يطور الأوضاع
 العلمية والتقنية الصعبة الوصول إليها دون إرشاد أكاديمي مستفيد من تجارب من سبقوه..
 ولأننا أيضاً سنفتح الأبواب لكل عقلية شابة تسعى للحاق بموكب التوجه العلمي الراقى
 ممارسة وأهدافاً..

إذا كان هؤلاء بمواقعهم العلمية المعروفة ومسؤولياتهم الكبيرة قد أعلنوا دون أي تحفظ
 فرحهم قبل تأييدهم بميلاد هذا الانطلاق العلمي الهائل الأهمية والنتائج..

فماذا لدى الآخرين الذين يحتمون بالانغلاق سداً ليس للذرائع فقط ولكن لكل جديد علمي
 أو حضاري، الأمر الذي أقعدنا مجرد مجتمعات تختلف عن بعضها باختلاف قدراتها على
 شراء الغذاء، أما كيف يكون أي مجتمع مسلم بارز الحضور في مجالات الاقتصاد الدولي

(*) العدد ١٥١٠١ (١١/٩) ١٤٣٠ هـ، ٢٩/١٠/٢٠٠٩ م.

والتقنية العلمية بما في ذلك من تطوير لكل قدرات التجديد لكل وسائل التحرك مع زمالات المجتمعات الأفضل.. فهذا لا يرد في الأذهان.. لأن بساطة التفكير متوقفة عند موجودات المنزل وصدقات المنزل والعمل فقط..

نحن أخطأنا بحق تاريخنا القادم كثيراً وحين نأتي في زمن تاريخنا الحاضر ليصحح الملك عبدالله جميع ركامات الركود عبر أكثر من ألف عام بنهج علمي تحترمه العالمية الفقهية مثلما تحترمه العالمية العلمية، فإن هذه النظرة تأتي من أصحابها وكأنهم لم يخرجوا بعد من بيوت الطين.. ويخافوا مغادرة ركامات الركود.



(*) الملك في حوار علماء

ما كانوا محترفي شعر نبطي ولا ممن يتحركون مكتفين بنصف الحقائق ونصف المعلومات..
علماء..

وعلماء لا تعني الفهم التقليدي لدلولها المحلي ولكنها تعني «عالمية» المعرفة وتخصصها بما
هو صعب..

مثل هؤلاء هويتهم - عملياً - دولية لأنهم يعالجون بعلمهم مشاكل دولية مستعصية ويقدمون
تطويراً مطلوباً لكيفية مواجهة الإنسان لمخاطره..

أسعدني جداً أن يكونوا ضيوف زيارة لـ«الرياض» مساء يوم أمس الأول - الاثنين - وبينهم
كان الدكتور عادل بن عمر المقرن، وهو باحث رئيسي في الفريق العلمي أستاذ المناعة
المساعد واستشاري أمراض المناعة بكلية الطب والمستشفيات الجامعية بجامعة الملك سعود،
ومعه تشرفنا بالبروفيسورة كيت ريتهاوس أولسون، والباحث المشارك البروفيسور جيمس
ريموند أولسون، والباحثة المشاركة الدكتورة جايمي هيمبورج مولينارو، والباحثة المشاركة
الدكتورة سوزان ماري موري، وجميعهم من جامعة ولاية نيويورك.. وقد رافقهم الدكتور
مزيد بن مشهور التركاوي المدير التنفيذي لحاضنة الرياض للتقنية..

وقد توصلوا - لاحظوا بينهم عالم سعودي - إلى إنجاز طبي عالمي يتعلق باكتشاف طريقة
جديدة تقود إلى علاج مناعي يحد من انتشار الخلايا السرطانية في حالات سرطان الثدي
والمستقيم والقولون والرئة..

هؤلاء في أي بقعة عالمية يزورونها يصبحون هم نجوم أفقها وهم من يقصدهم الترحيب
المقدر لهم بنوعهم العلمي..

يهمني أن أشير إلى تلك التعليقات التي قالوها وهم يروون انطباعهم عن الملك عبدالله
بن عبدالعزيز.. رأي هؤلاء مهم للغاية.. علماء يقدمون لك تفهماً واعياً وموضوعياً عن

شخصية رجل قيادي.. كيف رأهم.. كيف رحّب بهم.. كيف يرون قدرات تطوراته العلمية والاقتصادية التي أعطت بلاده ومجتمعه مكانة متميزة عالمياً تختلف تماماً عن أي مجتمع عربي أو إسلامي؟.. ويرون أن هذا الملهم القيادي قد فتح أبواب التوجه نحو الزمالة الدولية المرموقة لمجتمعه..

تحدثوا عن بساطته.. عن سهولة التعليق الطريف مع ضيفه.. كيف يقترب الناس في لحظات بفعل بساطته..

قلت لهم: قبل عشرين عاماً تقريباً نتشرف بدعوته لنا كرؤساء تحرير عندما تكون هناك مناسبات للحرس الوطني، ولما نعرف عنه من قوة شخصيته كنا نتهيب من أن تمر أي عبارة بخطأ ما، لكن في الواقع كان هو الذي يحتوينا ويعرفنا عملياً على أن تلك القوة الشخصية لا تتنافى أبداً مع مرونة الصلات الاجتماعية والإنسانية.. استمعوا بإصغاء لقصة زيارة الحي الفقير جداً وتناول فنجان القهوة هناك.. ومن التآخي الإنساني عبر قرارات المعاضدة الاجتماعية وحتى زمالة علم واقتصاد مقدمتين لمجتمعه عبر الخصوصيات الراقية لمشروعاته ولجامعة الملك عبد الله.. هذا الحضور الراقي الشمولية في الذهنيات المتميزة هو أهم تعريف بخصوصية امتيازاته القيادية تاريخياً..

تطهير.. نعم تطهير (*)

في أخبار يوم أمس وأمس الأول أعجبنى في نصوص التصريحات العسكرية أن الجيش السعودي يباشر مهمة «تطهير» أرضنا من وجود المتسللين وأنه لا يقبل بأي تجاوز لمسافة متر واحد..

«تطهير» هذه رائعة.. وفي منتهى الدقة تعبيراً يصل إلى قلب المضمون..

نعم.. نحن وجود عربي إسلامي واضح «النظافة» في صحته الدينية والوطنية.. أخرجنا الملك عبدالعزيز - رحمه الله - منذ زمن بعيد من دوائر عاهات أمراض القبلية والطائفية وجمع ما لم يجمع من قبل.. كان مفلوئاً كبادية مهملة طوال أكثر من ألف عام.. جمعه في إطار من الصحة الوطنية المتجهة جدياً نحو «تطهير» ذاتها من كل سلبيات ماضيها البعيد، وحالياً وأمام رؤية كل العالم يحضرنا الملك عبدالله لكي نمثل اختلافاً كبيراً، وبعيد القدرات عن كل معوقات الركود في العالمين العربي والإسلامي، و«يغذي» الصحة الوطنية بتطوير الوعي القادر على استيعاب ما يوضع أمام مختلف القدرات الاجتماعية من منطلقات «صحية» اقتصادية وتقنية وثقافية، حتى أصبح توزع الجامعات ينافس توزع المدن والقرى، ويؤهل المبتعثون في الخارج ليكونوا بعضاً من قوى المواجهة ضد «فيروسات» المنطقة المتشعبة بتعدد الزعامات مع تعدد صراعات الطوائف مع تعدد تدخل أمراض الخارج..

تطهير الأرض السعودية مهمة وطنية رائعة.. تماماً مثلما قبلنا أن نحني الرأس إكباراً وتقديراً لنجاح مهمات أجهزة الأمن في «تطهير» مسافاتنا من مخاطر توغل فيروسات التفجير بحثاً عن جنة هي في واقع ما سيكون ناراً تحرق تفاهة المفاهيم.. نحني الرأس الذي عاش كرامة الاعتداد بالذات تقديراً لقوى الجيش الذي نعرف جيداً أنه من أفضل الجيوش العربية عندما يمارس مهمته الوطنية في «تطهير» أرضنا من رجس الانحدار الديني والوطني الذي يكلف به عناصر تخريب تمارس حربها للمرة السادسة، والله أعلم لماذا مارسوا مهمة محاولة التسرب عبر منعطفات الجبال.. هل من المعقول اختيار تلك المنعطفات لتكون مقر مواجهة ضد اليمن.. طبعاً هذا غير منطقي إطلاقاً..

(*) العدد ١٥١١٤ (٢٢/١١/١٤٣٠هـ، ١٠/١١/٢٠٠٩م).

إذا .. هل لكي ينشر إرهاب في الداخل السعودي؟ .. ربما ..
في كل الاحتمالات .. سيبقى جسدنا الوطني والاقتصادي والعلمي والاجتماعي مصاناً
بصرامة «التطهير» لنبقى نمثل ذلك الانفراد الأول في اتجاهنا نحو مهمة بناء ذاتنا توجهاً
نحو الزمالة الأوروبية، حيث لا تشغلنا مشاعر عداوات أو مهمات تخلف وضغائن ..



الملك عبدالله في نجومية التفوق عربيًا ودوليًا (*)

لا يستطيع رجل قيادي أن يحصل على أولوية تقدير ثم احتلال تفوق مكانة الزمالة الدولية ما لم يكن رجلاً تاريخياً فتح آفاقاً كبرى في التأثير والفاعلية لم تكن موجودة من قبل..

مثلاً معظم القادة الأوروبيين.. أصحاب كفاءة.. لكنهم لا يقدمون تجديدًا وإنما خطوات مواصلة.. متابعة.. أوباما.. يرجو الأمريكيون منه خلق مكانة جديدة لواشنطن بعد أن تراجعت عن صفاء «هيبته» السابقة وتفوقها الاقتصادي.. لكن مَنْ يحقّق أو يطلب منه منجزات صعبة هو من يسمى رجلاً تاريخياً..

ولست بصدد طرح مقارنة بين فرص أوباما والملك عبدالله، لأن أوباما يملك مجتمعه الكثير من حوافز التفوق.. يكفي منها توفر الوعي وتعدّد مصادر الاقتصاد.. وانفرادية القوة العسكرية.. الملك عبدالله دوره التاريخي يختلف تمامًا، حيث نجد أن توفير مكاسب النجاح تتطلب مسبباته.. تتطلب وجود مجتمع يملك التأهيل لذلك.. لنعد إلى الوراء خمسين عامًا تقريباً.. لم يكن الزعيم العربي.. الثوري غالباً.. يصنع شيئاً لبيئة مجتمعه، بل كان يقلّص قدرات ذلك المجتمع ويدعي النجومية بتعدد ما خاضه من خصومات معظمها ينتهي لغير صالحه.. ينتهي بخسارات مخيفة لقدرات مجتمعه..

الملك عبدالله لن أقول إنه «طوّر» مع وجود مهمات التطوير وتمثل حالة انفراد بعيدة عن ركود العالم العربي، لكن سأقول إنه «أسّس» لمنطلقات وجود سعودي وعربي جديد.. لم يكن من السهل أن تتم بالسرعة التي حدثت بها ومستوى الانتشار الذي توفر لها.. لم يكن القيادي العربي يسعى إلى كسب تعاطف دولي مع قضاياها، بقدر ما كان يبحث عن خصومات.. الملك عبدالله وبواجهات منطقية وإنسانية ترك تأثيراً متوغلاً ومتجدداً عن المجتمعات الغربية.. ومع روسيا والصين والهند..

(*) العدد ١٥١٢١ (١١/٢٩/١٤٣٠هـ، ١١/١٧/٢٠٠٩م)

وهذا تأسيس ليس ببالغ الصعوبة، ولكن كان مفقوداً في الساحة العربية.. ما هو أصعب..؟ إنه الترغيب بلغة الحوار محلياً، وتطوير مناهج التعليم في مهمة استهداف توعية لم تكن بالسهلة.. نعم ليس من السهل أن يقفز رقم الابتعاث من ثلاثة آلاف إلى ستين ألفاً وخمس مئة طالب وطالبة.. ليس من السهل أن تتحول الجامعات من رقم لا يتجاوز الثماني جامعات إلى اثنتين وثلاثين جامعة حكومية وأكثر من عشرين أهلية.. التحول من بائع بترول إلى صاحب تنوع اقتصادي تتعدّد فيه وسائل التقنية مثلما تتعدّد مصادر التطوير الاقتصادي.. عُد إلى ميزانيات البنوك قبل عشر سنوات وراجعها الآن.. لموجودات التنافس الصناعي والاقتصادي ما قبل عشر سنوات وتنوعاتها الراهنة..

هذه الإنجازات لم يكن من السهل أن تحقق نجاحاتها الكبيرة لولا أن الملك عبدالله أضاف إلى جهوده التنموية جهود تنويره للوعي العام اجتماعياً، ليس بالخصومات، ولكن بالحوار ورفض الانغلاق وتأكيد حقيقة أننا نمر بمرحلة تميّز تاريخية إذا كسبناها بوعينا وجهودنا فسنكون بعد ما بين عشرين أو ثلاثين عاماً في مصاف الزمالة الأوروبية..

الرجل الإنسان. الذي توغل في دفاء العواطف.. هو الذي - محلياً - زار بيت الفقير وتناول معه فنجان القهوة، وهو الذي - دولياً - نادى بحوار الأديان، وتخلصت الطفولات المعذبة من قسوة شلل الالتصاقات في مستشفى ببلده..

عندك وعندني خير (*)

كل عام وأنتم بخير

يا من نرجو أن تتواصلوا بكل خير..

ويا من ملكتم حقيقة وجود الاحترام والخير في مجتمعكم، وطوال أكثر من مائة عام عملتم على دعم ضرورات صيانة ذاتكم وجغرافيات وجود هذه الذات، ولم تكونوا في أي يوم ذئاباً تتسلل من عدة مواقع كي تثير فتن الاقتتال بادعاء وجاهات مزيفة، حيث في الماضي واجه الملك فيصل - رحمه الله - رايات التعريب وعنصريات القومية بشمول الإخاء الإسلامي واستقلالية من يملك أرض المساحات الكبرى وما تحت صخورها من ثروات.. ردع انشقاقات العالم العربي من حوله بيد، وامتدت اليد الأخرى كي يقيم تعاوناً وصدقات مع شعوب مؤهلة لأن تفيد وتستفيد..

والآن وقد تعددت للملك عبد الله شهادات التقدير وجماعية تفرد به بأولوية امتياز عربي، ثم امتياز إسلامي، ومعهما مكانة دولية مرموقة.. نحن معه لتكون جبالنا واجهات من حديد في وجه من يحترف السطو والاختلاس، وتكون أيدينا قدرات بناء أوجدت ومددت قوى التميز الداخلي وعياً وتحضراً واستقلالية ذات موضوعية بما لم يتحقق لغيرنا في شرقنا الأوسط، التعتيس ببعض نوعيات قياداته..

كل عام وأنتم بخير

والخير في درجته الأولى هو وعيكم وإدراككم لأهمية وجودكم الاجتماعي في منطقة مضطربة، سوف تتقون شرورها، ويبعدكم عن مخاطرها حجم قدرتكم على إدراك حقائق نوعيات الوعي والممارسة عند غيركم وما أنتم عليه من استقرار تجاوز المائة عام، وتطرح الآن بين أيديكم وعقولكم مسارات بناءات متعددة ستقوي كثيراً من حقيقة اختلافكم إيجابياً عن كل الآخرين..

(*) العدد ١٥١٣٢ (١٢/١١/١٤٣٠هـ، ٢٨/١١/٢٠٠٩م).

نحن لم نصدر «الشر» لأي أحد بل اجتهدنا بأن نصدر «الخير» لكل أحد، لكن حالات القبول أو الاختلاف يفرزها نوعية ما يتعامل معها من وعي..

نريد أن نواصل تطوير مهمات وعينا لأننا من فتت قدرات الانشقاق القبلي، فجعلنا الأرض والتعليم والوظيفة والاستثمار مهمات تنافس يتفوق فيها من هو الأجدر..

ونحن من فتت قدرات التحزب الطائفي، وكان أول ما اتجهنا إليه ترويض الانغلاق السني، ثم تقارب الجهود بين الكل صيانة للإسلام.. وهذه هي «مكة» مثلما تم تأهيلها عبر سنوات طويلة.. مدينة العبادة لكل معتقي الإسلام..



الملك عبدالله الرجل التاريخي في إنسانيته وقوته (*)

معظم الشعوب العربية تشتكي بأن قدراتها الاجتماعية اقتصادياً وثقافياً قادرة على قيادة تقدمها، لكن السلطة تعوق ذلك، بينما الحقيقة هي معاقبة فعلاً بسلبيات السلطة وسلبيات ضعف قدرات المجتمع.. ولهذا فالانشغال بعث الخلافات هو ممارسة «إلهاء» لمفاهيم الناس عن إدراك حقائق مسببات الهبوط، بل إن دولاً غنية هبطت بقدراتها بحيث أصبحت في بعض منها مجرد وقود لصراعات الفئات، وفي بعض آخر تم تدوير القدرات الاقتصادية لتكون مجرد بريق ظهور مضحك كثيراً للزعامة..

لا يحتاج الملك عبدالله فيما يمارسه لمثل هذه المقدمة، لكن مواطننا وهو من يفترض أنه الحارس الأول على سلامة مسارات التطور، والتقبل الواعي لمنطلقات البناء المحلي مما أنجزه الملك عبدالله، فمواطننا يفترض أن يكون في واقع وعي استيعاب لما هو فيه - كعضو مجتمع - من مكانة..

هل يكون هذا التميز سبباً من قبل البعض لإثارة تفاهات الاستفزاز؟.. لتحريك عناصر طائفية في دول عربية لتكون وسيلة نفوذ؟.. وكذا التوجه نحو الجبال في مهمات هي في الواقع انتحارات لا تختلف كثيراً عن تفجير الذات لدى القاعدة؟..

هذه الأوضاع المرضية عربياً، وإلى حد ما إسلامياً، ستبقى عاجزة تماماً عن إعاقة منطلقات نمونا متى توفرت قدرات الدفع نحو الأمام، فالملك عبدالله محلياً وعربياً ودولياً في مقدمة من يستحق لقب القائد المصلح والقائد الباني.. قلت في موضوع سابق إن هناك فارقاً كبيراً بين رجل ناجح في قيادة مجموع أمته وفق قدرات محدودة، وبين من يستحق أن يسمى بالرجل التاريخي، مثلما العالم قبلنا أعطى الملك عبدالله صفة الرجل التاريخي بما استطاع أن يوفر من منجزات.. ليست عطاءً فقط هو صاحب النزعة الإنسانية العالية جداً في قراراته - على سبيل المثال - التي تناولت تحسين أوضاع الأيتام ورعايتهم حتى بعد تجاوز

(*) العدد ١٥١٢٣ (١٢/١٢/١٤٣٠هـ، ٢٩/١١/٢٠٠٩م)

حدود التقييم السابقة، وهذا مجرد نموذج لقرارات ترسيخ العدالة الاجتماعية. أيضًا في غضون ساعات أبعد عن النازحين في الجنوب مرارة الشعور بالغبية أو الخوف، فقد عاشوا وعبر ساعات حقيقة أنهم رجولة وأمومة وطفولة في أحضان أبوة كبرى تتدفق منها كل منجزات التعاطف الإنساني النبيل..

هذا الحس الأبوي الرقيق جدًا يزامل ويعايش في ضمير الرجل التاريخي نفسه قوة الساعد الصارم في حماية شبر الأرض وأي مستحقات حقوق..

هو القدرة والقيادة الرائدة مواجهة وانتشارًا عبر مفاهيم التفرد المتمكن في قوله يوم أمس الأول «المعركة تسبق النصر والجهل يسبق الهزيمة وسيعلم من يظن بأن سيادة وأمن بلادنا مكان خصب لفكره المريض بأنه واهم» وهو واضح موضوعية التعامل في قوله «المملكة لا تقبل التجاوز على أحد لكنها في نفس الوقت لن تسمح لكائن من كان أن يدنس شبرًا من أراضيها، فلا خيارات للدفاع عن النفس سوى خيار واحد، النصر بعزة وكرامة أو الشهادة في سبيل الله ثم الوطن».

ذروة التقارب إنسانياً.. وكفاءة المواجهة إدارياً (*)

الحجم الإنساني السخي والذي ربما لم ينفذ في أي دولة أخرى وبالسواسية التي شمل بها جميع أسر المنكوبين من مواطنين ومقيمين بكارثة الغرق، وقد تصاعد بهذه الشمولية ليكون الرابط الإنساني النبيل هو إطار المواطنة الذي يضم الجميع بسواسية حقوق ومسؤولية تعطي الكل دلالات الانتماء الواحد، وأن الملك القريب من كل حدث ومن كل مبررات مواسة هو صاحب أبوة ومسؤولية تحتضن كل مواطن ومقيم بحضوره السخي والصارم في آن واحد، فهو مع الكل كمن يعيش مع كل فرد في بيت واحد..

والكرم الإنساني لا يقف وحده في ساحة التضامن والتعاقد بل الالتفاف بحس روح أسرية تشمل تكاثر الكل الوطني، ولكن جزالة حزم السلطة تتواجد في الوقت نفسه بالأهمية الكبرى ذات الشمولية المتعددة التخصصات والمسؤوليات تعطي عملياً ونفسياً لكل مواطن حقيقة أن رعاية مواطنته تدار بحزم متمكن الاستيعاب بحنان أبوة وحزم ورعاية لواقع الانتماء الأسري الواسع الذي ينطوي تحت أمن مسؤولياته كل صاحب وجود داخل هذه الحدود..

التنوع المذهل في عدد المسؤولين ونوعيات الاختصاص وإدارات معالجات الخلل يوضح وبشكل صريح بل متناهي الجرأة بأن عبدالله بن عبدالعزيز هو فعلاً في موقع الأب والقائد.. الرجل التاريخي.. بانفرادات كفاءته ونوعيات مبادراته هو الذي يبرهن عملياً على أن المجتمع يستقر ويتطور ويصحح الخلل فيه وهو في واقع الممارسة عبارة عن أسرة تتوزع في كل أنحاء نوعيات القدرة وكذا التواجد..

ليس من السهل في هذا العالم الصاحب المتباعد المسافات بين فئات المجتمعات وبالذات في العالم الثالث وبخصوصية هبوط أكثر في العالم العربي أن تجد هذا الحرص العملي المبادر على إثبات أن نوعية طرح المسؤوليات تؤكد عملياً وجود مجتمع الأسرة الواحدة..

(*) العدد ١٥١٣٦ (١٥/١٢/١٤٣٠هـ، ١٢/٠٢/٢٠٠٩م).

لولا أن الرجل الكبير عقلاً وقلباً إنسانياً وشجاعة تحمل لأي مسؤوليات كبرى هو صاحب الحضور الدائم في مهمات الأداء الريادي لأمكن أن تمر أيام الحزن بعد بعض من موساة محدودة لا كما تجلى كرم الرجل التاريخي ومع ذلك التمرير يأتي التبرير المغالط بأن ما حدث اندفاع أمطار لم يتسبب فيها أي أحد.. اللجنة الواسعة العضوية نوعية وعدداً لم تؤلف لمحاسبة الأمطار.. فاندفاع السيول يحدث في مدن كثيرة لكن مطلوب من اللجنة أن تستقصي مسببات فشل المواجهة.. واقع عدم تأهيل المدينة الهامة جداً حضارياً وثقافياً وإسلامياً لتكون في ظاهرها وباطنها على مستويات قدرات واستيعاب ومواجهة.. كيف هو تصريف مياهها.. كيف نوعية عشوائياتها.. ولماذا العشوائيات أساساً..؟

إن الرجل التاريخي في معظم قراراته لا يطل على الحادث المحزن من نافذة موساة بجزالة ما أعطى ولكن يفتح باباً واسعاً لتصحيح أوضاع مدينة هي في الواقع جوهرة حضارية، وما يبذل من أجلها الآن.. هو في الواقع.. رسائل يجب أن تستوعبها المفاهيم والمسؤوليات في كل مدينة أخرى وقرية لئلا تتكرر المناسبة البشعة بسبب تكاثر مؤشرات الإهمال..

كل مواطن استقبل القرار بابتهاج جزمه أنه لا وجود لطبقية توفر الأمن الاجتماعي لفئة وتتخلى عن آخرين، وأن السلطة التي يقودها الملك عبدالله ليست محجوبة الرؤية لواقع جميع فئات المجتمع، ولكنه المسؤول الدائم الحضور بين كل فئات مجتمعه بل مشاريعه التطويرية للتعليم والاقتصاد والتقنية هي في الواقع فتح مسارات واسعة لفئات المجتمع الشابة.. الباحثة عن واقع مواطنة أرقى بتطوير إمكانيات الفرد وهو ما يحدث الآن وسنلمس نتائجه عبر سنوات قادمة..

ماذا يعني أنا في مسار ماديات تطوير..؟(*)

«أطلّ من الشموخ وقد تهيأ.. .. ملِكُ حلّ في هام الثريا»

نعم من فضاء شموخ مليء بالمنجزات وجزالة وجهات النظر ونزاهة الجهود والنتائج وكرم التعاطف مع المشروع التنموي والمواطن المحتاج.. كأهم أولوية تبدأ مساحات كرمه الواسعة.. ومَنْ هو في «هام الثريا» فهو عقل وعاطفة وجهود جمعيتها لا تنافس..

هذا البيت كان ضمن قصيدة ألقاها - ووقتها كانت منشورة في جريدة «الرياض» - الشاعر الجازاني علي الحملي أمام من أطل من الشموخ عند زيارته لجازان في شوال ١٤٢٨ هـ الملك عبدالله بن عبدالعزيز وهو من رآه الشاعر في «هام الثريا»..

إن ثلاثة مؤشرات وهي جزء من كل لكنها تأكيد على وضوح مصداقية ونزاهة البرمجة القيادية في التوجّه للأمام أو في شجاعة مواجهة الانحرافات..

التبرعات للمتضررين.. الإكبار لبسالة المقاتلين كمدافعين.. ثم التأكيد على أن ما حدث في جدة ليس من القوة المطلقة بحيث يقارن بمواقع جرفت مواقع البشر، لكن خلل الأداء والمراقبة والصيانة واستكمال الضرورات هو ما جعل جدة تختص بكارثتها المؤلمة.. أتى بعد هذه الشجاعة والوضوح ما قاله حين أعلن إطلاق ميزانية مالية جديدة غير مسبوقة إطلاقاً.. فأردف مع ضخامة حجمها وتنوّع أهدافها محدّراً بأنه لا يجب أن يكون هناك تهاون أو تقصير.. ومَنْ يجد شيئاً من ذلك فعليه أن يخبره..

نحن في الحقيقة داخل بلادنا لا نعيش حياة روتينية مكتفين بوجود «ميزانية» مصاريف لاستحقاقات رواتب أو مشروعات صغيرة تعتبر استكمالات محدودة لما هو موجود من قبل.. نحن لا نعيش تغذية اجتماعية تقوم على السهل والمألوف وقدرة شراء الطعام.. مَنْ يتطور لدينا ليس بفرد ولا فئة.. عبدالله بن عبدالعزيز يقود مجتمعاً كاملاً.. التغذية القائمة هي إعداد «صحي» تقنياً واقتصادياً للوصول إلى حالات من «العافية» التامة وغير مقاربة لمنافسات أي دول حولنا - بما فيها البتروليات - التي جعلته وقود خلافات وصراعات..

(*) العدد ١٥١٥٧ (١٤٣١/١/٦ هـ، ٢٣/١٢/٢٠٠٩ م).

أبدًا .. نحن كمَنّ يلحق كل فئة اجتماعية بسلم تطور تصل منه إلى مستوى معيشي حضاري وتقني واقتصادي.. والمعيشي هنا لا يعني الطعام ولكنه يعني قدرات المجتمع ومستويات مستقبل المدن بأجيال حاضرة وقادمة تكون لديها قدرة تخطي الإعاقات الشرق أوسطية والوصول إلى زمالة مجتمعات السيادة اقتصادياً وتقنياً ..

ومثلما طلب الرجل القيادي المتميز ألا يكون هناك تهاون ولا تقصير فلا بد أن تكون هناك رقابة مكلفة بالمتابعة الدقيقة على شكل إدارة من حقها أن تتدخل وأن تحاسب.. شرط ألا يكون ذلك دعماً لبيروقراطية أداء العمل الحكومي..

إن الناس يتحدثون كثيراً عن رفض وزارة المالية دفع كل ما هو مقرر أو مطلوب، لكن الحقيقة هي أن المالية تتحفّظ على وجهة بعض ما هو مطلوب أو مصداقية ما يقال إنه مصروف.. ما أعرفه أن وزارة المالية، منذ أن طوّرت تخصصاتها وفروعها ومعها معهد الإدارة ونشاطاته معالي الشيخ محمد أبا الخيل، ومروراً بمنّ أتى بعده من وزراء حتى عامنا الراهن لم توجّه إليها تهمة تفريط بل قد ترهقها متابعة بعض من يعطون أنفسهم استقلالية التصرف ثم ضبابية النتائج..

هاي.. خولة.. (*)

البلد الصاعد إلى أعلى هو الذي تتزامن فيه مناسبات الصعود المختلفة.. والملك عبدالله
عودنا أن نركض دائماً على درجات مخملية تغري بمواصلة التدافع..
أعجبني جداً أن تكون آخر خطوة حدثت الآن هي تكريم الدكتورة خولة الكريع بوسام الملك
عبدالعزیز من الدرجة الأولى..

في الماضي كان نطق اسم المرأة محظوراً إلا بين الأسرة، مع أن البداوة المتحررة صحراوياً
قد جعلتها تقاسم الرجل فارساً أو شاعراً أو مستضيفاً مسؤولياته، وحتى القرية الصغيرة
قبل أعوام تعد بالعشرات لم تكن تضيق عليها الخناق إلا بعد أن أوفد لنا الإخوان المسلمون
من مصر تعقيديات سيد قطب، ثم حوّر الإعلام هذا التصدير إلى مسمى وهابية، قيل إننا
نعرقل به انفتاح المجتمعات الأخرى، والحقيقة أننا أول من أُستهدف بمخاطر الانغلاق،
وتكفي أفكار جهيمان ومهديه المنتظر، ثم ادعاءات الصحوة.. وأن خليط الدكتور عزام في
أفغانستان البشري والخرابي للمفاهيم هو الذي ضلّ عدداً ليس بالقليل من شبابنا..

لقد أزاح الملك عبدالله كل سطوة للانغلاق، وقدم للتعليم أرقى وسائل تطويره، وبالتالي
للشباب أرقى أكاديميات معرفته، في الوقت الذي تتسابق فيه مشروعات الطرق بالبلالين
والجامعات بالبلالين ومواقع الخدمات والرعاية الاجتماعية وتأكيد وجود الرقابة الصارمة
منذ اليوم..

«بنت الكريع» كما يحلو لأباء الأمس تسمية المرأة عندما يتداولون معلومات عنها، هي التي
استقلت باسم «خولة» وفق قدرات علمية وبحثية وأثر تطبيب اجتماعية محلياً ودولياً لم تكن
مجرد شاعرة مديح صفقنا لها، ولا طاهية طبق جدّدت فيه مثلما كان يُراد احتباس قدرات
المرأة.. خولة.. واحدة من قلائل سيكن كثيرات قريباً ممن فتحن آفاق الشهرة لهن ولنا،
وقدّمن عملياً للعالم التقني الحضاري التأكيد العملي بأن طرق العلم والشهرة مفتوحة أمام

(*) العدد ١٥١٦٣ (١٢/١٤٣١، ٢٩/١٢/٢٠٠٩م).

المراة.. حيث هذه إرادة الدولة ورغبة الوعي وتقدير واجهات المجتمع المحصنة بثقافات المعرفة..

في مثل بلدنا نفرح كثيراً ونحن نجد أن هذه الـ«كثيراً» ليست مناسبة نادرة أو خطوة تجريبية، ولكننا نلمس أن «التكاثر» يشمل معظم مناحي حياتنا، وأن التبرم والقلق.. وهما ما تعاني منه مجتمعات العالم الثالث.. أصبحت إعاقات عند غيرنا، فيما تبسم كل فتاة في شوارعنا ومنازلنا لأن قدرة «خولة» امتدت فأنجزت ضد أخطر مرض يهدد حياة الناس ولا تحكمه حتى الآن روادع محدودة..



الملك عبدالله صانع زمالة العلم والثروة والتحديث لمجتمعه^(*)

في دول التطور الحضاري يأتي تسلسل الإنجازات سهلاً وغير مفاجئ ومعلومًا طبيعيًا في ذاكرة الناس، لأنه جزء من جدولة تتوالى في مسارات مختلفة لكنها نتاج طبيعي أتى به جهد عام ويسّره وسهّله وجود ترويض مسبق جعل التوافد يمر بسلاسة المؤلف..

في دول العالم الثالث.. حيث تتواجد كل المتناقضات.. الثروة والفقر، الاكتظاظ السكاني والعجز البشري، عمومية تعليم أكثرية المدن وعمومية أمية القرى وبعض المدن، قصر النظر التتموي حيث ما يبذل على شكل مشروعات أو فرص عمل لا يتخطى مهمة إطعام اليد المترفة للفم الجائع..

لا يهمني أن أكرر ما سبق أن قلته أكثر من مرة بأن عشرين أو ثلاثين سنة قادمة إذا استمر بنا موكب التطوير والتحديث والتعليم فسنكون في العضوية الأوروبية ليس جغرافيًا وإنما حضاريًا، وهذا يؤكد اقترابنا من الطابع الحضاري المتقدم، أو أن أصف امتدادات المشاكل والتخلف والفقر في دول العالم الثالث الأوسع انتشارًا بمظاهر تؤكد بعدنا عنها.. كل هذا واضح..

ما أقف عنده الآن أن مَنْ سيقصر الرؤية لمنجزات الملك عبدالله بن عبدالعزيز على هطول عبارات المديح وتكرار عبارات الثناء ومعها عبارات الشكر.. سيقصر إدراكه على مستوى من تفاعل الفرح في عقولنا وقلوبنا قد تجاوزناه إلى مستوى أرقى ليس فقط بما نحن فيه الآن من وهج تقدم متعدد الاتجاهات ولكن بما هو عليه الملك عبدالله من انفرادية صفات قيادية تعددت بما هو يعطي ويخطط وينظم ويخترق رواكد العالم الثالث التخلفية في دول ليست فقيرة ليجعل من الثروة في بلاده مخزونًا متدفق البذل بما أشعر الجميع أن ذلك المخزون تتحرك منجزاته لبناء تكوين بشري عقلائي الأداء كي تركض بنا تلك المنجزات نحو عالم التفوق الحضاري..

(*) العدد ١٥١٨٦ (٦/٢/٤٣١هـ. ٢١/١/٢٠١٠م)

الملك عبد الله بموقفه من الابتعاث هو كمن يضاعف جرعات العلاج الإيجابية الجيدة النتائج في جسد يتفاعل معها وينطلق بها نحو عافية حضارية وعلمية واقتصادية ستكون في صدارة الاحترام الدولي المرموق..

ليست مهمة سهلة.. أو ليست كفاءة شخصية سهلة أن يعمم الرجل القيادي أفكار تطويره المتنوعة المتكاثرة التوجهات والنتائج في زمالة ما يدفعه من تدفقات الثروة كي يحقق بنجاح مؤكد شمولية تطوير مجتمع سيدين له عبر عشرات الأعوام القادمة، بل ربما مئاتها، بوصفه الرجل القيادي النادر الذي كثر ونوع وسائل تحديث القدرات العلمية والتقنية والاقتصادية لمئات آلاف ستتحول إلى ملايين في واجهات مجتمعه.. وهذه الميزة الأولى في دول التقدم الحضاري، حيث الأكثرية الواعية هي التي ترعى الأقلية المحتاجة.. بينما في العالم الثالث تبرز الأقلية القادرة، إما مسؤولية أو علمًا أو ثروة، لمعالجات بعض متعددات القصور المعيشي والعلمي والإداري عند الأكثرية المجهد..

(*) مجتمع المعرفة

قبل عام تقريباً كنت في زيارة لمعرض كتاب أقامته دولة خليجية، ولفت انتباهي أن أعداد مَنْ تفرَّغهم أتوبيسات نقل من الشباب وأخرى من الشابات.. طلبة وطالبات.. يزيد على عدد الزوار..

كتبت عن هذه المناسبة.. وتمنيت لو عبّر مجتمعنا عن انفتاحه وعياً وثقافة بوجود كل فئاته في مثل هذه المناسبة الجماعية..

يوم أمس كنت والزميل يوسف الكويليت والزميل راشد الفهد نتواجد في المعرض الدولي للتعليم العالي بمدينة الرياض..

كان الحضور.. سيدات وطالبات ومواطنين وطلبة ومختلف الفئات.. قد تدفع بك المبالغة فتقول إنه أكثر من سكان دولة خليجية.. تواجد مذهل وتراص عجيب لمواقع أكثر من ثلاث مئة جامعة عالمية.. نعم ثلاث مئة جامعة عالمية موجودة في قلب مدينة الرياض داخل المعرض، تدير بعض المكاتب سيدات، وبعض آخر بتواجد مديرين رجال..

ثلاث مئة جامعة مرموقة من أشهر مواقع المعرفة والعلم في العالم.. كيف أتت إلى هنا.. تم حَجَز المكان لخمسة أعوام قادمة سيتنوع فيها هذا الحشد العلمي المرموق، وتم توقيع عقود كثيرة ترحيباً باستئناف المناسبة..

بحضور معالي الوزير ونائبه وعدد من المسؤولين في التعليم العالي أعجبتني أن يكون هناك حضور آخر للمسؤولين عن الابتعاث في معظم الدول المتقدمة علمياً.. لا أستطيع أن أسرد الأسماء، فالأساتذة الذين قابلتهم كثيرون.. لكن الكل جعلوا أنفسهم موظفي أداء قيادي يشرح ويوضح ويتفقد جودة الأداء..

ما حدث في المعرض من موجودات وحضور علمي وما يدل عليه التواجد الاجتماعي.. كل ذلك ليس ابتداءً ولا تغييراً سريعاً في حقيقة ثقافة المجتمع.. بل هذه هي حقائق الواقع التي وضعها الملك عبد الله في مكانها الصحيح..

مَنْ يريد أن ينطلق بالاقتصاد وحده فهو إنما يفتح الطريق أمام فئة اجتماعية واحدة وتبقى الأكثرية في تخلفها، ومَنْ يريد أن يكرّر ركود التقليدية التعليمية فهو في الواقع يحافظ على رتابة البقاء بعيداً عن الجديد المعرفي..

لكن مَنْ يجمع المنطلقات الثلاثة في موكب تحرك إلى الأمام.. الصناعة والاقتصاد وميلاد المجتمع المعرفي.. فإنه يغلق أي مسار للإعاقات ويخرج من طابور زمالات التخلف العربي إلى رحابة الحضور العلمي في عضوية تقدم معرفي ليس من السهل أن يمثلها أي مجتمع آخر تعيقه قدراته الاقتصادية أو مستويات وعيه..

مَنْ لم يذهب إلى المعرض الدولي الهائل الذي شاهده يوم أمس فإنه بالسمع أو القراءة لن يتعرف بدقة على جزالة الرصد الهائل لجيل الشباب.. بل موكب الطفولة الجديد من منطلقات توجّه نحو اكتمال المعرفة داخل عضوية زمالة دولية مشرّفة..

ثلاث مئة جامعة دولية مرموقة يسجل وجودهم حقيقة زمالتهم.. أكثر من خمسة وثلاثين جامعة محلية يؤكد تضاعف عددها كل عام وتضاعف خريجها أن عشر سنوات فقط ستعرفنا على جزالة الوعي في مجتمع المعرفة..

تحية تقدير صادقة لوزارة التعليم العالي بما أنجزته، وبحجم تواجد كبار مسؤوليها في مختلف مواقع المعرض الدولي للتعليم العالي..

(*) حضور الملك عبدالله في نزاهته وكفاءته

حقائق من السهل ملاحظتها، وهي أن الأكثرية الساحقة في زعامات دول العالم الثالث تفرض حضورها في الإعلام المتداول ومناسبات الخطابة أو الاحتفالات المتنوعة عبر التكبير الإعلامي لإقرار إيجابيات غير صحيحة، بل أحياناً يضخم أي تصريح تقليدي أو التعليق على أي اجتماع سياسي أو اقتصادي على أنه منطلق مكاسب وطنية سوف تتحقق.. لكن لا شيء يتحقق.. فالذي يحدث هو مواصلة التتويه الإعلامي بمستجدات مفتعلة لتغطية توالي حالات هبوط في الاقتصاد والحقوق العامة وتوالي قسوة انتشارات الفقر..

هذا الذي يحدث.. ومراقبته سهلة.. ونماذجه متعددة ومتكررة..

لدينا الوضع يختلف، وما يتم من متابعة رصد لتكاثر شهادات التقدير الدولية وأرقام التطوير المحلي ليس مطلباً لشخصية الملك عبدالله بن عبدالعزيز ولكنه مواكبة لتميزات نزاهة شخصية ووضوح أداء اقتصادي وسياسي يعلن من هم خارج الحدود وبدول راقية تأخذ مواطننا إلى موقع هذه الحقائق في مجالات التميز القيادي.. فإذا كان أننا في بلادنا نقطع مسافات تقدم احترامها الجميع في طريقنا للوصول إلى زمالة العالم المتقدم فإن مسافات عزل مزعجة نجدها أصبحت تفصل واقع الشعوب النامية عن واقع دول التقدم، وهو ما كان سبباً في وجود خلل اجتماعي عندهم بكل صوره وتنوعاته في عالم الركود..

نحن في صحافة هذا البلد الرائع اعترف أننا أحياناً نعاني صعوبة المتابعة لتزاحم مناسبات اجتماعات مختلف لجان التعاون المشترك ومعها إشهار تنوع امتداد دعم البنية الاجتماعية في تنوعات مردود فعل الاقتصاد محلياً على حياة المواطن..

وهذا هو الإبهار الرائع لخصوصية تميز الملك عبدالله..

لكن لسنا من يختص وحدنا بالقول إنه رجل العصر في انفرادات كفاءة نزاهته ووضوحه وعبقرية حضوره محلياً وعالمياً.. الدوليون هم من قبلنا قالوا إنه صاحب مكانة عالمية مؤثرة في توجيه المواقف الإيجابية، ثم يأتي الانفراد أيضاً بالأولوية العربية عبر قرار دولي، ثم

أخيراً، وهنا أهمية ما حدث، تأتي أولوية التميز إسلامياً بين كل الزعامات الغارقة في أجواء تخلف وخلافات، فباستقلاليته الفكرية والإجرائية ينفرد بأولوية المكانة المؤثرة إيجابياً في قدرات التقويم والاعتدال.. ولعل تصريحات الرئيس الأفغاني حامد كرزاي قبل بضعة أيام في تأكيده أن الملك عبدالله هو الوحيد القادر على إحلال السلام وإقرار لغة التفاهم في أوساط مليئة بتدافع دموية الصراعات.. خير توثيق من رجل يعايش قسوة أوضاع مدمرة.. إذا كنا ننحني تقديراً وإكباراً لما وفّره من مشروعات تطوير متنوعة في الداخل، فنحن نقف بمزيد أكثر من الإكبار لما هو عليه من مكانة دولية أعطتنا منه تميز مكانة كمواطنين في مفاهيم غيرنا..

في واشنطن.. ندوة الحوار حول شخصية الملك عبدالله (*)

الحقيقة أن الملك عبدالله بن عبدالعزيز قد تولى شؤون الدولة بكامل مسؤولياتها في السنوات الأخيرة بولايته للعهد بسبب الظروف الصحية للملك فهد - رحمه الله -، ولذا فقد كان العام الأول من عمر قيادته للدولة كخادم للحرمين وملك للمملكة العربية السعودية متميزاً جداً بما أعطته كفاءته الخاصة من انطلاق توجهات عديدة في البناء الاقتصادي والتقني والعلمي والثقافي وتطوير التأهيل الاجتماعي.. خصوصاً وأنه فيما يتعلق بمشاكل منطقة الشرق الأوسط كان قد طرح في فكر قيادات المجتمع الغربي وضوح استقلالية خاصة لا تجامل ولكنها تصرّ على رفض الخطأ..

وقتها.. بعد العام الأول نشطت رغبات عديدة في تقديم مؤلفات يُفترض أن تكون توثيقية ومتعددة وجهات النظر، فكان أن دعوت عدداً من الكتاب المختصين في أمريكا وأوروبا والعالم العربي والمملكة لتقديم وجهات النظر الخاصة فيما يرونه متميزاً أو جديداً أو استقلالية منهجية مؤثرة، فكان عدد من قَدّموا وجهات نظرهم في الكتاب الذي أصدرته جريدة «الرياض» بعنوان: «عبدالله بن عبدالعزيز ملكاً» اثنين وثلاثين كاتباً من أميز المتخصصين بكفاءة عالية في مختلف الأهمية عند الحديث عن شخصية رجل قيادي متميز..

بعض الزملاء قالوا: لماذا لم تكتب أنت خصوصاً وأن لك الكثير من كتابات المتابعة لأفكار ونشاطات ومنجزات الملك عبدالله؟.. قلت: مع الأسف أن كثيرين قد مارسوا الكتابة في مثل هذا الشأن فأساءوا لهذه المهمة عندما اعتبر المتابعون لما كتبه أولئك بأنه سجل مديح لا أكثر.. هذه هي الرؤية لكثير مما كُتب منذ عشرات الأعوام وحتى الآن..

إن الذين شاركوا في تأليف كتاب «الرياض» بينهم من عمل وزير خارجية لأمريكا، أو مستشار رئاسة، أو رئيساً لشؤون الأوضاع في الشرق الأوسط، أو متخصص اقتصاد ونمو، أو دارساً لمخاطر إرهاب، بهويات أمريكية وفرنسية وبريطانية مثل: جيمس بيكر أو ريتشارد ميرفي أو بول فندلي أو مايكل سابا أو آلان شوفاليرياس أو إيريك دينيس.. وكتاب عرب مميزون بحياديتهم ونزاهتهم ويتقدم الجميع الأمير تركي الفيصل..

(*) العدد ١٥٢٢٠ (١٠/٣/١٤٣١هـ، ٢٤/٢/٢٠١٠م).

وخذ نماذج لبعض عناوين مقالات الكتّاب الغربيين الذين شاركوا في ذلك الإصدار من كتاب «الرياض»:

١- ملك العامة. ٢- التواضع والاستقامة الشخصية سمتان بارزتان لحكم الملك عبدالله. ٣- المملكة تحقق إنجازات بارزة في العام الأول من عهد الملك عبدالله. ٤- لو كان زعماء العالم الآخرون كالملك عبدالله لكان العالم مكاناً أفضل بكثير. ٥- مبادرة نبيلة. ٦- قوة الدفع الجديدة في التصدي للإرهاب داخل المملكة..

وهناك عناوين مماثلة في جدية البحث وموضوعيته لكتّاب عرب بارزين ومثلهم من المملكة..

المفارقة الطريفة وباعتبار أنه يستحيل أن أورد جميع وجهات النظر لو انفردت بتأليف الكتاب، ففي الواقع سأكون وكأني أمارس عملية تعريف بنفسني غير مباشرة، وهو مع الأسف شأن من يحترفون المديح، بينما عندما تجتمع أقلام من الشرق والغرب والشرق الأوسط فتجمع على تقديم تأكيد يبرز انفردات شخصية الملك عبدالله بما هو بناءً وجديد ونادر في زعامات العصر فإن الممارسة ستكون خاصة بالملك عبدالله يدعمها مصداقيتها أنها من مواقع عمل وسكن وثقافة متعددة الاختلاف..

أيضاً يصح اعتبار كل ما سبق أنه مقدمة تأكيد لعالمية شخصية الملك عبدالله فيما سوف تشاهده اليوم واشنطن من حوار ندوة حول كتاب «الملك عبدالله ملك المملكة العربية السعودية.. قائد ذو تبعات»، لمؤلفه روب سبهاني وهو أمريكي من أصول إيرانية ويعتبر خبيراً عالمياً في شؤون النفط..

هل من السهل أن يحصل زعيم خارج النطاق الأمريكي والأوروبي على هذا التميز بحثاً وحواراً فيما يحدث اليوم في العاصمة الأمريكية حول شخصية الملك عبدالله.. فمن قام بتأليف الكتاب لم يمارس امتداداً تقليدياً وبلغة عربية وإنما دراسة بلغة إنجليزية وفي مدينة تقود سياسات واقتصاديات العالم.. ويشارك في الندوة أصحاب تخصصات غربية علياً في شتى المجالات، فيما سيمثله حوارهم كإضافات لمضامين الكتاب..

منجزاتنا وطموحات الملك عبدالله (*)

حزمة بسيطة من مشروعات محدودة الانتشار.. أخرى من وعود.. ثالثة عن احتمالات.. ثم تمتلئ وسائل الإعلام بالعبارات الساخنة الراقصة التي تبشّر بتعميم الازدهار وكفاءة تعدد المنجزات..

يحدث ذلك كثيراً في عالمنا العربي النائم في وهاد التخلف متوسداً ذبول أحلامه.. والمسلمون في دول أخرى إن لم ينشط الاقتتال سخونة الحياة الاجتماعية، فإن عزلة الخصومات تحافظ على تفتت الجهود..

الملك عبدالله الذي وفّر بتتابع مذهل لكل مواطن العديد من منجزات الأداء الوطني اقتصادياً كان أو تقنياً أو ثقافياً أو تطويرياً لأنظمة اجتماعية، حتى أصبح هناك خلط في الأذهان في التوفيق بين برامج جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن وبماذا تختلف عن جامعة الملك عبدالله وماذا تعني؟.. وماذا يعني التعدد لتسميات الاستثمار، وكيف توسعت سوق الأسهم المالية، وكيف فرضت ضرورة إعادة التقييم في بناء المدن، وماذا فيها يحتاج إلى تصحيح.. وكم هو المتوقع أن تنتجها جامعات جانبية في تبوك والمجعة وحائل وبريدة وأبها ومدن أخرى من أعداد طلبة مؤهلين لتجديد مجتمع حضاري مرموق؟..

الملك عبدالله الذي أتى بكثير من المنجزات المذهلة التي تفوق ما ذكرت، يقول بتواضع فريد أمام مجلس الشورى يوم أمس: إن منجزاتنا أقل مما تتطلبه طموحاتنا..

نحن لا ندرى ما هو منها الأكثر أهمية حتى نحدّد الكيفية التي بها نشكره.. لأن ما نجده مذهب لل غاية نوعية وتعدداً.. يأتي فيؤكد أنه بقي لديه الكثير حتى تقتنع بذلك طموحاتنا..

هنا الفارق الكبير بين مجموعات من المنجزات المذهلة يقول مَنْ عدّد مواقع ونوعيات نشرها بأنها ليست كل الطموحات، فيما نجد جميع المجتمعات العربية تحثفي بالقليل المحدود أهمية ونتائج على أنه فوق ما كانت تريده الطموحات.. قارنوا وافهموا بأنفسكم..

(*) العدد ١٥٢٣٢ ١٤٣١/٣/٢٢هـ، ٢٠١٠/٣/٨م

وليتنا نصل بأمان إلى سلامة استعمال الكلمة.. ليست التي تكتب فقط.. ولكن كل كلمة تصدر في صراعات الرأي وهي غير نزيهة المحتوى ولا تختلف كثيراً عن جرعة طعام مسممة..

إن نزاهة الكلمة، فوق أن ذلك يعني مؤشراً لسلامة النوايا باستعمالها، هو أيضاً يعني مدى نضج الوعي وشموله لكل فئات المجتمع، عندما يكون مضمون الكلمة مسؤولية عضوية اجتماعية عامة..



(*) الغياب العربي

مَنْ نتوقع أنه نجح في التأثير على الرأي العام الإسرائيلي، أو أثار اهتمام رئاسة هذا
الرأي العام؟..

أو مَنْ استطاع التوغل في الرأي العام الأمريكي لكي يقدم صورة نزيهة عن الإسلام ورفض
ربطه بالإرهاب؟..

أيّ الدول العربية فعل ذلك؟..

أيّ مؤتمر للقمة وضع إستراتيجية مثل هذا الهدف؟..

تركيا التي وُصفت في الماضي أنها قد أدارت ظهرها للإسلام وتكره الجوار العربي..

الهند التي عاشت شراسة خصومة مع الباكستان وُرُوج عنها أنها ضد الإسلام الذي يعيش
مواطنه داخلها أفضل مما هو في غيرها..

هما مَنْ فعل ذلك..

نقلت بعض الصحف العربية أخبارًا تقول إن السلطات الإسرائيلية قد حجبت البث
التلفزيوني من «إم. بي. سي» حتى لا يشاهد المعتقلون الفلسطينيون في موقعي احتلال
مسلسل «صرخة حجر».. وقال وزير الخارجية الإسرائيلي أفينغور لبيرمان إنه لا بد من
إيقاف هذه التحريضات، ويعني بذلك المسلسل التركي..

أما الفيلم الهندي «اسمي خان» فهو عرض إنساني لضرورات التعايش بين البشر، مقدمًا
صورة إنسانية مشرفة عن المسلم الذي يعاني من اضطهاد وتحقير المواطن الأمريكي، ويندر
الآن أن تخلو دار عرض سينمائي عربية من هذا الفيلم..

كيف استطاع عمل فني سواء «صرخة حجر» أو «اسمي خان» من توغل الأول داخل إسرائيل
التي لم تُزعج داخل مجتمعها بأيّ تأثير عربي بل هي موجودة العنف والبطش في مواقع
الاحتلال، ونجح الثاني كعمل سينمائي في محاولة تصحيح مفاهيم خاطئة كبرى وضخمها
الصهاينة بعد حادث ٢٠٠١ المؤلم؟..

(*) العدد ١٥٢٥٩ (١٩/٤/١٤٣١هـ، ٤/٤/٢٠١٠م).

كم قمة عربية انتهت مثلما ابتدأت؟..

وإذا كانت الأكثرية العربية في الماضي فخورة أنها تعيش خصومة مع أمريكا، وذلك سهّل للنفوذ اليهودي كسب خصومة السياسة الأمريكية ضد القضايا العربية، فماذا فعل عرب اليوم وأكثريتهم ليسوا في خصومة مع أمريكا؟..

منهجية العمل العربي في حاجة إلى تصحيح جذري يُخرج الإعلام ومختلف الفنون من محدودية النزاعات العربية أو نزاعات المكان الواحد إلى الغرب بصفة عامة والتداخل مع مجتمعات ذلك الغرب..

وحده الملك عبد الله بن عبدالعزيز الذي ألزم الأعناق الغربية أن تلتفت إلى حضور عربي مرموق في حوار الأديان، وتعدد مناسبات تداخل المصالح مع الغرب، وإقرار موضوعية تبادل المفاهيم، فحقق حضوراً عربياً وجد كامل الاحترام لدى مَنْ يهمهم الوصول إلى قناعة التفاهم معهم؟..

حبّذا لو خرجت الجامعة العربية من تقليديات مؤتمرات قمتها والتزمت ببرامج تأهيل عربي تقني، سبق أن كتبت عنه، ووجهت وسائل الإعلام ومؤثرات الفنون نحو مفاهيم الغرب..

البحرين أماً قبل أن يكون جاراً (*)

تصريحات صاحب السمو الملكي الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس مجلس الوزراء بمملكة البحرين - المنشورة في عدد «الرياض» اليوم - ترحيباً بالزيارة الكريمة التي سيقوم بها غداً خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز إلى البحرين.. البلد الصديق والجار وشقيق مسؤوليات التعاون والتفاهم والبناء المشترك بين بلدين توفر بينهما التفاهم وتبادل الثقة عبر ما قبل جيل الآباء.. إنما هي دعم للتواصل وفتح لأبواب مزيد من التعاون.. يقول سمو رئيس الوزراء في البحرين: «إن هذه الزيارة التاريخية رسمت معنى صلباً وجديداً في علاقات البلدين الشقيقين تكريساً للنهج الذي أرسى قواعده الآباء والأجداد».. مؤكداً أن هذه الزيارة تشكل فصلاً جديداً في استكمال الصرح المتكامل من العلاقات المميزة بين البلدين..

نعم العلاقات المميزة بين البلدين.. وليت أن هذه العلاقات تكون نموذجاً معممًا في نوعيات علاقات الدول العربية عمومًا والخليجية خصوصًا فيما بينها، فالأخوة البحرينية لا تأتي فقط عبر تصريحات المناسبات المألوفة في العالم العربي، ولكن يقولها في البحرين مسؤول عاصر كثيرًا من فرص الارتقاء والتطوير لكل منطلقات التقارب بين شعبي الدولتين.. منطلقات لم تحاصر داخل مناسبات سياسية تملئ فيها نوعية الظرف السياسي الطارئ أو التقليدي ما يُردد من عبارات مألوفة..

حقيقة الأخوة السعودية البحرينية نمط فيه كثير من مثاليات تقارب الأسرة الواحدة.. ولعل فتح فرص التحرك اجتماعياً بين مدن الدولتين عبر إجراءات بسيطة لا تختلف عما يحدث بين مدينتي الدولة الواحدة هو خير شاهد اجتماعي، وفي الوقت نفسه لم يحدث أن كانت أي من الدولتين في حالة تأزم مع الأخرى في أي مناسبة سياسية أو ظرف يتطلب الظهور بموقف مشترك، وذلك أمر مألوف في مسيرة التعامل العربية..

(*) العدد ١٥٢٧٢ (٣/٥/١٤٣١هـ، ٤/١٧/٢٠١٠م).

المملكة والبحرين أخوة حقيقية واضحة ومتعددة مجالات التواصل وتوثيق قدرات الدعم المشترك.. ولعل هذه النموذجية في العلاقات تكون قدوة إنهاء لما تعيشه بعض العواصم العربية مع غيرها من تأزم..

سمورئيس الوزراء البحريني تحدث عن واقعية قائمة يحترمها الجميع، المواطنون البحرينيون ومثلهم السعوديون يحتفون بزيارة الملك عبدالله للبحرين.. الرجل النموذج الأول في الوفاء والصدق والمساندة داخل عالمنا العربي والذي استطاع فعلاً أن يفرض وجوداً محترماً للرأي العربي عبر شجاعة مواقفه ووضوح أهدافه النبيلة..

التحية بصدق للبحرين الوفي أخاً قبل أن يكون جاراً، وجزيل الشكر لصاحب السمو الملكي رئيس الوزراء الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة على مصداقية رؤيته وتقديره عبر ما خص به «الرياض» من آراء نبيلة..



(*) عيد البحرين..

الحفاوة المتعددة المصادر والمستويات التي تعمّم في أجواء البحرين احتفاءً بزيارة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز للبحرين الشقيق هي تنوع مشاعر محبة ووفاء، وهي في الوقت نفسه متعددات تعبير لما تستحقه شخصية الرجل العربي الأول من تقدير يستحقه قائد عربي طرح في مسارات الأحداث ومختلف المناسبات ونوعيات السلوك نموذجية راقية افتقدها العرب في كثير من ضرورات حل مشاكلهم، وضرورة وصول مجتمعاتهم إلى مكانات الأمن الاجتماعي والأمن الاقتصادي والوصول إلى العضوية الدولية بما يستحقه التاريخ العربي لا الحاضر القائم من مساواة منصفة..

الملك عبدالله بدأ بمجتمعه فكان القيادي الفريد في بُعد نظره عندما واصل إزالة كل عقبات التوقف بفتح مسارات التطور متيحاً للتفوق العلمي عبر كثير من المنطلقات الإيجابية لأن يكون واقع النمو القائم بتعاضيد من تنوع اقتصادي عمل على دفع قدراته نحو الأمام الاجتماعي ثم الأمام الدولي..

وتلتقي البحرين والمملكة.. يلتقي خادم الحرمين بجلالة ملك البحرين في أجواء من الود والتعاون بين الدولتين ليست بالجديدة، بل هما نموذجية إخاء ووفاء نتمنى أن تكون نهجاً خليجياً مشتركاً وأن تكون أيضاً سلوكية عربية تصحح واقع العلاقات..

إن استيطان العواطف الصادقة في كل من المنامة والرياض تجاه بعضهما هو مسلكية تاريخية قديمة ربما تكون الأقدم عربياً بين أي جوار عربي آخر، يدعم ذلك حالات التداخل بين المجتمع في مسارات تعاون كثيرة وفي واقع مصالح اجتماعية واقتصادية مشتركة..

التعاون بين الأُسرتين الحاكمتين هو مسلك تاريخي قديم تعرفه أحداث الماضي وتنتمي إليه علاقات الود القائمة في واقع من الوضوح ومصداقية التعامل..

إن عمومية الفرح والابتهاج باستقبال ضيف بالغ الأهمية في مكانته العربية والدولية هي التقارب الأوثق في مشاعر أبوة مشتركة يحترمها الجميع وتبتهج البحرين بإبراز صادق مشاعرها.. إنها الزيارة العيد..

يرتسم فرحها على كل الشفاه والعواطف..

(*) لو تحدث السيف الأجرب

لم يكن ثمة شيء مفتعل..
الفرح كان تعبيرَ طفولة وتعبيرَ أبوة..
البحرين كلها بدءًا من جلالة ملكها ومرورًا بكل فئات مجتمعتها عطّرت كل ميدان وشارع
وحديقة بتوهج المشاعر.. عبر حفاوة لم تُفتعل فيها ابتسامة واحدة..
الكثيرون عصر يوم الأحد الماضي كانوا يتميلون ابتهاجًا مع إيقاعات العرضة.. تتقارب
الصفوف وتتباعد وتلتقي الابتسامات وكأنها نجوم سماء واحدة..
البعض يعطي معلوماته للآخر.. ما هو الأجرب؟.. لماذا الأجرب؟.. إنه ليس السيف الوحيد
الذي حمله قائد شجاع.. فما هي خصوصيته؟.. كان هو موضوع الهمس..
يشطح بي الخيال فأتصور أن الأكتاف التي كانت تتمايل ترحيبًا وحبًا بالرجل الكبير في
أفكاره واستحداثاته ومندفعات تطوراته.. عبدالله بن عبدالعزيز.. هل لم تكن وحدها مَنْ
يفعل ذلك؟.. السيوف هي الأخرى كانت تتمايل.. تحتفي بتواجد السيف الأجرب..
الكثيرون يعرفون أن الإمام تركي بن عبدالله آل سعود هو مؤسس الدولة الثانية، لكن هناك
مَنْ يجهل كيف عاش تركي، كيف أوجد دولته؟..
ربما لو كان بمقدور السيف الأجرب أن يتحدث لكان هو الأوثق في صحة سرد تاريخ فريد
لرجل الدولة الثانية..

هذا الرجل الفريد في نضاله لم يقعه اليأس وهو يجد أن الدولة العثمانية تستعيد سيطرتها
على الجزيرة العربية وجيش ابن محمد علي المليء بجنسيات مختلفة يطلق تعبير الوهابية
على نقاء عقائدي طرد مستحدثات تقديس القبور ومستحدثات لاهوتية في العبادة منها
قداسة الشجر.. الرجل الذي وجد نفسه وحيدًا بعد أن سيطر العثمانيون على كل شيء..
تنقل والأجرب هو المرافق الوحيد بين مختلف القرى ومختلف القبائل وحيدًا يجمع أنصاره

(*) العدد ١٥٢٧٥ (٦/٥/٤٣١هـ، ٢٠/٤/٢٠١٠م).

لضرورة استعادة الدولة السعودية.. بالطبع تعرض لمخاطر كثيرة، وذاق قسوة الجوع حين يتأخى مع الخوف.. لكنه الشجاع الذي لم يهتم بذاته قدر اهتمامه بعودة دولته.. عودة عروبة مجتمعه، ليرى الناس من جديد تلك البساطة المتناهية بما اندمجت به حياة الحاكم والمجتمع، حيث لا خصوصية مظهر ولا انفرادية سيطرة..

عادت الدولة السعودية الثانية بعد أشجع صبر ومغامرة وإنهاك ومحاصرة مخاطر.. وحده الأجر يستطیع أن يقول أكثر من ذلك.. وحبذا لو كانت مثل هذه الفروسية الفريدة والمشيرة معروفة عند الناس عامة والطلبة بصفة خاصة..



(*) الصحافة مرة ثالثة

مرة أخرى.. بل ثالثة.. في مواصلة الحديث عن الصحافة.. هذا الميدان المتعدد القدرات والهويات والإيجابيات، وفي الوقت نفسه السلبيات.. هو مرتبط بنوعية المجتمع.. ليست لدينا أوساط مثالية الوعي بحيث نطالب الصحافة أن تكون في مستواها، بل إننا كثيراً ما نطالب بعض هذه الأوساط أن تتجاوب مع إيجابية متعاون يفترض أن تتواجد لصالح عمومية المجتمع.. هذا لا يحدث لأن هناك أطرافاً حادة بل جارحة في حواف بعض الفئات الاجتماعية..

في الماضي كان يُقال عن يسار الرأي أو ما يُعرف حالياً بالليبرالية إنه متطرف وعاق لوطنيته.. هذا غير صحيح.. ربما كانت بعض الوسائل خاطئة أو بعض الظروف الدولية غير مناسبة.. لكن ما هو موضوعي آنذاك هو ضرورة تخليص المجتمع من ارتهان قبلتيته أو انغلاق تشدده.. نحن الآن اجتماعياً وإعلامياً في مسارات أخرى..

المجتمع أفضل.. الصحافة أيضاً أفضل.. لكن لا بد من الوصول إلى كيفية أرقى لدى الطرفين، إذا كنا حريصين على توفر تطوير اجتماعي ينقذنا من عضوية المشاكل الشرق أوسطية.. لا بد من تقارب وتوجهات ترويض اجتماعية تحضّرنا وعياً وكفاءة اجتماعية نكون في مستوى تفوق إمكانياتنا..

إذا فالصحافة لا يطلب منها مهمة إصدار فقط أو ممارسة نشر سلبية أو تقليدية، مع أن البعض منها عاجز عن فعل أي شيء..

الدكتور عبد الله الرفاعي لم يتناول هذا الوضع بموضوعية مقبولة، خصوصاً أنه أستاذ جامعي، بل قذف بعبارات سخط غير مبررة خاصة أن الصحافة لا تملك سلطة فرض ذاتها..

الدكتور عبدالعزيز الخضيرى كتب يوم أمس في جريدة «الاقتصادية» مقالاً تميّز بسخونة

العرض لعلاقة الصحافة بحالات الفساد التي أهدرت مصالح المواطنين وأفادت بطرق غير مشروعة أفراداً سوف يخلفون ما يجعل أبناء أبنائهم في طبقة الملياردير..

أعرف أنه نشرت تقارير كثيرة في صحف معينة تتحدث عن تجاوزات استيلاء غير مشروعة لمساحات أرضية أو تزييف صكوك أو ضلوع مرجعيات تملك قضائية في تمرير تجاوزات غير نظامية.. وأذكر قبل سنتين أن وردنا إعلان يثبت مساحات أرضية يعبرها طريق الملك فهد وطريق العليا.. تصور هذا الامتداد.. ومن مدينة الأمير سلطان ثم جنوباً يتواصل قريباً من المواقع السكنية، وهو مزود بصك موقع من مسؤول قضائي.. استغربت جداً من حجم المساحة.. سألت أحد الزملاء.. قال ما يعرفه أن المسؤول القضائي مدان سابق.. اتصلت بمسؤول في إمارة الرياض قال لي: هذا الموقع محظور البيع فيه، لأن هناك مئات من المواطنين دفعوا مساهمات في ملكيته..

التجاوزات كبيرة ومفجعة، فالفساد الذي أشار إليه الدكتور عبدالعزيز الخضير هو مرض اجتماعي خطير أجزم أن الدولة ترفضه وتبذل جهوداً مشهودة لردعه.. لكن يجب أن يتوفر وعي إعلامي بالدرجة الأولى ويرافقه موضوعية مواجهة من كل الأطراف.. فمما يثير السخرية أن بعض المحامين يوالون قراءة الصحف يومياً للبحث عن أي نقد لشخص أو شركة أو مؤسسة ثم يعرضون عليه تقاسم المكسب إذا أدينت الصحيفة أو الصحفي..

على أي حال، كيفما توقعنا وجود مواقع الفساد أو اختلفنا ما إذا كانت الصحافة إيجابية أو سلبية في هذا المجال، فإن ما هو مهم ومطمئن وأعطانا عبر سنوات ليست بالقليلة وثائق وشواهد ذلك الحضور الإيجابي والصريح الواضح في قرار خادم الحرمين الشريفين يوم أمس.. قرار مواجهة الخلل أو الفساد أو التساهل في مجتمع يعطيه الملك عبدالله بين كل وقت وآخر دفعات، على شكل مشروع أو قرار، تطور المجتمع وتوفر حمايته في آن واحد، فهي ليست مهمة بناء فقط، ولكنها مهمة تصحيح يواصل بها دوره الانفرادي بين قيادات دول العالم الثالث في تحمّل ما يتجه إليه هو شخصياً من مسؤوليات.. وهذا هو الأداء النادر..

الفساد في عصر محاصرته (*)

لا تأتي المهمات إلى الملك عبد الله ليختار منها ما هو الأسهل والمضيء إعلامياً.. ولكنه هو شخصياً يذهب إلى المهمات الصعبة.. المتشعبة.. لا ليروّضها فقط ولكن ليفرض إيجابية المسار من ناحية.. أي أن يكون متعدد الفوائد، ويفرض نزاهة المسار أيضاً.. أي أن يكون في الاتجاهات المباشرة نحو أهدافه..

لا أعتقد أن هناك مَنْ يختلف مع حقيقة تقول عبر الشواهد القوية المتعددة بأن الملك عبد الله رجل يبشر بعزم الثقة والأمانة مهمات بناء وإصلاح في وقت واحد.. يأتي ذلك في زمن لا يتوقّر فيه عربياً أي مهمات لبناء أو إصلاح.. حتى الحضور البترولي العربي لم يحقق مكاسب وأهميات بترولنا.. الذي أخذنا مؤخراً نتذوّق حروف اسمه وكأننا متفاجئون بجزالة أهميته.. لأنه أعطانا أهميات عامة استهدفت تطوير مجتمعا..

أجزم - ومعني الجميع - أن الملك عبد الله ليس في حاجة إلى عبارة ثناء واحدة، لأن مَنْ يبحثون عن الثناء هم غالباً مَنْ يفتقدون إيجابيات الجهود والنتائج.. الملك عبد الله نحن جميعاً نتجه إليه بالثناء، بالتقدير، بإدراك جزالة أبوته، بوعي كفاءة قيادته، ببراهين النتائج التي نشر بها أهميات حاضرنّا الحضاري والتقني والتعليمي.. أهميات صناعتنا، ونوعيات ثقافة طلبتنا، والبرهنة عملياً على كفاءة سيدات مجالات أعمالنا.. عندما تخرج الصحف يوم أمس بعناوين تقول عنه:

«الملك يؤسس لورشة إصلاح كبرى».. و«تكليف الداخلية بإدراج جرائم الفساد المالي والإداري ضمن الجرائم التي لا يشملها العفو».. ذلك يعني أننا لن نتبادل بيننا لفظاً تتعثر فيه تساؤلات عن.. كيف أتت بداية ثروة.. كيف ضاعت مصاريف مسؤولية.. لماذا يجد الفساد مناعة غريبة في بقاءه متسرّباً داخل عتمة المعلومات ولا أحد يشير إليه بإصبع واحدة..

إن تحوّل تجاوزات الفساد المالي والإداري إلى قائمة الجرائم التي لا يشملها العفو، وأن الرقابة والتحقيق والادعاء العام مصير مواجهة الاتهامات.. هما ما يعني أن مهمة انتشار النزاهة مسؤولية كبرى لا تقف عند حدود المحافظة المالية، ولكنها تعمّم مسؤولية «أمانة» الأداء على الجميع حيث لا حصانة لخصوصية إهدار..

(* المسألة عمومية فحج

الزميل عبدالرحمن بن عبدالعزيز آل الشيخ في زاويته الأسبوعية «شيء للوطن» كتب يوم أمس في «الرياض» ما يلي:

«لماذا شعور الفساد والمحسوبية والرشوة.. شعوراً وشعاراً.. يتكرر طرحه ويتكرر تداوله ويفرض حضوره على ألسنة الناس وتتكرر كتابته بصيغ مباشرة وغير مباشرة في معظم وسائل الإعلام عند وقوع مثل هذه الأحداث؟، لماذا لا تبرز في مثل هذه الأحداث والظروف مبررات ومسيبات وعوامل أخرى لأوجه ذلك القصور أو ذلك الحدث أو تلك الأخطاء التي أفرزت تلك المشكلات والخسائر البشرية أو المادية؟»..

أجزم أن الزميل العزيز ليس في عزلة عن طبيعة أوضاع مجتمعه، وعما يعنيه أو يمثله «الفساد» من توغل ونهب حاد، كما لو كان ممارسة مشروعة، أو كما لو كان يجوز اتهام من لا يفعل ذلك بالقصور وهبوط محفزات الطموح..

ربما أراد الزميل أن يتجه الاهتمام إلى محاصرة خلل قائم وتحقيق عدالة الإنصاف لمن تعرّض للمخاطر، وفي الوقت نفسه معاقبة المتسبب.. مستفيداً كان أو مهملاً..

هذا توجه لائق ولا اعتراض عليه، لكن علينا جميعاً كحريصين على تعميم سلامة قدرات المجتمع أن نفهم لماذا توفرت هذه الجماعية التي تدافعت في زمن وجيز وتخطت حادثة جده، لكن دون إهمالها، وإنما المطالبة بعدم إهمال مواقع الانتشار الأخرى..

إن صراحة وجرأة وحزم قرارات الملك عبدالله الراعي الأمين والصادق لكل مسارات تصحيح أوضاع المجتمع هي لإخراجه سليماً قادراً من منعطفات الإضرار به في تنوع تدخلات الفساد.. نعرف أنه ليس الآن.. أي ليس هذا العام.. اتخذت الدولة مواقف صارمة من إهدارات قضائية.. من مواقف كُتِّبَ عدل.. من محاولات امتصاص مساهمات بسيطة لكنها عديدة في عروض كانت وبشكل مذهل تتغير ملكياتها.. نعرف أن المنح ومنذ سنوات أُخضعت لنوعية قرار مسؤول يتسم بالنزاهة والحزم..

يُخطئ مَنْ يعتقد أن الناس ما كانوا يتحدثون عن الفساد، أو أنهم لا يعرفون شيئاً عنه..
أبدًا.. لكنهم كانوا يهمسون.. وخفوت الصوت.. كاد أن يرسب في عقولهم وهم القبول
بالفساد.. إن ما رفع الصوت، وكاثر من الشكوى، هو قرار الدولة نفسها بما يجب أن يُبدل
في تجاوزات فساد جدة من حزم وعدم قابلية للعفو..



لندفع أكثر مع غايته النبيلة (*)

الأخبار العلمية المهمة التي تداولتها وكالات الأنباء والقنوات الفضائية.. وبالذات قناة (إل بي سي) بشكل أوسع.. حول نجاح التجارب العلمية التي بدأت قبل خمسة عشر عاماً في الاستفادة من سلبيات، كالبكتيريا، وتحويلها إلى مصادر تجديد لوسائل الطاقة وقدراتها.. أي أن الحضور العلمي القادم، بغض النظر عن نوعية جزئياته، سوف ينقل قدرات العالم التقنية تحت هيمنة مَنْ تفوّق بهذه القدرات ووصل إلى إبهار معجزاتها..

أين سيكون العالم الثالث؟!..

بل أين ستكون أهمية مصادر القدرات الاقتصادية، كالبترول مثلاً، في ذلك الواقع الجديد؟..

أقف عند الملك عبدالله بن عبدالعزيز.. هذا الرجل المبهر الذي تصرف منذ بدايات مسؤولياته وهو على مستوى - لا أقول بأنه نادر - بل غير متواجد في عالمنا الثالث.. فهو بمشروعاته وأفكاره وتنوّع وسائل التعليم وفتح أبواب الانغلاقات الاجتماعية وريادة حوار الأديان والحوار الحضاري.. هو مَنْ فتح باب انغلاق آخر اسمه التخلف الاجتماعي، كي نجد ابن البادية وهو متخصص بحوث، ونجد السيدة المتفوقة أكاديمياً مرجعية تخصص بحثي نادر..

بدّل الأموال ليس معجزة بمفرده.. لكن بدّل الأفكار البناء والريادات العلمية وتنوّع الاختصاصات التقنية ينتج آفاقاً لمجتمع يتّجه فعلاً نحو زمالات الكفاءة البشرية المتواجدة حصراً في دول أوروبا وأمريكا واليابان..

إن فتح هذه الآفاق يعني توجيه المجتمع، ليس فقط بتوفير احتياجاته المعيشية أو الأسرية أو الوظيفية، ولكن إطلاق قدرات وطنية نحو تلك الزمالة التي مَنْ تخلف عنها سيكون في عداد الإهمال.. يجب أن نكون قدرات إعلامية واقتصادية وعلمية وتوعوية ترفع بفئات مجتمعنا بجديّة نحو تلك الغايات المشيرة الأهداف والنتائج..

نحّي ملكنا.. ولكن يجب أن نكون - وعياً وممارسة - في مستويات كفاءة غايته..

(*) العدد ١٥٣٠٧ (١٤٣١/٦/٨هـ، ٢٢/٥/٢٠١٠م).

(*) شيء من رؤية العقل

المهمة التاريخية المثالية التي دفع بها الملك عبد الله بن عبدالعزيز قدرات مجتمعه نحو تنوع التخصصات العلمية والتقنية وتوسع مجالات الاقتصاد وإلحاق حضور الصناعة بواجهات التطوير المحلي الأخرى.. لاشك أنها مهمة تاريخية لمن يكتب بعدها تاريخ مجتمعا، وهو مجرد امتداد عادات وتقاليد وعقائد.. العقائد الصافية من تدخلات ذوي المصالح منذ ما بعد الثلاثين سنة الأولى لميلاد الإسلام باقية في وضوحها لمن ملك عقل الإسلام المهتم الأول بحريات الإنسان المشروعة وتقويم قدرات حياته، أما العادات والتقاليد فهي مجرد لباس تروجه مظاهر حياة قائمة..

أجزم أن قدرات التخلف المحدودة العدد ستكون عاجزة عن إيقاف أي تقدم نحو الأمام.. لكن أتمنى أن نكون جميعاً في واجهة ذلك التقدم..

من يراقب ضخامة أعداد الابتعاث وتنوع مصادر الاقتصاد وأكثر من برمجة علمية لتحديث حياة وقدرات المجتمع في آن واحد يدرك جيداً أن ما يحدث من تقدم ليس مجرد مشروع إصلاح محدود أو رغبات فئات اجتماعية محدودة، ولكنه خطة دولة ضخمة الإمكانيات ومتعددة الأهداف وسلوكة في مسارات إنجاز مضمونة بالتعاقد والتعاون مع مجتمعات علمية مشهورة بكفاءة الأداء..

حبذا لو أن هذه الأقلية التي لا تريد لأحد أن يناقش أفكارها ولا أن يجري معها تطابقاً بين مفاهيم وأخرى وواقع حياة وآخر.. أن يملك هذا الذي يوجه تهماً بالتغريب لمن لا يتوقف عند مهمات تطوير معدات بيته أو وسائل مكتبه، ولكنه أيضاً يطوّر أفكاره ومفاهيمه بما هو منسجم مع الأصول الشرعية لمجتمعه..

مشكلة هؤلاء أنهم يحاربون الأفكار والمظاهر العلمية والاجتماعية التي تقود نحو التطور ولا تتنكر للأساس المحلي، ولكنهم في الوقت ذاته لا يملكون رداً مقنعاً إذا ما سئلوا: من ابتكر لك جهاز الهاتف؟ من أين تأتي بالدواء.. من الباكستان أم من سويسرا؟ ماذا تعني

الطاقة الشمسية، ومَنْ ستعاون معه لإنتاج كفاءتها العلمية؟ كيف استغנית عن أكوام الحطب والفحم؟ مَنْ أوجد لك شمساً علمية تضيء ليلك؟ أين يذهب مريض السرطان إلى أندونيسيا والسودان أم إلى أمريكا وألمانيا؟ كم يوماً كنت تحتاجه لقطع المسافة ما بين الرياض والدمام أو الرياض وجدة؟ وإلى أي حد اختصر القطار والطائرة تلك المسافات؟! سؤال أخير: لماذا تعدُّ على نظام القاعدة أن توجد له خلايا قتل وإرهاب في أوروبا؟.. وكيف لم يشطّر المجتمع الأوروبي ذاته بصراعات نزاع وتوفّر ذلك عربياً وإسلامياً؟!



(*) حقائق التميز التاريخي للملك عبدالله

هوية الملك عبدالله بن عبدالعزيز التاريخية ليس فيما رافق من تطور تقليدي وإنما فيما تعدد وأنجز بفكره من متغيرات تطورات جذرية وليست بسهولة الانطلاق، خصوصاً في عالمنا الثالث بصفة عامة، عندما يتجاوز الأكاديمي العلمي مع الآخر الأمي، وعندما تتضاد لغة لفهم مستوى الوعي بين تعدد فئات مختلفة ليست الثقافات وإنما مؤثرات التقاليد، وما يمكن أن يسمى بالمعتقدات التقليدية التي تقع تحت تأثير الثقافة الشعبية أكثر مما هي مستتيرة بالبحث العلمي المتنوع..

ثم يستطيع رجل موهوب.. بل متمكن الموهبة النادرة، من أن يقود الكل المتناقض إلى مسار التقارب المتفاهم.. من تخلف قدرات العلم والتقنية ومستويات التعليم وندرة أكاديميات التخصص التقني إلى ما يشبه الغزو العلمي لأكاديميات الدول المتقدمة علمياً للعودة بعد بضع سنوات برصيد من معرفة علومها وقدراتها.. إلى فتح الحوار في الداخل كي تتعدد من الذهنيات فرص التفاهم والتقارب ووفاء الهوية الوطنية لخدمة مجتمع واحد.. لا قبيلة، أو مذهبية، أو خصوصية فردية..

في الريادة الناجحة قيادياً نحو تعدد تلك الأهداف المميزة في نوعيات غاياتها فإنه (أي الملك عبدالله).. ولا أبالغ في ذلك.. فتوثيق النتائج من خلال مسارات الواقع القائم هي الإثبات الأكبر والأقوى.. نعم إنه الرجل الذي لا يختلف اثنان على كفاءة موهبته القيادية ثم جزالة تنوع رياداته البناءة.. ليس في العالم الثالث.. الذي تختلف فيه عشرات التضادات وبعضها يقاوم برودة ركود قدرة الحاكم أو حالات اللامبالاة في تصرفاته.. بل في العالم الأول.. عندما أقول إن هناك أكثر من اثنين يختلفان مع مواقف ما لساركوزي في فرنسا أو برلسكوني في إيطاليا أو ديفيد كامبرون في بريطانيا أو أوباما في أمريكا فإن تعدد النجاحات الاجتماعية التاريخية القديمة لا يعطي هؤلاء في دول التقدم العلمي الاعتراف بفضيلة ابتكار تلك النجاحات، والاختلاف معهم يأتي على نوعيات أساليب إدارتها..

الملك عبدالله بن عبدالعزيز هو الذي أطلق هذه النجاحات العلمية والاقتصادية والتعليمية والاجتماعية ليأخذ، ليس دولته فقط، ولكن بخصوصية مميزة بين دول العالم الثالث، هو أخذ مجتمعه في الاتجاه نحو زمالة العالم الحضاري المتقدم.. هذا تعبير سبق أن ذكرته في أكثر من مقال سابق، لكنه حقيقة تميز تاريخية وأنية مبهرة لا بد أن نتأملها ونحن نقدم له أحر التهاني بمناسبة عيد المبايعة الخامس..



مع الملك عبدالله أخذ المواطن دولية مكانته (*)

في عالمنا العربي، وشرقنا الأوسطي بالذات، منذ امتدادات النفوذ الغربي في المنطقة ثم ما أدت إليه مضاعفات الحروب العالمية من حالات انحسار هيأت العالم العربي لتحقيق استقلاليات تعزلها عن النفوذ الأجنبي، ويفترض أن تتحرك جهود وطنية لبناء الحضور العربي من معطيات القوة العلمية والاقتصادية بزمالات مستقلة.. ما حدث في هذا الوجود الجغرافي، الذي أهّل أوضاعه الداخلية للاضطرابات، كان الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في بداية القرن العشرين القائد الوحيد.. الوحيد في تميزه والوحيد في ضالة قدرات مجتمعه الاقتصادية والعلمية والعسكرية.. هو الذي استطاع أن يبني حضوراً استقلالياً تناولت قدراته حتى وصل إلى تميّزه المعاصر، لكن في شرقنا الأوسطي وبهتافات ورايات القضية الفلسطينية نجد أنه ومنذ بداية هذه القضية كان يلهي الشارع العربي بادعاءات القدرة على هزيمة أمريكا وقذف إسرائيل في البحر.. وكل الذي حدث هو أن البحر قد التهم حيوية الوجود العربي، وأصبحت الشعارات زاداً محلياً يغطي تسلط الفقر وهروب الرأسماليات المحلية، ولذا كان الحضور العربي في المناسبات الدولية مجرد بريق خطب في الداخل ومهمة إنصات فقط لما يقال في تلك المناسبات.. إن المقارنة بين بداية القرن العشرين وبين بداية القرن الواحد والعشرين تعطينا حجم مسافات جزالة التكوين ثم جزالة الانطلاق العلمي والاقتصادي والتقني.. وهو انفراد مميّز لمجتمعنا..

لنقارن بين وضع الأهمية السعودية المعاصرة وبين واقع العلاقات العربية الدولية.. في المملكة لم توجد مشروعات وأحلام كلام ولكن كانت تتوالى مهمات بناء اقتصادي وعلمي دفع به الملك عبدالله إلى واجهة الزمالات الدولية.. ليس بفروسيات خصام لفظي أو مآسي انشقاق داخلي وإنما بكفاءة قدرات اقتصادية لم تتوقف عند البترول ولكنها أدخلت مصادر تعاون أخرى مغرية لترحيب التعاون الغربي..

عندما أبهرني ذلك التوالي من كلمات تناولت تعداد منطلقات التعاون بين ألمانيا والمملكة قالها أكثر من تسعة مختصين في سيادة تفوقات علمية واقتصادية، وكان في النرويج تقدير معلن من قبلهم قبل أن نقوله نحن بتطور التعاون العلمي والاقتصادي المشترك، وفي كندا نلمس مكانة الزمالة التي أخذ بها الملك عبدالله بن عبدالعزيز مواطنه ليس بتضاعف أعداد الابتعاث العلمي وتعداد منشآته المحلية فقط، ولكن بتعداد المواقف الصلبة من قبله فيما يخص المنطقة وبجزالة كفاءة الأهمية العربية التي انفرد بتمثيلها.. وفي الوقت نفسه جزالة التقدم الحضاري الذي انطلقت به كفاءات المواطن السعودي المؤهلة اقتصادياً وعلمياً.. وتوضح ذلك عبارات رئيس الوزراء الكندي ستيفن هاربر في محادثته مع القائد الأب لكل مواطنيه بوصف المحادثة أنها تشاور حول أجندة قمة العشرين والأهداف التي تتشدها المجموعة.. ثم يضيف السفير الأمريكي لدى المملكة بقوله: إن زيارة الملك عبدالله لواشنطن مهمة جداً ستساعد في مواجهة التحديات..

نفخر بذلك، بل نحس جيداً بكفاءة حضورنا في عقل الغرب ونحن نعرف أن العالم العربي بين مقاطع لهذا العقل لانشغاله بمتابعه وبين باحث لمساندات عجزه.. أما الملك عبدالله فهو يأخذ يدنا إلى واجهة الزمالات الراقية..

معلومات لا تعرفها.. أنت الحاضر المرموق (*)

ربي زدني علماً ..

بجد مطلب حقيقي أرجو أن يتوفر لكل مواطن عن حقائق دولته وموقعها بين دول العالم.. من كل مدينة مرموقة إلى أخرى أنتقل إليها أبدو وكأن رصيد معلوماتي عن تلك المدن هو الأكثر عن معلوماتي في خصوصيات بلادي الدولية، وبالذات في تورينتو عرفت ما لم أكن أدركه عن أهميتنا الاقتصادية، فما نتصوره عن هذه الأهمية أنها تنحصر في ضخ البترول فقط، لكن ما هو التميز الاقتصادي الذي وضع مجتمعنا باقتصادياته في موقع أهمية دولية داخل مجموعة العشرين ما لم يكن واضحاً من قبل..

نتحدث عن الوعي فنراه وسيلة إحباط التناقضات بين فئات مجتمعنا.. بين فئات ينحصر حوارها ومشاحناتها في مَنْ هو شيخ شمل قبيلة كذا فلان أم الآخر، فعلى سبيل المثال يأتي مَنْ يعترض على وجود شيخ لمسمى قبيلته في قطر، وكأن قطر منطقة سعودية، أو أن يمثل كتاب عن قبيلة ما بداية حوار شرس عمّن هو الجد الحقيقي للقبيلة قبل ألف عام..

من جانب آخر، يأتي أيضاً الإلحاح بضرورات وجود الوعي بالتدخلات غير المنطقية من ذوي الانغلاق الديني في قبول الاختلاط المشروع أو تحريمه، وتأكيد ضرورة هدم الحرم المكي لتوفير عزلة نساء عند أداء الحج، وكأن عمر التاريخ الإسلامي مرّ بمسلك خاطئ.. كلا الظاهرتين تُبرزان قسوة التخلف الذي صرف العقول عن الاعتزاز بواقع المكانة الدولية للحضور السعودي في أجواء الاقتصاد والتقنية..

حتى نحن في حوارات الإعلام نتصوّر أن الإشادة بواقع نموّنا الحضاري تتوقف عند حجم أعداد الطلبة المبتعثين أو عدد انتشار الجامعات أو نوعيّة الجديد من جامعات التقنية والتخصص الطبي.. وأين 9.. في جامعة الإمام.. التي كانت في ماضيها مغيباً قائماً لحداثة التعليم بما في ذلك الثقافة الدينية الواعية.. هي الآن في طليعة ريادة تجديد الوعي..

(*) العدد ١٥٣٤٤ (١٦/٧/١٤٣١هـ، ٢٨/٦/٢٠١٠م).

الحقائق التي برزت في تورينته هي أن لدينا واقع حضور دولي يتفرد بخصوصيات تفوق تضع بلادنا في مواقع مقارنة للدول الكبرى.. بل إن الدول الكبرى تعاني من مشاكل اقتصادية قاسية لا تعاني منها، حيث مرّت تلك الدول - أعني دول الواجهة الاقتصادية عالمياً ما بين أمريكا وأوروبا - بأزمات شرسة وخطيرة على حياة المجتمعات وهو ما لم يحدث لنا ..

تحدث معالي الدكتور محمد الجاسر عن الأزمة الأولى التي هبطت بقدرات الاقتصاد الأهلي الذي أفقد كثيرين قدراتهم في تلك الدول، ثم عمّا يعرف بأزمات الاقتصاد السيادية المتعلقة بمشاكل الحكومات لا البنوك، وكيف أن المملكة لم تتعرض لأي من عواصف مرحلتي التدني الاقتصادية عندهم، بل إن المملكة لعبت أدواراً رائدة في حماية مستويات توفير الطاقة، لأنها تعاملت بحكمة قالوا عنها تشدداً، ثم عُرفت أخيراً بأنها حصافة استحققت التقدير.. فهي المهيمن الأول على حماية تدفق هذا المرفق المهم، وهي في الوقت ذاته لم تفرط في مصالحها بما بذلته من مساهمات تعديل لبعض حالات الهبوط عند الآخرين مما جعلها في عضوية مؤتمر العشرين تحتل موقع عضوية مميّزاً ومحترماً عند الآخرين.. الدول المبكرة في بروزها الاقتصادي والأخرى الصاعدة مثل الهند والصين.. مما جعلها ملتقى تقارب وتعاون مع كلا الاتجاهين..

أرجو أن يطّلع كل مواطن على الحقائق المشرفة في حوار الدكتور محمد الجاسر مع رؤساء التحرير والتي أتوقع أن تُنشر في الصحف الصادرة هذا اليوم..

كلنا.. نعم كلنا.. يجب أن نرتفع عن مستوى بداوة الوعي أو ركود تخلفه الديني، ونوجّه كل تقدير وإكبار للقائد المتميز.. عبدالله بن عبدالعزيز.. الذي كان بحق نجم العالم في أهم مؤتمر يعالج بحواراته أهم ما يعانيه العالم من أزمات..

في جزالة التقدير والاهتمام بالملك عبدالله.. هل رأيت نفسك؟.. (*)

نحن في حالة مشاهدة يُفترض أن تكون واعية وبعيدة النظر لحالة الكفاءة والحضور التي هي عليها.. بلادنا، مجتمعنا.. هذا الإيضاح الذي أرجو أن يكون واقعياً ومبسّطاً عند مواطننا.. عن أداة التقدم عقلاً وممارسة في بلادنا..

الرجل الفذ، المثالي الأفكار والتصرفات، الذي صنع مكانة هذا الحاضر العالمية.. عبدالله بن عبدالعزيز.. ليس في حاجة إلى عبارة ثناء، فالقادة التاريخيون تتحدث عنهم أفكارهم ومنجزاتهم وليس فقط رأي الآخرين فيهم..

إنه الرجل الذي رصد كل ريال يتكاثر في واردات دولته كي يعتني المجتمع بتعداد فرص تقدمه، ومن جانب آخر تجد الزمالة الدولية الكبرى في هذا المجتمع حقائق خروج مبهر عن أغلبية ركود المجتمعات الأخرى عربياً وأوسطياً وفي كل حضانات النمو التي تتراجع عندهم أكثر مما هي تتقدم.. فالمملكة ليست تتفرد بجزالة الإنتاج النفطي لأن العراق وإيران تتميزان إضافة إلى ذلك بكفاءة قدرات زراعية.. وكلاهما لا أثر له في أي تطوير..

لست أكرر طرحاً فكرياً فقط حتى ولو كان يتجدد أمامي في كل مناسبات كبيرة.. فأنا لا أقدم رأياً خاصاً ولكنني أستعرض مشاهدات حيوية وآنية من آخرين تقول إن الملك عبدالله قد حقق بإعجاز توفّر الشخصية الشرق أوسطية المنفردة لبلادنا بكفاءة القدرة الاقتصادية من ناحية، وكفاءة موضوعية معالجة مشاكل المنطقة القائمة..

أتوقع أن يكون الكثيرون منا قد تابعوا مشاهد العضوية المتنوعة في قمة العشرين بكندا التي رأينا فيها الملك عبدالله يختص في مسار متقدم مع الرئيس الأمريكي أوباما، بما يعني وضوح الأهمية الخاصة التي انفرد بها رجل التفوق محلياً وعالمياً.. وكيف أن الشوارع

(*) العدد ١٥٢٤٦ (١٨/٧/١٤٣١هـ، ٢٠/٦/٢٠١٠م)

القريبة من سكن الوفد تحوّلت إلى شوارع سعودية لجزالة حضور الموجودين هناك وبينهم عشرة آلاف طالب، حيث الكل حريص على رفع يده اليمين لرجل اليمين الفاضل عندما يمر بهم..

من ناحية ثانية تعطي واشنطن اهتماماً متميزاً للرجل الذي خرج ببلاده من ركض مساعي الخلافات المحلية أوسطياً إلى كفاءة التعاون الاقتصادي القادر، والاستفادة العلمية من التقنية المطلوبة ودفع القوة الدولية لإنصاف المضطهد الفلسطيني في بلاده..

الدول الكبرى تعودت أن تعطي قيادات الدول النامية من الاهتمام ما يتماثل مع حجم نوعية وجودها الاقتصادي والسياسي، والملك عبدالله قد قفز بنا من محدودية كفاءة الدولة الشرق أوسطية المحدودة إلى موقع أهمية كبرى وصارخة الحضور عند دول الواجهة العلمية والاقتصادية والسياسية الكبرى..

الملك.. بين أهله وذويه (*)

تعبير تقليدي أن تقول عن وجود أي مواطن أنه بين أهله وذويه.. تلك صفة الاستقرار والاحتواء والتعاطف، لكن داخل جدران بيت واحد أو في امتداد محدود لعلاقات عائلية.. ومع ذلك فهي ميزة الاطمئنان إلى سيادة التقارب والتفاهم وجديات التفاعل والتعامل..

نخرج من هذا الإطار الاجتماعي المحدود الذي هو في الواقع وحدانية وجدانية تلاقي العقل والعاطفة في مسار محبة أخذ.. عند مَنْ هم يعطون فعلاً لهذا التفرد الاجتماعي خاصيته..

في مستوى العلاقات العربية وتباين ظروف المجتمعات وتنوع الخصومات وتعدد التدخلات الأجنبية والعدوانية نتساءل دائماً: لماذا نحن نتميز عن كل سكان امتدادات جغرافية بتعدد صفات وحدانية التكوين لغة وديانة ومسارات تاريخية متزاملة ومتزامنة؟.. لماذا لم يفلح عالمنا العربي في الوصول إلى نزاهة التجمع الواحد.. الأهداف والغايات المتضامنة؟.. لسنا في عدد ثلث الهند ولا ربع مجموع الصين ومع ذلك لم تتوفر كفاءة الحضور عند عالمنا العربي كما في مجتمعين استطاعا الوصول إلى كفاءة تميز المسار والنتائج..

سلوكيات الملك عبدالله بن عبدالعزيز أعطته مثاليات البروز محلياً وعربياً ودولياً.. منذ أن تبني مشروع حل القضية الفلسطينية، ومنذ أن ألزم بوش الابن بتعديل سلوكياته واحترامه لأصدقاء الرؤساء من قبله، ثم تجاوزه الأخلاقي والعقلاني في أن واحد لكل ترصيدات الاستفزاز ومحاولات الجذب مع طرف ضد آخر..

أكد الملك عبدالله - رأياً وموقفاً - أن أهداف حل مشاكل العالم العربي وقوة آرائه هي التي يجب أن تكون لها الأولوية قبل إثارات خصوماته، وأن رصيماً من الفشل السياسي والاجتماعي على أكثر من خمسين عاماً كافية لأن تفرض تحسين وتصويب سلوكيات التعامل في الوصول إلى الأفضل الموحد، وليس التوزع في فئات الخصومات سياسياً أو طائفيًا.. وارتفع الملك عبدالله بهذه المثالية لتكون وضوحاً جديداً تبناه كي تنتشر مفاهيم التقارب والحوار بين الثقافات والأديان..

(*) العدد ١٥٣٧٤ (١٦/٨/١٤٣١هـ، ٢٨/٧/٢٠١٠م)

المواطن العربي في أي مكان لا يتلقى المعلومات عن الملك عبد الله عبر تناقض آراء الخصومات العربية أو عبر افتعال محلي غير موثق ولا بثقل مساندة طرف ضد آخر، لكن - وهو البعيد عن كل ذلك - كانت الرؤية الدولية محل اهتمام العواصم المؤثرة عالمياً، ووجوده الإيجابي في أهميات حوار الرأي هو الذي أعطى للمواطن العربي وضوح السمات الخلاقية والمثالية لزعيم رأى في آرائه وعبر سلوكياته أنه في كل حضور اجتماعي عربي يجد نفسه بين أهله وذويه..



(*) الملك عبدالله ومسار الحضور العربي

وحدة التفاهم العربي همّ كان يقلق القوى الدولية التي بعضها كان يحتل مواقع هامة من العالم العربي، وبعضها وافد جديد على ساحات مختلفة من العالم مثلما هو ظهور الولايات المتحدة الأمريكية عالمياً والتي لم توفق في أي تدخل، ففيتنام مثلاً التي كانت ضعيفة للغاية استطاعت أن تفرض الهروب الأمريكي من سخونة مقاومتها ومواجهتها، وعندما ابتكر بوش الابن ادعاءات ليست من الواقع في شيء، فإنه وضع واشنطن في وضع يائس داخل العراق الذي لا يعتبر أكثر إحرًا لها مما هو عليه الحال في أفغانستان..

إن العالم العربي ليس توزعًا جغرافيًا بدائيًا، ولكنه صاحب إرث حضاري وسيادي مرموق، وبالذات في العصر العباسي، ثم فيما أوجده العثمانيون من انتشار سيادي واسع، وبالذات داخل أوروبا..

إذا فإن محاصرته وفرض تباعد وجهات نظره بما في ذلك خلق وجود إسرائيلي هو غاية للتقليل من أهميته من ناحية، ثم لشغله محليًا بمشاكل ذاتية من ناحية أخرى.. فقبل أعوام قليلة كان الوضع بين الفلسطينيين وإسرائيل هو الهم الأول، أما الآن فقد أضيفت إلى هذا الهم هموم الصراعات الطائفية وامتدادات التدخل الأجنبي ضمن تلك الصراعات.. ما كان يمكن أن تأخذ إسرائيل وضعًا ثانيًا أمام ما استجد من مخاطر جانبية هي أكثر وضوحًا في العراق ولبنان والسودان، لولا تباعد وجهات النظر العربية، وفشل مؤتمرات القمة العربية في تقريب وجهات النظر الوطنية..

نحن الآن نعيش مرحلة تقارب عربية، يبرز فيها الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وهو البعيد في مجتمعه وأهداف دولته عن أي حزبية سياسية عربية أو دولية، واستطاع أن يكون المحاور الايجابي للوصول إلى أهمية حضور شرق أوسطي متقارب قادر على صد التدخلات الأجنبية، وتعزيز بناء الداخل، وكبح طموحات تخلف الطائفية.. أثبت ذلك بوجاهة سلوك وإيجابية جهود تجعلنا جميعًا نأمل أن يكون التوافق السعودي والمصري والسوري والأردني

قوة حضور عربي، وبالتالي دعم توحد العراق وإعادة لبنان إلى مركزه المرموق ثقافياً وسياحياً
ثم اقتصادياً، وهو الذي كان في واجهة التقدم الحضاري..
لقد تلقينا كمواطنين إيجابيات ردود الفعل الإعلامية والسياسية التي نرجو أن تعزز توجه
جميع القادة في هذا الامتداد المهم عربياً وشرقاً أوسطياً لتأكيد الاستقرار والتقدم.



(*) الملك عبدالله في لغة الثقافة والإعلام

المألوف وما تعودناه، ومألوف عند غيرنا أخذ قياسات الترحيب الرسمي بزيارة مسؤول عربي لدولة أخرى.. هذه القياسات مألوفة.. لكنها تعطي صورة عن نوعية الانطباع المتبادل بين دولة وأخرى.. دائماً تخرج الصحف ووسائل الإعلام المرئي بإبراز صور وتصريحات متعددة تتحدث عن التقارب وعن حلول المشاكل البينية ما بين دولة الضيف ودولة المضيف.. في زيارة الملك عبدالله بن عبدالعزيز لأربع دول عربية مهمة التواجد الجغرافي والاجتماعي بالنسبة لعروبة الشرق الأوسط ومهمة الجوار أيضاً للقضية العربية الأولى.. فلسطين فمع أهمية التواجد لدول الجوار العربية التي شملتها الزيارات؛ الملاحظ وبشكل قوي أن تناول وتفهم مساعي الملك عبدالله لم تكن تنصب على جانب شخصي يهم علاقاته ولا على جانب فردي يهم دولته بمتطلبات لها ولكن الجميع تطلع إلى الرجل الكبير فهماً وأداءً على أنه قد حمل معه مهمة شمولي يجمع الكل كما لو كانوا في دولة واحدة للوصول إلى وفاق عربي يؤدي بالتالي إلى ترسيخ وجود اجتماعي وسياسي عربي قادر على خلق المواجهة الجماعية في وجه ما هو قائم سواء من سلبيات علاقات أو سلبيات تدخلات أجنبية..

هذه المرة لا نلمس ردود الفعل من قبل وسائل الإعلام الخاصة ولا من قبل إطار الدولة الواحدة، فقد وفقت أن ألتقي بعدد من المثقفين العرب وبعض آخر من المهتمين بالشأن السياسي فكانوا يتحدثون عن مستويات النجاح المطلوب، وعن الدور المتميز الذي يسعى عبره الملك عبدالله لإيجاد أساس عربي جغرافي قادر على إعادة صياغة الحضور العربي.. حدثني الشاعر المرموق شوقي عبدالأمير وهو عراقي بعيد عن المؤثرات ولكنه كان قريباً من التفهم لردود الفعل الإيجابية لدى المثقفين حول أهمية ما يطرحه الملك عبدالله من متطلبات تقارب عربية إيجابية يعرف أن نجاحها سيؤثر في تصحيح استقرار العراق نحو الأفضل وهو المسؤول الأول عن إصدار كتاب في جريدة الشهر الذي تنفرد «الرياض» بنشره داخل المملكة.. ومعالي الأستاذ صالح القلاب ودعته وهو في حالة فرح يتطلع به إلى مسيرة تعاون جديدة تغير من واقع التشتت القائم.

الأستاذ راكان المجالي استعاد التاريخ الشخصي للملك عبدالله منذ بدايات النزاع العراقي السوري البعثي في عصر صدام حسين وركز على جهود الملك عبدالله عندما كان ولياً للعهد لتقريب التفاهم والتعاون..

مثقفون من الصعب أن أسرد الأسماء والانطباعات في مقال محدود المساحة لكنهم جميعاً تحدثوا عن قمة الكويت وكيف أن الملك عبدالله عصم الحوار في بداياته لئلا يكون منطلق خلافات، وأعلن ضرورة أن يعلن كل طرف توجهه نحو توحيد الجهود وفرض لغة التفاهم وأن المملكة لا تتمسك بأي خلاف مع أي طرف..

هذا الانتشار الواسع لردود الفعل الإيجابية ومن مصادر ثقافة وإعلام متنوعي التواجد هو في الحقيقة أوثق براهين نجاح المساعي النبيلة لرجل الأفكار النبيلة..

لمن سكب القهوة في الحي الشعبي وجيرانه (*)

في «لقاء» يوم الأربعاء من الأسبوع الماضي بعنوان «الأفكار لا الحروف».. استعرضت ما سبق أن عايشته من متغيرات إعلامية وما كان يستخدم من قبل السلطات الرسمية كوسائل انتشار قيادي بين عامة الناس.. ولأن أولئك الناس كانوا قبل سبعين عامًا تقريبًا يشكون من بساطة الأوضاع وتصلهم أخبار خلق الحضور الأوروبي وكيف حوّل اللاجئ إلى القارة الأمريكية أحجام مكانتها السياسية والعسكرية والاقتصادية مع أن المواطن العربي لم يكن يبعد من وجود إيجابيات خاصة به لكنها محدودة..

كان المواطن العربي في حالة استقرار يمكن أن تسمى ركودًا لذا فقد مثلت المقالات السياسية الموجهة قياديًا عصف رياح قوية كانت توجه الأفكار نحو تطلعات لم تكن قدرات المنطقة في مستوى تحمّل أعبائها أو الوصول إلى نتائجها.. لا يهمني استعراض أوضاع أفلت وتعرف نتائجها.. لكن يهمني التأكيد أن تلك المقالات قد فقد وجود تأثيرها تمامًا ومن يتمسك بها في دولة عربية معينة أو في لندن «عربيًا» فهو يتمسك بمبررات إيراده الشهري ولا شيء غير ذلك.

الرجل العظيم في عقولنا قبل عواطفنا.. لأن من يصل إلى احتضان العواطف بتزكية من العقول هو من يملك أحقية الخلود كصانع تاريخي لجديد هائل القوة وهائل التعدد لمستقبل مجتمعه.. الملك عبدالله بن عبدالعزيز.. هو من اقتحم بكفاءة حضور بل بأولويات إبداع تأسيسي جديد يحوّل به مجتمعه إلى الصفوف الراقية دوليًا.. يتساوى التقدير المحيط بمسار الرجل العظيم من داخل أحياء مجتمعه الشعبية حين تناول القهوة مع الفقراء ومن داخل أروقة مؤتمرات الحضور والحوار الدولي في أهم عواصم العالم ومع أهم قادة مؤثرين.. وكما قلت في البداية إن المقال السياسي المألوف قديمًا لم يعد يمثل أهمية تعريف ولكن الملك عبدالله يقدم نفسه لمجتمعه وللعالم عبر منجزات انفرادية هائلة.. هي ذي جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية «كاوست» ليست مجرد مدرسة أو توسع مدرجات دراسة جامعية ولكنها قفز هائل بالمواطن الشاب عبر كسر الفوارق العلمية ليحقق وجوده الدولي عبر آراء

لم يقلها كاتب عربي فالسيد «بن ولدافسكي» باحث معروف يعمل في أهم مؤسسة فكرية عالمية هي مؤسسة «بروكنغز» في واشنطن وله حضوره في النيويورك تايمز والواشنطن بوست.. ثم تأتي آراء أخصائيين مهمين بينهم معالي وزير البترول ومدير الجامعة الدولي الصيت ونائبه والسيدة حياة سندي.. (ص ١٨ - ص ١٩)

إن حجم التأهيل لهذه الجامعة يفتح أفقاً واسعاً نرى منه حجم المستقبل العلمي والتقني لبلادنا ومجتمعنا عبر الانطلاق من مواقع التأسيس الراقية والمرصودة لها مئات البلايين.. ليس خدمة للملك أو أحد أبنائه وإنما تأهيل لساكن الحي الشعبي ربما ابن من سكب فنجان القهوة كي يكون وغيره في صدارة علمية دولية.

(*) القرار الملكي وصيانة جوهر الإسلام

بالشواهد الواضحة قولاً وفعلاً، علينا أن نحمد الله في هذا الشهر الكريم أن شؤونا ومشروعات مستقبلنا وسياسات حماية وحدتنا ترعاها دولة قوية.. يقودها رجل نادر في تاريخ العرب الحديث..

بهذه الشواهد تصدمنا تناقضات مدلول فتاوى متناقضة تجرف المجتمع إلى انتماءات دينية متباينة.. بهذه الشواهد استعصى على كل جهود الاجتهاد الخاطئ أن تقودنا في الماضي القريب لنكون مسرح صراعات بوحشية الخلافات وجعل الاجتهادات وكأنها في موقع مرجعية موثوقة.. لقد عشنا تاريخاً مشرفاً ومعتدلاً، وكتبنا فيه بسلوكنا، وصيانة حق كل مسلم في بلادنا من دحر محاولات إعلام أرادت أن تربط بين فكر مجتمعنا وبين توجهات الانغلاق التي هزمت في مصر وسوريا والمغرب وتونس والكويت والبحرين.. لكن كنا أصحاب الأولوية الصارمة في دحر هذا الانغلاق الذي واجهه الملك عبدالعزيز بحزم.. وكان الملك فيصل صاحب جهود إشاعة التعليم، وفرض تعليم المرأة، واستمر هذا المنهج، لكن الذي حدث عبر سنوات ماضية.. إما بمؤثرات اجتهاد خاطئ أو بمؤثرات تطرفات عربية بعضها أوجد العنف واستباحة أمن المجتمعات الإسلامية.. هو انغلاق مناف لموضوعية الإسلام وشموليته وغايته لإدخاله في نفق العزلة عن الحضارات والمعرفة، بينما الإسلام هو من أخذ البدوي المعزول في صحاريه إلى مجسّد عصور حضارية لم تعرفها أوروبا آنذاك، ثم تذوّقتها وبنيتها عندما ردت تجاوزات نفوذ الكنيسة..

الأمر الملكي الرائع هو جزء يتواصل مع مهمات البناء العلمي التي يقودها الملك عبد الله لتبوير ثقافة الإسلام عبر الفتاوى بواسطة جهات مسؤولة حددها القرار وبمستويات وعي متمكنة..

نحن نعرف بلادنا جيداً.. مازلنا نذكر كيف كانت شوارع دخنة الترابية تمتلئ بالمحبة والتعاون والرفق، وكنا نهني بعضنا عندما نسمع بخبر افتتاح مدرسة أو معهد.. مع أن الانغلاق ليس

حديث الولادة، حيث تواجد منذ بدأت الصراعات المبطنة بعد استشهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما اتخذ آنذاك كمحاولات تسييس باسم الدين، لكنه بعد ذلك وعبر تعدد التواجد في عدد من المجتمعات الإسلامية أتت الممارسات ضد العلم والتنوير والعدالة، ويكفي أن نراقب بعض المواقع الالكترونية العابثة بالمفاهيم والمتدنية الوعي والثقافة.. إنه ليس من مصلحة مجتمعنا أن يتوزع في خلافات أو تناقضات فتاوى تأتي من أشخاص إما أن يكونوا غير مؤهلين أو لا يكونوا أصحاب مسؤولية فيه.. وبالتالي فإن تحديد مصادر الفتوى هو تحديد لمواقع مسؤوليتها من قبل أشخاص مسؤولين عن ذلك..



ليس هو كبير بيننا بأفكاره ومشروعاته فقط لكنه بارز في زمالات التقدير الدولي (*)

مَنْ يفتقد الشهرة يكون دائماً في حالة ابتذال بحثاً عنها، خصوصاً عندما لا يتناسب الموقع الاجتماعي أو القيادي مع الغياب من أي حضور إيجابي عند الآخرين.. مَنْ تأتي إليه الشهرة.. فهو يحقق معجزة نادرة في العالم الثالث وتمثل مسار تنافس في مجتمعات متطورة هي مَنْ توفّر له مبررات وموجبات الحصول على الشهرة.. نحن نعرف أنه بعد أن فشلت أبراج الصحف في منح الألقاب منذ أفول هيكل توجهت الزعامات التي لم تقدم لمجتمعاتها إلا الانغلاق السياسي ونشر فوضويات الادعاء إلى بعض مناسباتها الثقافية المحلية كي يأتي مثقفون يتبارى بعضهم في إطلاق صفات تمجيد كاذبة.. الملك عبدالله بن عبدالعزيز ليس في حاجة لأن يوجّه له أي ثناء، وكأننا فوجئنا بتكريمه أو تقديره من مصدر خاص.. حيث إذا كنا داخل المملكة نتابع ونرصد له معجزات مبتكراته الفكرية عبر خطط بالغة الأهمية ليس لتطوير مدينة أو افتتاح جامعة واحدة أو منح ألف طالب فرصة الابتعاث أو إصدار أنظمة صارمة تواجه الفساد وتحصّن القضاء وتوسّع خطط تطور الاقتصاد، وفي الوقت نفسه فرص العمل.. هو صاحب رصيد هائل في تعدد إيجابيات صنع مجتمع جديد خارج من بساطة البداوة وإمكانيات القرية وانغلاق المفاهيم إلى هذه الامتدادات الرحيبة في كل اتجاه ومتطلبات تطوير، لنجزم أن مجتمعنا وحده من وُظّفت إمكانياته بدقة وجزالة لكي تجعله ضمن شعوب تفوّق التقنية والاقتصاد وخصوصية الرحابة الإنسانية الإسلامية..

جميعنا يعي ذلك، فنتجه إليه بعقولنا وقلوبنا شاكرين ومهنتين دون أن يوجّهنا «خطيب» أو «مقال» نحو ذلك حيث هو مَنْ يصنع تعدّد امتدادات مجده..

لكن أيضاً هناك تقدير دولي متنوع ومتعدد يجعل الملك عبدالله ينفرد بخصوصية تمييز في تعددها لم تتوفر لقيادة أوروبية أو عربية.. أو إسلامية..

- مجلة فوربس اختارت الملك عبدالله على أنه الشخصية المؤثرة الأولى عربياً ضمن العشرة الأوائل عالمياً..
- جامعة ميريلاند الأمريكية.. الملك عبدالله من أهم الشخصيات السياسية في العالم ويعد ذلك دراسة بحثية للمؤلف الأمريكي روب سبجاني في بحث موسع عن تنوع توجهات الملك نحو خلق مجتمع علمي وتقني واقتصادي سيلحق وطنه السعودي بمواقع الصدارة الدولية..
- مجلة التايم الأمريكية قالت إن الملك عبدالله واحد من أهم مئة شخصية مؤثرة في العالم..
- جائزة جامعة برشلونة في أسبانيا العام الماضي في تمييزه بخصوصية دولية..
- ويأتي في بداية المتابعة اختيار مجلة نيوزويك، في عددها الأخير، للملك عبدالله ضمن قائمة أكثر عشرة زعماء في العالم كسبوا احترام الأسرة الدولية لمواقفه الإنسانية وسياساته الإصلاحية..

الثروة الهائلة ووسائل التنفيذ (*)

أرجو أن نوفق جميعاً في توفير لغة حوار وتفاهم لتحقيق الأفضل فيما نريد الوصول إليه من استقرار اجتماعي تفرضه قدرات وعي وإدارة توفر مهمة الوصول هذه التي ستكون في منتهى الصعوبة لو بقيت الأجواء مفتوحة لتنافسات المصالح الفردية.. وخلت الساحة من وجود رقابة صارمة تحاسب أي انحراف أو أي حيازة غير مشروعة..

إن اللغة الموضوعية المطلوبة هي في الواقع متوفرة لدى الأكثرية المتحملة لمسؤوليات الآراء والحوار.. ومن ناحية ثانية لا أهمية لارتفاع حجم الثروة ما لم تكن متداخلة في مسار المجتمع بتواجده المتنوع في أبعادها.. مهنية وملكية استثمار..

نعرف أننا جميعاً ندرك جيداً خصوصية انفرادنا عربياً وإسلامياً بجزالة العائد السنوي.. لكن لماذا بقي مجتمعنا غير شامل المشاركة في هذه الخصوصية؟!

الملك عبدالله.. الرجل العظيم الذي نحن محظوظون بوجوده، وجّه كل هذا العائد لكي تتوفر لنا - اجتماعياً - خصوصية هذا الانفراد.. لكن ما مدى إيجابية من ينفقون؟..

من الجائز أن يكون العامل الأجنبي موجوداً في خدمة المصنع والمزرعة لقبوله بمرتب دون الألف ريال.. لكن ما هي نوعية الجنسيات الإدارية بدءاً بموظف الصادر أو الفاكس وحتى أعلى مواقع الإدارة.. سيكون القليل جداً في عدد سكاننا لو كان القياس هو مستوى الريح الفردي الموجود في صدارة الاستفادة، وهذا يتم في أي سوق ترخّل إليه رؤوس الأموال، لكن ما هي مظاهر الانتشار الاجتماعي تأهيلاً وتعدّداً ملكية؟..

لقد لفت انتباهي - وكثيرون غيري - الخبر المنشور في الصفحة الثالثة من ملحق «الرياض الاقتصادي» يوم الخميس الماضي، الذي يفيد بإصدار منح تراخيص استثمار لجنسيات غير محلية.. وهذا بالطبع ما كان يمكن أن يحدث لو رافق وجود العائد الضخم مهمات تأهيل اجتماعية وحوافز تشجيع تستوعب المواطن.. من منتصف مساحة مدينة الرياض جنوباً..

(*) العدد ١٥٤٠٧ (٢٠/٩/١٤٣١هـ، ٢٠/٨/٢٠١٠م).

سوف تتجول في أحياء عديدة جداً، اللغة العربية فيها مفقودة، والموجود منها بلهجات غير محلية.. وترد أخبار تؤكد وجود مبالغ طائلة تحول سنوياً لصالح الوافدين.. أليس يبدو مجتمعنا كما لو كان مجرد متفرج على مسار الاقتصاد ومجرد قارئ لأخباره.. ألا يفرض الاعتراف بأبوة الملك عبدالله لمهمات شيوع التحسن الاجتماعي اقتصادياً ضرورات إيجاد إدارات مراقبة وإدارات فرض سياسات شيوع للتمكن الاجتماعي من الانتماء لثروته..

الملك عبدالله مرّنا بمرحلة تاريخية مهمة جداً لو توفرت إدارات تنفيذ واعية ونزيهة في الوقت نفسه لأمكننا الخروج اجتماعياً من مآسي القصور المعيشي الذي يعتصر معظم الدول العربية بقسوة الفقر..

لقد تم تأسيس التعليم التقني السليم ووجهت قرارات الثروة لخدمة مختلف فئات المجتمع، فمن حقنا أن نتساءل عن وسائل التنفيذ..

دعاة لكن من نوع آخر (*)

لا يستطيع أحد في مجتمعنا أو في أي دولة عربية إنكار حقيقة أن المملكة هي الدولة الأولى.. ليس أوسطياً ولكن على المستويين العربي والإسلامي وكذا شمولية الدول النامية.. التي رصدت كل قدراتها المالية والعلمية كي تصل بمجتمعها إلى مستوى مشرف بالمواطن.. نعم المواطن الذي نشغل - ومعنا حق - معظم صفحات النشر اليومي بمطالبات أن يجد مكانه في التوظيف، وأن يكون هناك مَنْ فتح الفرص أمام أجنب متى وجد بيننا مَنْ هو قادر على تحمّل مسؤولياته.. نقف أمام المواطن.. الملك عبدالله بن عبدالعزيز وبشواهد صارخة للغاية فتح مسارات مذهلة لتطوير بلاده.. اقتصاداً وعلماً ومواطنة.. حتى بدت آبار النفط كما لو كانت مثل آبار المياه تتجه إلى ملايين البيوت دعماً للارتواء..

التوظيف المثالي للمال لا أحد ينكره.. بتطوير الجامعات ورصدها بالتنوع العلمي والتقني.. الكل يرى شواهد.. فتح حريات الحوار للمساءلة تجاه أي خلل.. بل التصريح بمحاسبة بعض مَنْ هم في وظيفة الدولة لكن لا تطالهم أحكام القضاء.. إيجابيات نادرة وفريدة وترسم تاريخاً هائل المنجزات في المستقبل القريب..

لكن لمن توجه هذه الإيجابيات؟ ما هي نوعية مَنْ يتعامل معها؟.. إننا مادما نرصد كل قدراتنا وكل إيجابياتنا حاضرننا فمن البدهة أن نتساءل عن مدى تأهيل المواطن كي يكون القادر على أداء رسالة النمو، التطور، الامتياز السكاني الخاص..

لا ننكر جميعنا أن بين مواطنينا أعداد كبيرة التحقت بمسارات التطور.. لكن ما دمنا نتحدث عن وجود بطالة.. وعن توظيف أجنب في مواقع إدارية.. ووجود إعلاميين أجنب في مستويات حكومية أو صحفية فإننا نحتاج إلى أنظمة صارمة من قبل الإدارات المعنية عبر بعض الوزارات بتأهيل المواطن وتجهيزه تعليماً وكفاءة كي يستأثر بمسؤوليات الوظيفة..

(*) العدد ١٥٤٦٤ (١١/١٨/١٤٣١هـ، ٢٦/١٠/٢٠١٠م).

القضية في أساسها قضية وعي.. أين هي الأجهزة الإدارية والإعلامية التي تمارس هذه المسؤوليات؟.. نعم توجد لدينا رعايات للطفولة.. ومتابعات لحقوق الإنسان ومثلها للمتقاعدين وفئة لامعة جداً تعنتي بنزاهة الغذاء والدواء ومؤسسات أخرى كثيرة، لكن فيما يخص التأهيل للتوظيف نحتاج إلى تأهيل وعي.. إلى دعاة لم نجدهم في الماضي عندما كانت الأمية تشمل الأكثرية.. ولا أتصور أن هناك حاجة إليهم دينياً في عصر انتشار التعليم.. نحتاج إلى تطور ما نعنيه بالدعاة بحيث يكون رسالة مؤهلين حديثي الثقافة عبر إدارات متنوعة تقيم دورات خاصة تساند مهمات التعليم الحديث.. والتي هي في الواقع ذات المسؤولية الأولى..

(*) أفكار راقية تتجه للعراق

أعطني من هو ليس في خلاف مع أحد داخل العالم العربي، أعطك الكثير ممن سوف يستمعون إليه ..

ماذا إذا أضفت مؤثرات قوية نادرة الوجود في هذا العالم المضطرب بالخلافات والحروب المحلية ووحشية الانفجارات ومن لم يصل فيه إلى هذا الحجم من قسوة العلاقات والتعامل، فهو في عضوية انقسامات يطاردها التخوف أو توجهها الأطماع.. المؤثرات القوية النادرة الوجود التي هي في الواقع واجهة كل إطلالة على إشراقات شخصية الملك عبدالله بن عبدالعزيز النادرة التكمال وعياً وعتلاً ومصداقية عقيدة وبعد نظر وطني في عالم من غربه إلى شرقه، إن لم يكن مهدداً بفرق تيارات الصراع العاصفة فهو يهرب إلى نفسه حذراً من الانزلاق في مخاطر الغير..

الملك عبدالله بن عبدالعزيز رجل تقدم كل وثائق سيرته الشخصية منذ كان ولياً للعهد ثم ملكاً وفي كل علاقاته هو دائماً ذلك الرجل النزيه البعيد النظر الذي رفض دائماً أن يكون طرف نزاع أو أن يتغاضى عن أي تحامل.. ماذا أهم من أمريكا؟.. لقد كاد أن يخرج من روابط الصداقة المشتركة لو لم يعدل بوش الابن موقفه ورأيه في مناسبة اعترف بها فيما بعد.. وماذا أكثر إلحاحاً من عروض الولاء في تيارات خلافات العالم العربي..؟ لكنه رجل بعيد النظر وصادق النزاهة، فلا تغريه نعومة تلك التيارات حيث هو يعرف جيداً مساوئ ما خلفها ..

لا أكتب.. عن تيار معين.. أو عن دولة معينة، لكنني أستعرض وبشكل سريع حقائق التموج غير الآمن في نوعيات العلاقات العربية ومؤثرات التدخلات الدولية.. حيث خارج هذه الأجواء القائمة المغلقة تبرز لنا شخصية الملك عبدالله وهو الحضور الحقيقي للنزاهة ولعقلانية القرار..

حين يدعو كل فئات العراق إلى اجتماع حوار محبة وتفاهم في بلد - الرياض - لا يفتح أجواءه فقط.. ولكن عاطفته وعقله مع الشعب العراقي العظيم الذي ازدهرت فيه أرقى الحضارات العربية الإسلامية، وشعبه مؤهل بكل شواهد الحضارة على أن يستعيد أصالة حضوره العلمي والسياسي والثقافي في ظل مباركات عربية سوف تسعد بتوحيده ضمن آراء حوار يستهدف عودة العراق إلى وحدته، وبهذه العودة تستعيد الأمة العربية قوة دعم كبيرة ومهمة لمستقبلها وتطورها في مختلف المجالات..

من يدعو الإخوة العراقيين إلى التفاهم هو رجل رائع النزاهة لا يمكن أن يشكك أحد بوجود أدنى هدف لا يكون في خدمة شعب العراق عبر اللغة الراقية التي حملت إليهم إيجابيات الفكر الصادق في كل غاياته..

الملك عبدالله لنكن في مستواه وعيًا وممارسة (*)

لا يحتاج الملك عبدالله بن عبدالعزيز إلى سطر ثناء واحد لأنه احتل المركز العالمي الثالث، ولا إلى سطر إيضاح يبرر كيف حدث ذلك..

الرجل العظيم معروف في كل مسافات تاريخه وجزالة ما أنجز وأيضًا ما أسس له ليكون واقعًا جديدًا في أزمنة قادمة..

أخطر ما في منطقتنا سابقًا هي القضية الفلسطينية، ولم يخرجها من رتابة النقاش التقليدي لاجتماعات الجامعة العربية ونعومة اللغة المفرطة أو يقابل ذلك التصرف الأحق في التخاطب مع القوى الدولية الكبرى.. وكان النزاع بين الفلسطينيين ينظر إليه أنه مجرد «اختلاف وجهات نظر».

الملك عبدالله ومنذ قمة بيروت التي طرح بها ما سمي بالمشروع العربي لحل القضية الفلسطينية وكانت تلك منهجية حازمة لم تتوجه إلى الحوار العربي التقليدي المتكرر وإنما إلى الرؤية الدولية المؤثرة، ثم كان المسار الدولي الذي لاحظنا بعض الإيجابيات في توجهاته، وقبل ذلك لم يكن هناك أحد ينظر إلى ما بداخل «السور الفلسطيني» المعاق والمعذب.

عندما تنامت مواقع الصراعات في العالم العربي وتنافس لبنان والعراق في أيهما أكثر جذبًا للأعناق العربية وليس الأفكار في من تنظر إليه ثم في من تفضل التدخل معه في شؤونه واستقرار غيره.. الجميع كان يعتقد أن المملكة ذات «أحقية» خاصة في التأثير على مساحة خلاف وحيازة ولاء ممن يعيش فيها.. لكنها مرت سنوات حتى أدرك العرب الراكضون خلف أي خلاف أن الملك عبدالله لم يبحث عن «نصيب» مشاركة في الصراعات وإنما دعا كل أطراف الخلافات سواء في لبنان أو العراق أو السودان أو اليمن إلى مشروعات التعامل والمسؤولية المشتركة في حفظ الحقوق ومسؤولية بناء المجتمعات.. دعونا نتصور دعوته للعراقيين كي يجتمعوا لحل خلافاتهم بعد الحج في الرياض لو صدرت من أي قيادة عربية

(*) العدد ١٥٤٧٥ (٢٩/١١/١٤٣١هـ، ٦/١١/٢٠١٠م)

هل لن يشوبها سوء الظن..؟ وهل ستحظى بالأكثرية الكبيرة التي حظيت بها دعوة ملك البناء والسلام وحوار الأديان والثقافات الملك عبد الله..؟

لقد كتبنا كثيراً في صحافتنا عن جزالة مشاريع التأسيس والانطلاق في آن واحد لوجود مجتمع سعودي عربي متميز بتفوقات التقنية والاقتصاد والمعرفة والوعي.. هو الذي نشر في أرقى العواصم الدولية أكبر حضور ابتعائي للطلبة في أكبر الجامعات وبمقاصد تخصصات تعطينا من مؤهلات بلادنا الطبيعية ما يجعلنا قريباً في صدارة من يوجهون قدرات الاقتصاد والصناعة.. أمور جميعها واضحة عند غيرنا عن واقعنا مثلما هي عند الواعين في بلادنا.. ونريد أن تتوفر حقيقة الشمول بوعي أهميات الغايات عند الجميع حتى يكون لنا موقع تفوق بين الشعوب مثلما يريد لنا أن نكون ومثلما هو فارس تفوق دولي شرفنا به..

لقد أعطانا كل شيء.. فماذا أعطينا أنفسنا وعياً وتقنية..؟

قدراتنا تدفعنا إلى الأمام ومفاهيم تدفعنا إلى الخلف (*)

كل مجتمع .. في العالم .. له توجهات مسار .. إما إلى الأمام أو إلى الخلف .. إما إلى الاستقرار أو الاختلاف والنقائل .. أو الركود البطيء التحرك .. أو الراكض خلف مستجدات التقنية كي يبتعد عن كل ركود في نشاطه البشري ..

أين نقف من كل هؤلاء؟ ..

ماذا لدينا نخاف ألا نستفيد منه؟ ..

وماذا فينا نخاف أن يعيقنا؟ ..

إذا ألقينا نظرة عامة على خارطة العالم سنجد أن التحوّل البشري الذي حدث بعد سقوط الشيوعية قد سقطت معه تلك الميادين الوهمية التي تتصور بعض القيادات السياسية أنها تبارز بها خصومات تكرهها، وربما لم يبق منها إلا كوريا الشمالية ..

سقوط الشيوعية لم يعنِ أبداً أن الغرب قد نشر أجنحة سيادته على كل دول العالم .. أبداً .. الصين العظمى أبرزت بآباً جديداً كانت تنفرد به اليابان عندما أصبح التنافس الاقتصادي هو ميدان التسابق الدولي على كفاءة القدرات الاقتصادية مدعومة بكل ضرورات التنمية .. الصين لم تصدّر بضاعة واحدة أو ثلاثاً أو عشرًا لكنها مع فئات أنواع الإنتاج صدرت أيضاً المواطن الصيني كمشارك محترم في معظم المجتمعات، وسارت الهند مع الصين، ثم أخرى ذلك شعوباً أخرى تملك كفاءة الوعي، وفي الوقت نفسه أعاققت الخلافات شعوباً تملك إمكانيات أفضل مثل العراق والجزائر ..

المملكة هي الحضور العربي البارز الذي نستطيع أن نقول عنه إنه انفرد بوضوح القدرة الاقتصادية في غرب آسيا كما انفردت بذلك الصين في شرق القارة ..

نعم الملك عبدالله .. الرجل التاريخي الذي لن يُنسى إطلاقاً .. فتح لمجتمعه مسارات تطور

(*) العدد ١٥٤٧٧ ١٤٣١/١٢/٢ هـ، ١٤٣١/١١/٨ م.

متنوعة الغايات، وكان يجب أن يتم بدهة إدراك أن تغريب التقنية لا يعني انتماء دينياً لها أو مذهبياً أو عقائدياً علمانياً، ولكنه منطلق قدرات علمية متعددة الأهمية ومتنوعة المستويات لن يستطيع أن يستوعب هذه العلوم إلا مَنْ وصل إليها مسلماً كان أو مسيحياً أو يهودياً أو بوذياً أو هندوسياً فهو الذي سيأخذ مكانه في صدارة قدرات تطوير الحياة الاجتماعية بتعدد إيرادات الاقتصاد ومرجعيات العلوم..

مع الأسف أن مجتمعنا يخاف عليه أن يتعثر في مفترق طرق.. مفترق يذهب فيه مبتعثون شباب واقتصاديون أكفاء ومثقفون بتأهيل حديث إلى غايات ستجعل من «التمرة» معجزة علمية غذائية أو دوائية، ومن كيلو البترول وزناً كيلو تطور مسافة.. وقس على مشتقاته وعلى غيره من خصوصيات الأرض والمناخ..

هذا التغير العلمي الهائل الذي أكسب بلادنا جوائز دولية جعلنا نرى المرأة طبيبة نجاح في معالجة أصعب الأمراض (السرطان)، نرى الطالب الذي لم يعد يعيش تقليدية «تحفيظ» أصبح يشغل أهمية اجتماعية علمية نحتمى به.. رجل الأعمال الذي نسي سوق الصفاة أصبح له حضور مذهل في أسواق بريطانيا وأمريكا.. ألسنا نملك أكثرية شركات العالم أهمية علمية تقنية (سابك)؟

هذا الحضور العلمي لم يمر إطلاقاً في حياة أي «سلف» قبلنا فيجب أن نكون «سلفاً» مفيداً ومطوراً للأجيال الآتية بعدنا..

وإذا كنا نطالب بتطوير كل مرافق الوعي والعمل فإن اهتمامات الفتاوى يجب أن تكون من منظور متطور يؤكد أهلية الإسلام قبل ١٤ قرناً بسيادة توجهات العقل في مجتمعات العالم لو توفر مَنْ يعرف ضخامة فروق الحاضر عن الماضي، وأن الزهور ليست رجساً حتى تحرم في الأعياد، وأن مسلسل (طاش ما طاش) ليس إلا عرض تسلية، وأن تهنئة غير المسلمين بأعيادهم هي مجاملة وتحسين علاقات مع شركاء تعاون ومفيد لنا وليس انتماءً لديانتهم.. ومثلما أن الزهور في يد المرضى هي «تزهير» لمعنوياتهم فإن وجود الزهور في الأعياد ليس خروجاً على مكانتها وإنما هو تعطير لها..

وإذا كان أن الجميع في مجتمعنا قد استغربوا من فتوى عدم جواز عمل المرأة في وظيفة (كاشير)، فإن تواجد المرأة طبيباً وعلمياً وإدارياً هو أكبر بكثير من هذه المهنة البسيطة التي لا يقف فيها الزبون أو الزبونة أمام الكاشير أو الكاشيرة أكثر من دقيقتين.. هناك ثلاثون ألف ترخيص تجاري صدر باسم سيدات أعمال سعوديات، وهناك تقدير بوجود ١٥ مليار ريال حجم رؤوس أموال مسجلة باسم سيدات أعمال سعوديات..

وشهدت دبي في كليتها للإدارة الحكومية مجموعة من أبرز السيدات السعوديات والخليجيات، وكانت الجلسة الحوارية بعنوان: «دعم بيئة سيدات الأعمال في المملكة ومنطقة الخليج»، وتم تنظيمها مع مجموعة مينتور ومركز السيدة خديجة بنت خويلد لسيدات الأعمال في المملكة.. وقبل ذلك بما لا يقل عن عام شاركت في الكويت بوجود اقتصادي شاركت فيه ما لا يقل عن (٢٠) سيدة أعمال سعودية كسبن إعجاب الجميع هناك رأياً وفهماً فيما شاركن به من مناقشات..

(* **الملك عبدالله في مصداقيات أقطار العواطف**

يصعب أن توفر اختباراً عفويًا يعطي الشخص الواحد من بين أكثر من ثلاثة آلاف مشترك لا يعرف واحد منهم الآخر فرصة رأي باستقلالية انفرادية تامة وخاصة.. متفقاً مع أكثر من ثلاثة آلاف غيره في غضون ساعات محدودة..

إن أرقى الانتخابات في أرقى الدول وعياً وممارسة تعتبر نفسها بلغت ذروة حرية الرأي حين تتوفر الاستقلالية رأياً وممارسة عند من يُدلي بصوته..

الشيء نفسه لو كان الأمر يعنى التأكد من معلومة مصداقية تتعلق برأي أو موقف يخص مضمونه الناس فيما يفيدهم، أو عكس ذلك..

دائماً في امتحانات الرأي حول تقصي حقائق مختلفة المضمون والغايات يكون الاكتفاء بخمس مئة شخص يشترط أن تكون مساءلتهم قد أتت عفوية، وألا يكون قد تم تحضيرهم لإبداء رأيهم في تلك المسألة..

بالتأكيد نحن في جريدة «الرياض» لم نطلب من الناس.. أي ناس.. ومن أي مستوى.. أن يعطونا ردود فعلهم العاطفية والوطنية عند تلقيهم خبر الديوان الملكي عن أن الملك عبدالله بن عبدالعزيز يعاني وعكة صحية بسبب انزلاق غضروفي.. فالملاحظ أن ردود الفعل لم تتأخر دقيقة واحدة رغم ورود الخبر ليلاً.. الذي حدث هو أن الناس اندفعوا.. نعم اندفعوا.. عبر موقع «الرياض نت» وبعدد كثيف للغاية تجاوز الثلاثة آلاف مشارك، جميعهم تحدثوا عن مشاعرهم وعواطفهم فور تلقيهم الخبر.. ما حدث.. هو استفاء شعبي مطلق حدث عفويًا، ومن النادر - إن لم يكن المستحيل - أن يحدث في أي دولة أخرى.. ليس عربيًا ولكن عالميًا أيضًا..

في أكثر الأخبار أهمية، أو الأحداث أو التفاعلات وطنية وشخصية.. من النادر أن يرتفع من يسجلون الآراء على أكثر من ثلاث مئة شخص.. لنقل خمس مئة.. أما الألف، وفي زمن

وجيز جداً كهذا، فهو في حده برهان جزالة وجود مَنْ يعنيه الموضوع، إذ ما هو الحال ونحن أمام ارتفاع رقم المبادرين بتقديم صادق عواطفهم إلى أكثر من ثلاثة آلاف شخص.. ولو أن المتابعة استمرت ٢٤ ساعة لتجاوز الرقم خمسة آلاف، لكن ظروف الطباعة حثمت التوقف ليس في الاستقبال ولكن في توقيت الرقم..

- إن صاحب أي شهرة شعبية.. زعيم، عالم، مفكر، مخترع، مصلح اجتماعي، مساند إنساني، كاتب.. لا يحلم أن يحصل على هذا الاندفاع الهائل في موكب تقديم العواطف الصادقة التي لم تُطلب لكنها أتت عفوية وباندفاع ولاء ومحبة..

رجل نادر.. عبدالله بن عبدالعزيز.. يستحق بصدق هذا التدافع العفوي خلف مشاعر نبيل العواطف ومصداقية الولاء..

بك.. كلنا فرج (*)

أن تكون أنت الساكن في عواطف الناس.. أنت الذي أسكنتهم بكل مواقع اهتمامات عقلك ومسافات إنسانيتك وعبقرية انفراداتك في كل المجالات التي حُقت لهم.. أمامهم.. فتح أبواب التميز بين شعوب يمتصها الركود ويخفي التخلف مواهبها.. وتركن إلى الخلافات عوضاً بائساً عن التحرك نحو الأمام.

لقد كنت قائداً نزيهاً وفاضلاً ومرشداً لكل فئات مواطنيك.. ليس هناك من هو قريب منك وآخر بعيد عنك.. الكل هم موكبك الذي أخذته نحو سيادات المجد عندما تصبح الثروة الوطنية مسارات تطوير لكل مرافق الحياة ولكل فئات المواطنين.. وهو ما فعلته أنت.. وإذا كان المواطن أي مواطن.. فخوراً بما هو عليه من حالات تطوير وخروج من آفاق الفقر والتخلف إلى مواقع السيادات الدولية.. فإنك جعلت هذا المواطن.. بموضوعيتك ونزاهة آرائك وحصافة وعيك.. جعلته يلتقي في مناسبات سفره بالآخرين من مجتمعات أخرى وهو صاحب زمالة محترمة بينهم..

لقد جعلت العيد عيدين.. عندما رآك الناس أمامهم بكل طبيعة وجودك يستمعون إليك بشغف، فأنت أبوة لا يريدون أن تبعد عنهم، وهم استمعوا جيداً بأنك تعاني من أزمة صحية عارضة فكانوا بأمس الحاجة للاطمئنان عليك.. ملأتهم فرحاً وإضاءات أعياد في قلوبهم وهم يستمعون إليك تتحدث بصحة والحمد لله جيدة.. هي لغتك.. هو مظهرك العام.. هو أنت الأبوة والرمز أمامهم في أروع الأعياد وأجملها.. لكل فرد منا أن يتصور تدافع الناس.. فئات لا تعرف بعضها خلف من تلقى في مطار أجنبي رسالة تقول: إن الملك يتحدث تابعوه.. تأكيد من صديق.. لكن الحضور في ساحة المطار يتحول إلى احتضان أصدقاء لا يعرفون بعضهم يسمعون منه مضمون الرسالة.. فيتراكضون بحثاً عن المشاهدة.. ملكنا بخير.. أبونا بخير..

ولقدرتنا العلمية الاقتصادية مشاركة نجاح (*)

انتهى موسم الحج فيما يخص أكثر أيامه دقة وأهمية في سياق مكانته كفريضة إسلام متميزة الجماعية، وتوحد الهوية الدينية بين مختلف الجنسيات في حضور متعدد التأثير عبر أيامه المحدودة، فيما توحى به وحدة الحضور من تأكيد سواسية كل ما هو منظور من تحرك نحو الصفاء ووجدانية العبادة وأداء الفريضة المقدسة..

في الواقع يحدث كل عام أن يتحقق هذا النجاح، ونردّد جميعاً التأكيد بأن النجاح يتواصل رغم تواصل زيادة الحجاج..

سنضعف التقدير للدولة إذا تأملنا جوانب أخرى ذات علاقة بتأهيل المواقع، المواصلات، الأمن، الرعاية الصحية، الحضور الإرشادي، معونة المحتاجين، معونة العاجزين.. إذا تأملنا ذلك وكل التفرّعات العديدة سنجد أن بلادنا.. دولتنا.. قد أنفقت الكثير.. الكثير.. حتى يؤدي أكثر من ثلاثة ملايين حاج وفي زمن وجيز معين.. وهذه ملاحظة مهمة.. الحج بنجاح مبهر..

ونظرًا لما ينفذ الآن من مشروعات تطوير وتحسين أداء سوف تشهد الأعوام القادمة معطيات نجاح تتواصل.. هناك جانب إكبار وتميّز يجب أن نقف عنده؛ وهو أن الدولة لا تتقاضى أي مصادر إيراد اقتصادي يأتي بها موسم الحج، وإنما هي تنفق ملايين صرف حتى يوفّر الاقتصاد راحة وسلامة كل حاج.. نحن نعرف أن دول العالم تستفيد من مواقعها التاريخية أو الفنية أو الدينية بما تتطلبه من عائد اقتصادي.. نتميز نحن بأننا من يصرف ولا يأخذ..

لكن.. كيف استطعنا أن نتحمّل كثافة المصروف.. بل أن يمر ذلك بشكل طبيعي معتاد.. أليس لأننا نملك مصادر اقتصاد سخية العائدات؟.. طبعاً ليست النخلة ولا يابس الأعلاف ولا أكياس البر حيث لا أرز في صحارينا.. من هو سخي بتعدّد سخاء الإنفاق؟.. عندما أشير إلى البترول فلست أشير إلى حقيقة غائبة عن أذهان وجود المجتمع، وإنما هي غائبة عن مفاهيم أقلية الانغلاق الديني الذين ليس بمقدورهم أن يرحّبوا بتعدّد الثقافات العلمية، وأن

(*) العدد ١٥٤٨٩ (١٤/١٢/١٤٣١هـ، ٢٠/١١/٢٠١٠م).

يكون لهم انفتاح على تعدّد نوعيّات التقنيّة التي يقود الرجل الملهم.. البارز.. عبدالله بن عبدالعزيز مجتمعه كي يستفيد من كل مصادر قدرات أرضه..
الانفتاح العلمي ليس له تضاد مع الدين، فأمامنا أحد مكاسبه في مناسبة يتكاثر فيها ثناء المسلمين على كرم الرعاية والضيافة..

إنهم في عقولنا وقلوبنا (*)

ليس هناك أروع من مشاعر المحبة تواكبها مشاعر التقدير حين تأتي عفوية طبيعية صادرة من العقول والقلوب في تلاحم قناعات واحدة.. في تمازج صفات إكبار واعية.. المشاعر والعواطف تُفتعل دائماً في عالمنا العربي وأحياناً بصيغ مضحكة حتى كادت مع التكرار أن تجعلنا نألف في كل مجتمعات مناسبات افتعال التعبير بل ونوعية من يفعل ذلك..

في مجتمعنا المنفرد باستمرارية تطوره وجزالة مشاريعه التتموية ووضوح الغايات النبيلة التي يتجه إليها.. عاش انفرادية الوضوح ومصداقية الجهود حتى أصبح الفرد الكبير في مكانته هو في الأساس مواطن في عضويته مع غيره.. هناك أساس قديم تؤكد شواهد أن النظام السعودي منذ بداياته سعى إلى تحقيقه وحدة تجمعات قبلية لم يكن من السهل ترويضها وعلى سواسية تعامل تفتقدها معظم مجتمعاتنا العربية.. يكفي أن أقول بأن الوسط الصحراوي وفي كل امتداداته شمالاً أو جنوباً، شرقاً أو غرباً كان قبل أقل من مائة عام يفتقد لكثير من مقومات البناء الحضاري لكنه أصبح اليوم يمثل التجمع السكاني العربي الذي يتزعم الواجهة الحضارية عربياً..

إن تدفق المشاعر عبر كل المساحات التي أحاطت بالملك عبد الله وهو يستقبل مهنيّه في يوم العيد وما كان عليه من نبيل مشاعر مألوفة عنده إنما كانت تحيط به عقلاً وقلباً ليس في مكان حديثه ولكن في جميع المنازل والميادين يتزامن ذلك مع ما في القلوب.. جميعها من أمان صادقة بأن يراه الجميع عائداً وهو في ذروة الصحة والعافية.. وليس بجديد أن نلمس أيضاً توقد عواطف المواطنين مرحبين بعودة سمو الأمير سلطان.. ولي العهد.. الرجل الإنسان الذي يجدون نبيله وكرم تعاطفه الإنساني ومصداقية دعمه لكل تطورات مجتمعه وهي سياجات براقية من مصداقيات العواطف حوله.. هو المتواجد دائماً مع الجميع.. وبعودة سمو ولي العهد الأمير سلطان وسمو الأمير سلمان الرجل الذي حوّل انكماش قرية الطين إلى

(*) العدد ١٥٤٩١ (١٦/١٢/١٤٣١هـ، ٢٢/١١/٢٠١٠م)

أبرز عواصم عالمنا العربي وجوداً معمارياً وسكنياً وجمعيات إنسانية تحتفي قلوب الجميع
بمناسبة محبة تتساوى فيها وجدانيات الوفاء مع ما في المواطنين من امتيازات مواطنة وما
عليه قادة تلك الامتيازات من أفضليات بروز وتميز..
حفظهم الله جميعاً قادة لهم مكانة التقدير والمحبة في عقول وقلوب الجميع.



(*) الملك عبدالله في القلب والعقل

من النادر أن تلتقي قلوب الناس في جماعية حب واحدة.. ومثل ذلك من النادر أن تتحد عقولهم في مهمة احترام واحدة.. عندما تلتقي كل العواطف وكل الأفكار في جماعية حضور ملايين تتجه بمشاعرها.. بيقين عقولها نحو فردية رجل واحد يتواجد عندهم في العقل والعاطفة.. إن ذلك مهمة إعجاز فريدة لا يرونها مسار أي حقبة تاريخية تجسد هذا الانفراد..

في الجماعية العامة.. ليس هناك من يطمع.. وليس هناك من يخاف.. بل تتواجد جماعية ولاء وحب واحترام ترى في الرجل كل حضور لوجودها بما تعبر عنه الأفكار والعواطف من شواهد إنجازات قدمها ذلك الرجل المتفرد بكثافة التقدير لهم في حياتهم تطويراً وتنوعاً ومساندة..

إن الملك عبدالله - زاده الله عافية وقدرة - وهو على بعد آلاف الكيلو مترات قد تواجد ملايين الناس بعواطفهم الصادقة وكأنهم على بعد مسافة سنتيمترات من ذلك الجبين الأبوي النظيف يقبلونه في خصوصية أبوة تلتف حوله..

هم لا يجدونه أمامهم فقط في مسافة وجود واحدة، ولكنه صاحب الحضور الذي يرونه بوضوح إشراقات الشمس في كل ما أنجزه من توجه بهم نحو حضور علمي وتقني وكفاءات قدرة معيشية.. لم يصرف ريالاً واحداً كما يصرف معظم قادة العالم الثالث كي ينالوا عبارات المديح، لكن الناس من منطلقات تطويره لحياتهم.. معيشتهم.. مستقبل بنوتهم يرونه حاضراً قوياً في كل مسافات وطنهم وتوجهات حياتهم..

مدن المملكة وقرائها يوم أمس جميعها كانت في مناسبات فرح شاملة عندما علموا أن الرجل الإنسان.. والقائد الفريد بابتكارات تجديده قد غادر المستشفى سليماً ترافقه إشراقات العافية.

(*) عبدالله بن عبدالعزيز انفرادية كفاءة الاحترام

أجزم وبتأكيد الشواهد أنه ليس هناك قائد .. على مستوى العالم له مكانة عبدالله بن عبدالعزيز في قلوب مواطنيه.

إن شواهد مثاليات الولاء له.. لا نبحت عنها من خلال سطور مقالة أو تفاصيل تصريح سياسي أو اقتصادي ولا هي شعارات حزبية سياسية أو وسيلة وصول طموحات إلى مكانة تقدير.. كل هذه الفئات بما يدفعها من حوافز متوفرة التقدير لرجل مجتمعا الأول عبدالله بن عبدالعزيز..

لكن.. ويجب التوقف عند هذه.. أليس الأروع ولاءً أو عاطفة ما نجده في عفوية التعبير وبساطته يقدمه تلاميذ صغار يحملون صورته أو يتجمعون حول عبارات دعاء له بالشفاء وعلى ملامحهم أصدق حالات التعاطف.. طلبة.. وشباب.. رياضيون.. شعراء بادية.. إن البيئة الاجتماعية البسيطة.. والتي هي أكثر الانتشار السكاني وجوداً هي الأصدق تعبيراً في إعلان ولاءات الحب..

إذا كنت ترى أن المجتمعات مستويات تفاهم.. مستويات تعليم.. فإنك إذا تجاوزت أكثر البساطة الشعبية وهي الأكثر مصداقية فيما تعبر عنه.. اذهب إلى فئة الاقتصاديين.. ومنها إلى أكاديميات الجامعات.. منها إلى متخصص نقد الأوضاع الاجتماعية من الكتاب.. ثم مستفيدي تطور التعليم وقريباً منهم من أسعدهم تطور الخدمات الصحية وبين كل فئة هناك من يرفع صوته عالياً مؤكداً أن عبدالله بن عبدالعزيز هو بطل أولوية معظم قمم الشهرة.. فإذا كان قد حمل مجتمعه عبر مختلف المشاريع واستراتيجيات التطور التعليمي والصناعي والاقتصادي بشكل تأسيسي نادر.. نعم نادر فإن الوحيد في حيازته لأولويتين نادرتي التكامل عن غيره حيث مع برهنة وعيه وإخلاصه ونزاهته وبراعة كفاءة مواطنته بما استطاع أن ينقل مجتمعه بمختلف فئاته إلى منطلقات الرقي الحضاري والمعرفي والاقتصادي فهو أيضاً حاز وبانفرادية رائعة على تقدير الأوساط الدولية لكفاءة موضوعية علاقاته الدبلوماسية سواء في تطوير الصداقات أو عبر جهود إخماد الخصومات..

ماذا سيحدث في العام القادم؟.. ليس في جدة وحدها..^(*)

«جدة»

المدينة التي عرفت بعروس البحر..
المجتمع المنفتح على الوجود الحضاري..
زمان.. قبل أن تتطور المدن.. كنا عندما نزور جدة ندخل في أجواء متغيرات ذوق لغة.. وحوار
ثقافة وطرافة تغذية..

عندما يأتي الإهمال فيحاول أن يجعل عروس البحر عجوز بحر، فإن ما حدث يجب أن
يوضع في ساحات المراجعة والبحث خصوصاً وأن الملك عبدالله من موقع استكمال علاجه
أصر بتصريحاته الجادة والنزيهة والمليئة بمشاعر الأبوة على أن لا يمر أي قصور فيختفي
تحت مظلة الإهمال..

ليس الأمر هو معرفة أسباب ما حدث في جدة.. فهي معروفة.. وليس الأمر تعليق نتائج
الكوارث بأن حجم الأمطار كان مفاجئاً.. ففي العام الماضي فوجئنا بهذا الحجم وبذات
العام كانت هناك تعليمات تصحيح للأخطاء وميزانية بذخ لإعادة تصويب ما هو قائم من
سلبيات..

لم يحدث أي شيء..

المسألة لا تتعلق بأمر منطقة، فأنا أعرف أن سمو الأمير خالد الفيصل هو من أنزه قيادات
العمل بل يكاد ينفرد بكونه المسؤول الذي قاد تطوير مرافق بدايات إلى ذروة نجاحات.. مثلما
بدأ برعاية الشباب فطورها من مكتب عمل صغير إلى شبه وزارة بملاعب حديثة وممارسة
منافسات عربية دولية ثم في أبعها.. وهناك قاد مهمات تحديث ليست بالسهلة ولا بالمحدودة
حيث نشر التطوير في كل أرجاء المنطقة.. أخيراً جدة.. ولعل مدينتنا الرائعة محظوظة
بذلك، حيث إن تجربة العام الماضي توضح عينات ومسارات فشل تجربة هذا العام..

(*) العدد ١٥٥٦١ (٢٧/٢/١٤٣٢هـ، ٢١/١/٢٠١١م).

الأمر يتعلق باتجاهين.. الأول أن بعضاً من مشاريع الدولة الكبرى تحاط بلغط يتعلق بالمستفيدين من وسائل تنفيذها.. يدخل في ذلك اتهام رجال أعمال معينين بأنهم حين يعطون مبالغ كبيرة للمسارعة في التنفيذ.. لا يتم ذلك فتتشعب الاستفادات خصوصاً أنه لا وجود لهم في أي مساهمات مع الدولة لتطوير مواقع التأخر.. هم مستفيد ومنفذ فقط.

يأتي بيت أبي الطيب المتبني الذي يقودنا إلى الاتجاه الثاني حين يقول:

ولم أرى في عيوب الناس عيباً كعجز القادرين على التمام..

وهو أنه إضافة إلى العنصر السابق وهو بروز الاستفادة على حساب نوعية الأداء نجد أن البيروقراطية الحكومية في أجهزة التنفيذ وبمختلف نوعيات إدارات الأداء الإداري تجعل أي مشروع يحتاج إلى مجرد شهرين حتى يتم إنجازه يتمدد إلى عامين أو أكثر لإنجاز نصف المهمة والباقي يقفل بعبارة «الله أعلم»..

بين يدي تجربة مضحكة.. متبرع بأرض، بناها وأثنتها لتوجد بها إدارة حكومية هناك لضرورة تواجدها، لكن بعد أن تم البناء والتأثير تبرعاً من صاحب الأرض، بما في التبرع ثمن الأرض.. قالوا: لا.. الدولة لا تقبل أن يدفع مواطن التكاليف.. حسناً.. التكلفة مع قيمة الأرض «٩٠٠ متر» ستمئة ألف ريال تقريباً.. قالوا: لا، هي دون «٤٠٠» ألف.. لا بأس.. قال: لم أطلب الثمن فادفعوا ما تريدون.. دفعوا دون «٤٠٠» ألف.. ليس هذا هو المهم.. المهم هو إنهاء معاملة تسديد، الطرفان متفقان عليها، لكن روتين الأداء في الإدارات الحكومية الممل جداً والبطيء جداً جعل مدة التنفيذ تتجاوز العام.. مع ملاحظة أن المبلغ «٤٠٠» ألف ريال وليس أربعة مليارات في مشروع كبير يغطيه مقاول عام ويتفرع منه مقاولون بنسب مختلفة.. إن الأداء الحكومي بطيء.. بطيء.. بشكل مقلق وما لم تتوفر متابعة عقوبات فإن أمطار العام القادم سوف تكون نتائجها أكثر سوءاً..

سؤال.. لماذا دول فقيرة ومليئة بالأمطار في شرق آسيا وأخرى غنية في كل أوروبا وكذا أمريكا الجنوبية مجهزة بكل أساليب الحماية بينما لدينا هنا عفوية بناء الأحياء ومجازفة استقرار السكان؟..

الملك عبدالله في عواطفنا وقدرات تطورها (*)

في عالمنا العربي عند تقييمك لأي وطن يلزمك التعرض لمعرفة حقيقتين مهمتين..
ما هي إمكانياته الطبيعية اقتصاداً ومستوى وعي؟..
ما حجم كفاءة ونزاهة من يتصدره قيادياً؟..
المعروف بداهة أنه عالم ليس بحالة إفلاس أو بؤس في إمكانياته، ولكن يختلف مستوى
الإمكانيات، وتطل حقيقة تقول إن احتكار مكانته القيادية بمفاهيم غير رائدة التطوير وهي
في صراع أن تكون.. فردياً.. أو لا تكون..

نحن في الواقع من امتدادات صحراوية فقيرة الإمكانيات استطعنا قبل عصر البترول أن
نوجد أول استقلال سياسي في عالمنا العربي، وعندما انطلق عصر البترول استطعنا أن
نحول قرية الطين إلى مدن الأبراج السكنية وامتدادات الاستثمار المتنوعة القدرات والنتائج،
ومن الطبيعي أن تكون مهمتنا في تكوين مجتمع يستفيد بكامل عضويته من امتيازات التعدد
الاقتصادي والكفاءة الاجتماعية في خلق تقارب الإمكانيات..

مهمة ليست بالسهلة بل كان يمكن أن تتواجد فروق مزعجة في تباين القدرات، لكن الملك
عبدالله بن عبدالعزيز استطاع أن يبرهن عملياً ويخطط وعي في الدرجة الأولى تواكب
خطط تطوير اجتماعي فتتمثل أهدافه ليس فقط في منجزات مشروعات تطوير ولكن
في خلق ضرورات وجود عدالة اجتماعية لم يستطع التطرف الديني أن يعيقها أو الاعتزاز
القبلي أو الطائفي أو المناطقي أن يحتويها بتميز خاص..

الملك عبدالله وبأرقام الميزانيات المذهلة التي وجهها مباشرة إلى مجالات تعدد الاستفادات
الاجتماعية وتقارب الفئات وكبح وجود البطالة يرافق ذلك التأهيل الأول لكفاءات المجتمع
الذاتية بغزارة تنوع الابتعاث..

بعد النظر وكفاءة التميز القيادي عند ملك الجميع السعودي هي التي فرضت تفوق هذا
التميز على كل مظاهر الإعاقات العربية..

(*) العدد ١٥٥٤٨ (١٤/٢/١٤٣٢هـ، ١٨/٢/٢٠١١م).

نحن الآن وفي كل أسبوع نقرأ عن بدايات حضور تطوير تشمل كفاءة الإنسان وتنوع كفاءة الوطن، وهذا هو التأهيل التأسيسي الذي سيجعلنا بعد أعوام ليست بالطويلة نقف إلى جانب دول سبقتنا قبل مئات السنين واستطعنا أن نلحق بها - إن شاء الله - عبر عشرات السنين..

عبدالله.. في العقل والعاطفة.. وفي كل مساحات التطور^(*)

في سجل التاريخ البعيد الأمد.. مئات السنين.. وأيضاً ما نعرفه من زمن الآفها.. قليلون جداً هم القادة الذين يقودون العواطف والعقول نحو مصالح أصحابها.. ترشيد سلوك.. وتطوير مفاهيم.. ودعم قدرات.. وإقرار جماعية تحرك شامل نحو كل ما هو أفضل.. كثير من القادة.. قديماً وحديثاً.. كانوا يعملون من أجل أنفسهم أكثر مما هو مع غيرهم.. ومن يحملون صفة الموضوعية يكونون أكثر وضوحاً في خدمة من ينتمون إليهم ما بين تعدد حزبية المجتمع.. نادرون جداً الرجال الذين يجمعون في آفاق اهتمامهم وجهود خدماتهم وصادق نوايا مواطنتهم.. يجمعون كل مواطنيهم في موكب إخلاص واحد وموكب تطوير واحد.. هم أحد أفرادهم وليسوا من يميزون أنفسهم بخصوصيات تبعدهم فكراً وعاطفة وتطوراً عن أولئك الأفراد..

إن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز نموذج رجولي وقيادي وعاطفي فريد في كل مسيرة تاريخ القيادات.. لا أبالغ بأي حرف كلمة.. من أراد أن يعرف انفرادية الرجل العظيم عليه أن يراجع مسيرة كبار القادة تاريخياً.. ولعل من غرائب التوقيت أن يأتي احتفالنا بكل مظاهر الفرح في حياتنا بقدمه سالماً، أن يحدث ذلك في زمن تتأرجح فيه المجتمعات العربية وسط قلاقل خطيرة في جهة وغامضة في جهات أخرى وكلها تشكو قسوة الفقر وقسوة التخلف وتتساءل أين مصادر ومواقع التطوير لفئاتها.. في حين تسابق عواطفنا إحياءات عقولنا بكل تقدير لرجل رفع رقم الابتعاث من ثلاثة آلاف طالب إلى ما فوق الثمانين ألفاً، ولو أن نصف هذا الكم الكبير فقط أتى خبير علم أو اقتصاد أو إدارة كل عام لقلنا جازمين إن التطوير الشامل يشمل كل مدننا ومساحاتها.. هو الرجل الذي أوجد أكاديميات العلم الجامعي في مدن نائية أقصى الجنوب ومثلها في الشمال ولا يقل الشرق أو الغرب عناية عن غيرهما.. كنا نستقبل رقم الميزانية السنوية في تاريخ صدورهما بينما

(*) العدد ١٥٥٨٤ (٢٠٠٣/٣/١٤٣٢هـ، ٢٣/٢/٢٠١١م)

عودنا الملك عبد الله على توالي رصد الأرقام بالبلالين لتأكيد انتشارات التحديث العلمي والحضاري والاقتصادي في كل أبعاد الوطن الكبير..

بلادنا ليست مؤهلة بتخلف قدرات إسقاطات العجز كما في العالم العربي، ولكنها مدفوعة إلى كل أمام بناء من حقنا بمنجزاته أن نتطلع إلى زمالة أوروبية بعيداً عن هوس التخلف السائد في منطقتنا وأسواق خصوماتها..



بقيادته لنا تميزاتنا الخاصة.. وتجاوز ركود الحلول السهلة^(*)

الصور التي تضعها بين يديك وتدرك منها بعينيك ما ليس مماثلاً لما يدركه غيرك هي مختلفة تماماً عن الصور التي يحتفظ بها عقلك كمعلومة ثابتة ليس من السهل أن تبقى فيه لو لم تكن في كفاءة ذروة الوصول إلى العقل وتتكامل عاطفياً بما يفسره قلبك لما بها من تميزات انفراديات خاصة..

من منا ليس في عقله وقلبه حضور متعدد لصور معطيات تأسيس مجتمع متقارب القدرات والطبقات وبالتالي متزامن المسار للخروج من تقليدية الركود العربي وأيضاً الخروج من شتات وتباين قدرات العالم الثالث..

للملك عبدالله.. الذي ينفرد عالمياً وليس عربياً فقط بانفراد تعدد صور التألق علمياً وحضارياً وثقافياً في عقولنا وقلوبنا.. له هذا الحضور الذي يختلف به عن أي كفاءة قيادية أخرى.. إن قلنا في العالم الثالث.. فلأنه لم يقبل بالركود ولا بالحلول السهلة كي تكون هناك واجهة مجتمع ولا يكون مهماً من هو خلفها.. وإن قلنا في العالم المتقدم فإن الملك عبدالله قد حقق انفراداً استطاع به مجتمع لا يفصله عن حياة البادية من السنوات ما يزيد عن الستين عاماً ولا عن التباين ما بين تصور حياته الاجتماعية على مواصلات الجمل ودفء بيت الطين وقدرة شارع لا يتجاوز عرضه الأربعة أمتار.. والشك ما إذا كان الفاكس وسيلة شيطان ثم إذا به يمتلك تميزاً عن أي مجتمع عربي آخر. الخمسة والثلاثون جامعة علمية معظمها تقني رائع، وتعدد في صحارى الأمس وجفافها مواقع التصنيع الجديدة، وتعدد ميلاد قدرات مواقع الاقتصاد الاجتماعية بكفاءة شركات أهلية وبنوك تميز خاص.. ولذا فالزمن الذي خرجنا به من بداوة الماضي ومحدودية الامكانيات لم يكن طويلاً كما هو عند الآخرين، لكن ربما بيننا الآن شيوخ سن متقدم عاشوا تلك المرحلة.. لن أنسى مهندساً من السويد كان جاري في شمال المربع وفي جلسة غداء.. قال لي: أنتم سعداء أكثر منا..

(*) العدد ١٥٥٨٥ (٢١/٣/١٤٣٢هـ، ٢٤/٢/٢٠١١م)

قلت له: هذا مستحيل.. قال: بل صحيح.. فأنا وأولادي وربما جدي لم يعيش أي واحد منا مراحل تطوير المجتمع ونزوحه من بساطة الامكانيات والقدرات إلى مرحلة حداثة التغيير والتطوير.. أنتم.. جيلكم.. محظوظ بذلك..

الملك عبدالله في قراراته التطويرية لم يكن يضيف بقايا مطلوب بقدر ما هو يؤسس بدايات أكثر من مطلوب، حتى رسخ حقيقة تميزنا عن غيرنا أوسطياً.. نحن نتحدث عن أنفسنا بتعدديات مشاريع التحديث والتطوير المتنوع فيما غيرنا يروي.. كيف كان.. وكم يتمنى أن يعود إلى ما كان.. أما نحن فننتقل بقيادة الملك عبدالله بقدرات مجتمعا إلى أولويات متعددة ومتنوعة الغايات والنتائج..

قرارات يوم أمس الرائعة.. ليست إجراءً مرحلياً لمعالجة حالة احتياج إليها، ولكنها اتجاه حكيم وبسخاء بالغ لكي تتم تلبية احتياج تطوير الحياة الاجتماعية بما وفرته القرارات من بلايين وصلت إلى الأربعين والثلاثين بليوناً، وامتدت قرارات أخرى إلى مواجهة غلاء المعيشة وكذا الضمان الاجتماعي وأوضاع مديوني القروض والشؤون العقارية.. ويرافق أهمية ما سبق توفير جهات رقابة تتابع مهمات الأداء..

الملك عبدالله ليس في عزلة قيادة مثلما هو حال معظم قادة العالم الثالث، ولكنه في بساطة وموضوعية وعواطف حضور اجتماعي شامل.. هل نسينا كيف ذهب إلى الفقير في بيته وشرب القهوة معه؟.. أليست باقية في أذهاننا صوره عندما تفقد بعض مواقع تجارية مهمة في الرياض وجدة والخبر.. كيف يتجاوز التنظيم الرسمي لدروب تنقله عندما يرى أن مواطنين ومواطنات قد ارتصوا في مصعد أو زاوية ساحة بعيدة عنه فيخرج من رسمية المسار ويتجه إلى المواطنين والمواطنات الذين فوجئوا بوجوده فكانوا يعبرون بأكفهم عن فرحهم بمشاهدته ثم إذا بتلك الأكف تلتصق بكفه عبر مصافحات تقدير متبادل..

(*) الطفل وبابا أبت الله

من الخطأ أن تُقاس أبعاد الحضور الإنساني وكفاءة الأداء الوطني وعالمية الحضور الدولي للملك عبد الله بن عبد العزيز وفق معايير ترتبط بمؤتمرات دولية من ناحية أو محلية اجتماعية من ناحية أخرى وتكون نتائجها ليس فيها بروز لانفراد دولة معينة عبر كفاءة قيادة معينة.. أو ما نجده في قرارات بعض قادة دول العالم الثالث وتحاول أن تجتاز به أزمة احتياج طارئة باللجوء إلى شيء من حلول مرحلية غير كافية..

الملك عبد الله في الواقع وعبر الشواهد وتعدّد المواقف والمناسبات هو رجل وقّر لقيادة بلاده قدرة حضور دولي مرموق أصر به ألا يكون تابعاً إلا لما تقتضيه مصلحة بلاده.. وأمامنا شاهد هو الأكثر وضوحاً عندما كاد أن يقطع مناسبة زيارته للولايات المتحدة الأمريكية عندما رفض قبول محاولات بوش الابن الخروج من موقف تستلزمه القضية الفلسطينية وكان هناك وضوح اتفاق حول ذلك..

عندما كان أحد المشاركين في مؤتمر حوار الأديان في نوفمبر ٢٠٠٨ فإنه لم يكن مجرد شاغل كرسي عضوية تقليدية وإنما كان من تتجه إليه أنظار زعماء الدول الكبرى وهم يتأملون فيه موضوعية مواقف تتنافى تماماً مع جمود عزلة التراجعية الإسلامية.. بحق كان هو نجم الحضور في عيون كل طبقات الحضور..

وبعد زمن وجيز قد لا يتجاوز اليومين أو الثلاثة كان عضو مشاركة مواقف واحتساب أهمية تلك المواقف لبلاده عندما كرّر النجومية الأولى في محادثات قمة العشرين لمعالجة الأزمة المالية العالمية في واشنطن..

المواقف الدولية التي تدعم هذا الرأي الذي لا يختلف عليه اثنان متوفرة أيضاً في حضوره لاجتماعات قمم الجامعة العربية، ثم ذلك المشهد الذي لن يُنسى، هو عندما خرج بقمة عربية عقدت في الكويت لمعالجة الأوضاع الاقتصادية من العبارات التقليدية إلى إعلان ضرورة الوصول إلى مواقف تعاون مشتركة والتخلي عن أي مبرر خلافات تتحول إلى صراعات..

وعلى الصعيد المحلي؛ فإن القرارات الجزلة التي أعلنت صباح يوم الأربعاء الماضي لم تكن في الواقع استحداثاً غير متوقع، أو هي طارئٌ جديد على الأقل في حجم جزالتها.. لأن الملك عبدالله - وأكرر هذه العبارة - هو في الواقع ليس مجرد قائد دولة يوالي تطويرها، ولكنه قائد دولة يوالي تأسيس منطلقات تميز لها عن جميع شعوب العالم الثالث، ثم إذا كانت أوروبا قد بنت حضورها التقدمي والاقتصادي والحضاري عبر ما لا يقل عن مئة عام فإنه وبجهود جادة يريد أن يبني هذا الحضور لمجتمعه عبر سنوات لو توفّر وعي مساند لن تزيد على العشرين عاماً.. أكرر شرط وجود الوعي الذي من شأنه توفير مساندة عمومية حضور اجتماعي.. لذا فقراراته يوم الأربعاء الماضي هي استمرارية جزلة..

لكن مع ما سبق.. أستطيع القول إن هذا الوعي المطلوب هو في حالات حضور لا يمكن إنكارها.. لا أريد أن نتأمل كيف كان استقباله في مطار الملك خالد من قبل الأمراء والمسؤولين ووجوه المجتمع، فهذا أمر طبيعي، لكن أريد أن نتابع مساحات ما بين المطار وحتى مجمع غرناطة التجاري، ثم مساء في معظم ميادين وشوارع الرياض الرئيسية، كيف كان الشباب والنساء والأطفال ينطلقون بأحاسيس سعادة متناهية حلقت بهم إلى سماوات البسمة.. تحدثني الزميلة أسهمان الغامدي عن الكم الكبير الذي تواجدت فيه الطالبات وسيدات المنازل مع أطفالهن والجميع يعلن بهجة الفرح..

مساء يوم أمس الأول خرجت من مكثبي عند الساعة العاشرة مساءً، وعند مدخل هايبر بنده قطع طريق المدخل أمامي طفل كدت أتعثر به وكان يركض ربما ليلحق بأحد من أسرته.. صغير.. ربما في سن السابعة، وبيده علم أخضر.. أوقفته لأضعه في الاتجاه الصحيح، وفي نفس الوقت كان أحد إخوته يقترب منه.. سألته لماذا هذا العلم؟.. نظر إليّ وقال: علشان بابا أبت الله.. يقصد.. بابا عبدالله.. وكانت أجواء المدخل حافلة بالكثير من العائلات بينهم أو أمامهم أطفال يحملون أعلاماً صغيرة..

(*) نحو شمولية اهتمام

«صدر أمر خادم الحرمين الشريفين بتثبيت كافة المواطنين والمواطنات المعينين على كافة البنود ويتقاضون رواتبهم من ميزانية الدولة، كما يشمل الأمر من يعملون في الأجهزة الحكومية ويتقاضون رواتبهم من خارج الميزانية العامة.. القرار الملكي يشمل المعينين على لائحة المستخدمين وبنود الأجور وبنود ١٠٥ ممن تم تعيينهم أو التعاقد معهم بعد الأمر الكريم بتاريخ ١٤٢٦/٦/٢٥هـ ممن يحملون مؤهلات علمية ويزاولون أعمالاً لا تتفق مع طبيعة الأعمال التي تشملها مسميات الوظائف المنصوص عليها في تلك اللائحتين، وأن يكون التثبيت عن طريق لجنة مشكلة من وزارتي الخدمة المدنية والمالية والجهة ذات العلاقة وفق ضوابط تضعها الوزارتان»..

يمضي القرار فيوضح أن التعيين قائم هذا العام بوجود الوظائف لكنه سيكون إلزامي التنفيذ في ١٤٢٣ و ١٤٢٤هـ..

هذا القرار ومثله قرارات كثيرة.. مثله مستجدات تحديث علمية وطبية كثيرة.. مثله تطوير مرافق عمل واستحداث أخرى كثيرة.. هذا جميعه أتى من نبل وإنسانية وكفاءة رجل لن يدانيه في مجد عبقريته أحد.. وكما في عقولنا سمات أشخاص نادرين عبر مئات أعوام ندين لهم ببناء استمراريات لتاريخنا المشرف فإن الملك عبدالله سوف يبقى في أذهان أجيالنا القادمة أيضاً عبر مئات أعوام لأنه الرجل الذي أسس منطلقات هذا الجيل..

حسناً.. لكن لماذا لا تكون إدارات التنفيذ والأداء الحكومي في مستوى كفاءة إدراكه للاحتياجات ورفضه أن يعلق جامعيون وجامعيات بوظائف عارضة لا تضمن استمرارية بقاء ولا توفر أكثر من عائد عمالة.. هذا غير الباحثين عن وظيفة ما..

الميزانيات موجودة وبسخاء، وإذا حلّ بها قصور فلأن من أعدها لم يفكر بغيره.. لست وحدي من يتصور، ولكن الكل يرى ذلك؛ وهو أنه لو توفّرت أجهزة أداء تنفيذية تزامن كفاءة اهتمام الملك عبدالله بمواطنيه لانتشرت عدالة التوظيف وكفاءة العائد الشهري عند كل مواطن..

(*) العدد ١٥٥٨٩ (١٤٢٢/٣/٢٥هـ، ٢٠١١/٢/٢٨م).

في رصيد مستقبلنا رصيد تطوير هائل.. فلماذا العبث؟^(*)

في «لقاء» يوم أمس تناولت وضع المتاهات العربية وسط الأغراض المخيفة للدول الكبرى، ومحاولات الحضور الجديد لمجتمعات شرق أوسطية أو قرب شرقنا لأن تكون ذات نفوذ في عالم متعدّد التشتت، ولم يتفق على برمجة مهمات بناء عربي متقارب الأهداف، وأن ما يحدث في الحاضر من إعاقات اقتصادية وتبادل قتل فهو أيضاً في بعض المواقع غامض في غاياته، ثم إن الوصول إلى إنجاز مهمات تطوير اجتماعي ورفع مستويات معيشة أمر ليس بالمستحيل متى توقّرت موضوعية التصرفات..

لقد ذكرت أننا أصبنا كعرب بخيبة أمل عندما تحوّلت شعارات متغيّرات ما قبل الستين عاماً إلى كوابيس تخلف، وبالتالي يفترض وجود عقلانية عمل وتوفر تأهيل قدرات قابلة لذلك..

وإن كنت يوم أمس قد طرحت مقارنة بين سائد العالم العربي وخصوصيات الخليج وضرورة تماثل القدرات الاقتصادية بين مجتمعات دول مجلس التعاون، فإنني اليوم أشير إلى إيجابيات الخصوصية السعودية التي أسّس لها الملك عبدالله بن عبدالعزيز منطلقاً تطوير متعددة الغايات والأهداف، حيث يتم بناء الحضور الصناعي ومثله التقني وتنوّع الكفاءات الاقتصادية وتطوير أكاديميات التعليم، ثم أخيراً حوافز القضاء على البطالة ومحاصرة الفقر..

هذه الإستراتيجية التي رصدت لها مئات المليارات بما لا يتوفر رصداً لمستقبلية أي مجتمع في العالم الثالث عبر كل القارات.. بدهي أنك لا تستطيع الحصول على النتائج بمجرد صدور القرارات، وبالتالي فإن مَنْ يُقحم متطلبات ليست بالمستحيلة هو كَمَنْ لا يعرف شيئاً عن إمكانيات حضور المستقبل، أو هو يعرف ذلك لكنه يرصد اعتراضه بحثاً عن شمول ضياع الاستقرار ثم إيقاف حركات التوجه إلى الأمام اقتصادياً وعلمياً وصناعياً في انفرادية هائلة لن تتواجد في أي مجتمع عربي..

(*) العدد ١٥٥٩٥ (١/٤/١٤٣٢هـ، ٣/٦/٢٠١١م).

هذه الانفرادية.. ليست عبارات من خطب قائد ولا هي كلمات من موضوع كاتب.. ولكنها حقائق أرقام هائلة دُفعت فعلاً لكي نخرج عملياً من ركود الشرق الأوسط وتعثّراته وتعدّد خلافاته إلى زمالات مشرفة وبناءة مع العالم المتقدم..

وأجدني سعيداً بما أصدرته وزارة الداخلية أمس من بيان متعقّل وواع يحجب الطريق أمام أي احتراف للفوضى تعيق مشاريع التطوير الكبرى.. يستطيع أي صاحب وجهة نظر أن يقول رأيه.. وجميعنا لدينا وجهات نظر تصحيح لأي أوضاع، وهو ما يفترض أن تكون عليه شعوب تعتز بقادم تطوراتها.. أما العبث فهو إعاقة..

ولعل كثيرين لا يعرفون موقفاً طريفاً حدث في جامع الراجحي بعد صلاة الجمعة حين قام أفراد قليلون يريدون حمل لافتات تطلب التظاهر أنه كلما قبض الأمن على أحد منهم يرتفع تصفيق المشاهدين.. وهذا شاهد حضور وعي..

ليكن وعينا وثقافتنا في مستوى رصيد إمكانياتنا (*)

ثقافتنا ووعينا لن يكسبا كفاءة المعرفة مادام هناك مَنْ يريد أن يواصل بنا البقاء في غياب العزلة.. وهو ما تبدله أقلية لا تصل إلى نسبة اثنين في المئة من عدد السكان.. وإذا أخذنا آراء هذه الأقلية وقمنا بمقارنتها بآراء الوجود الإسلامي الشامل عالمياً فإنها لن توجد مقارنة جديرة بأن تُقرأ..

هل المسلم العراقي أو المصري أو الإندونيسي أو التونسي أو السوري أو الأردني أو الباكستاني أو الإيراني أو التركي يؤمن بأي جزئية بسيطة من مفاهيم الانغلاق الديني الموجود في بلادنا؟ بالطبع لا.. ولا نستطيع أن نقول عنهم بأنهم خارج وجود الإسلام.. يكفي أن الأزهر مرجعية دينية عالمية القيمة والثقافة وكفاءة الوعي..

على مؤسساتنا الدينية أن تفكر بهذا الواقع.. هذا الانعزال في بعض فئات مجتمعنا.. لا تغرر بنا شهادة دكتوراه بائسة عندما ينادي مَنْ يحملها بهدم الحرم المكي لمنع الاختلاط، وكأن الإسلام طوال أكثر من ١٤٠٠ سنة كان في مسار ديني خاطئ.. أو آخر يكتب عن طريق النت مقالاً تحريضياً صاحباً يعرض فيه بعقيدة مسؤول مشهور بالنزاهة والكفاءة والنجاح المتواصل في ثلاثة مواقع مسؤولية قادها مجرد أنه قال بضرورة أن يكون مَنْ يمارسون تحفيظ القرآن من علماء البلد أو مدرسيه وليس من دول أخرى.. وكذا التعريض بوزير رفض جعل مكتبه موقع تأثير على عقائد الموظفين..

الأكثرية من هؤلاء.. ليسوا مسيئين، وأفهم أنه يملؤهم اعتقاد بأن ممارساتهم فيها هداية للمواطنين، والسبب أنهم لم يجدوا في فئات الدعاة مستويات وعي إسلامي يرشدهم إلى الصواب.. أقدر لأئمة الجوامع جهودهم في مجالات التنوير من خلال خطبهم.. نحن نحتاج إلى تنوير ديني أكثر من أي احتياج آخر.. دولتنا.. الملك عبد الله بالذات.. رصدت بلايين للتطوير الشامل في مختلف المجالات، ولن تُسعد مجتمعنا ونوقر حماية أمننا ومستقبلنا إلا بما سوف يعطيناه ذلك التطوير من مكانة اقتصاد وعلوم وقدرة قوة..

(*) العدد ١٥٥٩٦ (٢/٤/١٤٣٢هـ، ٧/٣/٢٠١١م).

أجزم أن كثيرين ممن اكتفوا بمفاهيم دينية محدودة لو توفّر لهم حوار هادف وموضوعي ورجال دعاة مؤهلون لخرجوا من مفاهيم الانغلاق إلى واقع الموضوعية العقلية الإسلامية التي كانت هي أول وصول بالإسلام إلى إدراك معجزات قدرات الخالق، وفي نفس الوقت وضع الإنسان عقلياً ومعيشة اجتماعية في مستوى قدرات تفوقه البشرية..

لماذا لا أقرأ كتاباً أختلف مع مفاهيمه؟.. كيف أستطيع أن أنتصر على مفاهيم ضد موضوعيات دينية ما لم أكن في حالة إدراك لتلك المفاهيم؟.. ليس كل من قرأ كتاباً يتضمن انحرافات مفاهيم متعددة يعني أنه سوف ينقاد وراء تلك المفاهيم، ولكن سيعني تطوّر قدرته في توثيق إدانتها..

هذه ناحية.. والأخرى؛ أن وعي الإنسان ومصادر معلوماته لم يعد متوقفاً عند حدود ما كان يمارس في الماضي.. لم نعد بحاجة للسفر كي نشترى كتاباً لمفكر معين؛ لأن وسائل النقل الالكترونية أصبحت تنقلك إلى كل الآراء والمفاهيم وأنت مع فنجان قهوة بيتك..

أرجو أن نعي جيداً.. وأن نتفاهم جيداً.. فنحقق كفاءة مواطنة في وعيها وعلومها في مستوى كفاءة إمكانياتها.. وإلا فلا قيمة لتلك الإمكانيات..

(*) مرجعية العقل.. وإدانات الشواهد

لا أدري لماذا يستجيب الإنسان العربي لمؤثرات تصرفات مَنْ حوله أكثر من استجابته لضوابط مفاهيم عقله؟..

هناك أشياء خطيرة وراء ما يحدث في العالم العربي.. إنه ليس مجرد صراع بين سلطة وحاكم، باستثناء ليبيا، حيث كل دولة عربية بمقدورها أن تعالج واقع ظروفها المختلفة بين مكان وآخر دون اللجوء إلى دمويات..

إن البحرين مثلاً تختلف تماماً عن الجزائر، وإن سلطنة عُمان تختلف تماماً عن إمبراطورية ليبيا، وإن مأساة العراق من حيث ضياع جماعية الرأي تماثلت مع ما أصبح أكثر وضوحاً في لبنان..

نأتي إلى المملكة..

ما هي الدولة الشبيهة بها عربياً في إمكاناتها وما رصدته لتطوير مستقبلها؟..

لا أتحدث عن مخزون البترول، وكم يمكن أن يُباع، ولا عن رقم ميزانية العام.. وإنما أتحدث عن أرقام بالآلاف البلايين سبق أن أعلنت وسبق أن وُجّهت لبناء حضور اقتصادي وصناعي وعلمي في مختلف أبعاد المملكة من جازان جنوباً وحتى تبوك وحائل شمالاً.. يضاف إلى ذلك إجراءات تحسين أوضاع المستويات الاجتماعية المتدنية، وما لم يتحقق الآن فوراً فقد صرفت من أجله مبالغ ليست بالسهلة حتى يصل إلى واقع الحلول العملية..

أي بلد يجوز أن أقارنه مع المملكة إمكانات ورصيد ثروات وجدارة استقرار؟..

السؤال: مَنْ الذي يحرك أوضاع هذا العالم العربي بحيث تم الخلط بين محتاج لمعيشة وعدالة وبين مَنْ هو يتجه إلى تطوير أفضل مما هو فيه؟..

كنت أتحدث يوم أمس مع كاتب عربي مرموق عمل معي في «الرياض» فنياً قبل ثلاثين عاماً واستعرضنا أوضاع الدول العربية فقال: ليست هذه هي أوضاعهم لكنها مظاهر استجابة لا يدرون عنها لمؤثرات تحريك أجنبية تواصل دفعهم إلى مزيد من الصراعات والضعف..

نعم..

قبل ثلاثة أيام أبرزت وسائل إعلام معينة القول بأن أمريكا تريد من السعودية تزويد الليبيين
بسلاح ضد دولتهم.. نعم؛ إن أمريكا تزود إسرائيل.. علانية، لكن ما علاقة السعودية بليبيا
وهي لم تفعل ذلك مع فلسطين وهي الأكثر دعماً مادياً لشعبها..

ثم يأتي خبر تهديد نشره كاتب أمريكي يدّعي فيه أن المظاهرات ضرورة.. ولم يقل لنا في
أي مجتمع.. عنده أم عند شعب يسعى حثيثاً لكي يصل إلى درجة مكانة شعبه الحضارية..
أليس هذا نغم إعاقة حين يواصل قائلًا بأن أمريكا وحلفاءها سوف يدرسون إمكانيات تغيير
مواقع تمويلهم البترولي.. إياك أعني واسمعي يا جارة..

للسيد الكاتب أطلبه أن يراجع كيف كان العراق قبل عبدالكريم قاسم وكيف هو بعده؟.. فقر
وظلم وقتل.. وعن الرئيس التونسي كيف حوّل وعود فردوسه إلى جحيم فقر؟.. وماذا هو
السودان بعد سوار الذهب؟.. وكيف أن الأنظمة الثورية قبل الوحدة جعلت من عدن زبالة
عجز هي التي كانت تتنافس لبنان في تقدمها؟..

رحم الله الملك فيصل.. الرجل البطل الذي تصدى لعداوات حاصرت بلادنا من كل مواقع
الحدود شمالاً وشرقاً وجنوباً.. أما في عصرنا الراهن فإن الجندية خلف الملك عبد الله لا
تتمثل بقوات عسكرية مؤهلة فقط، وإنما بملايين من المواطنين شهد العالم كيف رحّبوا به
لأنهم يعون جيداً كيف فتح آفاق التطوير لمستقبلهم وخروجهم من إعاقات الشرق الأوسط
عبر آلاف المليارات في مشروعات تنفذ بداياتها أمامهم..

نحن أساس الوجود العربي.. ونحن مثالية تطوير حاضره..^(*)

لن ندعي أننا في مثاليات معيشة خاصة..
أو انفرادية بروز عالمي..
لكننا من شعوب العالم الثالث وتميزنا بخصوصيات حضارية.. وأهم من ذلك عمومية
اندماج اجتماعي لا تجهيز صراعات فئات..
وقليل جداً في العالم الثالث من هو في هذا المسار..
نحن لسنا مخدرين بوعود لكننا منطلقين بمشاريع تطور مرصودة ومعروفة ومتداولة
المعلومات بين كل الناس..

ربما أن ما هو مرصود لمشروع واحد يمتد تأسيسه من أقصى الشمال حتى أقصى الجنوب
يفوق كامل ميزانيات ثلاث دول عربية أو أربع..

مسارنا منذ ما لا يقل عن مئة عام.. لم يكن مسار خصومات أو تصفيات..

الملك عبد العزيز لم يكن يهمله بالدرجة الأولى أن يحكم بقدر ما كان يهمله أن يطور.. هو الذي
بدأ بقيادة قرية وبادية، ثم تعرف عليه العالم وهو زعيم دولة فأطلق بدايات الحضور المتمدن
ولم ينكفئ مع رغبات التخلف مثلما كان الحكم آنذاك في اليمن..

الملك فيصل وهو رجل نادر في نزاهته وموضوعيته عندما حاصرته الأنظمة الثورية الطائشة
من معظم جوانب حدود بلاده، ووقتها كانت الثورية براقحة الحضور في عواطف الحالمين،
فعندما واجه الملك فيصل عداوات الحدود فإنه لم يواجه عداوات في الداخل، فالكل كان
ساخرًا أمام واقع هزيمة تلك الثورات وطرح في مجتمعه بدايات حداثة لم تكن معروفة من
قبل وتزعمت بلاده أول حضور إسلامي دولي ثم نجومية أي لقاءات قمة عربية..

نحن كمجتمع لسنا مع تشتت ولاء أو تمييز علاقات بين حاكم ومحكوم، ولكننا مع أسرية
مشتركة العواطف وهي حاليًا في نجوميتها العربية بفروق هائلة جدًا مازالت تذكرنا كيف

(*) العدد ١٥٥٩٩ (٥/٤/١٤٣٢هـ، ١٠/٣/٢٠١١م).

كانت بدايات عصر البداوة التي ظلت مهملة تاريخياً لأكثر من ألف وثلاثمئة عام حين كان النظام الأموي ثم العباسي ثم العثماني لا يعطونها إلا الإهمال وتجميد الركود، فإذا بهم في عصر الدولة السعودية بالذات أخصائيو اقتصاد وعلماء طب ومتخصصو هندسة.

لا نحتاج لمن يعيدنا إلى هذا الماضي القريب، فهو موجود في ذاكرة طفولتنا.. طوال الأكثر من مئة عام لم نعش كما في الدول العربية الأخرى عمر خصومات بين حكومة ومجتمع، بل إننا نحن المتواجدة فينا كل أساسيات وفروع القبلية العربية لم نعش حروب عرقيات ولم تحركها خصومات حكومة مع مجتمع لتكون مع وضد، وفي كلتا الحالتين يتوفر ظلم فئة لفئة، بل استطاع النظام الذي بدأنا معه - بل نحن بدايته - تواجد وحدوية المجتمع وفق قيم إسلامية لا قبلية..

لقد أوجد الملك عبدالله منهج الحوار الوطني المفتوح وهو لغة حوار لا خصومات كما عند غيرنا لمواصلة تطوير وطن ومجتمع هما الأساس العربي.

مشاعر الملك وموضوعية شواهد الأمير نايف (*)

ماذا تريد من برهان محبة ووفاء أكثر من وجودك في قلب رجل يحبك.. يستبد به الإعياء.. وتفاعل التخدير الطبي في غرفة العناية.. وغيره في مثل تلك اللحظات لا يستطيع أن يتأمل إلا ظروف شخصه وعافيته لكنه وبصوت خافت كالآتي من سماء بعيدة.. يسأل عن مجتمعه.. وطنه.. مواطنيه.. وتلك انفرادية وفاء نادرة تم تداولها يوم أمس عن الملك عبدالله بن عبدالعزيز فيما رواه الأمير متعب بن عبدالله..

إننا لم نمر بمواجهة خصومات حتى ولو ادعت أنها تطالب بحقوق عادلة لأن وسائل المطالبة بأي شيء مشروعة لكن بعيداً عن التأليب والترهيب وهو ما تمتلئ به الشوارع العربية وأصبح جزءاً من ثقافتها وتراه يمثل أهمية حرياتها لكن لأن مقاييس الثقافات والحريات لا تستحضر.. لا تستبان من خلال عراك الشوارع وفروسية الهتافات ثم التحول إلى تعدد الولاءات خلف تعدد الخصومات.. شوارعنا يوم الجمعة الماضية كانت خالية من أي عبث وكان الرائع أن يوجد صحفيون غير عرب شاهدوا كيف كنا مواطنين آمنين لا «محركين» آليين وراء تدمير قدرات مجتمعنا ذات الكفاءة النادرة لبناء مستقبل متميز قريب التواجد..

الأمير نايف بن عبدالعزيز في مقدمة كلمته عند افتتاح مؤتمر العمل البلدي الخليجي السادس.. كان فخوراً بكل شبر من أرض بلاده وبكل عناصر مواطنة فيها اختلاف الأعمار واختلاف القدرات لكن تجمعها وحدانية ولاء واحد لوطن واحد.. نحن الآتون من بداوة قريبة يقل عمرها عن المائة عام أصبحنا الأكثر حداثة وعي وممارسة جهد وجماعية ولاء بعيداً عن كل محرضات الركود والسقوط عند غيرنا.. والرجل الذي سجل لبلاده أرقى قدرات الحضور الأمني.. نايف بن عبدالعزيز.. لم يأمر بإفقال أي شارع مرور أو ميدان تجمع يوم الجمعة الماضي أو أن يفرض فحص هوية عند مدخل كل جامع لكنه.. هو الوثائق جداً من نزاهة مجتمعه.. ترك إيجابيات الوعي وكثافة حجم توحيد المواطنة كي يعبر للآخرين عن حقيقة انفرادنا بهذا المستوى من كفاءة التفهم إلى أين نتجه وإلى أين يتجه

غيرنا .. وكيف تراجع ذلك الغير هو الأكثر تمييزاً في بدايات تحديثه وتعليمه وكيف انطلقت بنا الرعاية القيادية الواعية والعادلة نحو المستويات الأفضل وأهم هذه المستويات جزالة اليقين بأهميات الوحدة الاجتماعية ..

قدم الأمير نايف يوم أمس الأول حقائق الولاء المتبادل بين أبوة قائد وجماعية مشاعر محبة أبناء عبر تعددات الشواهد ..

فإننا نقدم لسموه إكبارنا لما ميز به أمننا بجماعية الرعاية وليس تسلط فئة ضد أخرى كما عند غيرنا وفرض امتدادات الأمن في كل مساحات وطننا رغم أننا مستهدفون من قبل مروجي الإرهاب.

(* قائد نقل الحاضر إلى المستقبل

الأكثر إيضاحاً أن نتأمل حقائق تملأ العقول.. منها ما تشمئز منه أكثريات في عالمنا الثالث، ومنها ما تياس أن تصل إليه تلك الأكثريات في العالم الأول..

رجل الدولة الأول.. في العالم المتقدم هو رجل تواصل لدولته بين ما سار عليه مَنْ هو قبله من تطوير جديد، أو على الأقل محافظة على واقع تقدم كي يواصل مَنْ يأتي بعده سلسلة وطبيعة المشوار..

في العالم الثالث الأكثرية من مجتمع هذا الحشد السكاني التائه يتساءل عند بدايات رجل دولتهم الأول ما إذا كان سيوقف بعض تعدد الإهمال والتراجع وضياع الحقوق.. مجرد بعض فقط.. أم - وهذا السائد - سيواصل بهم مهمات الهبوط؟..

نحن في الواقع.. في المملكة.. قبل أن نختلف عن أكثريات العالم الثالث وبالذات عالمنا العربي فيما نملكه من إمكانيات وولاء مواطنة يأتي رجل الدولة الأول في بلادنا.. وهو في الحقيقة الرمز لصفة المواطن الأول.. يأتي وهو نموذج تأسيس سعى لأن يأخذ الجميع نحو مثاليات العالم الأول..

الملك عبد الله في فكره وممارساته ليس مجرد رجل قائم بمهمات ملك دولة أو أنه يستجيب لبعض مطالبات إصلاح في مجتمعه.. هو أكبر من ذلك.. لو أخذنا فقط أهمية ما أسسه من تنوعات تطوير في التعليم والصناعة والاقتصاد والمرافق الاجتماعية لوجدنا أنه رجل يؤسس منطلقات تطور كبرى ليست بالعادية أو السهلة أو سطوياً أو عريباً أو حتى إسلامياً، فمن الخمس جامعات مثلاً إلى ما فوق الثلاثين ليس بالقرار السهل.. نفس الشيء تباعد أرقام الابتعاث.. أنواعها العلمية.. توزع مواقع التطوير على كل امتدادات المملكة.. تأهيل تعدد مصادر القدرات الاقتصادية.. هذا قبل أربعة أعوام فقط.. ثم قبل بضعة أسابيع عندما عاد من المغرب سبقته قرارات تأسيس جديدة لقفزات امتدادات حضارية ليس من السهولة أن يحصل عليها أي شعب على امتداد عشرين عاماً.. ثم يتحدث أمس إلى أبنائه، إخوانه،

أهل بيته الكبير من حدود سوريا والأردن حتى حدود اليمن بإعلان قرارات ملكية واسعة الأهداف والنتائج وحدها أيضاً رصد قدرات قفز بالمجتمع الذي مازال ساخن التصفيق لمصداقية الحب في قلب الأب الكبير عقلاً وعاطفة على منجزاته قبل أقل من الشهر، فإذا هو لا يكتفي بذلك لكنه يأخذهم إلى مرافق دفع هائل إلى الأمام في مرافق شتى ليس من السهل أن يشملها هذا التناول في موضوع واحد ..



كل قدرات الانفراد.. جزيلة.. فماذا عن الأداء الوظيفي؟ (*)

بداهة تجاوب المواطن على اختلاف مستويات معيشته، ومستويات كفاءة تعليمه، وفوارق سنين العمر.. تجاوب.. من منزله، من شارع وميدان موقع إقامته، مما عبر عنه كقارئ وفيما أتحف الصحف به من براعة شعر.. في معظم مناسبات المنافسة.. ليس في مجتمعنا فقط ولكن في الكثير من أنحاء العالم وبالذات في عالمنا الثالث.. أحياناً يأتي التجاوب وهو منافسات أفراد أو عائلات أو قبائل أو مذهبيات للوصول إلى شموخ كفاءة رجل كرم.. أو رجل مساندة فيما يعود به للرجل أو المرأة من مكاسب..

الذي حدث هنا.. وليس اكتشافاً خاصاً لكنه تمثل بجزالة شيوع لغة المنزل والشارع وميادين تلاقي مختلف الفئات ومواكب الانطلاق من المدارس.. وفرص التعبير بمختلف الوسائل.. الذي حدث هنا.. وضوح صارخ.. كما هو وضوح الشمس في صباح ربيع أخضر لأنه كان شمولية اجتماعية من الصعب أن تتمثل.. براءة، واعتقاداً، و يقيناً، وعواطف، وقناعات عقل لدى أي مجتمع آخر..

هذا الحضور الرائع الأبعاد لخدام الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز في كل واقع وخيال وأحلام حضورنا الاجتماعي يتزامن مع تطلعاتنا لنوعية حضور مستقبلنا عبر عبقرية الفكر وكفاءة القيادة حيث تجاوز بهما الملك عبدالله كل صفات تقليدية إلى بروز أداء نادر..

قلت في «لقاء» أمس إن الملك عبدالله لم يكتفِ بالتعامل مع الحاضر ولم يمارس غرس بعض اطمئنان وبعض تفاؤل؛ لكنه أخذ المواطن والمواطنة إلى أبعاد ثقة بوجاهة مستقبل قادم وليس فرحاً طارئاً بالاطمئنان على شمولية سلامة حاضر قائم..

الرجل العظيم.. ليس في يوم أمس الأول.. ولا ما قبل عشرة أيام.. لكنه في كل أبعاد توزيعه لمشاريع النمو كان يربط المستقبل بالحاضر، كان يتعامل مع الحاضر - ولازال - على أنه

(*) العدد ١٥٦٠٩ ١٥/٤/١٤٣٢هـ، ٢٠/٣/٢٠١١م

منطلقات البناء النموذجي.. العلمي الاقتصادي الصناعي.. لامتيازات المستقبل..
ما نريده أن يواكب هذا الطموح.. هذا البذل السخي الإيجابي للوصول إلى مستقبل قريب
يلحقنا وبسهولة بدول العالم المتقدم..
ولماذا لا يكون بسهولة مادمنا نوظف المال وقدراتنا التقنية وجاهزية عدد مواطنة ملائم كي
تتجز حضور نجاح ذلك المستقبل..
الشيء الذي نريد أن نتأكد من كفاءته.. من وعيه بأهميات مبررات الطموح.. كفاءته في فتح
مسارات تلك الأهميات.. أعني أجهزة التنفيذ.. فمما يسيء في بيروقراطية العمل الحكومي
أن يتعثر مسار مشروع لأن كاتب الصادر والوارد ذهب لمراجعة مستشفى، أو لأن الممثل المالي
ذهب لصلاة الظهر منذ يومين ولم يعد إلى مكتبه..

مع الملك عبدالله.. إنجاز العام.. بثلاثين عامًا (*)

أساسًا لم نكن على مستوى متماثل مع كل عالمنا العربي.. صحيح بدأنا حضاريًا متأخرين بحكم ظرفنا الجغرافي وانصراف الخلافات الإسلامية عنا..

لكن ما هو صحيح أيضًا هو أننا استطعنا في زمن وجيز يقارب المائة عام أن نحقق كفاءة وصولنا إلى ما نحن فيه..

ربما تجد في خارج حدودك من يشك في ذلك.. لكن طبيعة حياة ونوعية إمكانيات من يعيشون داخل حدودك هم من ينفون ذلك الشك..

إذا كان أن الملك عبدالله في قراراته التاريخية التأسيسية منذ أعوام قليلة قد أطلق مجتمعه وكفاءة بلاده نحو مواقع التأهيل الذي هو - أي المجتمع - جدير بها.. فإنه لم يكتف بوجود هذا التأسيس.. لم يكن الأمر عنده مجرد رصد أموال طائلة في الطريق إلى حضور إنمائي وتقديم مرموق..

انتقل من رصد المشاريع المتنوعة الاختصاصات إلى مسؤولية تحريك واقع المواطن.. موظف أم عاطل.. وظيفته أساس كفاية وضمان مستقبل أم تعاقد مؤقت.. ما مستوى قدرات توظيفه؟ كيف يمكن أن يملك السكن؟ كيف يمكن - وهذا أساس منهجي - أن يستفيد من تميز بلاده بالقدرات من صفات تميز يختلف بها عن غيره في دول أخرى؟..

تشعر بتعدد مشاريع الانطلاق إلى الأمام.. تعدد مناحي معالجة احتياجات تنمية تقدم المواطن.. توفير احتياجاته.. إن الرجل الرائد العظيم ينطلق بمجتمعه وهو يأخذ عام الزمن فيما يجب أن يحتويه من مسافات تقدم كما لو كان عشرة أعوام، وسوف يكون لذلك العام أهمياته الحضارية التي انطلق بها عندما نرصد ماذا يمكن أن يتحقق من تميزات هائلة النتائج، لكن يفترض أن تكون طبيعية التحقيق في ظل وجود قدرات تحرك هي أيضًا طبيعة

(*) العدد ١٥٦١٦ (٢٢/٤/١٤٣٢هـ، ٢٧/٣/٢٠١١م)

التواجد .. عندما ترصد ماذا يمكن أن يتحقق خلال ثلاثين عامًا قادمة .. عندما تتأمل
نوعيات وأهميات ما هي جهات حكومية عديدة ملزمة بتنفيذه فإننا نلاحظ الفوارق الكبيرة ..
حاليًا .. بين واقع المستويات التي تنطلق إليها وبين واقع التدني المخيف في مستويات المعيشة
التي تعاني منها شعوب عربية عديدة ..

مع رجل التاريخ عبد الله بن عبدالعزيز .. الأمر مرتبط بكفاءة قدراتنا في إنجاز كل ما يريده
لنا ..



نعم نختلف.. ولكن بالأفضل (*)

يزداد ترسيخًا في يقيني أننا في المملكة مجتمع متميز بالاستقرار وبمؤكدات توجهه إلى الأمام العلمي والحضاري..

لا أقول إننا صفوة بشرية ذات خصوصيات غير متكررة، ولا أنه لا يوجد لدينا بعض حالات القصور أو أننا لا نحتاج إلى متابعة الإصلاح..

أبدًا.. لدينا سلبيات.. شيء من قصور كفاءة الأداء.. لكن ما ليس هناك شك فيه هو أن تميّزنا لا يقتصر على أن لدينا إمكانيات ليست عند غيرنا فقط.. أبدًا لدينا هذه الإمكانيات، لكن لدينا أيضًا خطط الصعود بواسطتها إلى مواقع تفوق اقتصادي وعلمي مرموق، وبالتالي فإنه يتحتم ألا نعتبر أنفسنا نموذجًا لشرقية أو وسطية تحاول أن تجد إيران فيها ثقب عذلة طوائفها كنافذ تحريض، أو أن يكون طبيعيًا في دول عربية وجود مظاهرات بممارسة أساليب اعتراض أو طلب عرض وجهات نظر لكن عبر تسليم الشارع للشغب وأن يعتبر عاديًا سقوط قتلى..

هذا لم نمارسه.. إلا عندما كنا بادية تقاقل بعضها بما هو أشرس من ذلك.. إن من الوفاء للملك عبدالعزيز أن نذكر له بالتقدير وخلود الصيت بأن وفّر إعجاز شروق دولة المجتمع الواحد، ثم انطلاقات العلوم ومصادر الاقتصاد، وكيف أن عبقريته استوعبت بعضًا من المثقفين العرب الذين لم تحتف أوطانهم بمؤهلات فكرهم..

الملك فيصل حُوصِر بعداوات من جميع الحدود، وكانت هناك مظاهر اعتداءات أصبحت واقع عنف وعدوان.. ومع ذلك فإن الملك فيصل طارد كل من أغوتهم ثورات الشعارات وأحلام الألفاظ إلا أنه لم يذكر أن شخصًا واحدًا قد أُعدم.. ولا أعتقد أن مواطنًا واحدًا بحاجة إلى برهنة حقيقة انفراد الملك عبدالله بأنه أعظم شخصية قيادية معاصرة على

(*) العدد ١٥٦٢٣ (٢٩/٤/١٤٣٢هـ، ٣/٤/٢٠١١م).

مستوى العالم.. وعلى مستوى ما قدّمه لمواطنيه من حب، وما قدمه له مواطنوه من عرفان
بالجميل وصدق العواطف..

أستغرب أن يقدم برنامج في قناة فضائية دولية، مع احترامي لحيادية المذيع، ما اعتبرته
القناة وثيقة إثبات بوجود شخص واحد فقط.. واحد فقط، يقول إنه يريد أن يعترض..
واحد من بين ثمانية عشر مليوناً وأكثر.. وأن تشكو سيدة واحدة فقط من أن زوجها غاب
عنها في سجنه..

تُرى كم المساجين وكم القتلى وكم انفتاحات الفوضى في أكثرية الدول العربية؟..
ولماذا لا نستهن ذلك الاستغراب من وجود رجال أمن في الشوارع.. فلماذا الاستغراب..
أليست حماية المواطن تتم بوسائل الأمن؟..

ما أجمل أن نفهم أنفسنا.. (*)

ليس هناك مجتمع عربي تبرز أمامه حقيقة متى كان مُلمًا بمؤثرات الاقتصاد ومخزونها ونوعيات أسواقها.. وفي نفس الوقت مدى ما هو متوفر لديه من قدرات تحريكها وإدارتها في عضوية دولية مرموقة..

عشنا ما لا يقل عن نصف قرن ونحن نبهر بمعلومات غير دقيقة.. من حق كل مواطن أن يكون متفائل الأحلام والأمنيات، لكن الخطأ الأكبر يمارسه - عند غيرنا - مؤثرون على مفاهيم الرأي العام عندما يروّجون تطلعات أحلام أكثر مما هي حقائق واقع بأنهم المتجهون الفعليّون نحو حداثة علوم العصر وكفاءة إمكانياته..

كان هذا ما يروّج عند الآخرين؛ وكنا نعتقد ذاتنا نتواصل مع ماضيها فقط، وفي نفس الوقت تبهجنا حالات فرح بأننا أصبحنا نسكن منازل مجهزة بأنواع التحديث وأن لدينا ما لدى غيرنا من وسائل اتصال ومواصلات وبدائيات انتشار تعليم..

خبراء الاقتصاد، مختصو النفط، نوعيات الأرقام، نوعية تحديث التعليم، بروز مدن صغيرة باحتواء جامعات تخصص دولي، وغير ذلك كثير.. جعلتنا هذه المؤثرات نعلم جيداً بأننا.. وبعض دول الخليج، وارتفاع العدد السكاني يعطينا تميزاً خاصاً.. بأننا نملك مؤهلات الخروج وبسهولة من مشاكل تعاني منها مجتمعات عربية عديدة وأدت إلى إسالة الدماء في بعض شوارعها..

مشاكل البطالة والفقر.. وبحقيقة مرتفعة ارتفاع نجوم السماوات يتوفر إجماع حقيقي على أن الملك عبدالله هو الذي قاد المجتمع السكاني نحو إدراك خصائص تفوّقه، إدراك تعدد نوعيات خصوصياته، مع بروز حقيقة ذات تميز إبداع قيادي وهي أن من وضعت الخطط لهم كي يتوزعوا تواجداً في مواقع التطوير ليسوا فئة خاصة وإنما هي مواقع فرض فيها أن تستوعب أكبر عدد من تواجد الطموح السكاني.. هذا الطموح لن يصل إلى غايات نبيلة ومتميزة ما لم يكن الفكر والرأي لديه أبرز توجهات النقلة السكانية المأمولة نحو ذلك التميز الجديد..

(*) العدد ١٥٦٥٢ ١٤٣٢/٥/٢٨هـ، ٢٠١١/٥/٢م.

(*) مهمات أكبر لمنطلقات التحديث

من السهل أن تفتتح جامعة.. لكن ليس بحجم جامعة الأميرة نورة..
وأن يؤكد وجود ابتعاث تعليمي.. لكن ليس بعدد الانتشار القائم..
وأن توجد مناطق انطلاق للحد من وحشية البطالة التي تفتك بالعالم الثالث والعروبة
الاجتماعية بخصوصية أكثر.. أيضاً الحد من صعوبات ملكية السكن..
هذه كعناوين من السهل أن تقرأها لكن ما لم تتابع نوعية انتشارها، وحجم الاهتمام بها،
فإنك لا تصل إلى حقائق عمق أهمياتها.. نوعية تلك الإمكانيات..
كثيرون يتساءلون أحياناً: لماذا بلايين - برقم كذا - تُرصد لتطوير مرفق تعليم، أو مواصلات،
أو شؤون اجتماعية، أو مشاريع مستقبل؟..
أعرف أننا حين نقرأ أخبار الدول الأخرى.. وبالذات عربياً.. فإننا لن نجد هذه الأرقام
الكبيرة.. ليس الآن.. لكن منذ سنوات طويلة.. بل ويشير السخرية أن بعض الدول العربية
تكرر أرقامها على أنها منطلقات نقل تطويري لسنوات يتم تحديدها، لكن ما يحدث هو أن
السنين تمر ولم يتحرك من تراكمات التخلف أي شيء..
هنا.. في بلادنا نمارس سرعة مذهلة في التطوير المتعدد.. وبالتالي فإن الملك عبدالله بن
عبد العزيز إنما يفتح منطلقات تأسيس جديدة لواقع وجود حضاري ليس من السهل أن
توفر.. حتى بداياته.. ما لم تكن هناك رؤية قيادية واعية لاختصار الزمن بمضاعفة التكلفة،
خصوصاً وأنها تكلفة ليست محدودة المكاسب، فما يوفر لدراسة ألف طالب أو طالبة يختلف
كثيراً عما يوفر لدراسة ستين طالباً أو طالبة..
ما يقال عن التصنيع لا يتوقف عند الحد القديم الخاص بمناسبات بيع البترول صعوداً أو
انخفاضاً ولكنه تأهيل عملي لتنوع قدرات التقنية..

عرضت «الرياض» في عدد أمس أربع صفحات تغطية في داخل العدد عن افتتاح بطل الريادة التاريخية الملك عبدالله لجامعة الأميرة نورة في احتفال تاريخي.. لكنه أيضاً حدث تاريخي، فالأمر لا يخص ما كنت وجيلي نجده من تعامل تعليمي في جامعة الملك سعود بالملز، ولكنه يعني.. ليس تحفيزاً فقط.. ولكن تأهيل مئات الآلاف من الشباب والشابات كي يكون جيلنا القادم.. أبناء المتوسطات والثانويات اليوم.. هم مَنْ سيتوزعون بالتأهيل العلمي في مختلف المجالات لتحويل مجتمعنا كفاءة قدرات وثقافات إلى عالم البروز التقني والاقتصادي رجالاً ونساء.. الأمر الذي يحتم علينا أن نكرر عبارات التقدير والإكبار للرجل التاريخي الأفكار وتعدد منطلقات التطوير.. الملك عبدالله بن عبدالعزيز..

جانب إيضاحي قريب مما سبق.. أمس تشرفت مع بعض الزملاء بالاجتماع الحواري مع العاملين في برنامج السعودية أكسفورد للقيادات التربوية، وهو منطلق فرعي من قبل وزارة التربية والتعليم من خلال مشروع الملك عبدالله المتعدد لتطوير منطلقات المعرفة.. كان حضور السيدات مقارباً لنصف الموجودين، وكن جميعاً مؤهلات مواقع عمل قيادية.. وتحديثاً وكذا رجال البرنامج.. وهم زملاء أفاضل.. جعلونا نحن الصحفيين، الأقرب إلى كل حدث تطويري، نفاجاً بمعلومات متعددة وجديدة عن حجم تكريس القدرات البشرية المؤهلة دفعاً بالتعليم إلى تعدد ورحابة وجوانب علمية أوسع..

(*) جماعية الترحيب والولاء

أوثق البراهين.. أقواها.. أصدقها.. هو ما يأتي دون إعداد مسبق.. هو ما يكون اندفاع عواطف وقناعات قبل أن يكون ممارسة مهمة أداء مقصود..

العالم الثالث بخصوصيات ترجع إلى نوعية مشاكله.. مستوى متاعبه.. تعدد توزعات خلافاته.. الدوران اليأس خلف قناعات هبوط يرى بها الخروج عمًا يغيضه.. أو تشدد السخط بردود فعله الدامية ضد من يختلف معه..

الحمد لله.. ويجب أن تقال عشرات المرات.. بأننا لم نعش هذه الأوضاع، رغم أن بداياتنا حفلت بتعدد نوعياتها ومسبباتها، لكننا خرجنا من البداوة إلى التأهيل العلمي، من توزعات مناطق وقبائل ومذاهب إلى وحدة مجتمع شاملة.. حتى ولو تطرف بعض الجهلة المعقدين.. فهم لم يملكوا قدرة تأثير، ولن يملكوا، إلا إذا أصبح التخلف مقصد أمة.. وهو ما لن يحدث.. فنحن من قفزنا من عصر الدرس بعد صلاة الفجر ولم نكن وقتها نعرف معنى كلمة «جامعة» وأصبحنا الآن محاطين بأرقى الجامعات وتنوعات التقنية..

هنا أعود إلى أوثق البراهين.. عندما أقرن بين التعبير العفوي.. الشعبي العواطف والمسافات عند عودة الملك عبد الله إلى الرياض متعافياً بعد رحلة العلاج، وكان الناس العاديون.. أمهات وأبناء.. شباب بمختلف مراحل العمر ومختلف المستويات ومختلف نوعيات التعليم، يملؤون المسار من مطار الملك خالد في الرياض إلى متوسط ميادين العاصمة.. لم يكن عرضاً مرتباً.. وإنما كان تدافع وسائل ومشاعر تعبير لم تقتصر على الاستقبال ولا على اليوم الأول، حيث عبر الناس بعفوية عن مدى توغل مكان اسم الرجل الكبير في قلوبهم وعواطفهم.. قابل ذلك وقتها في مدن عربية أخرى مظاهر قلق وخوف وبدايات دماء.. هذه المظاهر الآن هي أكثر انتشاراً وأكثر صعوبة..

لكننا نجد في نوعية واقعا الراهن الآن روعة ما قدمته مدينة جدة.. مدينتنا الأكثر تبيكراً في تعليمها وثقافتها.. من انتشار مظاهر الترحيب، تعابير المحبة، بنفس مشاعر الرياض، بنفس

نوعيات مختلف التكوين السكاني الذي خرج من المنزل ليجعل الميادين.. رجالاً ونساءً..
مواقع إعلان.. بعفوية واضحة تمتلئ بأمطار العواطف ترحيباً بالأب الكبير.. الكبير في
علمه وعمله وخطط تطويره..



(*) رجل الحاضر.. وكل المستقبل

بيعة الرائد القائد عبدالله بن عبدالعزيز..

هي بيعة الشعب مع تنوع وتعدد مكاسب مستقبله.. هي وثائق الوصول إلى تميزات مجتمع سعودي تأخذه حضارياً وعلمياً وتقنياً بعيداً عن الهبوط العربي العام في هذه المجالات التي هي عند الشعوب الراقية مواقع أمانٍ علمي ومعيشي وثقافي لمستقبل الأجيال..

الرجل.. ونحن نمرّ بمناسبة عيد مبايعته.. خرج عن المألوف الشرق أوسطي حيث يكتفي قادة المجتمعات بملامسة الأحلام والطموحات عبر مبالغات الوعود..

ربما نحن في بداياته تصورناه يعطي مجرد تغيير في توجهات مشاريع الدولة، ومن حقنا أن نكون قد اعتبرنا هذا الفهم بمرحلة دفع إلى الأمام، وممارسة مهمات تطوير بتحريك ما هو سائد عام أو إيقاف ما هو معطل..

أشهر وليست سنوات جعلتنا نذهل بحقائق تحركات جديدة ليست مجرد.. مواصلة.. ولكنها مهمات كبرى لمسؤوليات تقدم كبرى لم تقتصر عند مسؤوليات التطوير المألوفة والمتعلقة بما هو متداول الفهم بين أوساط المجتمعات.. أبداً الملك عبدالله.. رسّخ مهمات التأسيس لواقع مجتمعنا.. ليس الآن فقط ولكن لما بعد العشرين أو الثلاثين عاماً القادمة..

عالمنا الثالث عموماً يفتقد مثل هذا التأهيل القيادي المتميز بقدره الوصول إلى بناء المستقبل دون أن تعيقه تخلفات الحاضر التي صححها الملك عبدالله، وأطلقنا عبر مشاريعه التأسيسية نحو ذلك المستقبل المتواصل التطور، والمتواصل للحاق بالمجتمعات الراقية..

إن هذه التوجهات المستقبلية الفريدة الكفاءات لن تجعل الملك عبدالله حاكماً لفترة سلطته فقط ولكنها ستجعله متواصل التواجد بفكره ومشاريعه وخطط توجيه مجتمعه نحو انفرادات كفاءة التطور عبر عشرات السنين القادمة..

قلائل جداً في التاريخ البشري هذه النموذجية من القادة القادرين على إلزام الحاضر المتدني القدرات العلمية، والتنوع الاقتصادي بالتوجه عبر مشاريع وخطط بناء تقني نحو عشرات سنوات المستقبل الآتية.. بهذا فالملك عبدالله عبر سنين طويلة قادمة لن يكون كما هو المألوف أوسطياً مجرد رجل تواجد مع طبيعة أوضاع حاضرة وبروز فئات خصوصيات تطور محدودة ولكن تواجد القادِم في مستقبل عشرات السنين هو الذي سيكون سخيّ المعطيات الشاملة.. لكل شمول القدرات العامة.. مما يعنيه تأهيل دراسة المرحلة الابتدائية إلى ما تعنيه التنوعات العلمية في التخصص الأكاديمي.. مما هي عليه كفاءة رجل الأعمال برأسماله إلى ما هي عليه تعددات قدرات الشباب مع تأسيس رأسماليات جديدة، وكفاءات الانتشار العلمي وتنوع التواجد الطبي..

رجل العدالة والأمن والمستقبل (*)

في شرقنا الأوسط؛ ليس من الصعب أن تحول كلمة «المبالغة» في أي وعد قد لا يتحقق، كما لو كانت «كتاب تأكيد»، أو أن يهتم «فخامة الرئيس» وأتباعه بتبني فئة اجتماعية خاصة.. تكون غنية ومستقلة وأشبه ما تكون بلوحة بشرية تعرض أمام العيون وكذا أمام العقول، عندما يراد التأكيد على وجود «مجتمع واجهة»، أو البرهنة على وجود كفاءة غذاء البيت وكفاءة نوعية شهادة التعليم.. لكن لا أحد يتحدث عن أوضاع القاع الاجتماعي.. لا أحد يؤكد وجود أقلية مستغلة وسط أكثرية لم تعد ضائعة الإمكانيات والحقوق فقط، ولكنها وبأكثرية عربية متعددة المواقع والجنسيات أصبحت تجده مستحيلاً أن تتوفر لها أي قدرة معلوماتية ترشدها كيف يتوفر التمكّن من قدرة شراء الخبز، وفي نفس الوقت حبات اسبرين لتخدير متاعب الانتظار على رصيف الفقر..

مجتمعنا مختلف تماماً.. نعم كانت لدينا فروق مستويات معيشية صارخة، وكانت لدينا فروق مفاهيم ومعلومات أحياناً تكون مخيفة، وكاد التعليم الأكاديمي المتميز أن يكون خصوصية لأقلية قادرة.. لكن القائد التاريخي الملك عبدالله بن عبدالعزيز واجه كل الفروق التي كان من شأنها أن تعزل الناس فئات يجعلها ملتقى توحد إمكانيات وتقارب قدرات وإشعار كل مواطن عملياً ليس بوعود وإنما بتعميم كل وسائل التطوير وإتاحة كل فرص التماثل والتقارب بين رغبات المواطن ونوعية كفاءة قدرات بلاده.. الملك عبدالله بقراراته العديدة.. لعل أهمها مسؤوليات التعليم وتنوّعه ورفضه أن يكون البترول مجرد إيرادات بيع وشراء وإنما وسائل متعددة كي يتوفر الحضور التقني، وفي نفس الوقت ما التزمت به قراراته يوم أمس من تطوير لمستوى المواطنة معيشياً وكفاءة مادية من خلال وجاهة التوظيف، وبالذات في مجال التعليم، بل وإزاحة ما لم يكن يليق ببلد مثل المملكة من إهانة دنيئة لبعض نوعيات المواطنة حين لا يتجاوز مرتب الموظفة الجامعية أو ذات الدبلوم لألفي ريال، وأحياناً أقل، وبالتأكيد للمواطن أن نهج الملك عبدالله هو إشاعة العدالة الشاملة.. الفقير قبل الغني.. المحدود

(*) العدد ١٥٦٨٧ (٤/٧/٤٣٢١هـ، ٦/٦/٢٠١١م).

المرتّب قبل عالي الإيراد، فإن التطوير الحديث لمكاسب التعليم خصوصاً والتوظيف عمومًا قد جعل حجم الزيادة عند صغار الموظفين ومتوسطيهم نسبتها إلى المرتب أعلى مما هي عند أصحاب الوظائف العليا ..

لقد أتى الملك عبدالله إلى مسار البروز التاريخي في الوقت المناسب، فالرجل الذي جمع الجهود وأصر عملياً أن تكون الأموال الواردة من باطن الأرض أو سطحها ليست إلا ثروات لمواطن تصله عبر مشاريع توظيفها في النمو والتقنية والتعليم وتنوع الاقتصاد، وتتجه إليه - إلى المواطن - كي تطور إيراداته وبالتالي توفر احترام عضويته الاجتماعية في دولة تصنف في واجهة مجتمعات الثروة ..

لا يكون غريباً مع هذه الحقائق الواضحة .. أن نكون الأمنين وسط فزع ودموية صراع في مجتمعات عربية عديدة، وأن نكون .. وهذا مهم للغاية .. المتجهين بجماعية جهود لأن تكون مراحل التطوير القادمة بكفاءة ممارسة وطنية واعية ..

كفاءة المكان.. أمام اختلال كفاءة السكان (*)

في مجتمعنا العربي توجد غالباً كفاءة سكان لكن لا توجد كفاءة مكان.. أي قدرة منتجات اقتصادية..

في مجتمعنا المحلي بعض مظاهر الرأي السكانية - رغم أقليتها - إلا أنها توحى بعدم وجود كفاءة سكان رغم التميز لنا بين كل الدول العربية بوجود كفاءة المكان التي تعني جزالة وتعدد مصادر الثروة المحلية..

هل صحيح ليس لدينا كفاءة سكان؟..

يجوز أن نقول أقلية سكان..

لكن يجوز أيضاً أن نتساءل: هل هذا «البعض» في مستوى ما انفردت به المملكة منذ ستة أعوام من قرارات تأسيس لحضور حضاري متميز عربياً وأوسطياً.. وتوفر خطط تطور علمي متعدد الغايات الإيجابية من شأنه أن يُلحق مجتمعنا بكفاءة الوجود العلمي الأوروبي، وهذا يعني كيفية التقدم العلمي وليس مظاهر الحياة الاجتماعية..

السائد عند دراسة أوضاع المجتمعات العالمية وكيف تحوّلت فيها الفئات القاصرة تأهيلاً علمياً أو تأهيلاً ثقافياً إلى قدرات دفع مع القوى الاجتماعية الأخرى بالمجموع المتجانس نحو الواجهة الحضارية التي هم عليها الآن.. لنقل ماليزيا مثلاً، الصين، الهند، وفي الأولوية تاريخياً اليابان.. وطبعاً دائماً في الدول النامية عموماً تتجه مشاريع التطوير إلى تأهيل مختلف الفئات في ممارستها لأدوارها الاجتماعية، وأيضاً فتح مختلف أبعاد التعليم حتى يتمكن من أخذ المجتمع الراكد في استعمال ما ينتجه غيره إلى حيوية ما سوف يعطيه لهذا الغير من إنتاج..

الحقائق الجزلة والمتابعة هي أن الملك عبد الله بن عبدالعزيز قد رصد للواقع الاجتماعي القائم الكثير جداً من جزالة توجهات التطوير.. والكثير من موضوعية الاحتفاظ بالتميز الإسلامي الذي لا نستطيع أن نراه جيداً إلا حين نراجع مسارات التاريخ لأكثر من ألف

(*) العدد ١٥٦٩٣ (١٠/٧/١٤٣٢هـ، ١٢/٦/٢٠١١م)

وثلاث مئة سنة، حيث سنجد - وبالذات في وسط الجزيرة العربية - أن مواطن الأقلية الذي لم تصله حقائق العلم الديني ولا وجهة البذل التطويري للكفاءات العلمية قد عاد بذاته إلى انغلاقات التكوين عبر تلك المئات من السنين، بحيث أصبحت تقليديات المعيشة والأفكار كما لو كانت براهين البقاء..



متجهون إلى حقوق وتقدم لا إلى خمود وتخلف (*)

لو أنت صاحب مواطنة كندية أو في منأى داخل امتداد اليابان ولا تتطلع بما هو مألوف نقله إليك في مدينتك البعيدة عن مؤثرات وثن العالم الثالث، أي أنت تعيش في سياق حضاري متواصل وعبر مفاهيم ثقافية واعية وما تضيفه إلى معلوماتك ليس رجوعاً إلى محذوفات الأمس وإنما كل جديد علمي تستفيد منه مهارتك..

لو أنت هكذا ثم نُقل إليك أن زعيماً أوسطياً حدث قبل أربعين عاماً تقريباً أنه عطّل عدداً من الصحفيين الغربيين دخلوا مجلسه في وزارة الدفاع التي فضّل أن يسكنها احتراماً منه لجنوده.. مرّت بالصحفيين ساعتاً زمن وهم في حالة انتظار قلقة، وما أثار استغرابهم هو أن الزعيم «الأوحد» كان يخطو مسرعاً أمام باب الصالة ذهاباً وإياباً.. يختفي ويبدو.. ثم أخيراً أتى.. وطلب منهم العذر، مؤكداً - والزمن وقتها بعد العشاء - أنه قضى الساعتين يتابع طائرًا صغيراً دخل المبنى من النافذة ثم مع الظلام لم يعد يدري أين ذهب ذلك الطير، ولأنه ثار من أجل الحرية فلم يقبل احتجازه وتابعه حتى أخرجته من النافذة.. مَنْ نقل لك الخبر سوف يسألك أين حدث هذا؟.. ستفكر قليلاً وترد: هو دون شك في دولة عربية، لكن أين لا أعرف؟..

ثم وفي الزمن الحاضر يعاد عليك السؤال: مَنْ هو الزعيم الذي قال إن كل شعوب آسيا ووسط أفريقيا وأمريكا الجنوبية واقفون معه؟.. يرفض أن يسمى رئيساً، لكنه قائد وإمام الجمهور وأنه سيطارده خصوم جمهوره.. دار دار، بيت بيت، زنقة زنقة.. ستضحك وتقول هو أيضاً شرق أوسط.. ستتكرر عليك الأسئلة.. ستترادف عليك الأسئلة.. ما هي المنطقة التي توجد بها أربع دول حروب أهلية؟.. ما هي المنطقة التي تتجاوز مدة رئاسة الجمهورية الثلاثين عاماً؟.. بالتأكيد حالياً.. سوف تقول ليس المقصود شرق أوسط وإنما عالم عربي أكثر امتداداً من الشرق، وهو المؤهل تاريخياً لمثل هذه التجاوزات والحروب، وستشكر الله أن علاقتك بالأخبار وليست بالأحداث..

(*) العدد ١٥٦٩٤ (١١/٧/١٤٣٢هـ، ١٣/٦/٢٠١١م).

نحن بالله العظيم ألم يعطنا الملك عبدالله إمكانيات تطور هائلة سوف تبعدها حضارياً واقتصادياً وعلمياً عن متاهات التخلف في العالم العربي؟.. ألم يجعل البيانات متلاحقة وكأنها سحب أمطار جزيلة بردع البطالة وفتح تعدد فرص التوظيف للمواطن في كل مستويات تأهيله وتعليمه.. إنقاذ المرأة من البطالة ومنحها عملياً حقوق عضويتها الاجتماعية.. إبهار حضور المدن الصناعية والجامعات العلمية..

إذاً لماذا لا يردع مَنْ هم الأبعد عن مفاهيم الدين الإسلامي العظيم عن مزاولة الإساءة إلى الثقافة والدين باسم مفاهيم الانغلاق التي لا يريدون بها أن تخرج المرأة من البيت، ولا أن يتعلم الطالب السعودي ما يعطيه تفوقاً علمياً داخل نيويورك أو لندن..

مخاطر العالم العربي أصبحت متدنية ومخيفة.. أما ما يحدث لدينا فهو دون مستوى انطلاقات تقدّمنا وتجانس مفاهيمنا وتكون غالبية سكانية تؤمن بمسار تطورنا الكبير الذي ننفرد به.. هم مفاهيم طفولية في عقول رجال يفتقدون التأهيل عندما يحللون ويحرمون ويطلقون في مواقع أنت ما يلزمنا بابتسامات السخرية..

نتطلع دوليًا لا أوسطيًا (*)

طبيعي أن تتعثر مساعي الوساطة الخليجية لإنهاء الصراع الدموي في اليمن؛ لأن الاعتراض اليمني لا يقوم على مبدأ توفير مصلحة عامة، ولكنه يحاول توفير - وبجهد دموي - وجود مصلحة خاصة..

هذه الظاهرة، مع الأسف، تسود كثيرًا من الدول العربية، وإن كانت المجتمعات الأفضل وعيًا والأقدم تجربة تطويرية في تنوع وسائل خدمة المجتمع هي الأبعد عن السيادة القبلية التي أيضًا لا نجد لها شراسة وجود في كثير من المجتمعات كما هو وجودها في اليمن..

لكن رأينا كيف تطوّر الخلاف في تونس إلى تنوع رغبات أو مطالبه حقوق، ولم تتخلص الجزائر - الأفضل إمكانات عن غيرها إفريقياً - من وجود صراع الفئات.. أما العراق ولبنان فقد سلّم كل منهما ذاته إلى تعدّد المواجهات بتحفيز من قوى غير عربية، حتى أصبح اليأس أكثر حضورًا للأمل..

يفترض أن تكون لنا براعة قدرات ملاحظة وتفهم مراحل التخلف التي قادت العالم العربي الذي يعاني من عجز القدرات كما في شرق آسيا، ومع ذلك فالفلبين مثلًا أو تايلند هما أفضل استقرارًا وتقدمًا للأمام..

أعتقد أن هذه البراعة متوفرة إذا تأملنا ظاهرتين بارزتين في ماضي السنوات التي تتجاوز الخمسين عامًا؛ حيث كنا قبل هذا العصر نوصف بالتخلف والركود، وهو ما نفته حقيقة الاستقرار من ناحية ومسارات التطور الطبيعية من ناحية أخرى.. الأمر الذي جعلنا نجتاز تلك المحاصرة الإعلامية بنجاح أفضلها؛ ليس في دخول خصومات معها وإنما بنتائج تقدّم واستقرار مكنتنا في هذا العصر أن نقدم البراهين الأقوى؛ ليس من خلال الخطب.. كما في الأنظمة الثورية.. ولكن بتوالي وجود القرارات التأسيسية لمضاعفة التطور التي تبناها الملك عبد الله.. ولعل أروع مقارنة نستطيع أن نوردها بشواهدنا ذلك الفارق الهائل بين تنوع مظاهر الولاء والمحبة التي قدمها المجتمع احتفاءً برائد الإصلاح والتطور عند عودته من أمريكا، وبين ما كانت عليه المجتمعات العربية وقتها من تعابير رفض..

(*) العدد ١٥٧١٥ ١٥٧١٥/٣/٨٤٣٢هـ، ١١/٧/٢٠١١م.

أبوة الملك عبدالله (*)

الملك عبدالله بن عبدالعزيز موجود مع كل مواطن في حاضره مثلما هو موجود معه في ضخامة تنوعات مستقبله.. دائماً في كل مجتمع تحتاج أن تتحدث كثيراً لتقول مَنْ أنت فيما يخص مجتمعك.. الملك عبدالله عبر مشروعاته محلياً ومكانته دولياً جعل المعرفة عنك سابقة للمعرفة بك..

لقد حفل أسبوعنا الماضي - كما هي العادة عبر أوقات متقاربة - بالكثير من تمرير قرارات تعتنى بإكساب المواطن في مواقع متعددة التقدير المادي لخصوصية الأداء في جهات متعددة مثل وزارة الزراعة أو الصحة أو الأمن أو سيدات أعمال مالية، وهي نماذج لكثير من قرارات التقدير والإنصاف في أن واحد.. ثم يأتي آخر أمر ملكي يتعلق بمستوى المعيشة وكفاءة قدرة المواطن المادية تجاه ما يحتاجه من غذاء كادت أسعار الأعلاف ومدخلاتها أن تجعله عاجزاً عن تواصل اكتسابها، ويأتي الدعم بنسبة ترتفع إلى ٥٠٪ عمّا هو معمول به حالياً مع تحذير صارم بأن الدولة لن تسمح بأي تلاعب، وذلك بتشديد المراقبة على أوضاع الأسواق وأسعار البيع والتأكد بإيقاع أقصى العقوبات تجاه كل مخل أو متكسب جشع..

هذا الحضور القيادي المحيط بكل ما يعني المواطن في عمله وحياته المنزلية وعضويته الاجتماعية هو جزء من السلوك الانفرادي الذي تميّز به الملك عبدالله حضوراً يجسّد وجود أبوة قيادية لا تعزلها مكانة القيادة ولا جعل أي إيجابيات معينة تغطية لأي سلبيات قائمة، فالملك عبدالله في رؤيته ومتابعته لأوضاع مواطنيه في حاضره القائم لا تقل إطلاقاً عن كفاءة انفرادية أبوته بين زعماء العالم في تواجده المتعدّد عبر كل ما يهتم به المواطن ويؤثر على واقع معيشته الراهن.. تماماً مثلما يتواجد هذا الاهتمام بجزالة ما بُذل من أجل المستقبل من خطط تطوير ومنطلقات بناء حضاري ليست كالمألوف في عالمنا الحاضر التي تختار فئة مذهبية أو ولاء خاصاً لتكون واجهة عدالة مزعومة..

عبدالله بن عبدالعزيز الرجل العظيم المنفرد قيادياً في جزالة رؤيته يؤسس في هذه الأبوّة كثافة الكفاءة معيشياً وحضارياً وعلمياً واقتصادياً لأجيال قادمة.. رجل سكن القلوب بجزالة وفاء، وسكن العقول بمثالية جزالة ولاء.. الأب الكبير حفظه الله في أبوّة حاضر وتأهيل كفاءة مستقبل..



دعم الدولة ودعم العقوبات! (*)

الدولة لدينا لا تقوم بإصدار قرارات تعديل نسبي لمواجهة التظلم، ولكنها تصدر قرارات إنصاف للمواطن دون أن يأتي ذلك على حساب المستثمر.. وإنصاف المواطن يصل إلى بذل ٥٠٪ دعمًا لما يحتاجه من غذاء كادت أسعار الأعلاف أن تشطح به إلى غلاء فاحش.. هذا رائع دون شك ولم يُعرف في أي من مجتمعات عالمنا الثالث.. ويدعم هذا القرار ما أوصى به الأمر الملكي من ضرورة وجود متابعة وفرض عقوبات صارمة ضد أي مخالفة..

تلا ذلك إيضاح من وزارة المالية أنها أنجزت التعاقد على استيراد ٢,٧ مليون طن من الشعير تصل خلال شهري رمضان وشوال، وأضافت الوزارة أنها بصدد التعاقد حاليًا لاستيراد كميات إضافية تبلغ ٣,٥ ملايين طن لتغطية احتياجات الفترة من ذي القعدة حتى محرم ١٤٣٣هـ مع الاحتفاظ بمخزون كاف محليًا..

مواقف الدولة مع المواطن ليست بحاجة إلى متابعة أو تعليق، وإن كان هذا واجبًا إعلاميًا، لكن المواطن يعلم أن الملك عبد الله معه في منزله، في احتياجاته، في فرص تعليمه، في تطوعات طموحاته.. ولهذا فقد ملأ قناعات احترامه بالكثير الكثير مما يفرض وجوده مميّزًا بين مواطني الشعوب الأخرى وبأي مستويات..

الذي يهمني أن أشير إليه؛ هو أننا أحوج ما نكون إلى إشاعة المراقبة على سلوكيات البيع أو تنفيذ المشروعات لأن مَنْ يعملون في هذه المجالات لا يدفعون أي ضرائب ويحصلون على مصادر كسب مضمونة.. إذاً لا بد من متابعة.. ولا بد من عقوبات.. فبالمتابعة والعقوبات تكون نتائج قرارات الدعم قد وصلت فعلاً إلى المواطن، ويكون مَنْ يعمل في هذه المجالات يعلم أنه في مواجهة متابعة جادة ودائمة، ولدينا من العبر الشيء الكثير.. تكفي مآسي جدة المتعبة التي يتم الآن تصحيحها، ويكفي أيضاً ما نتابعه لهيئة الدواء والغذاء ووزارة التجارة ووزارة الصحة من قرارات إعطال لمبيعات غير مناسبة بأسباب مختلفة.. فمال الدولة - بكرم وإنسانية رجلها الأول - يُصرف من أجل سعادة المواطن، وأمام المستثمر فرص أرباحه المشروعة..

(*) العدد ١٥٧٣٦ (١٤٣٢/٨/٢٤هـ، ٢٥/٧/٢٠١١م).

عمرنا الحضاري في امتداد يومنا الوطني (*)

صلتنا بماضينا البسيط جداً.. المحدود القدرات جداً.. وما حدث بعده من انطلاق مذهل نحو الأمام.. من بداوة فقيرة جداً.. من قرى صغيرة متباعدة متناثرة.. إلى حالات الوجود الحضاري والاقتصادي والعلمي التي نعيشها.. مشوار المجد ما بين عصر الملك عبدالعزيز وعصر الملك عبدالله.. لم يمر به أي مجتمع عربي.. وهذا بعض من سر قناعتنا بتميزنا الذي يحتفي بالهدوء وموضوعية البناء الحضاري.. من الطرائف أذكر أنني قرأت نصاً كتبه مثقف عربي معروف آنذاك.. لم أعاصره.. لكن قرأت ما كتب وكان قد أتى حاجاً فيذكر أنه لفت انتباهه بأن السعوديين كانوا يأكلون من البطيخ قشره الجاف ويقذفون بما هو داخله من ليونة وحلاوة مذاق.. طبعاً لم يكن صادقاً لكنه بالغ فيما قال وكأنه يؤكد أن ذلك إنسان بدائي لا يعرف شيئاً من أحداث العالم..

ليت أن الله مد في حياته زيادة سبعين عاماً كي يرى أن الأولوية في تنوع التعليم العلمي وكفاءة الاقتصاد وانتشار فرص الاستثمار ورفي الانتشار السياحي خارج حدود بلاده والذي تتنافس القدرات الاقتصادية والسياسية على كسب موضوعية العلاقات مع بلاده.. وليس التسلسل أو التدخل.. في عصر ذلك الكاتب قال شاعرنا المبدع ابن لعبون يصف رائحة الجذب في عطرية ثياب حبيبته بقوله:

لا تحسب الجشجات والرمث والحزى والشيخ والقيصوم عطت هدموما

ما ذكره هو أنواع من النباتات البرية وكلمة «عطت» تعني انتشار الرائحة.. فلم يكن هناك في ذلك الوقت من يعرف اسم أي عطور كزيت الورد أو بعض أنواع الكلونيا.. هناك ما يسمى الدخون ولا يملكه إلا أفراد معينون في القرية الواحدة..

ثم يقول شاعر آخر مع بداية وجود البترول:

قل له ترانا تمدناً.. كل يوتّع بدافوره..

(*) العدد ١٥٧٩٧ ١٠/٢٦/١٤٣٢هـ، ٩/٢٤/٢٠١١م.

والدافور المتراجع حالياً كان بديل وقود الكهرباء وأجهزة المطابخ الكهربائية ومثلها الثلاجات حيث كان «الحطب» هو وسيلة الطبخ الوحيدة ثم أتى «الدافور» البسيط كظهور حضاري أبهره..

يقول الشاعر حنيف:

حتى أيش لو غطيت خبز على تساه ودي بنجد لوريوقي حزاها..

«حتى إيش» تعني «حتى لو» و«تساه» تعني الشاي.. تصور أنه يرى في غمس الخبزة داخل بيالة الشاي منتهى الترف الحضاري ومع ذلك فهو يفضل حياة نجد لو كان طعامه منها نبات «الحزى» وهو نبات بالغ المرارة..

إذا.. إن صلتنا وقاراً وحباً بالملك عبدالعزيز لا تتمثل بيوم سنوي فقط، ولكن كل جديد حضاري.. وما أكثره وما أروع أهمياته.. هو امتداد لوجوده معنا.. وحين تكون نظرتنا المعاصرة إلى المستقبل هي تطلع بجزالة إمكانياتنا الراهنة.. وخطط التنويع والتطوير هي زمالة خروج جديد مع الملك عبد الله من طبيعة امتيازنا العربي إلى مشروعنا القادم للدخول في زمالة الوجود العالمي المتميز علمياً واقتصادياً..

أحر التهاني لأبنائنا بما في مقدورهم أن يصنعوه من تواصل تفوق.

الملك عبدالله..

في فرح الناس بما كان وفيما حدث (*)

القوة البانية.. لا تأتي بها جرأة ساعد أو وسيلة إذلال.. ولكن تأتي بها قوة عقل وجزالة فكر.. بالتأكيد يزدحم العالم العربي.. في معظمه.. داخل متاهاته بحثاً عن أفضلية غاية اجتماعية أو اقتصادية أو تقنية، وقبل كل ذلك رعاية ملايينه في وحدة أسرة وهو ما لم يتحقق له.. لذا كان من الطبيعي أن تكون أكثر من قوة في الصدام هي المغلق أمامه مسار التطور ثم بالتالي وجود حرب الشارع.. والشواهد تعلن ذاتها فيما نقرأه ونسمعه من أخبار.. الملك عبدالله بن عبدالعزيز.. الرجل التاريخي بكل ما تعنيه هذه الصفة.. لم يكن رجل مفاجآت يواجه بها أزمات حتى لو تكون المفاجآت مجرد بريق آمال غير مقصودة أو غير ممكنة مثلما هو حال تصرفات الكثير من زعماء العالم الثالث لكنه رجل.. تاريخي.. أخذ يد مواطنيه من مختلف الفئات وواصل بهم تدرج خطوات التطوير بسرعة مذهلة ثم بعد سنوات ليست بالطويلة أدرك المواطن أنه لم يعد يرافق قائده خلف غايات سهلة.. ولكنه أصبح مطلوباً منه كمواطن أن يكون إيجابياً الكفاءة والقدرة كي يصل معه إلى بسط آفاق تطور الأجيال القادمة..

قوة العقل.. ونزاهة العاطفة.. عند رجل لم يدخل نجومية التاريخ وحده ولكنه تصدر بمواطنيه كفاءة مجتمعه بين المجتمعات الأخرى..

شيء غريب جداً.. في توافقه.. وليس في حدوثه.. قبل ظهر أمس الأحد كانت المدن السعودية ولمدة خمسة أيام تملأ الميادين وتتحد في لغة فرح واحدة وتتجانس في مشاعر حب واحدة بأكثر جداً عما كان يحدث كل عام..

هناك مبررات موضوعية لعل أولها إدراك المواطن عملياً وواقعياً باختلاف مكانة حضوره الدولي بين شعوب العالم الثالث وأيضاً إدراكه العملي والواقعي لوضوح مسارات التحاقه قريباً بالعالم الأول.. ثم ثانياً وهو بساطة وضوح الفروق بين مجتمعه الأمني والمعيشي

(*) العدد ١٥٧٩٩ (١١/٢٨/١٤٣٢هـ، ٩/٢٦/٢٠١١م)

والتقدمي علمياً وتعليمياً وصناعياً واقتصادياً عن كثير من الشعوب العربية الأخرى التي اتجهت إلى الميادين والشوارع تمارس أو تتفرج على صراع الرغبات.. صراع السلطات.. صراع حصار الانفصال ضد ما هو مفتوح من فرص تطور دولية..

كمواطن أسعدني جداً أن مواطننا وعملياً وعبر مناسبة تاريخية قد انضرد في عام الصراعات العربية بوضوح إيجابيات ما هو فيه من عدل وتقدم..

عندما تحدث رجلنا التاريخي العظيم عبدالله بن عبدالعزيز خيل لي كما لو كان الناس في كثافة أفرانهم وتعددها مدة الأيام الماضية كما لو كانوا يؤدون مظاهر ترحيب متألق الفرحة بما وصل إلى المرأة من موضوعية إنصاف تأخذها نحو مجلس الشورى ونحو انتخابات المجالس البلدية.. أي نحو عضوية اجتماعية متكاملة التماثل مع الرجل.. خيل لي بسبب كثافة مظاهر الفرحة وكأنها في موعد مع خطاب اليوم.

عدوان في مجتمع آمن (*)

شرقنا الأوسط، أو الآسيوي والإفريقي.. لندعه جانباً ونأمل أوضاع عالمنا العربي.. لن أحتاج إلى أي برهنة كي أوضح أنه يتجه إلى الخلف علمياً واقتصادياً باستثناء المملكة، التي هي متميزة بشواهد الابتعاث والجامعات وتنوّعات التطور العلمية والاقتصادية.. هذا العالم العربي مرّت به انتكاسات صراع دينية محضة وقاسية..

في المملكة نعرف جيداً كيف امتد التطرف الديني الذي لم نكن نعرفه في عهد الملك فيصل وما قبله إلا أن ظاهرة جهيمان ثم نظام القاعدة فتحت فرصاً دموية غير مشروعة.. أقف هنا أمام حقيقة أن ما كنا نواجهه، ولا نزال، هو ظاهرتا التطرف السني سواء بفكر جهيمان أو بفكر القاعدة، وكلاهما خارج مشروعية الإسلام.. بل من اللافت للانتباه أنه لم يكن هناك انتماء شيعي لنظام القاعدة من أي دولة إسلامية.. إذاً نحن أمام ظاهرة غريبة سوف نتجاوزها دون شك كما تجاوزنا خطورة انتشار نظام القاعدة واستهدافه لمجتمعنا أكثر من أي مجتمع إسلامي أو غير إسلامي آخر.. ثم نحن في المجتمع العربي المتميز بترابط وحدته الاجتماعية؛ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كفاءة القدرات الأمنية التي أخدمت من هم أكثر خطراً ممّن عُرّر بهم في العوامة..

هذه الظاهرة هي محاولة تحريك وجود صراع شيعي سني في مجتمعنا، وهذا ما لن يكون إطلاقاً، والشواهد على الأقل تتضح فيما نشرته «الرياض» على مدى ثلاثة أيام من تصريحات وآراء شيعية، وليس هذا فقط بل ليس في ذاكرتنا وجود أي ماضٍ مزعج.. لكننا - وهذا ما يجب أن يعيه الجميع - نعيش واقع استهداف متعدّد الاتجاهات لمواقع الأمن في العالم العربي وبالذات في بلادنا.. أولاً لإفلاق المجتمع الخليجي من ناحية، وثانياً يأتي الحدث أشبه ما يكون برسالة دعم لسوريا، وما كانت هذه التدخلات معروفة من قبل لولا تغيير النظام الحاكم في إيران، حيث قبله لم يكن هناك أي تقارب بين شيعة عرب وشيعة إيرانيين، بل بالعكس كان هناك رفض متبادل خصوصاً فيما يتوهم به الإيرانيون سابقاً من

(*) العدد ١٥٨١١ (١٠/١١/١٤٣٢هـ، ٨/١٠/٢٠١١م).

تميّز لهم عن البدو العرب.. إيران المعاصرة تحلم بالعودة إلى دولة فارس ما قبل الإسلام.. وهي في الحقيقة لم تحرك أي وجود شيوعي في المملكة ولكنها أغرت استجابات محدودة بذات إحياءات نظام القاعدة.. اقتل ثم تموت شهيداً..

الرائع أن الأكثرية الساحقة، عدداً وامتداداً، ليست مع أي تطرّف شرقاً كان أو وسطاً أو جنوباً فالجميع مع الرجل الذي لم يتكرر في عالمنا العربي.. عبدالله بن عبدالعزيز.. رجل لم يفرض احترامه بسطوة قوته؛ ولكنه احتفى بمسار الجميع معه لمواصلة إنجازات العلوم والاقتصاد والوعي في ظل وجود تنوير إسلامي معتدل..

سلطان.. امتيازات التفوق (*)

رحم الله.. رجل الإنسانية والرحمة وكفاءة المواطنة والمسؤولية.. سلطان بن عبدالعزيز وهو يغادر عالم الدنيا وسط أجواء من مشاعر الأسى لدى مجتمعه.. مستقبليه في المطار.. أو مصلين في الجامع.. والأكثر عددًا.. مَنْ لم يتمكنوا أن يكونوا في أيّ من المكانين.. بحكم صعوبة الوصول.. واختلاط الموقعين برجال مسؤولية وسياسة آتين من الخارج.. وتقريبًا معظم أفراد الأسرة المالكة وبجانبيهم معظم رجال المسؤولية في الدولة ومثلهم في المجتمع، فكان لزامًا أن تكون المشاركة شاملة كل مواقع السكن والتواجد من قبل كل مواطن..

إن الإبهار في جزالة تدفق العواطف بدأ بها رجل النبل والوفاء عبدالله بن عبدالعزيز.. فأبو متعب كان حديث العهد.. بضعة أيام فقط من مغادرته للمستشفى.. وأي عملية جراحية قد لا تعيق بمثل ما تفعله عمليات الظهر، ومع ذلك كان - رعاه الله وزاده تمجيدًا في حياته وتاريخه - كان في مقدمة المستقبلين مثلما هو في مقدمة حضور المسجد..

كل يوم يمر.. كل صوت تسمعه يعلق.. تضيف رصيدًا جديدًا من المعلومات التي تتصور قبل هذا الوضع أنك تعرف كل شيء.. فَمَنْ ذا يجهل رجلاً مفتوح الكرم لكل مَنْ يحتاجه، ومَنْ ذا يجهل تاريخ رجل لم يدخل في أي حالة خلاف مع أحد من أسرته..

أمس ظهرًا.. حدثتني سيدة.. قالت: أريد أن تدلني على تليفون قناة فضائية لكي أتحدث عن موقفه مني.. قلت بجد لست أعرف أرقام الاتصال، فهم مَنْ يتصل بضيوفهم.. ثم أعطتني موجزًا عن موضوعها.. قلت سيأتيك اتصال صحفي من قبلنا.. قالت: تصور قدمت عرضًا لجزالة مشاكلي وعجزي أن أوقّر مصاريف غداء يومي في بيتي.. بعد العرض بزمان قصير أتاني اتصال تليفوني يرحّب بمساندة سيدة كبيرة السن مثلي؛ وفوجئت في نهاية المحادثة الموجزة أن سلطان بن عبدالعزيز هو مَنْ كان يتحدث..

من البيئة الاجتماعية البسيطة التي تحدث عنها كثير من أصحاب الاحتياج.. آلاف وأكثر.. مثل هذه السيدة ارتفع إلى مثقفين عرب كبار تم علاجهم في أمريكا وأوروبا على نفقته الخاصة؛ بينهم اثنان حصلوا على ذلك عن طريق جريدة «الرياض»..

(*) العدد ١٥٨٢٩ ١١/٢٨/٤٣٢هـ، ٢٦/١٠/٢٠١١م.

ولا أنسى موقفاً أخلاقياً فريداً.. فقد حدث قبل بضعة أعوام أن زار الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات الرياض.. ونحن نعرف تقلبات مواقفه.. فكتبت في زاويتي اليومية موضوعاً عن ضرورة استمرار تطوير العلاقات الفلسطينية مع المملكة، وأثيت على مواقف المقاومة، ولم يكن هناك أي إساءة لا له ولا لمنظّمته.. الذي حدث أن صحفياً فلسطينياً مقيماً في المملكة ويراسل وكالة الأنباء الفرنسية قام بتزييف تقرير ذكر فيه أنني هاجمت ياسر عرفات.. ونشرت الوكالة الخبر.. وكان يومها عرفات مدعوّاً للغداء عند سمو الأمير سلطان.. طبعاً موقف محرج بل وسخيف أن يهاجم كاتب سعودي ضيفاً لدولته بصفة عامة.. استاء - رحمه الله - من تقرير وكالة الأنباء الفرنسية.. بلغني ذلك بشكل مقصود.. لم أعرف كيف أوضح وأعتذر، اتصلت برفاد الصحافة وداعمها سمو الأمير سلمان وقلت لسموه: لا يحتاج الأمر لأن أقسم وأستشهد بأحد، فما نشرته موجود في عدد أمس ومقارنته مع ما نشر في الوكالة الفرنسية شاهد تحريض من قبل مراسلهم الفلسطيني..

فوجئت.. بعد ساعات أن أتلقى تليفوناً.. ذهلت أن الأمير سلطان نفسه كان يتحدث.. وأنه اطلع على التباين بين ما نُشر وما نُقل..

هذا الرجل الخالد في شمولية اجتماعيته وموضوعية علاقاته.. رجل خلود باق في عقولنا..

الملك عبدالله.. أعطى مجتمعه كل ذاته (*)

حضور الملك عبدالله بن عبدالعزيز التاريخي المتعدد المكاسب هو الذي جعله يتخطى زعامات دولية مرموقة.. في فرنسا مثلاً.. إيطاليا مثلاً.. ودول أوروبية أخرى.. طبعاً مع استبعاد وجود حضور عربي.. بل إن تمثيل العالم الثالث في هذا الحضور الدولي يعتبر ضئيلاً للغاية..

الملك عبدالله لم يوفّر لذاته.. عبر منجزاته لمجتمعه.. أن يكون له مجرد حضور ضمن شمولية قائمة في التميز بين زعماء العالم الأكثر تأثيراً التي أعلنتها مجلة «فوربس» الأمريكية، ولكنه كان بين الأوائل الستة..

هذا الوصول الشخصي ليس بالسهل، إذا ما أقمنا مقارنة بين مجتمعات تقدم علمي شاطئ المستويات في مكاسبه، وبين عالم ثالث يتخبط المجتمع فيه مثل أعمى يبحث عن مخرج.. هنا نصل إلى الحقيقة التاريخية في التعرف على ما تعنيه عبارة أنه الرجل التاريخي المتعدد المكاسب..

إننا إذا كنا نجد موافقة دولية ومحلية على أنه رجل مواهب وكفاءات شخصية استطاع بجزالة مقاصدها التطويرية والتنموية والاقتصادية والعلمية أن يفتح آفاقاً عديدة أمام مجتمع كان قبل سبعين عاماً تقريباً يتخطى حواجز البداوة، وأخذ هذا المسار الأقل زمنياً بالنسبة للدول العربية التي عرفت ربيعها العربي منذ ذلك التاريخ لكنها لم تصل لا إلى حلول لمشاكلها.. ولا لتطوير في واقع تعدّات عجزها..

إنه لكي يعي المواطن هنا وباعتراف دولي عبر هذا الفوز الثالث للملك عبدالله.. لكي يعي مبررات هذا الفوز فلا بد أن يتأمل مبررات الانطلاق نحو هذا الانفراد الرائع، وسيجد أن الأدوار التاريخية التي مارسها الملك عبدالله في تنوع وتعدّد مشاريع تطوير حياة أمته.. عبر مختلف المستويات.. وهي كأفكار وإجراءات تنفيذ أتت من مساره الشخصي بكفاءة قدراته

(*) العدد ١٥٨٣٩ (١٢/٩/١٤٣٢هـ، ١١/٥/٢٠١١م)

الخاصة.. عندما نعي أهميات هذا الوصول إلى الأعلى الذي وفره رجل الكفاءات الفريدة يجب أن نعي أيضاً حقيقة وجود تعددات التميّز لدينا في أفضليات اقتصادية وعلمية عن أي مجتمع عربي آخر، وكذا وضوح شواهد أننا نتجه أيضاً نحو الأفضل عبر كل المستويات دون ارتباط بـ «ربيع أو صيف» وإنما بأفكار وخطط تطوير واضحة..



عيد بأية حال عدت يا عيد؟ عدت بكل ما هو تطويري متوقع..(*)

أريد أن أورد حقيقة لا أختص بها لكنها «حضور» عقلي في أذهان معظم المواطنين.. الأكثرية تماماً.. وبالذات بين المثقفين والمسؤولين وأجهزة الإعلام..

أولاً.. قبل تسعة أيام من صدور قرارات مساء يوم السبت.. أمس الأول.. لم يختلف اثنان إطلاقاً على أهلية سمو الأمير نايف بأنه ولي للعهد القادم، ثم أتى القرار وكأنه خطوة تأكيد لما كان متوقعاً.. والأمير نايف رجل واجهة بارز في كل قدرات نجاحه؛ لعل أهمها ما لم يستطع تحقيقه غيره في مجالات الحفظ الأمني.. ويساير كفاءة الحزم هذه موضوعية المناصحة، وهي غير معروفة في أي بلد آخر.. فكيف ترى الأمر أنها تأتي في بلد هو الأول استهدفاً بالمخاطر.. لكنه الرجل القادر دائماً بكفاءة العقل..

يوم أمس الأول مساءً.. لا أقول تفاجأ المواطنون بمضمون القرار؛ لكنهم استقبلوا اطمئناناً عميقاً يدعم ما كان في أذهانهم من توقع..

عيد حقيقي رائع.. فنحن فخورون بالمنجزات الكبيرة والهائلة التي حققها ملكنا العظيم.. والد كل منطلقات تطوّرنا.. لعل أقرب شواهد كفاءة مرافق ومستويات خدمات الحجاج بشكل نجده في كل عام يتقدم إنجازاً عشرات الأعوام.. علماً أن أصعب مهمة تواجه أي دولة هي كيف تنفذ استقبال ما يزيد على الثلاثة ملايين ولا تقل مدة الاستقبال عن ثلاثة أيام.. أمنًا وسلامة تنقل وسلامة وصول ثم مغادرة..

في المدن الكبرى قدم خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله.. هدايا عيد رائعة.. لكل مواطن.. لكل مواقع خطوات تطوير.. لكل طموحات مفاهيم واعية.. قدم قرارات شغل المناصب القيادية في مجتمع آمن.. في أمة واعية.. في حضور قناعة عميق بأن الرجل العظيم هو دائماً رجل القرارات الصائبة.. وأن أصحاب السمو الذين توالى أسماؤهم في القرارات

(*) العدد ١٥٨٤١ (١٢/١١/١٤٣٢هـ، ٧/١١/٢٠١١م).

مساء يوم أمس الأول لم يكن مفاجئاً أن تأتي تلك الأسماء.. عبر أيام ليست بالقليلة سمعت آراء.. حضرت حوارات.. فكان التوقع أن يأتي ما هو فعلاً قد أتى..

الأمير سلمان.. رجل قيادي ليس تقليدي الثقافة ولا هو محدود العلاقات.. هو رجل مجتمع متفوق جداً في كفاءاته ووضوح قدراته.. وينفرد بامتياز أنه الرجل المؤهل لأي مسؤولية يكون في واجبتها..

الأمير سطاتم.. بشعبيته المعروفة وكفاءة مناسبات كثيرة ينوب فيها عن الأمير سلمان لعل آخرها ما تجاوز العام مؤخرًا، إضافة إلى أنه أساسًا هو أقرب مسؤول إلى تفهم أوضاع مدينة الرياض وكثافة مسؤولياتها مع ما له من علاقات احترام واسعة بين فئات المواطنين..

الأمير خالد بن سلطان لم يأت من فراغ.. فهو رجل مسؤولية عسكرية مبكر.. نفس الشيء نستطيع أن نقوله عن الأمير سعود بن نايف، وكذا الأمير محمد بن سعد بن عبدالعزيز، والأمير فهد بن عبدالله في رئاسة الهيئة العامة للطيران المدني؛ وهو رجل صاحب خبرة قادرة وواعية في هذا المجال الحيوي الأهمية في تعددات مسؤولياتنا..
غداً.. لنا «لقاء» مع كل مواطن نقول له: «كل عام وأنت في خير»..

(*) اليمن وموضوعية مواجهة واقعه

اجتذبت بغداد قبل سنوات.. ربما في ثلث زمنها الثوري الطائش الأول.. اهتمام المتابعة لما يحدث سنوياً من تجمع ثقافي باسم منتدى «أبو تمام» في «المريد»؛ وذلك للنجومية العالية التي يتمتع بها مَنْ كانوا يأتون إليها بمختلف الهويات العربية.. وكان نزار قباني - رحمه الله - يلغي أهمية أي شاعر من أي بلد عربي بما كان يحظى به من حضور..

في مناسبة آنذاك وبعد أن ساد التصفيق أجواء الاجتماع بعد إلقاء نزار قصيدة مشاركته ولحق به أكثر من تصفيق لمشاهير مثله من الشعراء.. حدث أن تقدّم شخص إلى الميكروفون لم يكن شكله الجسدي ولا ملابسه يوحيان بأي مظهر ترف.. بل تساءل الكثيرون: كيف أتى هذا؟ ومن أين؟.. وقد استهل الشاعر قصيدته بقوله:

ماذا أحدثت عن صنعاء يا أبتى مليحة عاشقها السل والجرب
ماتت بصندوق وضاح بلا ثمن ولم يمت في حشاها العشق والطرب

تجاوز التصفيق مكان الاحتفال بل شمل بعد ذلك كل بغداد ثم العواصم العربية.. إن السل والجرب اللذين أوهيا بقدرات صنعاء وامتدا إلى كل الأنحاء إنما كان بفعل استبدال القدرات الطبيعية، لبلد كان ينفرد عربياً بتسمية اليمن السعيد، استبدالها بقدرات تسلط تنافس قبلي منذ انطلق العصر الجمهوري، وقد تلازمت الخلافات التي لا تدعم بمحدودية جهود تأييد، كما في الدول العربية، وإنما بشمول قبائل تعني نزاعاتها وتصادماتها تقسيم اليمن بشرياً إلى قوى قتال.. وفي هذه الأجواء من الصعب الوصول إلى حلول عامة، فمن يبعد رئيساً أو ثائراً لا يعني الأمر شخصيته بقدر ما يعني قبيلته.. بل إن أي قبيلة حضور دموي في الصراعات هي في الواقع لا تبحث عن كسب شخصي لمن يتصدرها وإنما كان تواجد قبيلته، وإنما كان يعني فرض مكاسب للقبيلة ذاتها.. إذ أن صد السيادة القبلية وما يشبه مشروعية خلافاتها وبشاعة فروسيات اقتتالها ليس بالأمر السهل.. الحل هنا لا يأتي من قابلية أشخاص، وإنما من قناعة قبول قبلي بموضوعية حضور أشخاص قياديين..

هنا نجد أن مسار المصالحة - الذي أُعلن في الرياض يوم الأربعاء الماضي - لم يكن في الواقع اختطافاً جزئياً من شمول موضوعي للمصالحة مفقود.. ما حدث وقر موضوعية بعيدة عن صيغ المصالحات في العالم العربي والتي تتم بين منتصر ومهزوم، حيث في اليمن المتعدّد القبلية، والمتعدّد مظاهر الفقر، والمتعدّد وسائل التدخلات من خارجه، لا تؤدي مثل هذه المصالحة إلا إلى مهمة تأجيل لصراع أعنف..

ما حدث بالنسبة لليمن كمجتمع.. لا كقيادة أو عناصر اختلاف.. هو بداية تأسيس جديد ليمن يجب أن يشرع بوضع وحدة مجتمعه في واجهة تكوين الدولة، وإذا كان هناك مَنْ يستفيدون من الصراعات القبلية فإن الوصول إلى حل سلمي وقبل ذلك تجربة تأكيد دموية بأن الصراع القبلي لا يؤدي إلا إلى مزيد من الفقر والهجرات السكانية وشبه مشروعية الاقتتال الدولي وأيضاً فرض التدخلات الأجنبية..

إن منح الحصانة القانونية للرئيس صالح حين يصبح سابقاً لن يمثل مكسباً شخصياً، بل الأمر يتجاوز ذلك إلى حجب أي منطلق مستقبلاً لتجديد الصراع..

تبنى وأعلن الملك عبد الله موقفاً تاريخياً لم يحدث بجزالة موضوعيته وتعدّد مخاطر ما قبل القرار في أي بلد عربي آخر.. الملك عبد الله.. رجل تاريخ مميز.. قدّم لمجتمعه كل تأسيسات التطور علمياً واقتصادياً وتقنياً، وأكد أن للمملكة عضوية أخوة وعضوية جوار مع اليمن من شأنها أن تساند تطورها.. وسيحدث ذلك بحضور وحدة مجتمع لا توزّعات القبائل ودموياتها..

لماذا التشكيك وإخفاء الأفضليات؟ (*)

حقيقة يدركها كل عاقل وموضوعي المتابعة لأحداث العالم العربي.. مسيبتها، نتائجها، اختلافات الظروف بين مجتمع وآخر.. وهي أن العالم العربي لا تتمثل به مجتمعات حققت بروزاً في وعي المفاهيم.. نعم المفاهيم.. وليس قراءة كتب معينة أو تبني شعارات إثارة معينة أو حتى استعمال واقع وجود تخلفات تعيق شمولية حقوق، أو شمولية عدالة.. مطلوب نعم.. لكن وفق منطلقات مفاهيم من شأنها أن توجد حقائق التكامل ليس في يوم وليلة أو شهر وسنة بل بعد أن يأخذ الوعي قبل المعترض يد المواطن نحو مواقع تطوره.. مستحقات حقوقه..

الذي يسيء للعالم العربي ويعيق تطور مجتمعاته.. إما أن تكون منافسات شعارات لا حقائق بين فئات تريد الوصول إلى الحكم، أو على الأقل الوصول إلى مكافآت التمويل أو تبني أفكار ثبت فشلها منذ ما لا يقل عن ستين عاماً.. ومع ذلك مازال شيء من هنا في أذهان بعيدة عن حقائق الواقع، والأسوأ أن تكون منطلقات أجنبية بتمويل جماعات تحرك داخلية تحت غطاء مغريات محلية متعددة..

حقيقة هامة في عالمنا العربي وبشواهد ملاحظتنا حين نزور أي مجتمع عربي وهي أنه متجه إلى الانحدار منذ سنوات ليست بالقليلة، وأبرز الانحدار قسوة الفقر والبطالة في مجتمعات معينة، إضافة إلى أن هناك مجتمعات أخرى استوطنتها الخلافات فخرجت عن أطر الأمن وسلامة المواطنة إلى مناسبات تبادل عدوان دموي.. لبنان مثلاً.. سوريا، العراق، اليمن.. وبشكل محدود تونس والجزائر..

أين نحن من كل ما سبق؟..

يجب أن يتوفر وضوح ومصداقية أمانة وطنية عند مقارنة مع كل ما سبق؟ أليست فرص التوظيف ترتفع وتتلاحق؟.. ألم يقفز الابتعاث من ثلاثة آلاف طالب إلى ما يزيد على المئة وخمسة وثلاثين ألف طالب؟.. ألم تتحوّل الجامعات مما لا يزيد على خمس إلى ما يزيد

(*) العدد ١٥٨٧٢ ١٣/١/١٤٣٣هـ، ٨/١٢/٢٠١١م.

على الثلاثين؟.. ألم تنشأ جمعيات وإدارات يطلب منها متابعة الإصلاح ويوكل إلى إدارة محاربة الفساد ملاحقة أي تقصير أو غبن حقوق؟..

الملك عبدالله بن عبدالعزيز لم يعط مكاسب وقتية.. لم يعط منعمشات حلول بسيطة.. إن ما أسسه الملك عبدالله وعبر حقائق مضاعفة مصادر البترول وتحوّل مساحات ليست بالسهلة إلى وجود صناعي في المنطقة الشرقية وعلى ضفاف البحر الأحمر وفي المنطقة الوسطى قرب الخرج، بعضها بدأ تنفيذه وبعضها في الطريق إلى ذلك، وتحريك الشمال والجنوب بمضاعفة فرص التعليم ومضاعفة فرص التحرك التجاري؛ هذا لم يرسخ وهو بعض مما هو مطلوب وإنما رُسِّخ وهو كلّ مطلوب لما لن يقل عن ثلاثين عاماً قادمة..

إذاً في وطن هو يمثل هذا التوجه المتنوع غير المتوفر ١٠٪ في أي بلد عربي، هل يجوز أن تكون المواقع الإلكترونية منطلقات بث معلومات خالية تماماً من الحقائق وبعيدة عن واجهات الواقع.. كيف يجوز أن تأتي مطالبة بعدم وجود تفتيش أمن في منطقة القطيف.. وألا يحاسب آخرون أدانتهم المحكمة وليس الشرطة في جدة.. ما هو المقصود من هذا التشكيك؟.. ماذا يعني افتعال معلومات غير صحيحة ضد واقع محاولات تدخّل أجنبية موثقة لدى الدولة كما هو الحال سابقاً في البحرين ومثلما تكرر في الكويت؟..

إن العدالة ليست في إطلاق الأفواه لتقول كل ما تريد، لكنها وعي الحقائق؛ وبالتالي إشعار المواطن بضرورة أن يكون حامياً لمنطلقات انفراداته الإصلاحية بعيداً عن رجس التشكيك.. إن مَنْ استغل الفوضوية الإلكترونية تدني قدرة تعليم أو تدني نزاهة مواطنة بالقول إن أحداث القطيف ما كان يجب أن يتعامل معها الأمن.. إذاً يترك الأمر لمن؟.. للأمن الإيراني؟.. لدينا شواهد بزيارات رجال دين شيعة أوفياء وصادقين للمسؤولين يعلنون رفضهم لما حدث، ويؤكدون ضرورة مضاعفة التقارب الوطني البناء.. وفضيلة الشيخ حسن الصفار تحدّث في خطبة الجمعة بعد الأحداث عن نفس المضمون، وسبق أن نشرت له «الرياض» تصريحاً سابقاً بعد الأحداث الأولى.. وهو رجل فاضل صادق المواطنة..

هناك ملاحظة نموذجية وإعجازية لم تتوفر في أي مجتمع آخر، وهي أن قوى أمننا التي حققت تفوقاً دولياً في توفير أمن المواطن وردع نظام القاعدة لا نجده قد استُغل ضد المواطن.. ففي عهد الملك فيصل - رحمه الله - وقد تكالبت القوى الثورية ضدنا شمالاً وشرقاً وجنوباً في اليمن، ومع ذلك لم يفقد أحد حياته ممن أغرتهم شعارات الثورية بل إن منهم من وصل إلى مراكز توظيف عالية بعد ذلك..

ومنذ تلك المرحلة وحتى الآن لم يحدث مثلما نعلم في بعض الدول العربية أن صاحب رأي قد أعدم بقرار من دولته أو برصاصة مجهولة المصدر، أما حزم أمننا ضد من يتدخلون للعبث في مجتمعنا فهذا مسؤولية وطنية، ويكفي أن نراجع تلك الشدة المتناهية التي تعاملت معها بريطانيا مع من أرادوا الإساءة إلى استقرارها أو حتى أمن كفاءة سياحتها منذ أشهر وليس منذ سنوات..

الحمد لله أن مجتمعنا - الذي انطلق في بدايته الحضارية والتعليمية قبل مئة عام تقريباً وكان وقتها معزولاً عن أي وجود حضاري بسيادة القبلية، ولم يكن يعي ما في المجتمعات العربية حوله من تقدم علمي وثقافي - هو الآن في واجهة الكفاءة الاجتماعية عربياً بتقدمه العلمي والثقافي وبفروق هائلة.. لا تكفي ضخامة قدراتها الآنية فقط، ولكن رصد تتابع تطورات مستقبلها.. هذا ما لا يتوفر ١٠٪ منه أيضاً في أي مجتمع عربي آخر..

(* ماديات وفوضى تعامل

أولاً يجب أن نتناول خلافاً قائماً.. معيماً منذ أزمنة طويلة للمشاريع التطويرية.. وهي إن كانت في الماضي محدودة أو تواجه مساعي إعاقات مثلما كان النظام الناصري يفعل في زمن توقده الذي أحرق كثيراً من المفاهيم السليمة، فإنها في الحاضر غير محدودة؛ بل هائلة التعدد وهائلة النتائج.. يكفي أن مهمتها ليست وضع نقود في جيب المواطن الفقير.. هذا يحدث.. ولكن مهماتها المتعددة وغير الموجودة إطلاقاً في أي بلد من العالم الثالث، وربما أن تكاليف أدائها تتزايد على ما هو فيه البذل الآن لدى كثير من الدول الأوروبية.. وما أسسه الملك عبدالله.. وهذا قول معاد.. ليس معالجة أوضاع محدودة معاصرة، ولكنه تأسيس سخي القدرات مادياً والتنوع علمياً وتقنياً لكي نتصل بالمستوى الحضاري القائم لدى دول الدرجة الأولى..

ما هي وسائل التنفيذ.. كفاءتها..؟ لماذا لا تتوسع فرص مشاركات الأداء..؟ ما يتم ترتيبه تطويرياً في المملكة.. تعدداً وجزالة دعم.. لا يتوفر له وعي ضروراته.. وطنية الإخلاص في شمول تنفيذ عمومية الاستفادة منه.. أعني أن مستويات التنفيذ ومستويات المتابعة ليست في مستوى كفاءة إرادة الملك عبدالله في دفع المجتمع نحو تطورات متعددة الأهداف.. لست أتهم أحداً معيناً.. ولا أشير إلى تقصير أشخاص معينين.. أبداً.. فالخلل لدينا يأتي سببه الأول من روتينية الأداء في العمل من ناحية، وأنه عندما ترتفع المشكلة بعد أشهر وربما سنوات من مكتب الصادر والوارد فإن صعوبة الوصول إلى وضوح عن واقع الأمر مع الوظائف العليا أمر ليس بالسهل..

سر على قدميك من متوسط شارع الخزان وحتى نهاية شارع العليا في حي الصحافة، وابدأ في احتساب عدد الموظفين من السعوديين.. نسبة ضئيلة للغاية، بل ربما تجد موظفين غير محليين قد هربوا من عقودهم وارتبطوا باتفاق عمل غير قانوني مع مستفيد آخر..

سائق سيارة يعمل بألف ريال يأتيك وأنت على وشك إنهاء عقده بخطاب من سعودي يطلب منك التنازل فترحب بذلك، اعتقاداً بأنك تخلصه من تكاليف الاستقدام، ثم تفاجأ بعد شهرين أن السائق المذكور قد اضطر صديق لك إلى التعامل معه بألف وخمسة مئة ريال.. وهذا يعني أن مَنْ أتى باسمه إنما يقوم بتأجير عمله..

بيوت كثيرة فيها مستخدمات هاربات من عقود سابقة.. فماذا يعني انتشار آلاف من أجنبيات بمهمات عمل غير مشروعة؟.. ألا توفر هذه الحالات أجواء جرائم متعددة؟.. ألم تأت مشكلات العمالة بقرصنة مبالغ من قبل مَنْ يستقدم هنا ومن قبل مَنْ يرسل من هناك؟.. التوظيف السعودي لماذا ليس إلزامياً وتحدد عقوبات عند التقصير في عدد التوظيف، بل تحدد النوعية المهنية في قبول الموظف غير المحلي؟..

أمل العروبة المضطربة.. في اجتماع خليج موحد (*)

بوعي أبوة قيادية وجزالة كفاءة إدراك لحقائق الواقع الخليجي ثم العربي والإسلامي باشر قائد كل إيجابيات الحضور المنطقي الملك عبدالله بن عبدالعزيز بما هو أمامه وأمام الأمة من حقائق لا تستدعي التوقف عند كل ما هو تقليدي كررته الآراء السياسية حيث لا يصح الوقوف عند تكرار لغة تقارب التعاون وإنما يجب التوجه وسريعاً نحو مرحلة الاتحاد في كيان واحد يحقق الخير ويدفع الشر.. ما قاله الملك عبدالله لم يكن فقط شجاعة رأي ولكنه صراحة منطق وعقل أمام حقائق الأوضاع الراهنة.. ألسنا في كل اجتماع سنوي لل قمة الخليجية، وفي أي عاصمة خليجية، كنا نتطلع إلى دفع العلاقات الخليجية نحو مزيد من التقارب، وتأكيد التماثل السكاني، وفي نفس الوقت تقارب مبررات التلاقي فيما يشبه وجود الدولة الواحدة، بما يتعلق بالأمن والاقتصاد والتداخل الاجتماعي والكفاءة العسكرية المشتركة..

هذه التطلعات هي أحلام وأمانٍ خليجية متواصلة لم تكن تحرّك مشاعرنا عندما تكون المناسبة متصلة بالجامعة العربية، التي وعلى مدى سنين طويلة لم تقدّم لنا في كل امتدادات العالم العربي ما يطمئن الوصول إلى جزالة تقارب يمتلئ بالإيجابيات، بل أحياناً تتعقد الاجتماعات العربية والمجتمعات في ذروة الحاجة إلى ذلك التقارب، وكان من الصعب أن يحدث ذلك في تواصل ظروف أبرزت سلبياتها الخلافات واستقلالية النزاعات وليس التفاهم..

حالياً الظروف العامة مختلفة تماماً؛ فلا أمل قريباً في وجود تقارب عربي يكبح السلبيات الدموية التي حملت إعلامياً اسم الربيع العربي، وهي في الواقع صيف ساخن ينذر بنتائج أكثر سوءاً مما هو عليه الحال في الماضي..

(*) العدد ١٥٨٨٤ (١/٢٥/١٤٣٣هـ، ٢٠/١٢/٢٠١١م).

القمة الخليجية تأتي اليوم وهي قبل ذلك تأتي في ظروف ونوعية علاقات وإيجابيات مصالحي تختلف عن غيرها، ثم يبرز الحاضر القائم وهو يؤكد أن الاجتماع الخليجي مؤهل لأن يوجد أساساً عربياً تتوفر فيه كل إيجابيات التقارب وكل قدرات الدعم، ويدفعنا بجانب آخر لأن التقارب ضرورة بدون بحث عن مبررات.. يدفعنا واقع العالم العربي المضطرب كثيراً وإلى جانبه تعدد حالات محاولات التدخل في أوضاع العالم العربي بما في ذلك الخليج، بل ربما باستهداف أكثر حتى تكون الإيجابيات مجمدة النتائج من ناحية، وفرص التدخل مفتوحة من ناحية أخرى..

المجتمع الخليجي يملك كل مقومات التقارب وكل إمكانيات خلق نموذجية عربية متعددة الكفاءة وتملك حصانة ذاتية كي تكون واجهة بناء يقصدها من يحترم إمكانياتها ويفشل من يتوهم وجود قدرة التدخل في شؤونها..

لا أحتاج إلى سرد تجارب شعوب كثيرة في شرق آسيا ووسطها وفي جنوب إفريقيا ليست لديها جزالة كفاءة المجموع الخليجي، ومع ذلك استطاعت أن تدخل ساحة التطوير والتألق الحضاري بعيداً عن تراكم هموم العالم الثالث..

إن الجميع يرجو أن يؤدي بنا هذا الاجتماع إلى حقائق حضور خليجي جليل الكفاءات ومبررات التقارب، وأجزم أننا لسنا وحدنا من سوف يحتفي بالمنجزات، ولكن العالم العربي بمختلف فئاته ومؤثراته سيجد في الإيجابيات التي نجزم بإنجازها خليجياً مثال موضوعية حضور جزل الكفاءة في مشروعات التقارب.. واقع ننتظره.. وقد بشر به رجل إيجابيات كل منطلقات تفوق المستقبل رائدنا عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - .

انفرادية جزالة الأرقام بجزالة واقع الحاضر والمستقبل (*)

مع منجزات رجل الحاضر والمستقبل.. عبدالله بن عبدالعزيز.. أتت ميزانية الحاضر والمستقبل، وهي مواصلة تطوير الحاضر ومواصلة اندفاعات تعدد وسائل بناء المستقبل.. بناء الواقع الذي سيكون عليه الحفيد وطالب العلم وطموح من يطلب زمالات علمية أو اقتصادية..

ما نعرفه باسم الدول الكبرى عندما ندرك أن بناء حضور عظمتها في هذا القرن لم يكن إنجازاً لأبناء هذا القرن، وإنما هو توفير قدرات متعددة الأهمية ومتفوقة النتائج عن غيرها في الشعوب الأخرى، وبالذات فيما يعرف بالعالم الثالث.. حدث التأهيل قبل أكثر من مئة عام.. وقد تعودت وسائل الإعلام في هذا العالم الثالث أن توشح مكانة «الزعيم» بأنه بطل حاضرها ومستبدل ماضيها بما هم عليه من حاضر.. كل النتائج التي مرّت بنا إنما أكدت تراجع مزرعة وحقائق تواصل سحب الفقر بإنسان البيئة الاجتماعية إلى قلق العجز.. بركوده وتراجع.. عبدالله بن عبدالعزيز.. الملك الأب.. الذي لم يسع إلى قداسة اسم وإنما اجتهد وأجاد كي يصل بأمتة إلى قداسة تفوق وسيادة وحصانة حضور دولي مرموق..

لست متخصصاً اقتصادياً.. لكن أيضاً التخصص يحتاجه بدقة من يبحث عن مخارج مبررات في تصادم أرقام غير مطمئنة، لكن ميزانيتنا تقدم لنا أرقام مقارنات لا مجال فيها لعجز فهم كفاءة تأهيل التطوير.. تأهيل سهولة المسار، ليس بين جيل وآخر بل بين عام وآخر تتغير فيه مظاهر قصور كثيرة وتستمد منجزات حضور تطوير كثيرة..

تقول مقارنات الأرقام الفعلية:

- إيرادات عام ٢٠١١ بلغت ١,١ تريليون ريال..
- إيرادات عام ٢٠١٠ بلغت ٧٣٥ مليار ريال..

(*) العدد ١٥٨٩١ (٢/٢٠٢٣هـ، ٢٧/١٢/٢٠١١م).

- زيادة في إيرادات ٢٠١١م مقارنة بعام ٢٠١٠م بلغت ٥١٪..
- الميزانية التقديرية لعام ٢٠١١م بلغت ٥٨٠ ملياً وميزانية عام ٢٠١٢م بلغت ٦٩٠ ملياً بفارق ١١٠ مليارات..

هذه المقارنات بين الأرقام تجعلني أكرّر دائماً للمواطن بأن عليه أن يعي فروق إمكانيات تقدمه وتطور كل مجالات بلاده ومجتمعه عن أي واقع لمجتمع أينما كان في العالم الثالث.. أشرت في مرات سابقة أننا إذا استطعنا أن نعي واقع ما نحن فيه.. وفي نفس الوقت براعة ونزاهة ما يرصد لنا من منطلقات تطوير.. فنحن في الواقع لا نصحح حاضرنا فقط؛ ولكننا نبني مستقبلنا أيضاً..

تبادل مفاهيمنا عن قدراتنا (*)

توالي اتصالات وزيارات في أقل من عشرة أيام شملت رسالة خادم الحرمين إلى الرئيس الأمريكي نقلها سمو وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل، وزيارة رئيس وزراء بريطانيا، وأيضاً زيارة رئيس وزراء الصين للمملكة اليوم السبت، وزيارة وزير الخارجية الياباني في الأسبوع الماضي، وزيارة وكيل وزارة الدفاع التركية، وزيارة نائب رئيس الوزراء وزير خارجية مالطا، وكذا زيارة مساعد وزير الخارجية الأمريكية السفيرة ويندي شيرمان للشؤون السياسية، ومساعد الوزيرة الأمريكية لشؤون الشرق الأدنى، واتصال رئيس وزراء اليونان بخادم الحرمين، أيضاً زيارة زعيم الأغلبية بمجلس النواب الأمريكي إيريك كانتور للمملكة، وكذا زيارة السناتور جون كيري رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي.. هذا العدد الكبير في سجل زيارات متعددة الدول، وفي زمن وجيز له مضامينه المختلفة عن زيارات أي دولة أخرى، بل لا يتوفر اختلاف التعدد وكثافته لأي دولة أخرى..

زميل صحفي أعطى تبريراً ساذجاً.. قال: دائماً عند إعلان الميزانية السعودية يأتي هذا التوافق.. وهو تعبير غير صحيح إطلاقاً؛ لأن الميزانية تخص المجتمع السعودي وليست فائضاً نقدياً يأتي ليستفيد منه مسؤولون في جمعيات إنسانية مختلفة الهويات.. آخر قال: لا شك أن ظروف الشرق الأوسط كانت وراء هذا التوافق.. وهو تبرير مقبول نسبياً، إلا أن المملكة أساساً لا تقبل التدخل في أوضاع الشرق الأوسط الشائكة، فهي بعيدة عن المسببات.. لكن التعبيرين يوضحان سذاجة حضور الوعي، وأن إدراك حقيقة مضمون الأهمية السعودية غير سائد في مدار المفاهيم.. دائماً نأخذ شواهد الشخصية الاجتماعية عن نوعية كفاءاتها بأنها آتية من تداول مفاهيم اختلافات دينية أو مرتبطة بمؤثرات سلبية عربية..

نحن في بلادنا حقيقتنا الأولى التي تهتم العالم - وبالذات دول الواجهة الحضارية - أننا نمثل شخصية حضور اقتصادي علمية، وأن تفاعل الاتصالات بين مختلف القدرات الاقتصادية

(*) العدد ١٥٩٠٩ (٢٠١٤/٢/٢٠هـ، ١٤/١/٢٠١٢م).

سواء عبر تبادل مصالح متعددة النوعيات أو تلازم مصالح دولية كل طرف عندما يأخذ فهو من جانب آخر يضيف.. أي هي مصالح متبادلة.. تأهيلنا لبروز شخصيتنا الاقتصادية رغم كفاءة حضوره محلياً ودولياً إلا أنه في مسار المفاهيم المنغلقة أشبه ما يكون بقسم خاص نطل عليه ولا ندخل فيه.. هذا من حيث الوعي.. لكننا - وهذه نعمة من الله - أصبحنا خارج جمود الشرق الأوسط وتدني كفاءات قدراته الاقتصادية إلى صعود مرموق نحو زمالات تبادل علمي واقتصادي عالمي متفوق الكفاءة والنتائج، حتى كأن حضورنا الاقتصادي والعلمي ليس إلا جانباً خاصاً بينما هو في الواقع يمثل شمولية واقع تطور متى تفهمناه وتوجهت حواراتنا إليه فذلك يعني أننا في واقع حضاري جديد بدأ لدينا منذ أكثر من خمسين عاماً، وكنا ننظر إليه وكأنه وديعة غير محلية، لكن ما فرضه الملك عبدالله من انطلاقات متعددة الأهمية اقتصادياً وعلمياً يفرض علينا مباشرة الممارسة والولاء بعيداً.. بعيداً.. عن أي تكرار لافتعال نزاعات طائفية لا تتوقف عند تورج مذهبي، بل إن السنة توزعت فيها المفاهيم بشكل مزعج وغير موضوعي، أو انتماءات مناطقية.. هذه الرؤية سرداب قديم كان يجب علينا الخروج منه بواسطة الوعي منذ زمن قديم..

طبعاً هذه الشخصيات السياسية المرموقة والمتعددة الهويات لا يمكن أيضاً أن تعطي كثافة الحضور لبلد معين إلا وأن هذا البلد، إضافة إلى مكانته الاقتصادية والعلمية، هو في حصانة استقلالية موضوعية سواء أمام أحداث الشرق الأوسط أو عبر امتدادات العالم..

فتح المسارات رجل تاريخ فمتى نكون مجتمع وعي وقدرة..؟^(*)

كلّ شيء يمكن أن تصل إليه متى فهمت إيجابيات تنوعاته، وكلّ بعيد عنك يمكن أن تقترب منه متى رغبت في ذلك نتيجة تفهمك لما يُوجز المسافات بينك وبينه..

الأمر لا يعني إرادة فرد ولكنه يعني إرادة مجتمع.. بل المضحك في الأمر أنه متى كان الفرد واعياً لحقائق ما يريد وهو داخل مجتمع يرفض أن يريد متى كان ما يريد ذا اتصال بالمعرفة فهو في مثل هذا الحال يهاجر إلى مجتمع معرفة أو ينفصل بعزلة عائلة أو صداقة أو تنوع مطارات تجدد له أرضها موضوعية ما يقال وما يريد..

إن صعود الجبال هو أسهل مهمة وبفارق كبير عن مسؤولية تعدد قدرات المعرفة.. ومهمة سهلة أن تتجز جيداً علمياً أو إشاعة حقيقة حضارية وسط مجتمع متطور الحداثة في مفاهيمه أمام صعوبة أن يقبل أو يفهم ذلك مجتمع منغلق..

في كلمة خادم الحرمين الملك عبدالله التي وجهها إلى مؤتمر الصناعيين الخليجي الثالث عشر الذي بدأ أعماله يوم الثلاثاء من الأسبوع الماضي.. وألقاها وزير التجارة والصناعة الدكتور توفيق الربيعة.. قال: إن المملكة تبنت خطة وطنية للعلوم والتقنية يصل تمويلها إلى أكثر من ثمانية مليارات ريال وسوف يؤدي تنفيذها بإذن الله إلى تحقيق نقلة كبيرة في دعم البحث العلمي والتطوير التقني ونقل وتوطين التقنية والتحول إلى مجتمع المعرفة..

ليس بالجديد أن أقول بأن الملك عبدالله لم يؤسس لمشاريع نمو اقتصادي أو مشاريع توسع وظيفي أو إشاعة التمسك بنزاهة الأداء الحكومي أو إعطاء الناس ما يستحقونه من مشاريع دعم أو معونات أو تقدم إمكانات مواقع العلاج أو تعويض العاطلين من ميزانية الدولة المرتفعة عن كفاءة الاحتياجات المطلوبة.. هو وفر أكثر من ذلك.. لكن قبل هذا وفر مهمة تاريخية.. نعم مهمة تاريخية.. لم تحدث في أي بلد عربي وكانت هذه المهمة هي منطلق حضارة أوروبا سلخته قبل بداية القرن العشرين ونحن الآن في بداية الواحد والعشرين..

(*) العدد ١٥٩١٦ (٢٧/٢/١٤٣٣هـ، ٢١/١/٢٠١٢م).

ليست أوروبا الغربية فقط ولكن أيضاً أوروبا الشيوعية سابقاً لم تعطلها قيود تخلف تحجبها عن التطور..

استفادة المواطن هنا من تميز بلاده الاقتصادي لن يكون مظهرها كفاءة معيشة فقط فالمطلوب هو كفاءة وعي تجعلنا نستفيد سريعاً من إمكانياتنا ونواكب بالاستيعاب والأداء ما خطط له رجل تاريخي من مهمات تفوق تاريخية ليست بالبسيطة أو السهلة.. بل هي سهلة متى توفر وعي استيعاب.. ووعي إدراك حقائق كل ظروف الجوار السياسي وكل ظروف العلاقات الدولية وأنتك لن تكون جديراً بخصوصية قدرات مادية.. البترول مثلاً.. إلا متى كنت في موقع خصوصية إدراك لضرورة هذا الواجب التاريخي البالغ الدقة جداً.. ولذا لا يحارب في الداخل بوعي وسائل تطور أخرى.. حيث لا بديل.. وإنما يحارب بوجهات نظر انغلاق لو أن بعض من يروج لهذه النظريات بحث عن وظيفة في أي دولة إسلامية لما وجد إلا وظيفة مدرس في مرحلة ابتدائية..

سوريا لن تستفيد.. لكن روسيا إلى أين..؟^(*)

«الدول مهما كانت لا تحكم العالم كله أبداً.. أبداً.. بل يحكم العالم العقل.. يحكم العالم الإنصاف.. يحكم العالم الأخلاق.. يحكم العالم أيضاً الإنصاف من المعتدي».. رؤية عقل مذهل عند الملك عبدالله..

وقد تعودنا في العالم الثالث أن تصطدم مفاهيمنا بعبارات قسوة من زعماء يريدون تعميق مفهوم أنهم إرادة شعبيهم، وبالتالي فهم منطلق القرارات حتى لو كانت ضد ذلك الشعب، وما يرد أحياناً من إيحاءات مفاهيم بأنهم أصحاب زمالة نفوذ في العالم.. كل ذلك ليس إلا هاجس مجموعات خيال كاذب يغري بالتوهم أو يهدد بالادعاء، لكنه لا يصل في النهايات إلا إلى هزائم.. ولدينا نماذجيات أمثلة من معظم دولنا العربية، كما رافقنا بالمتابعة مصير الانهيارات في دول آسيوية وإفريقية عديدة.. لأن الكل اتجه إلى الإيهام بقداسة من يحكم وحق انفراديته بقسوة مصير المجتمعات..

«العقل والإنصاف والأخلاق» هي المسارات التي انطلق منها خادم الحرمين الملك عبدالله في كل أبعاد مشاريعه التطويرية التي لم تكن جزءاً من اجتهادات ولا حلاً طارئاً لتخدير أزمة، مثلما يحدث في عالمنا العربي وفي العالم الثالث، لكن الرجل التاريخي الذي لا نعتبره نموذجاً عربياً فقط، ولكنه واحد من قلائل في كل تاريخ التطورات البشرية التي صنعت علمانية أوروبا الصناعية وتقدمها الحضاري، واكتسبته أمريكا بفعل التداخل السكاني، وعرفت اليابان كيف تخرج من هزيمة قاسية إلى مجد علمي مرموق..

الملك عبدالله بإقرار المفاهيم الحضارية الجديدة ورفع نسب التطوير العلمي بما يفوق كل وجود العالم العربي مئات المرات وتألّق كفاءته باستمرارية تجدد فرص التقدم كما لو كان يدير أجهزة اقتراب من يده.. نقل مجتمعه إلى أوج الاستعداد للدخول في تعدد التميزات العلمية والاقتصادية والحضارية..

(*) العدد ١٥٩٣٧ (١٩/٣/١٤٣٣هـ، ١١/٢/٢٠١٢م).

وعلى مستوى المواقف العالمية فإن «الإنصاف والعقل والأخلاق» كان يفترض أن تتخذ هذه الروادع شعوباً عربية - وبالذات الشعب السوري - من تعطل موضوعية افتقدتها الأمم المتحدة بما أرادته روسيا والصين من استمرار لباطل ما يحدث بين مواطنين وسلطة في سوريا.. هل في القوانين الدولية وفي مقدمتها الروسية والصينية أن يدفع آلاف من المواطنين دماء حياتهم لأن رئيساً يريد فرض وجوده في كل سنوات العمر؟.. إن الشك في قدرة الأمم المتحدة بأن تكون حامية إيجابية للعدالة ومنصفة موضوعية تجاه حقوق الشعوب.. هذا الشك من شأنه أن يدفع بالعضوية الدولية فيها إلى الخروج نحو عضوية مصالح ليس إلا، وهذا أمر غريب الوضوح في مثل هذا العصر، خصوصاً وأن روسيا قد خرجت من ديكتاتورية مظلمة فكيف تقبل بها داخل سوريا؟..

روعة التميّز التاريخي في شخصية الملك عبدالله بانفراد شخصي لا ينافس فيه أحد عالمياً أنه لم يبنِ مجدّ مجتمعه من تضارب صدامات دولية، ولكنه أوجد لمجتمعه قدرات التحرك حضارياً والكفاءة الاقتصادية والجزالة علمياً.. وهذه أبرز معطيات العقل لرجل تاريخ ميّز مجتمعه بخصائص تفوّقاته لا بتحايل خصوماته.. ولا أعتقد أن الموقف الروسي سيكون مفيداً لسوريا بقدر ما هو وسيلة منافسة مع الغرب، ومحاولة إعاقة لعالمية الأمم المتحدة.. لأن روسيا أساساً ليست دولة نفوذ في الشرق الأوسط..

(*) مع أفكاره ولفته ومنجزاته

القائد المعتاد هو من تبرز به أفكاره أو قراراته أو أبوته، لكن من النادر توفر تميز قيادي بكل هذه المنطلقات غير العادية وغير السهلة أيضاً..

نحن - وذلك جزء من متاعبنا - عرب عشنا وواصلنا التواجد في مناسبات خلافات، وكذا مظاهر تخلف وافتعال خصومات، وما حاول بعض القادة أن يبرز به من قوة لغة أو قوة وعود مضامين أو افتعال تأييد فئة على حساب خصومة مع فئة أخرى..

الملك عبدالله بن عبدالعزيز الذي تميّزت به جزالة الأفكار وكفاءة القرار ووضوح شواهد الأبوة يتحدث يوم أمس الأول بلغة صفاته الثلاث عبر لغة بارعة التواضع والوصول إلى طمأنينة العقول.. بالتأكيد أن كل مَنْ كانوا حوله.. وبالتأكيد أن كل مَنْ استمعوا إليه فيما بعد يجمعهم يقين صارم هو أولاً تأكيد أن الملك عبدالله قد أسّس منطلقات تطوير صناعية وعلمية وثقافية واقتصادية تكفي متابعة إنجازها وهو ما لن يكون في يوم وليلة.. لا في سنة أو خمس سنوات، فبث تعدد الجامعات وتكاثر المستشفيات وتضاعف مجالات العمل عشرات المرات لن تكون في زمن وجيز، لأن الدولة لا تشتري منجزات هذه المشاريع حتى تضعها سريعاً أمام كل مواطن، وإنما - وهذا ما هو طبيعي - هناك زمن تنفيذ لا بد منه، ثم لا يمثل المواطن حضور تميّز خاص به يبعده عن سلبيات العالم العربي.. وهو الآن في حالة ابتعاد عن تلك السلبيات.. وإنما سيمثل المواطن حضوراً علمياً واقتصادياً سيرفعه إلى مميزات العضوية الدولية، وشواهد الدخول في هذا المجال الدولي واضحة، لعل أبرزها سياسياً ووطنياً الموقف الشجاع رآياً وأفكاراً ما تحدث به سمو وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل في اجتماع تونس تجاه مآسي القتل السوري.. واجتماعياً نحن نلاحظ تتابع منجزات التجديد في كل المجالات التي توجهت إليها أفكار الملك عبدالله كي يتوالى تقدّم فرص التوظيف وتحسين قدرات الاقتصاد وتوفير كفاءات العلاج والتعليم وكبح وسائل الفساد..

رغم ما هو يقين ثابت في عقولنا كمواطنين وعبر عنه ذلك الحشد الهائل الذي كان في استقبال الملك عبد الله بعد عودته من العلاج.. استقبال لم تتمثل روعته في كثافة مسؤولين رسميين، وإنما تمثل بذلك الانفراد الهائل حيث امتد حضور المواطنين.. وبالذات العائلات، وسيدات منفردات، وطلاب وطالبات.. من موقع الطائرة وحتى الدخول في مدينة الرياض.. بشواهد كل ما سبق من قناعات يقول الملك عبد الله في خطابه يوم أمس الأول عند استقباله للمشاركين والمشاركات في اللقاء الوطني التاسع للحوار الفكري رغم وضوح المنجزات التالية بمئات المليارات.. يقول: «وطنكم مثلما أنتم شايفين والله الحمد يعني الأمور إن شاء الله هادية فيه ومستقرة، ولكن ما فيه شك أنا لست مقتنعاً إلى الآن في رأسي أكثر من الذي صار وإن شاء الله إنه سيتحقق بجهودكم معي.. جهود الشعب السعودي معي.. لأنني أنا بدونكم لا شيء.. بدون الشعب السعودي أنا لا شيء.. أنا فرد منكم وإليكم واستعين بالله ثم بكم».. هذا التواضع الإنساني الرائع من رجل هو الذي أعطى لبلاده ومواطنه كل منطلقات التميز عربياً والعضوية الحضارية والاقتصادية دولياً.. علينا أن نقارن روعة تداخل المواطنة بينه وبين كل المواطنين ونقارن ذلك بتلك الكيفيات الغربية التي يبذلها قادة العالم الثالث عموماً لكي يوهموا مواطنيهم بوجاهة قيادتهم..

مخاطر.. لكن مغلفة (*)

في سنوات سابقة.. ليست بعيدة.. لم يكن الأمر صعباً أن تعرف مَنْ هم مصادر مخاطر بلدك وَمَنْ هم الذين في موقع ثقة منك..

الوضع الآن يختلف تماماً.. تماماً.. بعض مسبباته في وجود فرضية دولية لم تعد في موقع منافسة؛ ولكنها في موقع انتشار دولي رغم هزائهما من دول صغيرة.. أمريكا مثلاً.. في حين أصبحت روسيا تبحث عن النوافذ للإطلال على أوضاع مجتمعات بعيدة عنها.. بعد أن استحال الوصول بواسطة الأبواب..

الوضع القائم حالياً.. عالمياً وأوسطياً.. يحتم على المواطن أن يكون على مستوى من الوعي يغلق به مداخل نفوذ يحاول التسلط الأجنبي أن يزيد بها من قسوة الخلافات.. أو استحداث تناقضات محلية تتحوّل إلى صراع في مجتمعات آمنة ومستقرة..

إذا كان أن أوضاع معظم الدول العربية تتجه إلى الأسفل بشواهد واضحة.. فحتى لو وجدت نزاهة حكم فإن هذا صعب للغاية بسبب وجود حواجز تفاهم تفرض التباعد..

نجد أن مهمات إنجاح الحلول لردع الفقر وانتشار البطالة - في بعض دولنا العربية - لن تحقق النجاح المطلوب؛ حيث إن إمكانيات الإمداد غير موجودة إطلاقاً.. إذا أضفنا هذه الحقيقة القائمة مع إدراك ما سبق عن طبيعة واقع القوى الدولية فإن العالم العربي أمام المختصين بأساليب الاستعمار الجديد لا يقوم على وجود قوة احتلال وإنما على وجود حقائق انهيار.. التوجه في تجزئة العالم العربي أمر يبدو أنه مطلوب، ومن ناحية أخرى التوجه لإقلاق المجتمعات المستقرة هو أيضاً هدف يبحث عن منافذ دخول..

أين نقف نحن أمام هذه الحقائق..؟ أمام هذه المخاطر..؟ في الوقت الذي نحتاج فيه إلى إقناع بأننا الدولة الأولى ليس عربياً ولكن على مستوى العالم الثالث التي تنفذ بها مشاريع تطوير متعددة ومتنوعة من شأنها أن تحل كثيراً من مشاكلنا التقليدية القديمة، وأن تفرض

(*) العدد ١٥٩٧٢ (٢٤/٤/١٤٣٣هـ، ١٧/٣/٢٠١٢م).

قدرات التحسين والتطوير لكبح أي تخلف.. لا أريد أن أعدّد تميّزات التطوير في بلادنا ومجتمعنا فهي معروفة لدى الجميع.. وما قدّمه الملك عبدالله لم يكن علاج أوضاع مرحلة قادمة، ولكنه يشمل الإعداد الهائل لمستويات تفوّق صناعية واقتصادية وعلمية..
طبيعة أوضاع عالمنا العربي.. وطبيعة ضرورة عدم منح الثقة لأي لغة تقرير يحتمن علينا أن نحافظ ونحمي المرحلة التاريخية التي نمرّ بها..



ما هو صحيح وما هو خاطئ..(*)

ظاهرتان تواكبان حالات الاحتياج بادعاء أنهما في حالة إهمال.. قد يأتي تعاطف خاطئ لكن أمام حقيقة واضحة وصارخة.. الدولة رسمت مسالك الوصول إلى خلق مجتمع يحاصر انتشارات الفقر والبطالة..

المسألة تعتمد على ظروف المسببات.. مَنْ يضع نفسه في القاع فإن ما يأتيه لن يرتفع عن مستوى صدقه، لكن مَنْ يشكو من إغلاق ظروف الوصول إلى النجاح أو استبعاده من عنايات تعدد خدمات السكن أو التوظيف أو تحسين مردود ما أصبح في الحاضر غير ملائم لما كان عليه في الماضي.. فهذا بأي اسم حمل أو أي موقع أرض تواجد لن يكون منطقيًا القول إنه وُلد فقيرًا وعليه أن يبقى حيث وجد نفسه.. وهذا بالطبع تفسير غير موجود.. لكن علينا أن ندرك سلبيات بعض مظاهر التجاوزات التي أرادت بطرق غير سليمة أن تحصل على ما هو أكثر..

هنا أكرر التقدير للدكتور يوسف العثيمين وزير الشؤون الاجتماعية الذي فتح تبادل المعلومات مع وسائل الإعلام، ومنها جريدة «الرياض»، مرتين.. حين صحح وبالبرهنة أن وزارته لم تتجاهل ما هو مطلوب منها من مسؤوليات..

وأتوقف عند تصريح لأحد مسؤولي متابعة الخدمات، حين قال: إن ما قدمه خادم الحرمين الشريفين لمواطنيه من مشاريع ومواجهات فقر واحتياجات إسكان تصعب مهمة أداء بمستوى ضخامة ما تريد.. أعرف أن هذه العبارة المقصود منها تقدير ما فرضه الملك عبد الله - حفظه الله - من مشاريع إصلاح وإنصاف وتطوير، لكن هذا لن يعني أبدًا الركون إلى أداء تقليدي بطيء.. لأننا نمر بظروف تطوير وإنصاف غير عادية؛ ولكن جزالة ما هو مبذول نحو هذه الغايات يفترض - وتقديرًا للرجل التاريخي - أن تكون هناك ممارسة متابعة سريعة وواعية..

(*) العدد ١٥٩٨٣ (٥/٥/١٤٣٣هـ، ٢٨/٣/٢٠١٢م).

أقف أيضاً عند ظاهرة أخرى قد يفسرها البعض على أنها سلوكيات فقر وهي في الحقيقة سلوكيات انحراف أخلاقي، حين يدفع البحث عن أي سعر لمخدرات بعض صعاليك عقل نحو سيارة سائق؛ وهذه أعرف أنها حدثت مرتين وسحب جهاز هاتفه وأي مبلغ نقود في جيبه.. نفس الأمر حدث مع شاب متكامل التفوق في تعليمه وكفاءته وحدث عند مغادرته محطة بنزين أن وجد أربعة مجرمين كادوا يقضون عليه وأخذوا كل شيء داخل سيارته.. إذا نحن فعلاً أمام مهمات إصلاح وما اعترفت الدولة بوجوده من مؤسسات إصلاح ومتابعة يفترض أن تؤدي أدوارها، وأيضاً جرائم المخدرات يفترض أن تكبح بحضور أمني نملك مميزات كفاءته..

لابد من إنجاز كفاءات الأداء (*)

لدينا أجهزة عمل متعددة التخصصات ومتعددة النتائج، وإذا أردت أن تراقب مسار التطور في أي مجتمع - وبالذات في العالم العربي وفي العالم الثالث بصفة عامة - فإن هذه المسارات بنتائجها هي ما يحدّد وجهة اتجاه المسار بأساليب تطوير تجعلها تتمكن من إيجاد موضوعيات وجزالة النتائج..

لا تقل عندنا مشاكل كذا وكذا.. ففي عالمنا العربي وامتداد العالم الثالث توجد تخصصات تخلف، وتوجد توجّهات خدمات فردية أكثر مما هي توجّهات خدمات شمول اجتماعية، ومرشحون مثل غيرنا أن نكون منتجي تطوّر أفراد لا شموليات اجتماعية.. لكن هل نحن في مثل أوضاع غيرنا؟ خصوصاً وأن عمومية هذه الأوضاع إذا أنتجت مزيداً من التخلف للجماعية الوطنية فإنها لا تضيف جديداً مهما تطورت النجاحات الفردية..

الذي أريد الوصول إليه هو أن الملك عبدالله بخطط تطوير وتعديل وإصلاح حرّك وجود مؤسسات متنوعة المسؤوليات ومختلفة مقاصد الخصوصية..

أمامنا مَنْ هم أبطال فروسيات الحضور الاجتماعي أولاً.. حيث المهمة صعبة.. والخصوم غير معروفين، مثلما هو الحال عندما نتحدث عن التوظيف أو المساعدات الاجتماعية أو شمولية التعليم.. أعني أن الأمن ومكافحة المخدرات ومهمات أخطر مسؤوليتين في مجتمعنا لا يتم التحرك فيهما لحماية المجتمع عبر خطط أداء ضد مواقع تخلف، أو ضد خصوم مواطنة ولكن ضد مجهولين داخل مواقع مختلفة في المجتمع ممّن هم يرتعون في ظلام الجريمة وبالذات مَنْ هم تابعون لنظام القاعدة التي نعرف أنها قبل خمس سنوات تقريباً استهدفت مجتمعنا أكثر من أي مجتمع في العالم وحاولت بقذارة إجرام أن تطيح بمسؤول نبيل.. أعني الأمير محمد بن نايف.. وقبله تجمّعات سكن.. وتجمّعات تعليم..

نفس الشيء نأتي إلى المخدرات في تواجدها مجتمع عبر امتدادات صحراوية هائلة مما يجعل مهمات المتابعة صعبة، ومع ذلك فإن إدارة المخدرات نافست أجهزة الأمن في جزالة قدرات نجاحها ..

إذا .. وهاتان الفتتان لا تتحركان ضد خصومة معروفة.. ضد محترفي إجرام معروفة مواقعهم، ومع ذلك تحقق النجاح المذهل.. إذاً أليس من حقنا، بل أليس من المنطق أن نطلب من مختلف الإدارات المعنية بالتوظيف وكذا مساندة العاجزين وتصحيح الأوضاع الوظيفية أن نطلب مساندة عملية وسريعة من قبل الإدارات الحكومية المعنية فنحن نعرف أنه ليس من الممكن أن يتحوّل الفقير أو العاطل إلى وجود كفاءة معيشة وممارسة ما لم يكن هناك زمن إنجاز كاف لهذه المهمة.. لكن مسؤولية هذا الإنجاح لن تتم بكفاءة ما فعله الأمن ومكافحة المخدرات إلا إذا تم تعديل وتطوير الأداء الوظيفي الحكومي الذي يفترض أن يكون جديداً أداء وتفهم مسؤولية على مستوى ما يريد الملك عبدالله أن نتجه إليه من فاعلية جهود ثم جزالة نتائج ..

أرجو أن يكون معلوماً بأنني لا أتهم إدارات المتابعة خلف التوظيف ومكافحة الفقر وجزالة الحضور الاجتماعي في مختلف مقاصد الحياة، فهم في الحقيقة يبذلون جهوداً كبيرة ومتابعة دقيقة لكن ليس بيدهم فرض ما هو مطلوب ما لم يكن هناك تصحيح لبيروقراطية أداء الوظائف الحكومية التي تجعل متابعة الأسبوع تتحول إلى نصف سنة.. وأفترض أنه لو وجدت إجراءات تصحيح للأوضاع الوظيفية لأمكن لتلك الإدارات أو الهيئات أن تنجز شواهد نجاحها ..

الملك عبدالله ومجتمعه في حقائق الحضور العالمي (*)

إذا كنا نرصد فخورين كفاءة تتوّع أبواب المستقبل المتميّز التي أتاحتها الملك عبدالله بن عبدالعزيز لمواطنيه.. ولا يتمثل ذلك بخطب قيادية كما في العالم العربي، ولا في بريق مظاهر خلافات كما هو الحال عند عرب «أمجاد يا عرب أمجاد».. لكنه يتمثل بخطط تطوير.. إبداعها وانفرادية تميّزها أنها لا تعتمد على محاولة إنجاح مرفق تطور واحد بجعله إذا نجح شاهد إثبات قيادة؛ ولكن ما طرح أمام خطوات المستقبل لمساعي الوعي والتفهم وموضوعيات الإدراك وتميّز قدرات الاقتصاد والعلوم..

هو في الواقع إيلاج المواطن بكل قدرات الدفع إلى الأمام أولاً ليحمي إمكانياته، وثانياً ليكون في مستوى كفاءة هذه الإمكانيات، وثالثاً لكي يرتفع بمفاهيمه وقدرات أفكاره إلى عالم التفوق العالمي..

دعونا نتأمل لدقائق ما هي نوعية التعامل القائمة بين مختلف الدول العربية من ناحية والمملكة من ناحية أخرى.. ألسنا نجد أن تحرك معظم القيادات العربية يتم مع قيادات عربية أخرى وهي لتصحيح علاقات مجمدة أو لمحاولة التقرب من دول قريبة من مواقع الخلافات العربية.. إيران مثلاً.. وبعض دول عالمية بينها أمريكا.. ليس وفق مساعي تطوير قدرات وإنما مساعي تحرك في أجواء خلافات..

هذه المسلكية وظروفها الملزمة بها أحياناً لم تنتهجها المملكة إطلاقاً؛ فهي تتفرد بتوسّع علاقات اقتصادية وعلمية وحضارية بعيداً عن مؤثرات أي خلاف، بل لقد أثبتت المملكة أنها البعيدة عن أجواء ومسببات الخلاف..

تكريم الملك عبدالله شاهد قوي على ذلك.. على أهميته كقائد يخلق مستقبل أمتة بضمانات منطلقات متعددة ومتيسرة الكفاءة.. وبالتالي فإن المستوى الراقي المتمثل بالدعوة إلى حوار الأديان وتوجّهات السلام والتعاون الدولي والمشاركات الإنسانية عبر صحف عالمية سنجد

(*) العدد ١٦٠١٤ (٦/٧/١٤٣٣هـ، ٤/٢٨/٢٠١٢م)

الإشارة إلى تميّزات شخصية تقدّم بها الملك عبد الله على الكثير من الزعامات العالمية.. وفي المحلية العربية لا توجد أساسًا منجزات تنافس ما اكتسبه من منجزاته في العلاقات الدولية والإنسانية..

المألوف أن ما يكثر في سجل أي زعيم عربي هو ما يورد من جوائز مناسبات تقدير لا ترتبط بمنجزات تقدير عالمية، بينما نجد أن الملك عبد الله قد حقق انتشارًا شخصيًا ومعه ما أوجده لمجتمعه من شموخ مكانة دولية بعيدة عن الربيع العربي وسلبياته.. فإذا كان أن اليونسكو قد طرحت في هذا العام تقديرها المميّز للملك عبد الله قبل أيام قليلة؛ فإن استعراض ما تم من وثائق تقدير وجوائز تميّز عالمية عبر عدة سنوات سنجد أكثر من ثلاث وعشرين مناسبة حققت انفراده بتلك التميّزات دوليًا وعربيًا.. وسنجد المتابعة أكثر موضوعية وانفرادًا عربيًا ما قدمته مجلة «فوربس» الأمريكية لأكثر من مرة، ثم نمر بجامعة أندونيسيا، جامعة الخليج العربي بالبحرين، جائزة برشلونة ميتينج، استطلاع شركة بيو البحثية كأفضل قائد في قراراته الصحيحة بشأن القضايا الدولية، أمام منتدى دافوس يمنح برنامج الغذاء العالمي الملك عبد الله جائزة البطل العالمي لمكافحة الجوع، مجلة «نيوز ويك» اختارته ضمن قائمة أكثر عشرة زعماء عالميين اكتسبوا احترامًا عالميًا حقيقيًا، دراسة أشرفت عليها جامعة جورج تاون الأمريكية أنه أكثر الشخصيات العالمية تأثيرًا في العالم الإسلامي، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا تمنحه الدكتوراه الفخرية في التنمية الإسلامية والوسام الملكي في تعزيز العلاقات الإسلامية، أيضًا الجامعة الإسلامية بنيدلهي، الشخصية الخليجية الأولى وفق نتائج استطلاع أجرته صحيفة «البيان» الإماراتية، جائزة فيليكس من جريدة «غازيتا ريبورتكا» البولندية تقديرًا لإنسانيته في توفير عمليات فصل التوائم على نفقته الخاصة..

طبعا لقد تجاوزت التميّزات المحلية لأنها معروفة عند الجميع، وقد أردت إيضاح مجرد نموذج لتقدير عالمية، وفي غضون سنوات محدودة، وهو ما لا يتوفر لأي زعامة عربية.. وعالميا له تعددية التقدير وتنوع مصادره بحكم عالمية مكانته..

السبع سنوات.. ومنجزات عشرات السنين القادمة (*)

ليس في ذهننا جميعاً كمواطنين سعوديين أننا نحتفل بيوم البيعة السابع لرجل الدولة الأول عبدالله بن عبدالعزيز فإننا ترتبط في أذهاننا وما يمر أمام متابعتنا من منجزات قدمتها دولته من مقررات أفكاره.. ترتبط في أذهاننا دائماً أن زمن الإنجاز لا يكفي بسبع سنوات.. الرجل العظيم قدم للحاضر والمستقبل ما هو كفو لجزالة حضور التحديث والتطوير لعشرات السنين وليست السبع التي نحتفي بها، وفي ذلك نحن أمام حقيقتين نادرتين لم تتوفر في أي دولة:

الأولى: تعني ملء الحاضر الذي نعيشه بالكثير من منجزات تحديث التعليم وتعدد مواقعه وجزالة الابتعاث لأفراده.. وأننا لم نعد نعتمد على مصادر إثراء مادي لمتطلباتنا ولكن أصبح مع تأهيل منطلقات اقتصادية تعدد مجالات تأهيل تلك المتطلبات بأكثر مما يحتاجه الحاضر، وهذا التميز شمل الكثير من مظاهر التطوير الاجتماعي سواء تعلق بواقع حضور المرأة الأكاديمي أو الإداري ودفع الشاب الجديد في تأهيله بتنوع الثقافات والتخصصات لئلا نكون مجرد مجتمع ينغلق به فكر واحد، وإنما تتعدد معه مختلف الطموحات الفكرية نحو كل منجزات يمكن كسبها من مصادر تأهيلها وتطويرها.. ولا تبتعد تعددات التقنية في الحضور الاجتماعي العلمي عن التنوع الاقتصادي ومنطلقات تحديث الفكر الاجتماعي..

هذا جزء مما هو واقع محلي في تعدده لا نجد أن السبع سنوات كانت عمراً كافياً بجزالة ما قدمته أفكاره وإدارته وقربه جداً جداً من منطلقات صيانة الاستمرار، لكننا ندرك في الحقيقة الثانية أيضاً بوضوح ما لها من تعدد إيجابيات وجزالة التنوع والتعدد أنها ليست حالة حاضر محدود يرتبط بهذه السنوات على أن معظم زعماء العالم الخالدين بجزالة ما قدموه لمجتمعاتهم إنما كانت أهمية تلك المنجزات عندهم ارتبطت بوجود تلك القيادات.. الملك عبدالله.. أسس لمنطلقات وجود حضاري متنوع تعطي أهميات مريحة وواقعية لأكثر

(*) العدد ١٦٠٣٣ (١٦/٢٦/١٤٣٣هـ، ١٧/٥/٢٠١٢م)

من جيل قادم بعد جيلنا القائم.. هذا امتياز تاريخي خاص ينفرد به الملك عبد الله الذي نضيف أنه مع نجاحه الهائل في تأكيد أصالة وتنوع الحضور العلمي والفكري والاقتصادي استطاع أن يفتح أبواب الحداثة الاجتماعية والواقع المنطقي لما هو مطلوب من واقعية أفكار ومرئيات هي أساساً من واقع الإسلام لكنها بإضافات تعدد التأهيل العلمي والفكري تعطي للقوى الكبرى في العالم صحة وحقائق أن الإسلام سبق أي حضارة حديثة بطرح مبررات تأهيل الإنسان كي يكون شامل الوعي والقدرة لما أعطاه الله من مبررات تحديث وجزالات قدرة..

إننا لا نحتفل بسبع سنوات مرت فقط، لكننا نحتفل بمنجزات تعدد مكاسب تأهيل متعدد القدرات على مدى عشرات السنين القادمة..

هل هذا كل شيء؟.. لا.. يوم السبت القادم لنا موعد مع خصائص تميّز شخصية لهذا الرجل التاريخي..

عبدالله بن عبدالعزيز.. وشعبية العلاقات (*)

القادة.. الزعماء.. رجال الواجهة.. دائماً يُحاطون بسياج ابتعاد عن عامة الناس.. حتى إذا خرجوا في مرات نادرة عن إطار ذلك السياج فإن الأمر لا يحدث إلا لظروف خاصة، أو لأداء مشهد تمثيلي يُقصد به غاية أخرى.. كل مَنْ هم في هذه الصدارة لهم مثل هذا الابتعاد عن العامة.. قد يكون الغربيون أكثر موضوعية في اتساع نوعية السياج، أما قادة العالم الثالث فهم الأكثر بعداً عن عناصر الرأي العام.. وعالمنا العربي في خصوصية أكثر.. كيف كان عبدالله بن عبدالعزيز.. قبل أن يصل إلى ولاية العهد وبعد أن أصبح خادم الحرمين؟.. أجزم أن حياته الشخصية وعلاقاته العامة.. وليست الخاصة.. هي لانفراد نوعية ممارستها تستحق أن تكون موضوع دراسة خاصة تعطي للمتابع كيف هي جزالة الاختلاف سلوكاً وتعاملاً وعلاقات، تعطيه لا بالأقوال لكن بوثائق نوعية الحياة الاجتماعية والأسرية لرجل جمع بين مساحتين متباعتين.. قائد فريد الاهتمامات والأفكار ويقوم بإقرار تنفيذ مشاريع هائلة في التنوع الاقتصادي والعلمي والتقني وردع التطرف وإشاعة عدالة موضوعية العضوية الاجتماعية للمرأة والرجل.. ممارسة مسؤوليات.. وأحقية حضور شخصي.. هذا القائد تفترض بدهة أنه سيكون معذوراً لو عزلته هذه المسؤوليات التي لم تحدث في دولة من العالم الثالث عن أوساط مجتمعه، وسيكون الناس يتحدثون عاذرين ومقدرين أن ما يقوم به من منجزات سبب وجيه ومنطقي في عدم قدرته أن يكون له تعدد مستويات في علاقاته الاجتماعية..

لكن ما حدث هو العكس.. رجل رائع الوجود مع مشاريع أفكاره.. أي احتياجات مواطنيه في قرارات التطور المتعدد الأهمية، لكنه يتمتع ببساطة تناول لتعدد صلاته وعلاقاته الاجتماعية.. بحيث يبدو في حقيقة أنه يأخذ المجتمع معه عبر كل علاقات مناسبات وجوده بين جماهيره كما لو كان زميلاً لطالب جامعي أو زميلاً لموظف إداري..

وبساطته لم تكن مسؤولية اجتماعية أضافها إلى مسؤوليات كفاءاته القيادية، فمن يعرف الملك عبدالله بن عبدالعزيز قبل أن يصبح ولياً للعهد بسنوات لا تقل عن العشر أو العشرين،

(*) العدد ١٦٠٣٥ (٢٨/٦/١٤٣٣هـ، ١٩/٥/٢٠١٢م)

ثم حين أصبح ملكاً سيجد أن الرجل العظيم كان يتمتع ببساطة تقارب اجتماعي وبموضوعية احترام لمن يتحدث معه حتى ولو كان يختلف معه في رأي..

أذكر قبل أن يصبح ولياً للعهد، ربما بعشر سنوات حدث أن كان يدعونا - رؤساء التحرير - للاشتراك في حضور يقيمه الحرس الوطني بمواقع جغرافية مختلفة.. شيء خيالي عجيب.. كانت فكرتنا أنه رجل جديّة حازمة وأن لغته صارمة، لكن فوجئنا به وهو يضعنا عن يمينه وعن يساره في مأدبة الغداء أو أمام أطباق العشاء، ويذكر الزملاء أننا كنا في البداية لم نكن نعرف كيف نبدأ الحديث؛ إلا أنه وعبر اجتماعين أو ثلاثة ملأنا اليقين بذاته كصاحب بساطة حضور كما لو كان زميلاً لنا.. ليس هذا فقط ولكن فوجئنا به مرح الحديث.. وذكي التعليقات الضاحكة، وأنه في حالة إدراك عميق لأوضاع مهنتنا.. ولم تكن ملاحظتنا توحى لنا بأنه يجاملنا أو يعطينا خصوصية تعامل.. أبداً.. نحن لم نكن نمثل 5% من الموجودين الذين وجدناهم يتمتعون معه بنفس عواطف الود ومرح الأحاديث وحقائق المعلومات..

بولاية العهد.. ثم عندما أصبح ملكاً.. كنا نعتقد أن مضاعفة المسؤوليات وتعدد خصوصياتها، بل أيضاً تعدد الأزمات في العالم العربي التي نشأت قبل نصف قرن إضافة إلى محاولة مفاهيم متخلفة لدينا لتكون واجهة لمجتمعنا.. كنا نعتقد أنه لن يجد وقتاً تبرز فيه بساطته الأولى وتعدّد مستويات علاقاته.. أبداً الرجل هو الرجل الإنسان والذكي ومتعدد الكفاءات.. وقد شرفنا بمرافقته كرؤساء تحرير في زيارته الرسمية..

ووجدنا منه كمواطنين نفس قدرات الانفراد بتأهيل القدرات ورؤى المستقبل الصعبة.. معها بساطة التعامل وروحانية حب الناس وتقديرهم..

يكفي أننا لم نزل نذكر عندما عاد من رحلة العلاج كيف أن فئات المجتمع لم تنتظر تنظيمياً رسمياً لجهات معروفة.. جامعات.. إدارات حكومية.. منظمات اجتماعية.. الناس خرجوا بنسائهم وأطفالهم.. بل نساء أيضاً بأطفالهن وطلبة من حد المطار وحتى أول ميدان سكاني في مدينة الرياض.. وكان منظرًا يثير سخونة العواطف أولئك الأطفال الذين نجدهم في مداخل الأسواق التجارية مثلاً.. بعضهم فوق رأسه صورة للأب الأول.. عبد الله بن عبدالعزيز.. وآخرون يضعون الصورة على صدورهم..

(*) افهموا جزالة واقعمكم وخطورة غيركم

أين هو الإنسان الذي خلق قدرات بلاده؟..
وأين هو الإنسان الذي أبدع في الاستفادة من تلك القدرات التي وجدها قبل عصره أو بعده
منجزاً لدى غيره؟..

أشك أن يكون الإنسان العربي قد فعل شيئاً من ذلك..
في سن طفولة جيلي كنا نرمق واقع مجتمعات عربية متقدمة الوضوح حضارياً وفنياً
واقصدياً، ولم نكن ندرك كيف سنلحق بها.. ونتخطاها.. فنرمق الإنسان الأوروبي الذي
خرج بمجتمعاته منذ سنين طويلة قبل أن تولد أجيال قبلنا نحو واقع حضاري راقٍ بعد
أن سحب خرافات مذهلة ونرجسية قيادات سياسية أو دينية ذات مبالغة في الصفات
والقدرات، وحصّن المجتمع بحقائق علوم أعطته سقف العالم، ولم تكن البداوة ولا محدودية
الفقه الديني في العالم العربي آنذاك تعي إيجابيات ما كان يحدث..

الوصول إلى الإيجابيات الأوروبية في بعض دولها الكبيرة مثل ألمانيا وبريطانيا وما هو
شمالها من دول صغيرة لكنها في نعيم معيشة خيالي الأبعاد، وتستطيع أن تقول عن كندا إن
لها نفس التميزات.. الوصول إلى هذا المستوى ليس بالسهولة أمام طبيعة الوضع الراهن
عربياً..

الموضوع ليس عن الأوروبي في مواقع تميّزه، ولكن عن العربي في اتجاهات تخلّفه.. مرحلة
طفولة جيلي - وليس الآن - كانت تجد براهين تحرك للأمام تخيفنا في ألا نستطيع بداوتنا
ومحدودية وعي فقهننا أن تصل إلى مستوياتهم العربية..

كيف هو الواقع الآن؟..

العالم العربي أضاع الكثير من منطلقات تقدّمه، وانتكس يستعيد مبررات للصراعات داخله
بعد أن كان مشغولاً بمزعجات غير موضوعية وهي الصراعات على حدوده.. والحقيقة؛
كلتا الحالتين هما سدود إعاقات أبعدته كثيراً عن مغريات إيجابيات الغرب السالفة الذكر..

(*) العدد ١٦٠٤٤ (٧/٧/١٤٣٣هـ، ٢٨/٥/٢٠١٢م).

وهي مسألة بناء قدرات تقدم علمي وحضاري ولا شأن لها بالأديان..
أين نحن من كل هذا؟..

صحيح أن الرجل التاريخي العظيم عبد الله بن عبد العزيز قد وضع أمامنا مبررات وقدرات منطلقات حضارية وعلمية واقتصادية، لكن هل وفّرنا نحن كمواطنين وحدة المسار في هذه المنطلقات، أم أن أمامنا مجتمعاً متوزع الرؤى والاهتمامات والمفاهيم؟.. نعرف أن سارقاً فعل ذلك لأنه كان تحت تأثير سحر، وآخر فعل ذلك لأن وفداً من الجن أثر عليه.. ثم ماذا بعد؟.. هؤلاء أقلية ليس بمقدورهم التأثير على مجتمع.. لكن كيف يكتب مَنْ يدعون التدين؟.. هل يبيع الدين لمن يدعي المشيخة أن يوجه تهماً إجرامية غريبة؟.. وأهم من هاتين الطائفتين يبدو كثير ممن يسرفون في تداولات «النت» كما لو كانوا لم يستفيدوا ذهنياً من حقائق تردّي أوضاع العالم العربي، ولماذا وصل إلى هذه المرحلة، ووضوح منطلقات تطورات مجتمعه..

يجب أن نطوّر وعينا وأن نعي حقيقة أننا ما لم نكرّس جهودنا ونوقرّ جنديّة اجتماعية عامة وإلا فلن نستفيد من جزالة ما نحن متجهون نحوه من تميّزات نجد عالمنا العربي بعيداً عنها..

الملك عبدالله.. رجل المثاليات (*)

كم هي عالية التكاليف؛ مع أنها غير مقنعة تلك الأساليب التي يلجأ إليها زعماء العالم الثالث كي يمرّروا وجاهة وجودهم، وهي في الحقيقة لا تذهب نتائجها إلى فئات تعاني إهمالاً أو حرماناً أو خصومات بقدر ما تتحوّل إلى مكسب خاص لفخامته..

في العالم الأول هناك ذكاء تصرّفات؛ حيث في حين أنهم داخل مجتمعاتهم لا يستطيعون تمرير تلك الأخطاء إلا أنهم خلف مصالح دولهم يمارسون تمرير المواقف الغامضة بادعاء أنها مواقف لصالح غيرهم، وهي في الحقيقة أساليب تدخّل غير مباشرة في واقع ذلك الغير..

نحن نعرف جيداً حقيقة الأوضاع التاريخية في عالمنا العربي منذ ما لا يقل عن السبعين عاماً، وكيف كان للشعارات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بريق إغراء كما لو كان العرب سوف يقفزون مستويات المعيشة الأوروبية ومحاصرة التميز الأمريكي، ثم تتكشف الأمور بعد أعوام طويلة بواقع يؤكد أن العالم العربي يحتاج إلى حالات ميلاد جديدة تعيد حقائق الوعي إلى ذهنيات لم تعد تنتظر نتائج مشاريع مالية تعيد تعدد الاحتياجات إلى مختلف مجالات التطوير، وإنما هي تستبدل تعدد التطور بتعدد الخصومات بل تدني مفاهيم المواطنة..

الملك عبد الله بن عبد العزيز رجل تاريخ يختلف تماماً في عقليته وأفكاره وتنوع مفاهيمه فيما يباشره من مهمات قيادية؛ الرائع فيها أنها ليست وعود.. لكن سرعة الأداء تبدو كما لو كان التنفيذ يتواكب مع موعد يوم إعلان إقرار المهمة.. في التعدد الجزل الذي بذله بدءاً من جنوب جازان وحتى شمال عرعر والقريات.. من مواقع ركود عبر امتداد البحر الأحمر.. من تدخل سريع وحازم في قلب المدن الكبرى إلى قفزات هائلة بعدد الجامعات وأخرى مجيدة في تنوع روافد القدرات المالية.. وفي نفس الوقت تحويلها مباشرة إلى تنوع مكاسب وظيفية أو معيشية أو تعليمية أو تطويرية وسط مجاميع الناس..

الرجل التاريخي.. يتصرف ويعطي أفكاره كما لو كان محاطاً في الأربع والعشرين ساعة بكل وثائق المعلومات عمّا هو مطلوب وما هو جاهز التنفيذ.. ليس فقط لكي يتغذى فقير، أو لكي يتوظف عاطل، أو لكي يعالج مريض، عبر خطط تتبنى مهمة القفز السريع في الخروج - وهو ما حدث - عن سلبيات العالم العربي والدخول بوجاهة قدرة - وهو ما يحدث - في قائمة العالم المتقدم..

الرجل الرائع إنسانياً كما هو دائماً في سجل تاريخه يقدم ١,٦٣ مليار لكل المحتاجين في فئات الضمان الاجتماعي.. ومن هذا الواقع الشعبي.. تطل على الجميع المهمة العالية المكانة التاريخية مستقبلاً وهي التوسع الجديد في الحرم المكي وفي تعدد الاهتمامات والقرارات التاريخية.. هو الرجل الذي انفرد بتعدّد التقدير الدولي عبر المؤسسات العلمية والإنسانية، والرجل الوحيد الذي كان له حضور الزمالة المحترمة عبر تداول أفكار دول خصوصية متميزة.. ثم ينهي شهر رمضان المبارك بقمة التضامن الإسلامي في مكة..

إنه ليس رجل وعود قد تأتي أو لا تأتي، وليس متخصص خطب تحتاج دعم المصادقية، ولكنه رجل تاريخي الأفكار، وفيما طرحته تلك الأفكار من حقائق نتائج بارعة..



مكة والشروق الجديد (*)

كيف سيتوجه اهتمام المشاركين في قمة مكة الإسلامية.. والتي هي في الواقع فتح أفق مهم بل وضروري في دعم الوجود الإسلامي.. داخلياً بما يخص أوضاع مجتمعه.. أو عالمياً في كفاءة الخروج من الاستهداف.. أو تعاون إسلامي فيما يتعلق بنوعية العلاقات الإسلامية المطلوبة؟..

هذه المناسبة ليست بالسهلة.. وعودنا الملك عبد الله في كل توجهاته التطويرية والتوعوية.. عودنا على عقلانيات الخيار، والشواهد أمامنا في تعدد براعة الإيجابيات..

ماذا عن الحضور بأفكارهم؟..

كيف يرون.. ما هو الأهم؟..

ماذا من الاحتمالات السابقة يمكن أن يضيف إلى الحضور الإسلامي مكسباً جديداً؟..

أعتقد أن وجود كفاءة حضور اجتماعي في الداخل ووضوح في الغايات عبر خطط التطوير وإلى جانبها خطط التقارب هو ما سيكون الأمر المهم..

لقد قضت الدول الكبرى من أبعد المسافات بدءاً من روسيا وأمريكا ومروراً بكل كفاءة تميزات دولية في أوروبا وهي لا تمارس الإسراف في التدخلات العسكرية مثلما كان يحدث في الماضي، ولكن مع الأسف يحدث أن توجد تدخلات غير مباشرة مهمتها دفع مسافات التقارب إلى التباعد ودفع مبررات تعاون المصالح إلى قسوة تحوّل المنافسة إلى خصومة، الأمر الذي جعل العالم الإسلامي في بعض مسافته يواجه أوضاع خصومات مذهبية بالغة القسوة وهذه الأوضاع متى تكاثرت وقرت فتحت منافذ في ظاهرها معقولة لرغبات أو طموحات من هو بعيد عن إسلامها..

إذاً.. إننا نأمل أن نصل إلى مرحلة تعاون إسلامي وتقارب في وجهات النظر وزمالات تعاون تطويري وكبح كل أساليب الخصومات الطائفية التي تجاوزها الغرب منذ زمن بعيد،

(*) العدد ١٦١٢٢ (٩/٢٦/١٤٣٣هـ، ١٥/٨/٢٠١٢م).

ووجودها يريح مَنْ يريد أن يطمئن إلى وجود ضعف إسلامي متواصل.. خصوصاً وأن هذا الاختلاف في وجهات النظر الذي قد يؤدي إلى خصومات هو إفراز محلي وسلبياته القاسية لم تنتجها الأجيال المعاصرة ولا مَنْ هو قريب من عصرها، وإنما هي تعود لمئات الأعوام..

نثق -إن شاء الله- أن قادة هذا العصر الإسلامي على مستوى من كفاءة الوعي.. وبالتالي فنحن نأمل بيقين واثق أن ينطلق عالمنا الإسلامي إلى ما نحلم به من واقع مشرف متواصل الإيجابيات..



حضور دولي.. بإسلامنا وعلاقتنا (*)

تتجه أنظار مختلف فئات المجتمعات الإسلامية إلى مكة المكرمة، وما هو متوقع من إيجابيات يمهدها ويبدأ بها ويرسم سياسات منافذ إيجابيات وجودها المؤتمر العالمي إسلامياً الذي شهدته المدينة المقدسة.. وكان من أبرز الملاحظات ارتفاع النوعيات الدبلوماسية لمن تواجدوا تلبية لدعوة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبدالعزيز.. كل من أتى.. دون شك.. يمتلئ بمشاعر تقدير؛ فهو لا يتجه إلى رجل تعامل معه بخصومة أو احتاج إلى وسيط يحقق التقارب معه.. أبداً.. هو رجل الإيجابيات العديدة والرجل الذي ارتفع بمجتمعه عما هو سائد في بعض المجتمعات الإسلامية من سلبيات ربما طورها وجود بذور اختلافات طائفية أو الانقياد خلف مصالح غير موضوعية..

إننا لوراقبنا فقط ماضي السبع السنوات السابقة لوجدنا أن الملك عبد الله - حفظه الله - قد فتح لمجتمعه آفاق صداقات وتعاون لم تقم على مبدأ تحالفات، وإنما أوجدتها استقلالية مرموقة ومتميزة التنوع ثم النتائج..

أتصور أن العالم الإسلامي في حجم حضوره الكثيف بمكة المكرمة قد استوعب - وعبر السنوات الطويلة لنقل منذ ما قبل سبعين عاماً - أن العودة إلى تميز شواهد تطور إسلامية وشواهد حماية أخلاقية لكل المنتمين.. يأتي ذلك عبر تجارب سياسية متعددة وطويلة لم تؤدَّ إلى إيجابيات خلق روابط التعاون والتفاهم السريع الإيجابيات من خلال ما يتيح الإسلام من ضرورات تواجد قدرات تعامل بارع الوضوح في نقل الإنسان الإسلامي إلى مسارات مختلف أنواع التقدم الإنساني عبر ما يتنوع في كل مجتمع من تعدد لكفاءات اقتصادية أو علمية.. وطبعاً إن التواجد مساء أمس الثلاثاء لم يكن وسيلة للوصول إلى غاية كفاءة خصومات مع أي طرف آخر غير إسلامي، وإنما بالتوجه إلى التعدد الفاضل لما هو عليه مضمون الإسلام من حصانة ودعم للإنسان المسلم فيما يجب أن يحتويه من مضامين وعي لخطط تطوير عامة تسعد الجميع؛ سواء تعلق الأمر بما يجب أن يكون بين دول هذا المجموع

(*) العدد ١٦١٢٣ (٢٧/٩/١٤٣٣هـ، ١٥/٨/٢٠١٢م).

الفاضل من تعدّد إيجابيات التقارب أو مع الدول الأخرى بما هو مؤكّد من إيجابيات.. فعالم الكون الحاضر لم يعد يمارس ذلك الركود في قديم العلاقات، وإنما أصبحت دول لم تكن تعتبر عظمى كالصين والهند في واجهة المنافسات الدولية..

في عالمنا الإسلامي يوجد العديد من قدرات هذا البروز الدولي بما يجب أن تكون عليه المجتمعات الإسلامية عبر قياداتها من كفاءة أداء وتعامل..



عبدالله بن عبدالعزيز يحترمك كل عقل ويحبك كل قلب.. (*)

أعطانا ما لم يحصل عليه غيرنا ..

ووصل بنا إلى ما لم نتوقعه أحلامنا ..

ولم يكن هذا رغم أهميته هو كل شيء في تعدد جزالة حضوره التاريخي المتنوع ..

ارجع في ذاكرتك قريباً من الصراعات العربية منذ بدايته وحتى الآن وستجد أن الزعامات العربية إذا كانت تبحث عن المعية الظهور اجتماعياً عبر تعدد ما تدخله من خصومات فإن الملك عبدالله دعا العالم قبل العرب نحو تقارب الثقافات والحضارات عبر موضوعية لغة الحوار بين أديان وثقافات وكسب كثافة التعدد من صيغ الاحترام العالمي وهو ما لم يحصل عليه أي زعيم عربي بل وعبر شواهد الواقع لم يقبل أن تكون المملكة طرفاً في مسار صراع أو خلاف في حين نشهد التألق اللا أخلاقي في عالمنا العربي في تكاثر تنوع الخلافات وجهود تبني تعدد الصراعات .. اقرأ مسار الأحداث في عالمنا العربي عبر سبع دول على الأقل أو أكثر وستجد مع الأسف أنه ليس هناك توجه إلى الأمام وإنما انحدار نحو الخلف .. نحن لا نتلقى المعلومات عن واقع ماضيها وعن إشراقات مستقبلنا عبر ما يقوله غيرنا وما يلزمنا بالموافقة عليه فرض طمس حقائق واقع قائم أو مستقبل قادم مثلما هو حال السياسات المحلية في دول العالم الثالث لكننا وعبر منجزات الرجل الخالد في تاريخنا .. نرى وبوضوح جزالة الفروق التي استطاع الملك عبدالله أن يفتح لنا بها أبواب الانطلاق نحو واقع الحاضر الأفضل وواقع المستقبل الأرقى ..

هذا الرجل العظيم لم يبحث عن سلطة نفوذ لكنه ملاً العقول بكل ما أعطى القلوب من مشاعر محبة صادقة لرجل جعل ذاته فيما يفكر أو يعمل مسؤول تطوير شخصي لحياة مواطن في بلده .. يتساوى في ذلك من تبتعد به المسافات آلاف الكيلومترات أو من يقترب بعشراتها .. نادر رجل تاريخي تجد حضوره الخلاق أفكاراً وقدرات يملأ كل آفاق تواجد

(*) العدد ١٦٢٢٩ (١٥/١٤٣٤هـ، ٢٩/١١/٢٠١٢م)

مجتمعه.. لقد عشنا أياماً صعبة.. جميعنا ونحن نتابع تطورات صحته بعد عمليةه الجراحية فكانت عافيته عيداً أبهج القلوب وحرك بجزالة وهج العقول فرحاً بما كان عليه من صحة عصر أمس عبر التلفزيون كانت عافيته في كل العقول هي عافية تواصل المواطن والوطن في مسار ما هو عليه من تميز وبراعة وجود يختلف بذلك عن كل الآخرين..



عبدالله بن عبدالعزيز. رجل الجماعة حبا وتقديراً (*)

أمر مألوف وغالبًا يكون مشكوكًا في مضامينه ما لم تأت أحداث أو مناسبات تؤكد سلامة أو سوء بعض نوايا بعض آخر عندما يكون هناك تعبير حيال وضع خاص.. أقصد شخصياً لزعامة قيادية.. ولأن اندفاعات العالم الثالث بصفة عامة والعالم العربي بصفة خاصة حول مظاهر التقليد في ممارسة طرح أفكار الرأي.. أو.. وذلك ما هو أسوأ.. لا يأتي الأمر وهو تقليد بارد المضامين وإنما يأتي وهو انفعال يحدث في موقع ويكون التأثير قد أتى من موقع آخر.. عمومًا في كلتا الحالتين لا تتوفر قناعة إدراك جاد بوجهة أو مصداقية ما قيل..

أما مع هذا الرجل العظيم.. عبدالله بن عبدالعزيز.. فنجد دائمًا هو البعيد تمامًا عن تلك التأثيرات في عالمنا العربي التي تفتعل أحيانًا للخروج من واقع إلى آخر تمامًا مثلما تفعل المنافسات السياسية..

الملك عبدالله نموذج لبيت أن كل العالم العربي يعي أصالة خصوصياته في نوعية حضوره داخل عقول مواطنيه وداخل قلوبهم..

فالرجل العظيم تأتي الشهرة كأبسط مظاهر خصوصياته.. لأن الشهرة عند غيره وبتوقيت محدود تأتي في العالم الثالث بسهولة تدبير المنافسات.. بينما هي معه أتت في سجل الحقائق والبراهين التاريخية كمصداقية اندفاع العواطف في القلوب بجماعية من النادر توفرها في أي دولة.. وأتت معه أيضًا بجزالة التداخل العقلي تمامًا بمثل ما يكون عليه الأب وابنه أو الابن مع أبيه.. لا الرئيس مع سكرتيره..

شمولية الانتشار العاطفي والعقلي لرجل قيادة متميزة إنما وفّرتها فعاليات شمول أراد به ألا يكون التطوير خاصًا بشواهد منطقة ما أو فئة سكانية خاصة.. الشمول في بناء الاقتصاد

(*) العدد ١٦٢٣١ (١٧/١٤٣٤هـ، ١/١٢/٢٠١٢م).

والتعليم وجزالة الابتعاث وتنوع كفاءات مشاريع التطوير هو الذي جعلنا نقرأ أخبار التحديث في جازان مثلما هو الحال في القصيم، وفي نجران كما هو الحال في ينبع ورايح أو جدة، نفس الشيء تبوك أو عرعر أو القطيف أو الأحساء..

وهذا على جزالته ليس كل شيء.. فجانب شخصي نادر تميّز به لن تجد جزالته في محتوى شخصيات عالمية نادرة.. نجد ذلك في أنه لا يقتصر بتعامله.. علاقاته.. حوار أفكاره.. اتصالاته الاجتماعية مع عزلة مجتمع محدود.. كما هو شأن معظم القياديين في العالم.. قبل سنوات بعيدة.. قبل ولايته للعهد.. ومنذ سنوات قريبة.. في ملكيته.. تتكرر منه بساطة اتصال وحوار مع كل فئات المجتمع.. وعاشنا كيف كان يقوم بالزيارات إلى مواقع يعتزم تعديلها..

في عدد يوم أمس.. كنا في حالة لقاء مع بعض من تميزاته، فالسيدات اللاتي تواجدن في أكثر من مكان.. تماماً مثلما حدث قبل سنوات قريبة عند عودته من العلاج في أمريكا.. كيف أن السيدات ملأن بتواجدهن المسار من المطار إلى مدينة الرياض.. وأمس تصافحت دمة العين مع حبة المطر.. والدمة هنا هي ذات التميّز الخاص حيث دمة الفرحة لا تأتي إلا من عمق فرح القلب والعقل.. هذه ملاحظة ليست كل شيء حيث في تاريخه ما ليس بالسهل ولا بالموجود عند غيره..

عبدالله بن عبدالعزيز تميز بذاته وخصوصيات أفكاره (*)

لو أن الملك عبدالله بن عبدالعزيز حصل على أولوية عربية فقط عبر تقييم «فوربس» الذي نشرته «الرياض» يوم أمس لما اعتبرنا في الأولوية تميزاً خاصاً.. لأن التميز الخاص في فكر وآراء وممارسات الملك عبدالله هو أكبر بكثير من طبيعة أوضاع العالم العربي.. حيث نجد حالياً أن القائد العاقل - إذا توفر - ليس هو من يطلق مشاريع تطوير متميزة ويصل إلى زمالات عالمية متنوعة وي طرح عبر فكره وسائل اتصال عقائدية وفكرية وإنسانية مع شعوب عالمية عديدة وذات خصوصيات تطوير.. بل يكفي أن يكون قد تمكن من عزل شعبه عن التأثير بعدوى الخلافات.. عدوى الصراعات.. ديموقراطية تبادل الاقتتال.. من الصعوبة بمكان أن تطبق صفات التميز العالمي على زعامة عربية بل وحتى إسلامية في ظل طبيعة الأوضاع الراهنة..

الملك عبدالله بن عبدالعزيز.. بصفاته الخاصة.. بقدراته الخاصة.. بفكره الخاص.. هو من تجاوز كل سلبيات واقع العالم الثالث، ومن داخله توجد عضوية العالم العربي.. هنا أجزم أن للملك عبدالله ميزة ثالثة غير انفراده بالتطوير وواقع السلام داخل عالمه العربي.. وغير ما سجل باسمه من منجزات تعامل فكر ووجهات رأي مع دول العالم المتقدم.. الميزة الثالثة فيها انفراد عن كل صفات من وصلوا إلى الواجهة في تقييم «فوربس» في الزمالة العالمية وتأتي بأن الرجل العظيم عبدالله بن عبدالعزيز لم يأت إلى الواجهة العالمية التي تحتفظ قياداتها بنسب سكانية لا تقل عن السبعين مليوناً ومراحل تعليم مبكرة بما في ذلك حرية فكر الثقافات قبل أكثر من قرن ونصف القرن ومستويات اقتصادية لها عمر امتداد لا يقل عن المئة عام..

نحمد الله.. أننا ونحن من بدأنا نقل أوضاعنا من بداوة قديمة التواجد ومن انكماش عزلة اجتماعية ومن بساطة مفاهيم إلى أولوية وعي وتطوير بدأت بوجود الملك عبدالعزيز

(*) العدد ١٦٢٣٨ (١/٢٤/١٤٣٤هـ، ٨/١٢/٢٠١٢م).

-رحمه الله- وهي الآن في ذروة التألق وجزالة الخصوصية وطنياً وتلاقي كل اتجاهات الفكر أو رغبات المصالح فيما لا يعطل مسار تطورنا ولا يفتح فرصة إهدار ضد واقع تميّز نموّنا .. حيث الملك عبدالله بن عبدالعزيز تمكن من فرض التحديث اجتماعياً وعلمياً ودينياً .. وتلك مهمة خروج رائعة ممّا يحتجز العالم العربي من واقع تخلف في ناحية، وواقع صراعات من ناحية أخرى يطلقها واقع التخلف ..



شمولية الحب لعبدالله بن عبدالعزيز تنافسها شمولية التقدير لمنجزاته (*)

في الغرب عمومًا - وخصوصًا في الدول المبكرة في تقدّمها - لا يستطيع الرجال القادة أن يوفّروا لأنفسهم حضورًا اجتماعيًا يأتي بتجديد أو ابتكار تقدم علمي أو اجتماعي أو اقتصادي أو ثقافي، لأن أجيالًا سابقة برز فيها من حققوا شمولية التطور بحيث أصبحت الزعامات الراهنة تجد أن أهميتها تنطلق من أهمية محافظتها على المكانة الحضارية التي هو فيها مجتمعها ..

أما في العالم الثالث والعربي خصوصًا فلم تعد أساليب الإثارة التي ابتكرت على مدى لا يقل عن ستين عامًا تثير مبررات تعاطف أو تقدير خاص تعطي لكل زعامة جديدة مميزات عن أخرى سابقة .. الناس عرفوا أنهم بدوا أوضاع تراجع مبكر أكثر مما يقال إنهم فيه من تقدم، بل أصبحت الرئاسة أشبه ما تكون بميدان مصارعة يكسب البقاء فيها من يهزم خصمه ثم يبقى في عزلة خوف ..

الملك عبدالله بن عبدالعزيز نموذج تاريخي مميز .. واجه مظاهر تخلف ليست بالسهلة، بل بعضها انتشر كما لو كان وثائق احتفاظ بأنماط الماضي .. واجه صعوبات حياة اجتماعية بموضوعية وحزم، ونادر جدًا أن تجد من يجمع في مسؤولياته بين موضوعية وحزم .. إلى حد ما .. تستطيع أن تقول بوجود أنماط تعليم معقولة وقادرة على التطوير وأخرى متراجعة عاجزة بل رافضة مفاهيم الحاضر ومبررات تألقه .. لم يخاصم، لم يفعل كغيره في الدول الأخرى الاستناد على فئة ضد فئة أخرى، وإنما مرّر مبررات التحديث بعقلانية وعي أشاعها بين الجميع .. دعا الجميع عمليًا إلى رؤية معطيات النتائج عبر ممارسات التحديث العلمية والواقعية دون تفريط بانتماء ديني .. أو خصوصيات إيجابية اجتماعية .. ومع أن هذه مهمات ليست بالسهلة إلا أنها لم تكن وحدها ممرات وصوله عبر أفكاره ومنجزاته إلى جماعية الولاء والاحترام ..

(*) العدد ١٦٢٤٥ (٢/٢) ١٤٣٤هـ، ١٥/١٢/٢٠١٢م

نستغرب أحياناً كيف يمكنه وهو في واقع مهماته غير السهلة ذات العلاقة بالاقتصاد والسياسة والعلم أن يخصص ساعات كي يطلع على طبيعة الحياة الاجتماعية عند كل فئات الناس.. كيف تصل أفكاره وقدراته إلى منازل فقر معزولة.. إلى وجود يُتم بأُس.. إلى دفع ما هو دية تنقذ حياة متهم.. كيف هو الموجود اقتصادياً وعلمياً في آفاق أبعد من واقع العالم العربي إلى الواقع الجديد في المملكة بإقرار قوى اقتصاد تدعم البترول وتوجد منطلقات تساند التوجه لتوفير قدراته بحيث أوجدت جامعات ذات تخصص تطوير علمي لم توفره أي دولة في العالم الثالث..

بهذا الاتجاه الهائل.. نتائج وواقع مستقبل.. فإن عبدالله بن عبدالعزيز هو الأقرب إلى مساندة فقير، والأقرب إلى إشاعة فرص التوظيف، والداعم بدقة وسائل تصحيح القدرات ونزاهتها وجعلها حقاً عاماً ليس لأحد خصوصية فيه..

هل نستغرب كيف رقص الفرح في قلوب كل المواطنين.. نعم كل المواطنين.. وهو معهم في أبوة جماعية نادرة التواجد في العالم.. وهو معهم أيضاً المتابع الصادق والنزيه والقادر كي يكون التطور في كل المجالات شاملاً كل الاحتياجات..

منذ دخل المستشفى وواقع علاجه وما وصل إليه من نتائج كان هو استيطان التفكير والتأمل في قلوب كل الناس.. وعندما أُعلن خبر مغادرته المستشفى كان الفرح بذلك والتزود بمعلومات عما هو عليه من عافية هو اللغة العامة عند كل مواطنيه..

أتى إليّ في المنزل كثيرون للاطمئنان على صحتي بعد مغادرة المستشفى.. لكن كان حوار الجميع عن رجل أبوة الجميع.. عبدالله بن عبدالعزيز.. حفظه الله ورعاه.. وأبقاه أبوة صدق ومواطنة نزاهة مثلما هي كل المعلومات عنه..

الملك عبدالله..

في سعادتنا.. وفي مسؤولياتنا (*)

كل قياسات المواقف عقلاً نياً أو عاطفياً مع مسن أو شاب.. مع منهمك بنشاط جاد في مجال سياسة أو اقتصاد أو إعلام.. لا يخطر ببالك - إطلاقاً - أن هناك مستوى معيناً يحدد من لهم أحقية الحضور في ذهنية رجل الدولة الأول أو مشروعية الحضور في آفاق اهتماماته الواسعة.. نعم.. اهتماماته الواسعة.. مستويات وعيه، والأهم.. مستوى تواجهه الإنساني بأبوة.. ليس الآن.. ولكن تاريخياً يندر أن تتواجد في أذهان رجال السياسة الأول..

هذا القائد العظيم.. عبدالله بن عبدالعزيز غير ملزم بأن تكون له جسور اتصال واطلاع على طبيعة أوضاع كل مواطن.. طبيعة أوضاع العلاقات في العالم.. لا يذهبون لمعرفة وضع مواطن.. أي مواطن متى ما علم أنه في تأزم خاص.. ويعتبر التجاهل طبيعياً لأن القادة غالباً معزولون بخصوصية مسؤولياتهم.. الملك عبدالله بن عبدالعزيز وبسلوكيات مثالية.. مثالية جداً.. أعرفها شخصياً قبل أن يكون ولياً للعهد ثم خلال هذه المرحلة ثم في عصره ملكاً.. أعرف أنه لم تبعده أي عزلة عن أي مواطن.. وأذكر جيداً كيف كنا نتشرف بالاستجابة لدعوته في بداية تشرفنا بمعرفته واعتزازنا بترحيبه.. أذكر أنه هو الذي كان بعباراته وتصرفاته يسمح أي وجود لفوارق شخصية بيننا وبينه..

إذا كانت رسالته النبيلة التي تشرفت بها وستبقى في حياتي ضوء شرف أخلاقي تنفرد باحتضانه كل أفراح المنزل مثلما هي أعطت جزالة ردود الفعل ليس عندي فقط ولكن عند الأوساط الإعلامية باختلاف مستوياتها.. الكل تفاعل بمصداقية حب وتقدير تجاه أبوة رجل فريد في شمولية رعايته لكل فئات مجتمعه.. الرائع الذي ينفرد به هو أنه قريب من كل مواطن.. هذه حقيقة انفراد غير موجودة في أي دولة أخرى.. دائماً نوعية المسؤوليات ومستواها تحدد نوعية الاتصال ومن يحق لهم ذلك.. الملك عبدالله هو صاحب الأبوة العامة.. والأخوة العامة.. الزملاء الإعلاميون إخوة وأبناء..

(*) العدد ١٦٢٤٦ (٢/٣/١٤٣٤هـ، ١٦/١٢/٢٠١٢م).

مئات من أفراد الوسط الإعلامي استقبلوا رسالته الكريمة بعد نشرها في «الرياض» وعبر ما نشرته جريدة الشرق في عددها الصادر يوم الجمعة الماضي في الصفحة الأخيرة.. وهنا لا يتعلق الأمر بما يخصني وإنما بشمولية المشاركات عبر مواقع النت، حيث الجميع - عبر ما عرضته جريدة الشرق - أثى على الجانب الإنساني والأخلاقي الذي هو في الواقع مسار الملك عبد الله في كل تطورات حياته مع كل المواطنين.. ونحن نعرف جيداً إيجابيات تطويره للواقع الإعلامي وحمانيته وانطلاقه نحو صداقة موضوعية، وهو ما نجد في وقتنا الحاضر أنه قد أعطى امتيازاً في مستويات مواضيع النشر لدى صحافتنا الإعلامية بما هو تميز عن مستوى الإعلام العربي..

كلمة الشكر لا تفي بغاية الثناء، ولا بإيضاح كل عمق للحقائق التي جمع بها الملك عبد الله في إطار مواظنته كل مستويات الحضور الاجتماعي وكل تعدد المسؤوليات التي باشر بها وضع يده في يد كل مواطن يتجه به نحو الأفضل..

(*) هو يقودنا نحو المستويات الأرقى

الرجل التاريخي.. الملك عبدالله بن عبدالعزيز.. في كل مناسبة لا تتجاوز العام - وربما أقل - نجده يوالي فتح آفاق جديدة نحو مزيد من منجزات مستقبل قريب وبعيد..

وإذا كنا قد تعودنا أن نلاحظ - عند متابعة ميزانيات أي دول أخرى - ندرة وجود منطلقات تدفع إلى الأمام، ليس بتوظيف فئة أو دعم مرفق عمل، وإنما نجد عبر المنطلقات التي يتوجه منها الرجل التاريخي أنه لا يطرح حلولاً مؤقتة ولا مجاملة مرفق ثم وعود بما تحتاجه مرافق أخرى.. الملك عبدالله بن عبدالعزيز.. عبر ما هو في أذهاننا ومعلوماتنا وتعدّد واقع منطلقات تطوّرنا استطاع بإعجاز مذهل - وعبر سنوات قليلة - أن ينقل مجتمعه بكامله نحو دروب منطلقات حضارية وحدثية جديدة، وليس تعريفها يتوقف عند ذلك، وإنما يعني وعبر ما هو واقع أماننا ينطلق بهذا المجتمع من تعدّات المتاعب في العالم الثالث.. ومن ناحية أخرى حماية حاضر دول الصف الأول..

وإذا كان أن الوزراء عبر ما قاله الرجل العظيم فكرياً وسلوكياً في حاجة إلى جدية عمل وإنجاز لكل ما أصبحت توفّره لهم القدرات المالية في موازنة هذا العام، فإن المجتمع بمختلف فئاته مطالب بأن يرتفع بوعيه وأحلامه وأساليب تطوير ذاته لا عبر ما يجتاح العالم الثالث من مبرّرات خصومات أو طرح ما يعتقدونه حرية فكر بتبرير تلك الخصومات، وإنما مجتمعنا مطالب بأن يدرك أنه في حالة تميّز قيادي يتساير مع تميّز إمكانيات وقدرات.. وما لم يكن المجتمع بمختلف فئاته قادراً على استيعاب ما هو مطلوب منه إدراكاً لتميّزه ووعياً باختلاف قدراته عن الآخرين، والأهم من كل ذلك أنه يسير عبر خطط رجل هو في نزاهة قيادية نادرة في عالم اليوم، حيث الرجل العظيم - الذي وقّر للمواطن على اختلاف قدراته ومفاهيم تعدّدها - نقله بجهود دولته وجهود ذاته نحو الواقع الأفضل والأرقى..

يكفي أن يطلع المواطن على تجاوز أرقام مختلف التميّز الاقتصادي كي يدرك أنه يعيش في حاضره ابتهاجات الوصول إلى مستقبل أفضل..

إذا لابد من وجود مستوى وعي لا نتطلع منه فقط إلى إدراكه لقسوة ما يحيط بعالمه العربي من خصومات وفقر وتراجع، وإنما إدراك أنه يتميز بكل إمكانيات وصوله إلى واقع العالم المتقدم..

لنراجع الأرقام.. التي نشرت بتفاصيل دقيقة.. لنراجع أيضاً مسار هذه الأرقام عبر السنوات السبع السابقة.. لتأمل مقارنة بين نوعية مستويات التعليم وكيف قفزت إلى واقع مذهل ربما لا يتوفّر في دولة عدد سكانها يقارب الخمسين مليوناً وأكثر..

الرجل التاريخي.. لم يكن في أي يوم بالرجل البعيد عن مواطنيه.. إنه يبارك كف مواطنيه بزمانة كفه الكريمة انطلاقاً إلى المستوى الأرقى.. حقيقة إلى الزمانة المتقدمة علمياً واقتصادياً واجتماعياً.. في حين نجد أن مجتمعات كثيرة تبحث عن استقرار وأمل..



(*) الرجل التاريخي في حاضرتنا ومستقبلنا

أهلاً بك رمز أبوة المواطنة ..
أهلاً بك فائض تدفقات الإنسانية ..
أهلاً بك صاحب شمول الأبوة والأخوة والصداقة لكل من ينتمي إلى وطنك، وكل من هو في
غيره وتصل إليه بتعدد جهود نبلك بتميز خاص عربياً ودولياً ..
عبدالله بن عبدالعزيز ..
أضء كل قلب .. كل عاطفة .. كل ود .. كل مصداقية مشاعر رجولة ومشاعر نبل إنسانية ..
عندما أطل على الجميع وهو والحمد لله في نعمة عافية ..
إن الناس يعرفون كم في سنوات ليست بالكثيرة نقلهم عبدالله بن عبدالعزيز إلى حالة تفوق
وتطور وفتح آفاق تميز عبر سنوات قادمة ليست بالقليلة ..
نراه حفظه الله بجزيل العافية كل ما رأينا تعدد تطورات علوم شبابنا المنطلقين نحو
مسؤوليات مستقبلنا بكفاءة عدد وكفاءة قدرات ..
نراه هو القائد الرائع الذي لم يكتف بإيراد مصادر اقتصاد تقليدية، ولكنه توجه بنا نحو
تعدد لتلك المصادر كي ندخل أفق الشعوب المتميزة بالتعدد قدرات وعلاقات ومكاسب ..
هو .. عبدالله بن عبدالعزيز .. رجل أبوة حانية مثلما هو رجل قيادة صارمة في اتجاهين
تقارباً نحو تأكيد وجود كرامة مواطن وتأكيد وجود ضمانات مستقبل ..
سعى وأبدع في كل ما اعتبر منجزات عالمية دعت إلى حوار الأديان وحوار الشعوب وأخلاقيات
الجوار ..
لم يكن يضع مبررات ابتسام وقتية تنسي مواطنه واقع إعلانات قصور كما في الشعوب
الأخرى .. والعربية بالذات، ولكنه تجاوز هذه البساطة إلى حقائق الدخول المبهر بكل
منطلقات حداثة التطوير عبر حداثة ثقافة المواطن طالباً أو رجل أعمال أو مسؤول إدارة ..

إنه الأب والقائد والمدير والصديق في آن واحد بتعامله مع الكل عبر مسار اتجاهنا معه نحو الواقع الذي لا ينكر فضائله أحد ونحو المستقبل الذي يعتز بميزاته كل مواطن..

في العالم كله تتعرف الشعوب على نوعية القادة عبر ما يقولون وقد ترفض أو تقبل أو تعدل ما سمعته.. أما الملك عبدالله بن عبدالعزيز فإن أفكاره ومنجزاته وتعدد أبوة إنسانيته هي ما تروي عنه الروائع ومثالية الحضور القيادي..



(*) الوعي والإدراك.. ضرورة وطنية

لن تعود إلى ماضٍ بعيد.. بل ربما أنت المواطن العربي الذي إن يكن في بداية شباب والده أو طفولته قد عاصر مرحلة البداية الحضارية.. فلاشك أن جدّه قد مرّ ببعض هذه المرحلة.. وقتها كانت القاهرة وبيروت وبغداد تمتلئ بالنشاط الفني وتواجد الجامعات الدراسية وتعدّد حملة الدكتوراه، حتى إن شاعرًا سعوديًّا بعد زيارته للقاهرة في ذلك الوقت أطلق قصيدة نبطية ورد فيها:

إن مت في شارع فؤاد ادفنوني يا طاعا على قبري بني مزاين

لأنه لم يكن من قبل قد شاهد تلك العضوية النسائية المطلقة..

وليس في عصر الأجداد وإنما بعد ذلك حفظت لنا الروايات قول شاعر لصديقه:

لا صرت بالصمان والقيظ حاديك أيا حسين الدل وأيا المطية

فرد عليه صديقه:

الله كريم ولا ومر بالتهاليك ولا ومر بفرق صايف الثنية

لا صرت بالصمان والقيظ حاديك اترك حسين الدل واخذ المطية

ولا صرت بأيام الرخا عند أهالك حبة حسين الدل تسوى المطية

لأنه لم يكن يملك سيارة تنقله وتتقذه من رمال الصمان فليس له إلا المطية (أي الناقة)..

وذروة تصوير البؤس قول شاعر رابع في ذلك العصر:

كم ليلة جيت أدور في حراويك عجل وأخاف القمر يظهر عليه

حيث لا وجود للكهرباء.. ثم يواصل:

نطيت أنا الداب وأنيا به مشاويك والله وقاني من أسباب المنية

حيث يصف خطورة الثعبان الذي كاد أن يقضي عليه.. ثم يواصل:

يا رجل «القدم» لو هو مصيبك وين أداويك وادواك يمّ الحسا صعب عليه

حيث لا علاج إلا في الحسا وصعب عليه السفر إلى هناك، ونحن الآن لدينا أفضل المستشفيات العربية وننطلق إلى أمريكا وبريطانيا وألمانيا لعلاجات خاصة.. ما سبق هو بعض من تعابير عديدة ترسم صور ذلك الماضي القريب جداً الذي كنا فيه نعيش بدعوة مطلقة، ووقتها كانت عواصم عربية قد دخلت مختلف المستويات الحضارية التي وقتها لم نكن نعرفها ولا نحلم بها..

الواقع الراهن يوضح أننا انطلقنا إلى براهين منجزات تعليمية تقارب الثلاثين موقعاً جامعياً، وفي بعض مدن كانت قرى صغيرة، والمبتعثون إلى الخارج يزيدون على المئة وخمسين ألف طالب.. وضعف هذا العدد موجود في الداخل.. كيف لا نفهم بدايتنا القريبة وواقعنا العلمي والاقتصادي والحضاري الراهن.. ومن الطريف أن تتضح هذه الحقائق في حاضرنا الآن الذي تتراجع فيه دول المقدمة العربية إلى الخلف..

ألسنا نذكر واقع العاصمة الرياض، وكيف كانت في حجم القرية ولا شيء فيها إلا مساكن الطين الصغيرة، وشوارعها لا تزيد في عرضها على أربعة أمتار؟.. وكيف استطاع الأمير سلمان صنع الواقع الحضاري الراهن لها من موقع سكن لا يزيد على العشرين ألفاً إلى جزالة الأربعة ملايين.. من أحياء الطين المتواضعة إلى مباني الأبراج العالية الامتداد.. من لعب «الكعابة» في الشوارع إلى جزالة الحضور الرياضي.. من مسجد المطوع للتعليم إلى تعدد الجامعات والمستشفيات في الرياض؟..

وأجزم بأن مراجعة مشاريع خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله الراهنة هي ليست ثروة حاضر حضارية فقط، ولكنها تأسيس مستقبل علمي واقتصادي واجتماعي لن تتوفر جزالته عبر السنوات القادمة في مجتمع من دول العالم الثالث.. الملك عبد الله أسس للانطلاق نحو العالم الأول..

إذاً؛ وهذه الحقائق واضحة؛ لماذا توجد آراء غريبة المحاولات في الوصول إلى أذهان الشباب بمعلومات غير منطقية عبر المواقع الالكترونية؟ بما يوضح أنها تأتي إما من اجتهادات غير منطقية أو غير موضوعية، أو تأتي من إيحاءات أجنبية تحاول أن تُلحق مجتمعا بما هو فيه غيرنا من تراجع وتعدّد خلافات ليست في الرأي وإنما بدموية غير إنسانية..

واقعنا المتميز يفرض أن تكون جماعية فهم ووعي تجنبنا سلبيات الواقع العربي وتأخذنا بشمول الوعي والمعرفة إلى خصوصية حضارية مرموقة.. نحن نتواصل مع مسؤولياتنا فيها لكن يجب أن نوفر جماعية الوعي بإلزام حكومي مثلما فعلت الصين والهند حين نجحت في شمولية الانقياد نحو واقع دولي مرموق..

إن ما نجده يتصدر في المواقع الالكترونية من آراء غير منطقية، بل وتحريض خاص حتى ندخل في متهات العالم العربي.. وهو ما لن يكون.. لا يحتاج الأمر إلى شواهد قول، ولكن مراجعة مهمات القفز من بداوة معزولة إلى الحضور في عضوية دولية مرموقة هو ما يفترض أن يبقي لنا طرقنا الواقعية في التقدم الواضح والشامل لكل امتدادات السكن في بلادنا..

(*) الرجل التاريخي يتجه بنا نحو التاريخ الأرقى

ليس من الصعب إصدار قرارات للدولة تستبد بها الاهتمامات الإعلامية وما يرافقها إعلامياً من تجسيد تصورات أحلام أكثر مما هو يأتي تعبير عن الوصول إلى تعدد اتجاهات التطوير.. العالم العربي مع الأسف على مدى لا يقل عن الستين عاماً كان يحرك أحلام مواطنيه عبر ما هو مثير في تصورات الإعلام حيث لا حضور منطقياً لفرض واقع تطورات متعددة الاتجاهات..

ليقل عنا مترفو الماضي البعيد.. بأننا بدو.. نعم.. كنا كذلك، لكن مجتمعنا لم يتجه إلى تجسيد خلافات بين مختلف عضوياته الاجتماعية مثلما هو حال الواقع العربي الآن..

الملك عبدالله بن عبدالعزيز.. هذا الرجل التاريخي العظيم لم يتعامل مع المستقبل ببريق الأحلام، وإنما تعامل معه ببريق حقائق الواقع القادم اقتصادياً وعلمياً وتعليمياً وإدارياً.. حتى إنه انفرد بجزالة حقيقة بارعة النوعية.. بارعة التوجه التاريخي.. عندما لم يهتم بطرح مشاريع قصيرة الأمد في تنفيذها ولا محدودة الجزالة في نتائجها ولكنه طرح خطط تطوير سواء تعلق الأمر بمجلس الشورى، الذي شهد في هذا العام روعة ما هو عليه تشكيله الجديد من حضور لتعدد التخصصات مثلما هو موجود تعدد السيدات مع الرجال وهن في مستوى علمي بعضهن يفوق به بعض الرجال.. أو تجديد الابتعاث للمرة الثالثة، مما يعني الامتداد لسبعة أعوام قادمة وبنفس كفاءة وتعدد ما كان محتسباً من قبل.. كم جامعة أصبحت تنافس عدد المدارس الأخرى وكانت في الماضي خصوصية تعليم لخصوصية عدد محدود من الطلبة.. الآن طلبة ثلاثين جامعة وطلبة ابتعاث تتجاوز المئة وخمسين ألفاً ماذا يعني وضعنا معها نتائج وإيجابيات في أعوام قادمة؟.. نفس الشيء يقال عن تنوعات الاقتصاد.. عن شمولية حل مشاكل السكن وحل مشاكل التوظيف.. لأن الرجل العظيم يمارس دوراً تاريخياً.. فقد طرح أمام عقولنا حقائق امتياز عن أي آخرين جعلنا لا نقلق، وإنما نسخر ممن يعطون تصريحات أو جهود نزاعات خارج وجودنا السعودي..

يقول الملك عبدالله في حديثه مع مجلس الشورى الجديد: «هدفنا جميعاً قائم على تفعيل أعمال المجلس بوعي أساسه العقلانية التي لا تندفع على العجلة التي تحمل في طياتها ضجيجاً بلا نتيجة..»

ويقول عن واقع موضوعي للأعضاء: «مكانكم ليس تشريعاً بل تكليف..»

إنها لغة منطوق وعقل، لغة مستقبل يفرضها وجود مستقبلنا ثم أبنائنا بحضور يأخذنا إلى عالم خصوصيات التميز..



(*) القائد التاريخي وجزالة تعدد التطوير

الامتياز الشخصي للرجل التاريخي الملك عبدالله بين جميع القادة هو تواجده الإيجابي والفعال والمتعدد الغايات نحو أبعاد التطور والتأكيد عملياً بأن الثروة في أي بلد لا تحتسب لها أي أهميات إيجابية ما لم تكن متعددة المقاصد في خدمة المواطن..

الملك عبدالله عند متابعة تعدد قدرات تطويره ليس لبلاده فقط، ولكن لمستويات فئات مجتمعه التي لا يريد أن يوجد فيها مؤلمات فقر ولا واقع عجز عن ممارسة السكن.. كل خلل موجود في كل مجتمع، لكن كفاءة القدرات المادية في المملكة لم يقبل الملك عبدالله أن تكون صفة خاصة العمومية بالدولة، ولكنه وجَّهها لتكون منطلقات حلول لكل ما يعاينه المواطن من متاعب..

نأتي إلى قراره الأخير الذي يقضي بالصراف على السكن بعد تحويل هذه المهمة إلى وزارة الإسكان بحيث يتم اعتماد مئتين وخمسين مليار ريال لبناء ما لا يقل عن خمس مئة ألف وحدة سكنية في جميع مناطق المملكة، وتحديد الأسلوب الأمثل لتحقيق ذلك.. وقد تم تحويل منح الأراضي السكنية بأمره الكريم من وزارة الشؤون البلدية والقروية إلى وزارة الإسكان.. التحويل من وزارة إلى وزارة لا يعني التشكيك في موقع دون آخر، ولكنه يعني تحديد موقع المسؤولية خصوصاً بوجود وزارة في مسماها تحمل هذا المضمون..

إن مضمون الأداء لتوفير السكن سوف يؤثر إيجابياً على التعامل مع فئات اقتصادية تجارية تريد أن تربح أكثر مما تريد أن توفر المطلوب وهو أمر طبيعي في كل دول العالم.. إلا أن قرار الدولة لدينا بما أراده القائد التاريخي يوفر حماية للمواطن كي يحصل على سكنه وفق طبيعة المصروفات..

ثم نحن نعلم أن قبل هذا المشروع الرائع - الذي تمثل قدرته المالية ما يتفوق على حجم ميزانيات لبعض دول العالم الثالث - هناك مشاريع لم تكن بالسهلة ومن النادر أن تكون قد نفذت في مستوى جزالتها بدول أخرى، الأمر الذي وفر استقرار وجزالة قناعة عقلية بأن المجتمع بمختلف قدراته السكانية يتجه إلى مستويات سكنية ومعيشية واقتصادية غير موجودة في عالمنا العربي..

هنا نعرف كيف نحن في وضع قناعات متميزة وغيرنا في لهب خلافات صعبة..

منجزات البيعة في كل ما يخصنا (*)

ذكرى البيعة مع ملكنا .. الرجل التاريخي عبدالله بن عبدالعزيز .. ليست ترتبط بتاريخ بدايتها لتمثل احتفاءً سنويًا مطلوبًا ومرغوبًا تقديرًا كبيرًا وجادًا لما تعنيه المناسبة .. ولكن هذه الذكرى في واقعنا تمثل حضورًا متواصلًا عبر الشهر والشهر، بل اليوم واليوم، لأننا مع منجزات الرجل التاريخي نعيش قريبًا منه في فكره وقراراته عبر ما هو أمام عيوننا وفي فكرنا وعبر توالي تكاثر إيجابيات المتعدّدات المصالح في كل تطوّر لواقعنا ..

برهان الحقائق واضح للغاية ..

من الداخل تجده واقعياً في كثير من متغيّرات الحياة الاجتماعية إلى الأفضل بمستويات جيدة وراقية، ولا نقول إنها تكاملت، حيث إن وجود المشروع وحده لا يكفي ولكن مع منجز الدولة لا بد من منجز الكفاءة في قدرة المواطن .. تعدّد هذه القدرة بما يتفق مع تعدّد مجالات النمو المتكاثرات الاتجاهات .. وهذا ما سيكون .. لكنه - وهذا طبيعي - لا يأتي دفعة واحدة ولكن مع المنطلقات التي قرّرها الرجل التاريخي لأخذ المواطن من ركود العالم العربي إلى واقعنا الجديد المتجه بنا نحو كل ما هو أفضل ..

إن قدرة المواطن في توفرها هي مهمة ليست بالسهلة، ولذا توقّرت تعدّدات مقاصد نوعيات التعليم العلمي والاقتصادي ..

لقد فتح الرجل التاريخي لكل فئات المجتمع كل مسالك الوصول إلى الأفضل .. كل مسالك برهنة الحقائق بأن المواطن السعودي في واقعه الراهن هو أفضل بكثير مما هو عليه واقع معظم المجتمعات العربية، وهو أمر مستجد مدعوم بحقائق الواقع ..

نتحدث عن تطوير المواطن السعودي .. ولا نكون هنا نتناول المفاهيم البسيطة كما كانت تعنيه متطلبات المواطن .. فهو حالياً لا يؤهل لواقع تقليدي متواضع يطلب أن يتساوى فيه الجميع، ولكن ما هو مطروح من اتجاهات تنوّع كفاءات ومستويات معيشة يؤكد ببراهين الواقع تميّز حضور مواطنة كانت تُعرف في ماضيها القريب بالبدواة ..

(*) العدد ١٦٣٨٦ (٦/٢٥/١٤٣٤هـ، ٥/٥/٢٠١٣م).

أنا هنا أتناول عموميات أوجدت فروقات ملحوظة في ما بين مستويات الحياة الاجتماعية ومعها القدرات العلمية، وكذا الاقتصادية.. وبين جميع المجتمعات العربية، الأمر الذي يجعلنا نأمل بشواهد واقع راهنة بأن يكون تطورنا القائم - الذي وضع أسسه وكفاءاته و ضماناته رجلنا التاريخي - سوف يصلنا بمستويات المجتمعات الأرقى خارج متاهات العالم الثالث عمومًا والعالم العربي بخصوصية أكثر..



البيعة.. التوجه لكل ما هو أرقى^(*)

في عالم الأمس.. واليوم.. والغد.. في الدول المتقدمة، دول الواجهة الحضارية.. منذ وقت مبكر ربما لا يقل عن المئة عام.. نجد أن زعاماتها في العصر الراهن تقوم بدور متابعة ليس لمشاريع تأسيس، وإنما لمشاريع تواصل مع واقع متطور، ولها العديد من علاقات التحسين والمتابعة عبر زمالات جمعتها المصالح المشتركة، على سبيل المثال أوروبا، التي يتواجد بها العديد من اللغات هي في مجالات المصالح تؤكد انطلاقاتها أنها تتقارب نحو غايات مختلفة تماماً عن العالم الثالث..

تأتي إلى العالم الثالث.. فتجد أن الزعماء الذين يواجهون واقع تخلف متعدد في أساليب القصور ونتائج التأثير على مستويات المعيشة والفضل في كبح قسوة البطالة.. هنا يلجأ الزعماء إلى أقرب وسيلة عمل محدود يكسبون به أقلية تأييد، في حين أنها تتواجد مصادر خلافات وفي بعضها منطلقات صراعات تختار الزعامة منها ما تجد فيه وسيلة هروب من صعوبة مواجهة التخلف بشكل عام..

هذه الحقيقة ليست مجرد افتراض أو توقع.. لكنها في كل ما يمكن أن نراه في العالم الثالث عبر واقعه القائم تبرز؛ وهي إن وجد فيها الزعيم ما يفترض منه استمرارية وجوده نراه يجد فيها من ناحية أخرى ما يبرهن له بأن الخلافات هي الأخرى وسيلة إشغال تمنع التواجد عبر فهم عام.. عبر مصلحة عامة..

الرجل التاريخي العظيم.. الملك عبدالله بن عبدالعزيز.. لا يحتاج تأكيد بروز حضوره إلى إيراد شواهد محدودة تؤكد أهمية جزالتها.. لا.. هو في الواقع وعبر زمن ليس بالطويل.. عبر ثماني سنوات.. طرح في مجالات خطط التنوير ورفع كفاءات تعدد قدرات المجتمع ما ليس بالسهل.. لم يتحدث هو فقط مع مواطنيه.. لكن العديد الهائل من مشاريع الانطلاق التي شمل بها الاقتصاد والتوظيف والإسكان والتعليم والعديد من مصادر الانتقال نحو واقع ليس بعيداً عن العالم المتقدم، وسيكون قريباً قد دخل في مستويات شمولية التطوير.. كل ذلك محلياً يعني مصادر الحديث عنه..

(*) العدد ١٦٣٨٧ (٦/٣٦/١٤٣٤هـ، ٦/٥/٢٠١٣م).

زعامات العالم الثالث.. توفر ما يرضي الناس وقتياً في زمن محدود يخص من برز به.. أما الملك عبدالله فهو لم يربط وجوده القيادي بمحدودية خصوصيات تعنيه، وإنما ارتبط بشمولية خطط عالية الأهمية جداً ومتنوعة الغايات، ثم أيضاً متنوعة مواقع التنفيذ، مثل انتشار مواقع التصنيع والإسكان شمالاً وغرباً وجنوباً حيث المساحات الأخرى متواجدة في هذا التطوير..

ليس هذا كل ما يحدث.. يكفي أن عناية شمولية المواطن فرحاً بيوم البيعة.. يراه متكرراً طوال العام، ويرى في الرجل التاريخي قدرات الوصول إلى المستقبل الأفضل عبر تعدد المنطلقات..

إن البيعة مع رجل عظيم لا تتوقف أهميتها عند حجم الاحترام مع من يتم معه ذلك.. ولكنها بيعة فريدة.. تاريخية.. مع رجل اتجه بمواطنيه.. ليس بعضهم ولكن جميعهم.. نحو ما هو أرقى..

في البيعة.. معه عبر كل منطلق خالد (*)

بإيجاز؛ أقول إن حجم المشاريع لما هو جديد، والتطوير لما هو قائم.. هو مثل ما أشرت له في زاويتي يوم الأحد وأمس الاثنين.. ليس بالسهل.. ليس مجرد تلبية لإصلاح بعض حالات قصور، ببعض ما هو مطلوب لها وهو ما يحدث في دول العالم الثالث، ولو أراد الملك عبد الله أن يفعل ذلك لكان بمنتهى السهولة، لكن الرجل العظيم - مثلما قلت سابقاً - إنما فتح منطلقات هائلة في تنوعها، وفي جزالة إمكانيات تنفيذها لكي تصل إلى أجيال قادمة بسرعة وبسهولة، إلى واقع حضاري بعيد عن مختلف أوضاع الواقع الحضاري للعالم العربي..

لو أراد أي كاتب أن يتناول أرقام التأسيس لمستقبل سعودي متميز للزمه الأمر أن يقدم ذلك في صفحات كتاب أكثر مما تستطيع أن تحتويه أسطر مقالات صحفية..

كم عدد المبتعثين سابقاً؟ ألم يكن محدوداً وفي دول معينة؟.. بينما هو الآن قد قفز إلى ١٥٠ ألف طالب.. هؤلاء في دول الابتعاث يتجهون إلى تخصصات علمية متنوعة وليس بينهم من كان - سابقاً - يأتي بشهادة دكتوراه عن اللغة العربية من فرنسا.. أعرف بعض هؤلاء..

التعليم العالي ارتفع إلى ٢٥ جامعة علمية و٩ جامعات أهلية.. المدينة الجامعية للأميرة نورة ما رصد لها ولجامعة الملك عبد الله بمركز ثول يفوق ميزانية دولة عربية غير بترولية.. تعال إلى الإسكان وتعدد ما صدر بشأن دعم من يحتاجونه.. ألم يصل بعض منه إلى حجم ٢٥٠ مليارات لبناء ٥٠٠ ألف وحدة سكنية.. أيضاً الأوامر الملكية بمنح مواطنين أراضي سكنية وقروضاً للبناء..

الاقتصاد توزعت البلايين ليس في مدينة مهمة.. رئيسية.. كما في العالم العربي.. وإنما حوّلت مواقع كثيرة في الشمال والغرب والجنوب وكذا شرق المملكة إلى مواقع انطلاق تتواجد في مختلف أبعاده دوافع مشاركة المواطن وعضوية ملكيته.. وامتدت البلايين إلى تغيير أوضاع المواقع الصحية سواء بتعدد المستشفيات أو تعدد التخصصات، يضاف إلى

(*) العدد ١٦٣٨٨ (٢٧/٦/١٤٣٤هـ، ٧/٥/٢٠١٣م).

ذلك جزالة ما ارتفع إليه عدد السعوديين والسعوديات في هذا التواجد الطبي الذي أصبح في زمن وجيز في صدارة الحضور طبيًا وعلميًا في عالمنا العربي..

ما سبق مجرد نماذج.. جزء من كل.. الذي أنجز ذلك لم تخصصه جزالة ما فعل بكبرياء اعتزاز بتعامله مع أي آخرين.. إنه ذلك الذي تقدمه إنسانيته وجزالة مواطنته إلى كل من هو حوله ومن هو بعيد عنه..

ألم نستمع إليه عبر قناة العربية وهم يذيعون له بصوته تصريحًا قديمًا قال فيه: إنه يرفض تقبيل اليد.. ومن يفعل ذلك «ينحني» والانحاء غير جائز..

ألم يذهب منذ بضع سنوات إلى أحياء شعبية يتفقد أوضاعها ويتحدث مع الناس ببساطة مواطنة مشتركة؟..

ألم يكن متواجدًا في موقع سوق تجاري عام رُتّب وجوده في دوره الأول ورتّب الأمن له أن يصعد عبر ممر خاص لا يشترك فيه أحد، وحين دخل ووجد المواطنين والمواطنات على بعد أمتار في طريق صعود آخر.. ترك موقعه.. ودخل بين مواطنيه ومواطناته.. التهب المكان بالتصفيق.. وتدافعت دمعة ودمعة في عيون بعض النساء.. إكبارًا لما فعل..

هذا هو عبر بلايين دعمه للحاضر والمستقبل.. وهذا هو أيضًا عبر إنسانيته الراقية التي قدم بها نفسه مواطنًا بين مواطنيه..

عقلانية مواجهة الإرهاب (*)

حقيقتان لا يستطيع أحد إنكارهما .. وهما تميز عقائدي وأخلاقي وسلوكي له صدارته الخاصة في أذهان كل قارئ التاريخ ..

أولاً: إسلامنا .. لم يقم على بدايات سهلة .. ولم يحقق أهدافاً سهلة، بل إن معجزته الأولى .. بسبب جزالة الإيمان .. هي كيف تحوّل ذلك التواجد القبلي المتباعد المفاهيم والعلاقات وتحكمه مثيرات حروب خاصة .. كان محاصراً لإبعاد بدائيات حياته بعيداً عن واقع الدول المجاورة له والمليء بأصناف البطش .. أتى الإسلام .. وكانت معجزة الرسالة السماوية عن طريق النبي محمد صلى الله عليه وسلم وجود تحول سريع .. جداً جداً .. ومن ذلك الواقع البدائي إلى ما عرف عبر مختلف المراجع التاريخية إلى وجود دولة فرضت عدالة التعامل مع المواطنة وفرض شرعيات الحقوق وتحويل الإنسان من قاتل كي يقتني إلى مؤمن يعطي نفسه ويعطي غيره ..

تعدّدت الدول التي تعاقبت، لكن مبادئ الإسلام الأساسية لم يستطع أحد أن يتلاعب بها عبر فرض وجود مختلف منطلقات الإرهاب، كما لو كانت وسائل معيشة إسلامية .. الحقيقة الثانية .. أن من يريد أن يقرأ تاريخ المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها وحتى حاضرها لن يجد أنها وجهت في أي عام أو شهر كي تكون وسيلة عدوان ضد طرف إسلامي آخر ..

لنترك الماضي البعيد ونراجع الدولة الثالثة السعودية .. عصرنا .. منذ الملك عبد العزيز وحتى حاضرننا .. لم يحدث أبداً .. أن كانت المملكة طرفاً حاداً ضد استقرار دولة إسلامية أخرى .. لم يحدث أن تبنت السلطة هنا أي أفراد جاهزين لممارسة عدوان غير معلن ضد مجتمع آخر .. وما هو تمييز خاص أيضاً أن هذه الدولة لم تستخدم فئات من داخلها أو خارجها ضد فئة اختلفت معها في داخلها ..

(*) العدد ١٦٤٨٢ (١٠/٢/١٤٣٤هـ، ٨/٩/٢٠١٣م).

إن الملك عبدالله.. الرجل التاريخي العظيم فيما تضمنه خطابه الأخير من مفاهيم مثالية قد قدم واقع ما هو مطلوب من سلوكيات هي الإسلامية الأولى.. حماية الكل العربي والإسلامي، وليس الانقسام المتعدد عدوانياً ضد فئاته.. بأخلاقية عالية وعمق فكري لم يأت من فكر محترفي خصومات، وإنما من فكر رجل يعي أنه يقود مجتمعاً كامل الأمن، وبعيداً عن احتراف فئات الإرهاب.. ومع ذلك فهو بدوافع إسلامية وإنسانية عبر أفكاره المعلنة يدعو الإسلاميين والعرب لنبذ وسائل الإرهاب المتعددة المصادر والباسها ما هو إيهاهم كاذب لما تريده من مشروعية تواجد أو تدخل في كل استقرار آمن..

نادر جداً أن يتواجد في العالم رجل يعطي ليوم العيد منطلقاً عقلانياً نحو الآخرين في كل مكان بضرورة أن يواجه الإرهاب عبر تجمع سبق أن تمت المطالبة به عبر المركز الدولي لمكافحة الإرهاب.. يواجه جدية الكبح من انتشار هذا الانحدار بالإنسان نحو القتل أو احتراف الجريمة..

ونعرف أن الملك عبدالله هو الذي ساند البداية، ومنحت المملكة هذه البداية عشرة ملايين دولار، وكان ذلك في عام ٢٠٠٥م..

إن خطورة ما يحدث أنه ليس نتيجة سلوك محدد لدى دولة أو أخرى أو لدى حزب وآخر.. ما يحدث الآن مثل انتشاراً جعل العديد ممن تساقطوا من مسارات الانقياد للقوانين الدولية مرّوا - وبخبت قدر - هذا الأسلوب العدوانى الشرس الذي يفترض عدم قبوله إطلاقاً في أي مجتمع متدين.. أيًا كانت ديانته..

الملك عبدالله موضوعية رأبي ووجهة مواقف (*)

تعودنا نعرف ذلك جيداً وجود الآراء سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية في مناسبات دقيقة وهامة من قبل رجال الصف الأول في معظم دول العالم وهي منطلق آراء لا تخدم في الدرجة الأولى من هي موجهة إليه في شعب آخر بقدر ما هي تمهد لسلبيات أكثر تهيباً لأوضاع أسوأ خصوصاً عندما تعني الآراء واقع مشاكل سياسية قائمة..

الملك عبدالله بن عبدالعزيز هو رجل ينفرد عربياً وعالمياً بواقعية النزاهة.. مر عالمنا العربي مع الأسف بكثير من المخاطر.. المخاطر التي قادت عالمنا إلى واقع أسوأ ونعرف جيداً وبشواهد دولية معروفة في أكثر من بلد عربي أنه لم يعرف في تلك الأزمات وهو رجل استفادة من انحدار جديد تفتعله آراء غير موضوعية.. بل هو.. ونعرف ذلك واقعياً عبر معظم أحداث عالمنا العربي يتجه في آرائه دائماً نحو ما هو صواب ومنطق.. وهي انفرادية نعرفها تاريخية لأن عالمنا العربي مع الأسف لم توجه أحداثه من قبل باحثين عن تطور عام بقدر ما هم باحثين عن مناصرة فئة ضد أخرى..

والأسوأ مواقف الدول الغربية بصفة عامة حين نجدها في أزمة مصر الراهنة تحاول توجيه الأحداث بمنطلقات توسع المزيد من الخلافات حتى وصل السخف إلى مطالبة موقف أمني دولي من أحداث القاهرة..

القاهرة.. حالياً.. وهو ما كان يجب أن يتم قبل عامين بقوى قيادتها إلى ائتلاف وطني متعدد الكفاءات والآراء.. والقدرات العسكرية تحمي هذه المنطلقات وليست تمارس الحكم وربما يكون هذا أول حضور موضوعي للقدررة العسكرية..

الملك عبدالله.. بوعيه الرائع وفكره السياسي النادر يدرك جيداً مقاصد الأخطار.. مقاصد أكثر من خلل مقصود في مضمون الكثير من الآراء بينما هو، حفظه الله، بموضوعية واضحة ونزاهة معلنة يعطي وجهة الرأي التي أصبحت نادرة في عالمنا العربي..

إذا كنا نحفظ لهذا الرجل التاريخي العظيم الكثير من منجزات التطوير الهائلة لمجتمعه فإننا نعرف له أيضًا نزاهة أفكار ولغة تعامله مع جميع مساحات عالمنا العربي ومصر مجتمع ليس من السهل أن يعرض لمزيد من الصراعات والتشتت وأن يكون مجتمع فئة حكم واحدة.. هذا غير منطقي فمصر بنزاهة شعبها وأهمية قدراتها يجب أن تتجاوز هذا الواقع المخيف وأن تصل إلى ما يمهد لها واقع حكمها القائم.. والجيش في كل بلد هو المصدر الأول لحماية كل أبعاد إيجابيات مجتمعه فكيف تأتي من قبل الغرب وغيره آراء بعيدة عن النزاهة..

دائمًا لا يتوقف الملك عبد الله عند خصوصيات مجتمعه الذي نقله إلى أبعاد مجالات التقدم ولكنه يتعامل مع عالمه العربي بوعي ومصداقية أفكار يفتقدها عالمنا العربي ومصر هي منطلق الأهمية الأولى بين مجتمعات العالم العربي..

إن الدين مسؤولية جماعية عامة وليس انغلاقًا في وجود حزبية خاصة.. إن أكرمكم عند الله أتقاكم.. وليس من هو أكثر تهديدًا لغيره.. بل المؤلم أن تتحول الأمور في العالم العربي.. من صراع حزبيات إلى مرحلة صراع فئات أديان.. القدرة العسكرية في مصر ترفض ذلك.. والرجل التاريخي عبد الله فيما قال قدم وجاهة الرأي لمن هو منطقي في تقبل هذه الوجاهة..

نعم.. لنا جزالة حضور وعلاقات (*)

في عدد يوم أمس تم نشر خبر أن الملك عبدالله بن عبدالعزيز تلقى اتصالاً هاتفيًا من فخامة الرئيس فلاديمير بوتين رئيس روسيا الاتحادية، وقيل عن الخبر إنه تم أثناء المحادثة استعراض العلاقات الثنائية بين البلدين الصديقين ومجمل الأوضاع على الساحتين الإقليمية والدولية..

يوم الجمعة الماضي نُشر - إعلاميًا - تصريح لوزيرة التجارة الفرنسية بأن المملكة العربية السعودية قطب استقرار.. يهنا التمييز بالاستقرار وسط عالم عربي أصبح يفقد الاستقرار تمامًا.. ثم يستمر الخبر قائلاً في مواصلة تصريح الوزيرة الفرنسية بأن المملكة هي موقع الكفاءات الاستثمارية..

وقبل بضعة أيام نشرت الصحف أيضًا تصريحًا لرئيس الوفد الإيراني للحج مشيدًا فيه بجزالة إدارة المملكة لمطلوبات الأمن والاستقرار لكل الحجاج..

ثم أخيرًا يوم أمس يأتي بيان مجلس الوزراء برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز.. الرجل المعروف بكل شواهد تعدد الكفاءة.. يأتي في البيان تأكيد على أن العلاقات التاريخية بين المملكة وأمريكا تقوم على الاستقلالية والاحترام المتبادل وخدمة المصالح المشتركة والحرص بمعالجة القضايا الإقليمية والدولية خدمة للأمن والسلم الدوليين..

هذه الصفات والاعتراف بجزالة الحضور السعودي اقتصاديًا وسياسيًا هي في الواقع انفراد خاص بنا أمنيًا واقتصاديًا وحضاريًا وسط عالم عربي مليء بالخصومات والمخاطر..

نحن نعرف وعبر الأعوام الماضية القريبة أن الملك عبدالله - حفظه الله - قدم لجميع الدول حقائق نزاهة لم تكن فيها بين خلافات واقتتال المتصارعين في عالم عربي عرفنا عبر أعوام لم تكن بعيدة كثيرًا.. ربما خلال ما قبل ستين عامًا وحتى ما هو قبل عشر سنوات

(*) العدد ١٦٥٧٧ (١٤٣٥/١/٨ هـ، ١٢/١١/٢٠١٣ م).

تقريباً في واقع عالمنا العربي.. كان ذلك الماضي توجد فيه الخلافات بين من هو صديق لشرق أو صديق لغرب، والحقيقة وقتها لم يكن هناك في الغرب من يهتم بإصلاح عربي.. ونفس الشيء بالنسبة للشرق.. العرب وحدهم كانوا يحاصرون بعضهم عبر ما هم فيه من انتماء لغيرهم..

بعد ذلك وخلال سنوات قريبة نشأ أسلوب جديد من الخلافات.. لم يعد يأتي من ظل وجود دولة أجنبية، حيث لم يبق هناك أي ظل، وإنما تفاقمت الخصومات الداخلية لتحتل الدرجة الأولى في التواجد بين الدول العربية، بل ما هو أسوأ هو وجود الصراعات داخل الدولة الواحدة.. انظر إلى كذا دولة حالياً وستجد الشواهد صارخة..

الرجل التاريخي الملك عبدالله تمكنت عبقريته القيادية وقناعاته الشخصية بضرورة السرعة في الانطلاق نحو عضوية دولية مرموقة بعيداً عن أي خصومات، ولم يكن الأمر في هذا المجال يحتاج إلى إعلان رأي حول ذلك.. ولكنه أطلق قدرات التميز الاقتصادية لنعبر خلالها إلى زمالات دولية.. أطلق تعدد التخصصات ومتجهات العلوم والثقافات لتكون بلادنا في حقائق هذا الشاء الدولي المتعدد المنطلقات..

عرب في النسيان.. وجودنا متميز (*)

إسرائيل وعلى مدى طويل وقّرت وجودًا عسكريًا له جزالة الخوف منها، خصوصًا بعد حرب عام ١٩٦٧م، مع كفاءة اقتصادية أبعدها من الفقر، وأيضًا توقّر صداقات عالمية ليست بالقليلة.. مع أنها نشأت من فراغ.. أتت باستحداث، حيث لم يكن متوقعًا أن يفرض لها وجود دولة، لكن كان التوقع أن تحظى بزمالة مواطنة أفضل مما ألحق بها من عذاب مليء بالقسوة؛ بل ووحشية التعامل.. كما حدث في أكثر من دولة أوروبية ضد اليهود فيها وبالذات في ألمانيا.. الذي حدث أنه توقّرت رعاية أوروبية في فلسطين فرضت لها وجود الدولة.. ثم سيادة الدولة..

ومع كل ما مرّ بها من تاريخ نجد أنها في الواقع لم تحاول أن تتمدد بمحاولات نشر نفوذ سياسي يجتاح الركود العربي بوجود إسرائيلي.. ما نعرفه عن إسرائيل أنها توقفت في خصومتها عند من هو متصل بحدود دولتها الجديدة..

نأتي إلى إيران فنجد أن الوضع مختلف تمامًا، حيث استطاعت وعبر زمن ليس بالقصير أن امتدت لها خصومات شملت عددًا من الدول العربية القريبة من حدودها، ثم أيضًا هي لم تتوقف عند ذلك وإنما امتدت لتدخل واقع الصراعات المتنوعة ما بين الحدود اللبنانية والسورية والفلسطينية، والأسوأ من ذلك أن يوجد تحالف مع فئات نعرف أنها وجّهت منذ وقت مبكر لتكون عروبتها ملغمة بنوازع اختلاف دينية مذهبية تبرّر بها ما لها من تدخلات شرسة مع واقع عربي شامل..

ما هو مستغرب.. في الوقت ذاته.. وموضح للضياع العربي في تواجد التنافس الإيراني والإسرائيلي داخل وجود عربي وتبدو فيه إسرائيل غير مترددة عن استعمال أي تهديد يوجه مباشرة نحو إيران.. ونجد في نفس الوقت ادعاء حصانة وجود إيراني مع تحالفات غير موضوعية داخل مواقع العزلة العربية..

(*) العدد ١٦٥٩٦ (١/٢٧/١٤٣٤هـ، ١/١٢/٢٠١٣م).

لماذا لم يكن هناك حضور عربي مبكر.. أو معاصر؟..

لماذا لم تكن هناك دوافع تواجد متعدد القدرات لتلأ يبقى فقط في حالة عتاب لقوى أجنبية وكأنها وحدها مسؤولة عن الأمن العربي؟.. ومعروف بدهاءة أن تصاعد احترام الدول الكبرى لغيرها يأتي احتراماً لدول أخرى بکرت في تنظيم جزالة قدراتها ومستويات وعيها..

إننا عندما نتأمل واقع العالم العربي نجد أن معظم دوله مشغولة أولاً بواقع مشاكلها الديموية الخاصة.. ولا أريد أن أرصد أرقام قتل في العراق وتونس وليبيا وسوريا ولبنان فهي متكررة، وأصبحت متابعتها مملة.. هذه ناحية.. نأتي إلى ناحية أخرى تخص دولاً لم تتورط بجزالة الدماء لكنها متورطة ببساطة قدرات المعيشة وبساطة وسائل العلاقات الدولية..

وفي كل ما سبق نجد أن المملكة العربية السعودية هي وحدها من انفردت بجزالة حضور دولي ومكانة تقدم عبر كل منطلقات المصالح.. ولذا فهي الدولة الوحيدة التي لاحظنا تعدد وسائل الاتصال بينها وبين الدول الكبرى، حتى إن رئاسة روسيا ورئاسة أمريكا مارس كل منهما الاتصال برجلنا التاريخي الملك عبدالله.. وهو ما لم يحدث مع أي دولة عربية، وبالذات في ظروف بالغة الحساسية والصعوبة في شرقنا الأوسط..

(*) نحن خارج الضياع العربي

ليته يعم في جميع مدارس الدول العربية وجود كتاب محتوياته المهمة تتحدث عن طبيعة أوضاع العالم العربي، ما بين ما هو قبل سبعين عاماً وواقع الحاضر الذي يعيشه عربنا..

ليست هناك معلومات سرية نبحث عن معرفتها أو إشاعة معرفتها، ولا هناك بطولات شخصية نرى في الاطلاع على سلوك الفكر والتصرفات شاهد بروز وتفوق..

الأمر.. لا يتعلق بما سبق وإنما يتعلق بضرورة وعي المواطن المعاصر بأنواع مؤثرات الماضي.. أنواع الخصومات.. متابعة المسار لمعرفة إلى أين انتهت الأمور..

إن أصعب ما يؤثر على وعي المواطن العربي هو حقيقة أنه تقتصر مفاهيمه لواقع مسار الحياة الاجتماعية على ما هو قريب منه من مؤثرات..

عُد.. عبر المعلومات.. عبر ما يمكن أن يقوله لك جدك أو والدك متى كان كبير السن.. ستعرف وبسهولة أن ذلك الماضي القريب كانت تعتمد فيه المفاهيم، وبالتالي توجه المؤثرات إلى ما هو قائم فعلاً وبذات الزمن مما هو سائد من مشاكل ومؤثر من قناعات قائمة.. ليس هناك ربط بين الماضي والحاضر.. ليس بالرجوع إلى الماضي ولا بالاستسلام لكل ما هو حاضر، ولكن بوجود موضوعيات وعي وثقافة تقرر ما هو مطلوب..

مع الأسف آنذاك كان هناك انقسام نوازع واتجاهات ليس بما هو مقنع ولكن بما هو مثير ومجدد بما لا يعرفه الناس حتى ولو كان الأمر يؤدي إلى عقائدية شيوعية أو استسلام غربي تجاه جانب آخر.. الأمر الذي جعل العالم العربي يتوقف عند مسار تخلفه، سواء اقتصادياً، وما للاقتصاد من مؤثرات اتصالات عالمية، أو ثقافة عامة تفتح آفاقاً عديدة نحو مختلف المنطلقات الفكرية دون شرط وجود استسلام لمرئيات محددة مثلما كان واقع البدايات..

خذ مثلاً واضحاً يتم اليوم فيه وجود الموضوعية المؤثرة واستقلالية الفكر إلى جانب جزالة القدرات في تتابع تنوّعات حاضر العالم الراهن.. ستجد أن بلادك قد تميّزت بوجود احترام علاقات دولية لم تنتقل من واقع خصومة نحو أخرى، أو تدخل ملعب الصراع السوري لتتساءل أي اتجاه أفضل: دول شرق آسيا الكبرى أم دول الغرب الكبرى؟..

بلادك.. لها سيادة المواطن.. وجزالة المكانة الدولية.. تصافح موسكو بذات الاستقلالية والموضوعية التي تصافح بها نيويورك.. مكانة استقلالية بارزة تابعنا شواهدنا خلال أيام لا أسابيع.. وشاهدنا تفاصيل أخبار اتصال الرئيس الروسي والرئيس الأمريكي برجلنا التاريخي عبدالله بن عبدالعزيز.. واقع مشرف شواهدنا من احترام غيرنا لنا..

(*) تاريخي فتح لنا توجهات المستقبل

لا نحتاج إلى برهنة شواهد تأكيد بأن الرجل التاريخي الملك عبدالله بن عبدالعزيز قدم كذا وكذا ضماناً لمستقبل هذا المجتمع..

الشواهد لا تتركز بحالة انفراد ننطلق منها قائلين عنه قدرته في ذلك الانفراد.. الشواهد عديدة ومتميزة عربياً ودولياً.. مثلما هي متميزة في حاضر موجود وبخصوصية تعدد إذا نسبت إلى ماضٍ قريب أو بعيد وهو متميز أمام أبنائنا في مستقبلهم القادم حين يجدون منطلقات التطور منسوبة إليه.

يتميز الملك عبدالله بإنجازات متعددة وليست بالسهلة، حيث ببساطة عندما يراجع المواطن ذاكرته بما كان يحلم به في ماضٍ قريب ويتصور أن وصول المرأة إلى حقوقها وإيجابياً عضوياتها أمراً ليس بالسهل لذا يجب انتظار مستقبل قادم..

الرجل التاريخي حين جعل ذلك المستقبل حقائق حاضرة أعطت المرأة كامل منطلقات تطور وجودها وتنوع ثقافتها..

أذكر أننا كنا نضيق في الماضي القريب بما هي عليه جامعة الإمام من عزلة عن واقع بداية منطلقات المجتمع نحو كل ما هو أفضل وبمشروعات إسلامية إلا أن هذه الجامعة كانت توحى بإسلامي خاص، فكان أن فوجئنا بمساندتها لثقافة الإسلام بما أصبحت تصل إليه من جزالة تنوع في قدرات تعليمها.. ثم تطلع إلى جامعات أسست حديثاً وستجد أنه غير موجود إطلاقاً في عالمنا العربي ويساند التفوق المحلي ما يأتينا من تفوق خارجي يبرز به طلبة الابتعاث الذين كان عددهم بسيطاً للغاية جداً قبل عشر سنوات وهم الآن يتجاوزون المئة وخمسين ألف مبتعث يضاعف عددهم إلى عدد التخصصات العلمية في جامعات الداخل.. التوسع الوظيفي.. امتداد رعاية محدودتي نسبة التعليم ومحدودي القدرة الاقتصادية..

لقد كنا بظروف قدراتنا الخاصة حيث انطلقنا من بداوة قريبة التاريخ نجد صعوبة في محاولة التميز بين الآخرين لكن فوجئنا وعبر زمن ليس بالطويل بأنفسنا ليس عبر ما نحلم به وإنما عبر تعدد ما أصبحنا ننطلق منه نحو جزالة غايات ونتائج، ثم أخيراً أصالة عضوية دولية أعطتنا كامل الاحترام..

إذا كانت قد تضاعفت مزايا قدراتنا ومثلها كفاءة تنوع إمكانياتنا فإن أصالة المواطنة ومصداقية الانطلاق الأرقى بها هو أن نكون في مستوى وعي ذكي يدرج جيداً تعدد مسارات التطور وتعدد مشاهد التفوق.. عندما نفعل ذلك فإننا حين نحيي هذا الرجل التاريخي بما هو فيه من منطلقات خصوصية التطور فإننا سوف نحيي ذات مواطنينا بالتوجه القادر نحو كل ما هو أفضل..



(*) الرجل التاريخي ومعجزات التحول

أي مقالة تكتب في مناسبة تقدير لرجل مسؤولية تحتوي مجموعة آراء تستخلص من مجموعة مصادر بعضها أو معظمها مع زعماء آخرين، وبالذات في دول العالم الثالث حيث تأتي المعلومات مكررة المضامين قبل عصر كتابتها ثم خلال عصر احتفاء مفتعل برجل حضور قيادي يحتاج باستمرار لأن يقال عنه ما ليس آتٍ بما هو صادر عنه.. تأتي دائماً عبارات ثناء مكررة وتقليدية.. نعرف ذلك جميعنا سواء فيما نستمع إليه أو فيما نقرؤه وهو آتٍ من أي مكان آخر..

رجلنا التاريخي بزمن قصير في عصر تناقضات كثيرة وأيضاً وجود تباين متباعد تماماً بين فئات وفئات استطاع بجزالة حضور وتعدد إيجابيات توجهات نحو ما هو صعب من أهداف وغايات حتى أنه حظي بانفراد شخصي بين كل وجود لقيادات عالمنا الثالث وفي الوقت نفسه اتجهت إليه مؤكداً الاحترام من كل مواقع التقدم العالمي..

هذه حقيقة واضحة التواجد.. واضحة جزالة ما أعطتنا معه من تقدير اتصال وتعامل وتفاهم مع كل آخرين بما في ذلك قوى التقدم الدولي..

إن الزمن القصير الذي انطلق بنا وبكفاءة نتائج نحو موقع احترام أخرجنا من روتينية العالم الثالث وطرح أمامنا عملياً وبشواهد من ذاتها تأتي مصداقية النتائج حين وجدنا ذاتنا ممن لهم كفاءة التعامل الإيجابي مع كل مصادر التميز الدولية.. لا أريد أن أحدد اسم دولة أو أكثر لكي أقول عنها بأنها شاهد تأكيد وجود التطور لأن الملك عبدالله قد اتجه باحترام ذاتي واحترام دولي نحو كل مصدر من شأنه إيجاد تعدد الزمالات الدولية في دعم قدرات التعليم ودعم إنجاز منشآت حدائة التصنيع وتنوع مصادره ولأن كل منطلق أوجد نجاحاً هائلاً فإننا لا نستطيع أن نصنف المجتمع كما في العالم الثالث بخصوصية نجاح مجال اقتصاد أو صناعة أو ثقافة واحد لأن جماعية الأهداف البارزة في منطلقات مجتمعاتنا عبر خطط وسياسات رجل التاريخ البارز عبدالله بن عبدالعزيز جعلتنا بالشواهد والحقائق

بعيدين تماماً عن مخاطر العالم الثالث وبين أيدينا من القدرات ما يجعل طموحنا نحو عالم التطور الاقتصادي والعلمي العالمي واقعاً نسعى به نحو ذلك.
إن أرقى ممارسة تقدير لرجلنا التاريخي هي تواصلنا بوعي جاد وكفاءة حضور متعدد القدرات نحو المزيد مما يضعنا فعلاً في عضوية مجتمعات التطور الدولي..



الملك عبدالله في الصدق والكفاءة (*)

له نزاهة التعبير ومصداقية النوايا ..

رجل فكر قيادي أجزم أنه لم يجاريه في قدراته ومنجزاته وتعدد معطيات أفكاره أي قيادي آخر عبر سنوات ليست بالطويلة .. قدم منجزاته الهائلة التنوع في تعدد التوجهات ومكاسب المعطيات .. من قائد إلى أمة .. أمة عشقت ضخامة وكفاءة ما يمتلئ به واقعه من منطلقات رائعة نحو مستويات المجد المذهلة ..

نحن مواطنوه استمعنا إليه عبر رسالته إلى مصر بعد استقرار ما اتجهت إليه من جدية سلوكيات حكم حظي باحترام الجميع .. وربما هي حالة نادرة أن يحصل منافس على انتخابات ما يزيد على التسعين في الوصول إلى قيادة الرئاسة .. دون شك الرئيس السيسي لم يفرض نفسه كما يفعل كثيرون في عالمنا الثالث، لكنه ترك اختيارات أتمته تحدد مصداقية وجود رجل التأهيل .. وفعلاً وصل للرئاسة ..

أجزم أن أرقى تهنئة وأصدق مشاعر هي ما أتى من رجلنا التاريخي الملك عبدالله الذي نعرف أن منجزاته في بلادنا هي أهم وأرقى منطلقات تتجه بنا خارج روتينية أو خلاقات العالم الثالث .. وحين تستمع مصر إلى عبارات خطابه الرائع فهي .. وهذه حقيقة لاشك فيها إطلاقاً تستقبل بيقين ثقة وأصدق عبارات التقدير وأصدق منطلقات التوجه نحو مزيد من الأمجاد .. لغة الملك عبدالله لم تكن عرض عبارات تقليدية يقدمها الرؤساء دائماً بينهم تهنئ وترحب فقط ..

الملك عبدالله - حفظه الله - انطلق بلغته الراقية ومشاعره الصادقة نحو كل يقين ومصداقية بما يجب أن تكون عليه مصر من واقع جديد .. واقع لا يتوقف .. تقليدياً .. في مهمة انتقال من رئاسة إلى رئاسة وإنما بشرت أفكار الملك عبدالله المليئة صدقاً وجزالة بمضامين واعية ومتعددة الإدراك لكل حقائق ما هو حال عالمنا العربي من مؤثرات ومؤامرات وانحدارات .. فتكون مصر متواصلة الرفض الجاد لكل ما هو حولها من سيئات تعامل أوجدتها سيئات

(*) العدد ١٦٧٨٢ (٧/٨/١٤٣٥هـ، ٥/٦/٢٠١٤م).

أفكار ونوايا.. هذا الوعي الرائع.. لدى الرجل التاريخي.. الملك عبدالله الذي أنجز وبشواهد عديدة الكثير من قدرات بلاده التي تجاوزت بها كل منعطفات التخلف واقعًا والخلافات تعاملًا..

المملكة ومصر هما حاليًا منطلق واقع الأمان لوجود كفاءة ونزاهة واقع عربي جديد تتطلق به الرياض والقاهرة نحو كل ما هو متعدد المكاسب ومتعدد تقدم القدرات..



(*) رجل يرى فيه كل مواطن مصدر منطلقات مجده

الملك عبدالله بارع مثالي بالامتيازات يتوقف الناس وبالذات ذوي المسؤوليات وذوي المصالح أمام ذاته وهم يرون فيه استمرارا كما كان جديداً من قبل.. ليس الأمر متوقفاً عند نزعات التقدير لدى أصحاب واجهة المسؤوليات وذوي المصالح بل إن الأمر التاريخي يتجاوز ما هو مألوف حتى ولو أتى بنسب محدودة لجزالة ما هو موجود من خصوصية مألوف حيث إن الملك عبدالله بن عبدالعزيز هو رجل تاريخي تركض خلف قدراته وإبداعات أفكاره كل منطلقات المواطنة تقديراً وترحيباً بما هو فيه من خصوصية انفراد شخصي.. نعم.. انفراد شخصي بما استطاع أن يمتاز به تاريخياً دون أن يجد آخرون قدماء أو حديثين موقع اقتراب من جزالة وتعدد أوجدته قدراته..

نعم.. نعم.. الملك عبدالله وخلال ما لا يزيد على التسعة أعوام وقبلها سنوات قليلة حين كان ولياً للعهد وصاحب صلاحيات قدرات متميزة قبل أن يصل إلى أعوامه الخاصة.. هو نموذج تاريخي تميز بتعدد مصادر تطوير لم تقف عند التعليم الذي قفز بمئات القدرات.. بل آلافها.. مبتعثون في الخارج أو عدد جامعات في الداخل.. الاتجاه إلى المواطن وأخذه عبر مصافحته مع كفه ليكون صاحب التواجد في تعدد مواقع المسؤوليات.. قفز الاقتصاد كما لو كان تعليماً وتكاثر قدرات الاتصال مع كل ما هو نبهه ومتطور في اقتصاديات وسياسات الخارج لتتميز دولة عربية في عصر تكاثر الضياع العربي بل تعدد الحروب ومآسي نتائج الفقر.. تتميز بأنها الحضور الواعي والجزل القدرات والثروات وبروز الأهمية عالمياً.. كل ذلك منطلقات فريدة وهائلة لخطط التطوير معها وفي كل توجهاتها نجد عبدالله بن عبدالعزيز رجل دولتنا التاريخي وباعتراف دولي هو الذي فتح لها بعناية وجزالة كل المنطلقات نحو الواقع الأرقى ونحو تأكيدات واقع السلامة والتقدير لشعب لا ينسى مداومته في البداية ولن ينسى كفاءة ما في واقعه من ارتفاع مذهل لنسب التعليم والتصنيع والتجارة.

(*) رجل مصداقية وكفاءات

عبر طول مدة الزمن السياسي الذي عاشه رجل بلادنا العظيم الملك عبدالله لم يكن هناك في كل مناسبة تحدّث فيها ما يوحي ولو بأسهل نسبة بأنها تواجدت أفكار مجاملة أو تم الأخذ بمرثيات تتجه لمعالجة مشاكل خاصة.. فالرجل التاريخي المنفرد بوضوح أفكاره ومصداقية نواياه سعى وبكل قدرات ووضوحه ونزاهة أفكاره لكي يلغي كل ما في عالمنا العربي من سلبيات، وأن يأخذ هذا العالم العربي بما يقدمه من جهود وأفكار نحو واقع جديد بعيد جداً عن واقع الخلافات ومآسي الحروب المحلية، حيث أن كل من عايشوا طبيعة أوضاع عالمنا العربي منذ ما سبق من سبعين أو ستين عاماً يعيشون في واقع ألم وثقة بأنهم يندفعون نحو الانحدار كما لو كانوا ينتمون إلى عالم خاص نشاطه وطبيعة هواياته ليست إلا ضياع كل أمس قديم.. والتواصل مع كل واقع قائم أو مستقبل يتجدد بأساليب التراجع والعجز وتنوع مهازل الفقر.. الفقر آراء وجهود وعلاقات..

تناول الرجل التاريخي.. الملك العظيم.. عبر كل ماضيه وواقع حاضره مصداقية مخاطبته العقل العربي.. إذا كان قد بقي في العقل العربي ما يمكن أن تأتي منه إيجابيات نتائج، ذلك أننا جميعاً نعرب يتواجد قلقنا وهموم إدراكنا لواقعنا حاضرننا..

نعرف وبوضوح تواجد براهين تعدد معابر الانهيارات لعالم استبدل بجهل وحماقة ما كانت عليه بعض دوله البارزة في ماضيه البعيد والقريب من مكانة اتساع ووضوح إيجابيات قدرات، لكن مع الأسف انحدرت بواقع الماضي نحو تعدد الضياع في منحدرات واقع اليوم.. مؤلم ومضحك في نفس الوقت أن نجد كيف انتشرت اتجاهات الحروب المحلية لدفع معظم ما في العالم العربي من إيجابيات في واقع ماضيه القريب والبعيد إلى حقائق مستويات الضياع.. كيف يحدث أن ينهار ذلك الواقع العربي الذي كان يواجه في ماضيه نوعية أفكار قدرات الاستعمار.. وينهار بوصوله إلى تبني أقصى مظاهر الإرهاب والحروب المحلية.. ليس ضد استعمار وإنما بتنوع الخصومات أصبحت تنوع منطلقات الحروب المحلية..

فرق هائل بين لغة الملك عبدالله بن عبدالعزيز صدقاً وأمانة وجزالة مواطنة وبين من يواصلون انطلاق تعدد المهازل.. لم يعد الأمر بين دولة وأخرى.. وإنما بين اتجاهات الدولة الواحدة.. أليس مخزياً أن تتضح حقيقتان.. تؤكد الأولى عدم احترام إسرائيل لأي جوار، وعدم وجود أي موقف عالمي ضد ما يتم من ممارسات عديدة لتقسيم عرب الخوف والخلافات..



الملك عبدالله.. حضور الفكر والإرادة (*)

ليست هناك علاقة دولية بخصوصية تعامل مع المملكة في الوقوف بين خيارين.. مع.. أو.. ضد.. فمع وجود تعدد الاختلافات الدولية فيما يخص المصالح لم توجد مصالح دفعت المملكة لتكون في موقف ضد تجاوب مع غيرها لا مع مصلحتها الخاصة.. هناك احترام دولي شامل من ناحية وهناك من ناحية أخرى وعي جيد الحضور بإدراك أن كل دولة عالمية لها ظروفها الخاصة..

ومن يتبعون دولة دولية فيما لها من وضع خاص هم بالتأكيد لا يملكون حرية علاقات مثلما هو واقع المملكة أمام ما هو واضح ومعروف بأنها تقويم العلاقات بالتجاوب مع مصلحتها عبر جسور الاحترام المتبادل والمصالح المتبادلة لا خصوصية الخصومات.. ما سبق.. يتعلق بما هو دولي..

داخل العالم العربي.. العلاقات مؤلمة.. ومضحكة.. وبحاجة إلى احترام من هو آمن.. ليست مهمة المواطن السعودي بصعبة إذا طلبنا منه أن يراجع معلوماته في ماضيه ويتأمل كيف كانت علاقة الدول العربية مع بعضها وإلى أين انتهى واقع الأمس البعيد والقريب.. كيف كان قبل أربعين عامًا أو أقل أيضًا يذهب لزيارة دول مستعمرة في شرق آسيا ومثلها في إفريقيا وكيف كان يجتازها وهو مبالغ بفخره فيما يعرفه عن دوله العربية.. أمس غير بعيد.. كان مرحلة تمرير لحقائق كاذبة حيث لم تكن هناك استقلالية حقيقية ولا تميز اقتصادي متنوع.. لا وجود لسلطة رجال فكر ورأي في معظم دول عربية تحولت في هذا الوقت الحاضر إلى نجومية خصومات وعداوات.. ليعبر كل مواطن في سجل ذاكرته.. ويسأل.. هل حدث أن رعى الملك عبدالله بن عبدالعزيز مناسبات للمبالغة باحترام قدراته أم أن الحقيقة توضح وعند الجميع أن الملك عبدالله حقق حضورًا رائعًا متعدد الجزالة أمام ما هو عليه العالم العربي من ضعف.. لم يحدث أبدًا.. أبدًا.. أن افتعل هذا الرجل التاريخي العظيم مناسبات -كما يفعل غيره- يبحث فيها عن احترام وإنما وبالشواهد التاريخية

(*) العدد ١٦٨٥٠ (١٠/١٦/١٤٣٥هـ، ١٢/٨/٢٠١٤م).

الاحترام الجزل والمتعدد المناسبات هو الذي يؤكد أن الرجل المتميز في كل قدراته هو الذي يقدم لكل الآخرين في بلاده ما يجب أن يكون لهم من احترام وتعدد مراحل تطور سريعة وجريئة.. وعن أخلاقيات هذا القائد الوحيد في خصوصيات انفراده بكفاءة العقل والإرادة يعرف الجميع أن هذه الأخلاقيات المثالية عنده هي التي وتعدد كثير أوضحت حقائق أنه لا يشتري الخصومات كما هو الحال في معظم الدول العربية بل إنه يرفض أي خصومة وهذا واقع معروف عند الجميع.

الذين بدؤوا بالعصر القريب ببيوت الطين ثم سبقوا غيرهم ليس فقط بتعدد جزالة قدرات الإمكانيات العلمية والاقتصادية التي لم تتوفر في أي دولة عربية وإنما بكفاءة الحضور في احترام العضوية الدولية والبعد الشاسع في كثافة ما وفره الملك عبدالله من إمكانيات وقدرات لشعبه لم تقترب من جزالتها أي دولة عربية..

نعم.. رجل إسلام وعقل (*)

الدكتوراه الفخرية العالمية التي قدمها «الأزهر» في مصر لرجل تاريخنا المتميز عالمياً الملك عبد الله بن عبدالعزيز بما فيها من خصوصيات تأكيد على لماذا اتجهت هذه الدكتوراه بما لها من مميزات ولم توجه إطلاقاً إلى زعيم آخر..

يقول الدكتور أحمد الطيب أنه تم منح هذه الدكتوراه لجهوده المخلصة في خدمة الإسلام والمسلمين في العالم، ولما يقوم به من جهود واضحة لدعم وحدة الأمة الإسلامية.. وأضاف «إن قرار المجلس الأعلى للأزهر منح الدكتوراه الفخرية لخدام الحرمين الشريفين يأتي تقديرًا لاهتمامه - أيده الله - البارز الذي يعرفه القاضي والداني بقضايا الأمة العربية والإسلامية، وكذلك لموقفه المشرف وموقف المملكة العربية السعودية تجاه مصر الذي يطوق أعناق المصريين جميعاً - حسب تعبيره»..

ما يخص المصريين بعد مواقف الملك عبد الله سمعته من قبل كثيرين من إعلاميي ومتقضي مصر في مناسبات كثيرة، لكن هنا الأمر يتعلق بخصوصية مصر وما لها من ارتباط سكاني وحدودي وما كان من احتمالات ضياع للعالم العربي لو لم ترفض مصر محاولات التدخل في شؤونها، خصوصاً وأن بعض من حاولوا التدخل كانوا يستغلون ما يدعونه من ولائهم لحزبية إخوانية هي في الواقع الحقيقي حزبية إسلامية ومتوفرة عنها معلومات سلبية واضحة منذ ما قبل سبعين عاماً على الأقل..

وهذا مجال ليس هو كل شيء.. وإنما عبر مضامين عبارات قوله التي أشرت إليها في البداية فنقف أمام هذه الصراحة والوضوح ومصداقية التعامل مع إسلام سليم بعيد عن عيوب أي استغلالية سياسية نعرف جيداً عنها تعدد محاولات الإساءة للإسلام عبر مئات الأعوام، لا سيما ونحن نعرف طبيعة الظروف الراهنة بما تمر به من مهازل ومخاوف، وتبرز المملكة بإشادة كل الآخرين أنها الواقع النزيه حاضرًا وقدرات مستقبل جزيلة في فكرها وقدراتها.. نعرف وغيرنا يعرف ذلك.. أن الملك عبد الله قدم انفراداً دينياً وأخلاقياً وجزالة مساندات لشعوب بكل ما يؤكد نزاهة ما نحن فيه من قدرات إسلام وقدرات مواطنة..

(*) العدد ١٦٨٥٩ ١٠/٢٥/١٤٣٥هـ، ٢١/٨/٢٠١٤م.

الملك عبدالله.. حضور المنطق والعقل (*)

نعم.. رجلنا التاريخي صاحب الأبوة التي يتشرف بها انتماءً وخصوصية حضور عالمي كل مواطن يجد تتابع جزالة القدرات التي يمنحها الملك عبدالله وسائل أوجدت كفاءة وتعدد إيجابيات ما هو فيه من واقع، وكذا - وهذا مهم جداً للغاية - يجد أمامه منطلقات كل ما سيكون عليه المستقبل من خصوصية امتياز هائل.. مثل واقع الحاضر.. بعيداً عما لدى معظم الآخرين من تخلف..

ليسمح لنا رجل واقفنا ومستقبلنا في آن واحد بعد لقائه الرائع مع العديد من السفراء أن نقول بأن ما تعدد لدينا عبر مختلف الأسماء أن ما قاله رجال السياسة وعضوية الزمالة الفاضلة كان.. وسبقي.. شاهد يقين يأتي من قدرات دبلوماسية ووعي وعقل بحق بلد تميزه الراهن وجزالة ما هو فيه من أمن وتعدد ما هو متجه به من منطلقات تطور إنما.. المواطن.. يتواجد عبر ما لا يحلم به غيره من خصوصيات اقتصادية وحضارية وقدرات تواجد مع العالم الأول..

لنقف أمام بعض ما قاله السفير البريطاني.. من وضوح جزل جداً لا ينكره أحد وأيضاً من مقارنات لم يكن السفير ملزماً بها وإنما هو يوردها لما هي تعنيه من تعدد التأكيد التقدمي.. تقدم القدرات في الابتعاد عن كل مخاطر من هم حولنا من عالمنا الثالث العربي يقول: «لا يحتاج الإنسان إلى كثير من الجهد كي يدرك كم نحن محظوظون هنا في المملكة العربية السعودية، وأن مجرد نظرة بسيطة حولنا تجعلنا نحمد الله على نعمة الأمن والأمان والاستقرار التي نعيشها في المملكة»..

وعندما أعود إلى عبارات خادم الحرمين وما بها من قدرات موضوعية بإدراك تعدد ما يهدد العالم العربي من مخاطر.. الملك عبدالله وهو صانع جزالة ما هو فيه المواطن هنا من أمن وتقدم لا يتناول وجود مخاطر خاصة وإنما يتناول مخاطر أمن عربي عام من المفروض أن يكون هناك حضور عالمي بدوافع إنسانية، ومن ناحية أخرى بدوافع إنقاذ العالم بصفة عامة من شيوع هذا الحضور الإجرامي الذي يريد قاداته فرضه عربياً كما لو كان سلوكاً مجازاً.. لقد انتشر الإجرام بسخف لا ديني ولا أخلاقي، وما لم يردع بجدية مواجهة فإن العالم العربي لن يكون وحده المهدد بالمخاطر..

(*) العدد ١٦٨٦٩ (١١/٥/١٤٣٥هـ، ٢٠١٤/٨/٣١م).

انفراد نزاهة وكفاءات (*)

في واجهة الصفحة الأولى من عدد «الرياض» يوم الجمعة تأتينا هذه العبارة الواعية والجزلة، بل وأيضاً المنطقية التي قالها شيخ الأزهر في مصر «إن شهادة الدكتوراه الفخرية أقل مما يستحقه خادم الحرمين.. صاحب المرحلة الخطيرة التي تجتازها الأمة العربية وتجتازها مصر.. ولولا الله تعالى ثم الملك عبدالله بن عبدالعزيز لتعرضنا لمتاهات أكثر بكثير مما نعيشها».. وأضاف: «إن خادم الحرمين الشريفين يحاول أن يبحر بالسفينة العربية بعيداً عن العوائق التي تطاولها»..

هذه المصدقية في الرأي تأتي من رجل دين منطقي وصاحب قدرات وعي، حتى أصبح للأزهر مكانة عقائدية وأخلاقية لا يجرؤ أحد على النيل منها كيفما أتاحت فرص الخلافات.. لا تتوقف الأهمية هنا عند مواقع الدعم أو نوعية المساندة، لأن مصر دولة صديقة والحمد لله كان ابتعادها الجاد عن محاولات أخذها إلى موسم الخلافات العربية الدامية المتعدد المهازل.. إنما يعني الابتعاد جزالة الوعي الذاتي وكفاءة القدرات.. لكن الذي أورده هنا لا يتوقف عند واقع مصر بما فيه مستوى أكثر من رأي قدم للمملكة مختلف وضوح التعبير عما هو قائم من احترام متبادل..

هنا أذكر وقبل هذا التصريح بزم من ليس بالطويل أن الملك عبدالله لم يمارس إطلاقاً طبيعة ما هو موجود في سلوك السياسة العربية، حيث لم يعلن الاقتراب من فئة بوجود التعاون والابتعاد عن أخرى بوجود الخصومات.. نذكر كيف أن الملك عبدالله قدّم معونته الجزلة لشعب العراق قبل أن تصل فئاته الراهنة للحكم، بما يعني أن المساندة اتجهت وبوضوح إلى المواطن الذي نجد الكل يندم لما هو أصبح فيه من ضياع..

ما يقال.. هنا.. ممكن أن يضاف إلى اليمن أكثر من مرة.. ممكن أن يكون هناك اتجاه إلى شمال إفريقيا..

إن الشواهد تؤكد بأن الملك عبدالله لم يكن إطلاقاً فارس خصومات، وإنما هو وبفردية امتيازات لا تقارن بواقع العالم العربي، بكل سلوكيات السياسة العالمية.. التي الكثير منها يفتقد هذا الواقع التاريخي الذي تميّز به كانفراد ونزاهة كفاءات..

(*) الكل مع الملك عبدالله نحو المستقبل الأرقى

الحقائق العالمية معروفة، بل إن من هو تقدّمي في التطور العالمي مشهور ومتعدد التواجد، ومن هم في قائمة التخلف أيضاً معروف عنهم هذا الواقع الذي لا يريد إنسان وعي وعقل أن يحتسب في عضويته ..

أمامنا برهان حقيقتين .. هناك آسيويون جنوباً وشرقاً كانوا في ابتعاد عن التقدم، ووجود عرب أكثرية كانوا في انطلاق التقدم .. هذا الوضع قبل ستين عاماً تقريباً .. سبق أن تناولت هذا التناقض الذي انتهى بهم إلى وجود التطور الآسيوي المتعدد، وفي نفس الوقت التخلف العربي الذي أوجد الكثير من المخاوف بل مهازل النهايات ..

الرجل العظيم .. التاريخي في جزالة فكره وتعدّد ما طرحه من مشاريع تطور في بلاده وبراعة ما أنجزه من رفع مذهل لنسبة أعداد من تقدموا في العلوم والأفكار حتى أصبحوا يمثلون حضور الأولوية العربية الأولى، ويكفي أن نعيد الاطلاع على ما نشر في مؤتمر استراليا عن اجتماع دول واعية ونزبهة سلوك ليس فيها من العرب إلا الوجود السعودي الذي لم يوقّر مهمة حضور فقط، وإنما وقّر وجود قدرات تميّز بين الآخرين .. رجلنا التاريخي العظيم فكراً وسلوكيات الملك عبدالله بذل جهوداً ليست بالسهلة كي يوفر وجوداً للدول الخليجية بعيداً عن وجود مداخل الضعف التي عرفنا ما فعلته في عالمنا العربي ..

لقد بذل الملك عبدالله جهوده المتوالية والجادة كي يوقّر حماية دائمة لفئات مجتمع تتوقّر لهم القدرات وإمكانيات التقدم لئلا تمر بهم أي مخاطر ..

إننا أمام نتائج الاجتماع السريع الذي تم مساء يوم الأحد خصوصاً عودة قطر إلى حقائق مبررات دول الجوار .. ودول التقارب أصلاً وأخلاقياً بين فئات السكان .. بالطبع ليس هذا الوصول النزيه والأخلاقي هو كل المكسب؛ حيث لاشك أن إجراءات قادمة ستضاعف وجود الأهميات التي ستقدم المجموع الخليجي إلى مفاهيمنا بتواصل أكثر كدولة واحدة رغم وجود الاستقلاليات الخاصة .. وجود التقارب في الإجراءات والأفكار هو الاتجاه العقلاني .. الذي نحن فيه .. نحو ما يبرهن التميّز الخليجي في كل القدرات وكل مسار الأفكار ..

(*) الملك والوجود الجديد للمواطن

لا تتوفر حتمية التطور العام سواء لمجتمعنا بخصوصيات وضوح أو للمجموع الخليجي الذي إذا اندرج في جماعية التعامل والتعاون نحو الوصول السريع إلى ذات المكاسب، فإنه يصل بواقع الوجود الخليجي إلى جماعية الاتجاه نحو واقع متميز.. لا عن العالم العربي وإنما عن كل أوضاع العالم الثالث حيث إننا إذا تطلعنا بوعي منطقي ومقارنة حقائق الكل يدركها نجد أن حاضر عالمنا الخليجي يملك كل قدرات الانطلاق بالاتجاه نحو عالم الكفاءات وعالم جزالة التجاوز لكل خصائص العالم الثالث..

الرجل التاريخي الذي أتى بروعة التعدد لأساليب التطور في بلاده سواء بما يتصل بأوضاع التعليم وتعدد كفاءات وقدرات المصالح الاقتصادية والتوجه الرائع نحو كل مدينة وقرية لإيقاف مسار أي تخلف، وفي نفس الوقت إيقاف أي عضويات عقائدية غير منطقية لئلا تتواصل بفعليات نزاع مثلما هو مؤسف في العديد من دول العالم الثالث وفي مقدمتها عالمنا العربي.. رجلنا التاريخي الملك عبدالله لم يتجه إلى ذاته كي ينفرد بأساليب ثناء ولكن لغة التقدير والثناء توجهت إليه من كل منطلقات تطور علمي وسكاني واقتصادي وتعليمي ليس بالكلام وإنما بتعدد جزالة شواهد ما تمكن من إيجاده من رسالة روعة وصول حضاري وعلمي واقتصادي غير متوفر في أي وجود بالعالم الثالث..

إن متابعة لغة التطور وقبل ذلك منجزاتها إنما يتم لنا الوصول إلى الضرورة الوطنية وليس الفردية.. التوجه بأكثرية وطنية وليس بخصوصية.. الأكثرية الوطنية أنجز القائد التاريخي لها كل قدرات الانطلاق إلى ما هو بعيد عن واقع الضياع في العالم العربي وإنما نحو ما هو متعدد قدرات وإمكانيات وحدثات أفكار.. هذا تميز غير ملاحظ عند الآخرين ويجب أن يأخذ هذا التميز عالمنا الخليجي وكذا الدول المتقاربة معنا وجوداً ونزاهة اتجاهات وقدرات.. مصر مثلاً.. مع أن لغة التحديث والتطوير التي أصبحت خصوصية لقائدنا التاريخي الملك عبدالله لا تستبعد أي حضور عربي شرقاً وغرباً أو شمالاً وجنوباً متى توفرت أفكار ومساعي هذه التوجهات التي لا تقبل أن يبقى عالم اليوم وهو توزع بين تقدم وتخلف حيث إن التخلف سيظل متواصلاً متى ما واصل فقد أي أفكار تتجه إلى التقدم..

مع الملك عبدالله.. بعيدون عن كل سلبيات غيرنا (*)

أجزم أن الوقت في ذهن الأكثرية الواعية داخل الوجود الخليجي لم يعد يحتاج كي يصل إلى يقين قناعة بالنسبة لما هو متوقف بتفكيره عنده.. لدي يقين بأن الأكثرية وعبر تعدد المفاهيم في كثير من المناسبات وكثير من الآراء المتقاربة كله يشير إلى وجود تفاهم خليجي مشترك، والإحساس بوجود مصداقية تجمع الأفكار والآراء عبر منطلق قناعة مشتركة.. على الأقل نقول: لقد تواجدت رغبة واحدة، وأهم من ذلك توفر وجود يقين بأن التلاقي الخليجي هو أفضل وسيلة ردع لأي مخاطر أصبحت تهدد الكثير من مساحات العالم العربي..

هل هذا يعني أن إدارات الحكم هي التي تبحث عن يقين واضح حتى تصل إلى القناعة المشتركة؟.. ربما يكون ذلك فيما سبق؟.. ثم من قال إن بعضاً خليجياً سوف يمارس سيادة على بعض آخر.. هذا غير وارد، ولم يمر بنا كوسيلة مخاوف لها انتظار فرص الانطلاق نحو التراجع..

أبدأ؛ لم تمر بنا سلوكيات تشير إلى شيء من ذلك، بل نعرف أن التقارب السكاني جعلنا لا نهتم أن نعرف كم عدد هؤلاء، ثم كم هو عدد طرف آخر.. دائماً تجمعنا مشاعر أمن واطمئنان..

هل نقول إنه يحدث سابقاً تحفظ مؤقت قبل الوصول إلى يقين الحاضر؟.. ربما..

نحمد الله أن مجموعنا الخليجي قد انطلق الآن بممارسة واقعية أفكار مشتركة، وواقعية أكثر من يقين تقارب نحو فرض ما يشبه الدولة الواحدة.. ليس في ممارسة خصوصيات مختلفة، وإنما في ممارسة الجماعية دفعاً بكل القدرات نحو ما وصلنا إليه من مستقبل تواجد في أفكارنا وقدراتنا توجّهاً إلى كل واقع أفضل..

للملك عبدالله بن عبدالعزيز وافر التقدير والمحبة.. هو القائد التاريخي - الذي عملياً وعبر أكثر من واقع نبيل في الممارسة - وقف بجزالة منطلق أعلى مستويات العقل والوعي كي يضع العالم الخليجي ومشاركة مصر في حقائق وواقع براعة الحاضر الذي هو.. أي عالمنا.. بعيد تماماً عن كل سلبيات الآخرين خارج خليجنا..

(*) العدد ١٦٩٨٣ (١/٣/١٤٣٦هـ، ٢٣/١٢/٢٠١٤م).

عبدالله.. وحقائق المتغيرات (*)

لم تكن ميزات رجل التاريخ البارز في كل اتجاهات فكره ومثلها اتجاهات علاقاته مثلما هو واقع طبيعة رؤساء دول العالم الثالث سواء فيما يتعامل من داخل الوطن أو في ما يتعامل به خارج الوطن.. الملك عبدالله.. تعامل بوضوح ومصداقية مع المواطنين داخل الوطن في تأكيد سلوكي وأخلاقي بأنه يرتبط مع الجميع بعلاقة أخوة صادقة وكذا علاقة أبوة لها ذات التميز.. لن أنسى أبداً متابعتنا له نحن رؤساء التحرير سواء في زيارات خارج البلاد أو فيما هو داخل الوطن.. تفقد لطبيعة واقع قدرات أو بذل الكثير لتحسين من لم يتحركوا نحو الواقع الأفضل..

بتعبير بسيط وكله وضوح أستطيع القول بأنه أعطى كل وقته ومنطلقات قدرته وما هي عليه لغته من حزم ووضوح بحيث وجدنا وبكل الشواهد أنه الرجل الذي وصل إلى الحكم مثل غيره بكل ما هو طبيعي ونظامي تواصل التوالي في عالمنا العربي..

لكنه عندما حكم.. وأيضاً قبل أن يحكم رسمياً بعامين تقريباً استطاع أن يطرح إيجابيات تغيير كثيرة لواقع ما هو يحتاجه المواطن من مزيد قدرات ومزيد إمكانيات توالى تحسينها من قبل الدولة بجهود لا يستطيع أحد أن ينكرها..

أيضاً حقائق نوعية التعليم.. نوعية الابتعاث فرض لها بجزالة تاريخية بأنه نقل عدد الابتعاث من أرقام لا تتجاوز الثلاثين ألفاً إلى أكثر من مائتين وخمسين ألفاً.. ولم يكن التوجه يحدث في بلد واحد أو حتى خمسة ولكن ثبت لي عبر الرحلات أن هناك وضوح تواجد في شمال وشرق آسيا كما في أوروبا وأمريكا.. المرأة.. كيف كانت من قبل وكيف فرحت بموجودات نشاط تنوع قدراتها حتى أصبحت عضوة مجلس الشورى.. وذات مسؤولية قيادية مباشرة في مواقع أخرى..

قدم الرجل العظيم - رحمه الله - لبلاده الكثير من تعدد منطلقات التطور حيث لم يتوقف الشاب عند تقليدية واقع بلاده أو عالمه الدولي الثالث وإنما كان هناك وضوح اتجاه نحو

أصالة ونزاهة قدرات عالم المدنية المتخصص انفراداً بتعدد القدرات والكفاءات.. المغفور له الملك عبدالله وعبر سنوات ليست بالطويلة نقل واقع مجتمعه إلى الكثير من إيجابيات الحداثة وشواهد حقائق تنوعات التطور.. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته..



(*) مبروك... أمام كل فرح

مبروك يا شباب..

ومبروك يا بلد يقفز من نجاح إلى نجاح آخر..

منطلقات تاريخ ليست بالسهلة.. ليست بالتقليدية..

نعم.. نعم.. نعم.. بلد نحن فيه ليس كمثل أي بلد في عالمنا الثالث، ولم نطلق به نحو ما بعد العالم الثاني لنكون مثل الدول المتواضعة في تقدمها، فنحن وبالحقائق أصبحنا مجتمع الإيجابيات المتقدم.. حيث نجد أن الملك سلمان الرجل الذي من بداية شبابه وهو في بداية منطلقاته نحو كل إيجابيات المعرفة والمعلومات وقدرات العمل..

لقد قدم الملك عبد الله - رحمه الله - العديد من مصادر منطلقات التقدم وتحديث القدرات والتنوع العلمي، ثم إذا بنا مع الملك سلمان - وعبر أيام فقط - نجد أنفسنا أمام مصادر تنوع جديد لمكاسب حكم وإدارات ونوعيات مختصين بكفاءات التأهيل.. لم يعد كبار السن وحدهم من يعطون حقائق الأمان، حيث أتت قدرات الشباب لتؤكد عبر ما هو جديد من مسؤولياتهم أنهم واقع الحاضر الذي نحن فيه، حيث يتأمل الكل من المواطنين براعة هذا الانتشار للمسؤوليات من آباء كبار وشباب مسؤوليات كبار..

واقع رائع لحاضر نختلف فيه تمامًا عن كل أوضاع دولنا العربية.. يكفي من قبلنا وجود استمرار تأكيد منطلقات التجديد في مواصلة الكفاءات.. التجديد في براعة المسؤوليات.. إذا كان أن العروبة تتكبد صعوبة المرحلة الراهنة فنحن من بلدنا نقدم عن مرحلتنا الراهنة جزالة حقائق تمتلئ بالإيضاح عما نحن فيه من ابتعاد عن أي سيئات وعما نحن فيه ليس من اقتراب فقط وإنما تعدد براهين واقعنا كما لو كنا أسرة واحدة..

نتحرك عبر كل الإيجابيات نحو حقائقنا النبيلة وذات الامتياز الذي لم ينفرد به غيرنا..

مبروك لرجال المسؤولية حضورهم إلى ما هم فيه الآن من تقدم مهني واحترام اجتماعي.. وقبل كل ذلك براعة إرادة مسؤوليات تواصل نحو كل ما هو أرقى..



مركز توثيق سيرة الملك عبد العزيز آل سعود
KING ABDULLAH BIN ABDULAZIZ ALSAUD
BIOGRAPHY DOCUMENTATION CENTER



مؤسسة الملك عبدالله الإنسانية
King Abdullah Humanitarian Foundation